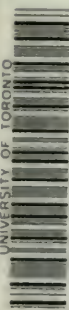


UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00482293 8







على آخرهم على ذلك يأتيه من يأتيه وكان المؤخر لا يغضب ولا يشكو وقال ابن
مقوم الضبي

وإذا تعامل بالسياط جياذنا * أعطاك ثانية ولم يتعامل
فدعوا نزال فكننت أول نازل * وعلى ما أركبه إذا لم أنزل
ولقد أفدت المال من جمع امرئ * وعففت نفسي عن كريم المأكل
ودخات ابنة الملوك عليهم * ولشر قول المرء ما لم يفعل
وشهدت معركة الفيول وحولها * أبناء فارس بيضها كالأعبل
متسر بلى حلق الحديد كأنهم * حرب مقاذفة لشحم الحنظل
ثم المصحف السابع من كتاب الحيوان وبتمامه تم الكتاب والحمد لله على حسن
اختتام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام

يقول مصححه عفا الله عنه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده (وبعد) فقد تم بعون الله
وأيدته وتوفيقه وتسديده طبع هذا الكتاب الجليل على نفقة ذى الرأى الصائب والفكر
الثاب محيى رفات المعارف بعد اندراسها ومجد رسوم الفضائل بعد انطماسها
حضرة (الحاج محمد أفندي ساسى المغربى التونسى) وفقه الله
لمثل هذه الاعمال وكان الفراغ من طبعه فى أواخر
رجب الفرد من شهر سنة ١٣٢٥
هجرية والحمد لله كثيراً

منهم يدعو لصاحبه يقول أقل الله فطنتك قال وهذا يخالف قول عمر رضى الله عنه
حين قيل له أن فلانا لا يعرف الشر قال ذلك أجدر أن يقع فيه وقال النابغة الذبياني
ولا يحسبون الخير لا شر بعده * ولا يحسبون الشر ضربة لازب
وقال الآخر

ولا تعذراني في الاساءة انه * شرار الرجال من يسى، فيعذر
وقالت امرأة ترضى عمير بن معبد بن زرارة

أعين ألا فابكي عمير بن معبد * وكان ضروبا باليدين وباليه
تقول بالسيف وبالقداح لان القداح تضرب باليدين جميعا وقال ابن مقبل
وللفؤاد وجيب عند أبهره * الدم الوليد وراء الغيب بالحجر
وقال ابن أحر

* وفؤاده وجل كمرف الهدهد *

وكان حسان يقول لقائده طعام يد أو طعام يدين طعام يدين الشواء وما أشبه ذلك
وطعام اليد الثريد وقال بعض السلاطين لغلام من غلمانه وبين يديه أسير اضرب قال
يد أو يدين قال بيد فضربه بالسياط قال أحسنت فانت حر وزوجه وأعطاء مالا
وكان فرج الحجام مولى جعفر بن سيمان اذا حججه وأخذ من شعره لم يتكلم ولم
يتحرك ولم يأخذ في شيء من الفضول فقال له جعفر ذات يوم ما اسمك يا حجام قال فرج
قال وما كنتك قال لا أكتني بحضرة الامير قال فهل تحتجهم قال نعم قال متى قال
عند الهبيج قال وهل تعرف وقت الهبيج قال في أكثر ذلك قال فأى شيء تأكل عند
الحجامة قال أما في الصيف فسكباجة عذبة محضة وأما في الشتاء فدا كراجة خائرة
حلوة فأعقنه وزوجه ووهب له مالا وكان قاطع الشهادة ولم يكن أحد من مواليه
أن يشهده الا على ما يختلف فيه الفقهاء وهو الذي ذكره أبو فرعون فقال

خلوا الطريق زوجتي امامي * أنا حمام فرج الحجام

وكان أهل المدينة يقولون لا نرى الانصاف الا في حانوت فرج الحجام لانه كان
لا يلتفت الى من أعطاه الكثير دون من أعطاه القليل وبقدم الاول فالاول حتي يأتي

والارجاء التأخير وقال كعب بن زهير

فم مقلدها عبل مقيدها * في خلقها عن بنات الفحل تقضي
حرف أخوها أبوها من مرجئة * وعمها خالها قوداء شدي

وقال سالم بن دارة

حدوت بهم حتي كان رقابهم * من السير في الظلاء خيطان
وقال بعض المحدثين

وقد شربوا حتي كان رقابهم * من اللين لم تخاق لهن عظام
(وقال آخر)

كان هامهم والنوم واضعها * على المناكب لم تعمد بأعناق
وقال الذميت

وفي الديات اذا ما السنو * نأقي من برقها كل كل
لعمام يقول له المدلفو * ن هذا المقيم لنا المرحل

وقال أيضاً

الطيبو ترب المفار * س والمنابت والأكاسر
والساحبون الاحقو * ن الارض هدا ب المأسر
أنتم معادن للاخلاق * ة كبراً من بعد كبر
بالتسعة المتابعي * ن خلافاً وبخير عاشر

وقال أيضاً

مكرم قوله للزائرين له * أعشبت فانزل الى معلوية
ذهب الى قوله

مستأسد ذئابه في غيطل * يقان للرائد أعشبت اثر
ولكن أنظر كم بين الديباجتين وفي الاول ذهب الى قول الاعشى
اذا الحبرات تلوت بهم * وجروا أسافل هداها

قال فان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون كونوا بها كالحمم والكان الرجل

الحية ويأكلها ويقتل الضب ولا يأكله ولكنه حسوله وزعم أنه وجد مشايخ الاعراب
لا يقتلون ورلا ولا تنفذ ولا يدعون أحدا يصطادها لانهما يقتلان الاقاعي ويريجان
الناس منها وأنشد أبو عبيدة لابي ذؤيب

وسود ماء المزن منها فلمونه * كلون الثور وهي بيضاء - ارها
وأنشد شبيها به للنابة

يتجلب ليصيد من أشداها * صفر مناخرها *

وأنشد شبيها بذلك لابراهيم بن هرمة

كانها اذ خضبت حنا ورم * من حرص والمهرم^(١) والعصم
* وأنشد أيضاً *

تعلم الا كل أولاد الطباء بها * فابحس بها سيد ولا أسد
* وأنشد *

ذكرتك ذكراً فاصطدت ظيماً * وكنت اذ ذكرت لا أخيب
منحتكم المودة من فؤادي * ومالي في مودتكم نصيب

وقال ابن مقبل

وكم من عدو قد شققت قيضه * باسمر عزال اذا هز عامله
وقال أيضاً ولم اصطبغ صهباء صافية القدي * با كدر من ماء اللهاة والعجب
ولم أسر في قوم كرام أعزة * غطارفة شم المرانين من كلب
اللهاة والعجب ما آن من مياه كلب موصوفان بالمذوبة وهي في ذلك كدرة وأنشد
ابن مروع لعمدي بن عطيف الكلي وكان جاهلياً

أكان الليل والنهار معاً * والدهر يمدو على الفتى جزعا
والشمس في رأس فلكة نصبت * رفهما في السماء من رفعا
كما سطا بالأنام عاد وبالجبج * ر وأرجا لتبع تبعاً
فليس مما أصابني عجب * ان كنت شيئاً أنكرت أو صنعا
قال هو عاد بن عوص بن أيدوسطا بالحجر أي أتى بأهل الحجاز وأرجا أي آخر

الجبل وهو رجل من العرب قد ولدته حليلة ظئر النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بني
 سعد بن بكر فزعم أن السوداني أشبه خالق الله بجارحة وأحكمهم بتدبير ذئب وكلب
 وأسد وغر وتلاميذ وشقيف وأنه بلغ من حذقه ورफقه أنه ضري ذئبا وعلمه حتى اصطاد
 له الظباء والشعالب وغير ذلك من الوحوش وأن هذا الذئب يمينه سرحه فرجع اليه
 من ثلاثين فرسخا وذكر أن هذا الذئب اليوم بالعسكر وحدثني بهذا الحديث في
 الايام التي قام بها أمير المؤمنين المتوكل على الله وذكر أنه ضري أسدا حتى ألف
 وصار أهليا صيودا حتى اصطاد الحـمير والبقر وعظام الوحش صيدا ذريما إلا أن
 الاسد بمد هذا كله وثب على ولد له فأكله فقتله السوداني والذي عندنا في الذئب
 أنه يألف ولو أخذ انسان جرأ صغيراً من جرائه ثم رباها لما نزع الاوحشيا غـدورا
 مفسداً ولذلك قال الاعرابي

أكلت شويهي ونشأت فينا * فمن أبـاك أن أبـاك ذيب

فالذي حكى عبوية من شأن هذا الذئب والاسد من غريب الغريب وأخبرني عبوية
 صاحب ياسر الخادم قال أرسلت كلبة لي فحاصرت ثعلبا فوالله أن زالا كذلك حتى
 خرا ميتين قال فقلت أكرم بهما صيدا ومصيدا وطالبا ومطلوبا قال وإذا أسن القرشي
 راحل الى الحجاز وقال ما احتنك رجل قط إلا أحب الخلوة وقالوا ما فكر فيلسوف
 قط إلا رأي الغربة أجمع لهمه وأجود لخواطره قال وشتم رجل الارضة فقال بكر
 ابن عبد الله المزني مه فهي التي أكلت جميع الصحيفة التي تعاقـد المشركون فيها على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذكر رسول الله وبها تبينت الجن أن لو كانوا إلهة
 الغيب مالبثوا في العذاب المهين وبها تكشف أمرها عند العوام بعد الفتنة والعظيمة
 عندهم وكان على الخاصة من ذلك أعظم الحزن وخبرني رجل من بني هاشم كان منهموما
 بالصيد له حـاجـة أنه ضرب وسط ضب بالسيف فقطعه نصفين فتعرك كل واحد
 منهما على حياله ساعة من نهار ثم سكنا وأخبرني أنهم كانوا يهاشون بين الضب
 والورل فيلعبه الورل حتى يقتله وحكي أن الورل يقتل الضب على معني الصائد والطالب
 وأن الضب يقاتل على معني المخرج وأنه هارش بين الورل والحية فوجد الورل يقتل

مبيتها فلا يقطع سفاده أميالا ويده على ظهرها ورجلاه خلف رجليها فن رأي ذلك
الاثر رأى ستة أرجل لا يدرى كيف ذلك قال فالخنزير في ذلك على شبه الذباب اذا
سقطت على ظهر الاتي في طول السفاد وأن الجمل في ذلك لهجيب الشان والحد
في المصفر ويحكى أن للورل في ذلك ما ليس لشيء يعنى من القوة وأنشد أبو عبيدة
في عظم ابر الفيل * وهو قوس وطول حبس اذا حبس *

قال عمرو بن سعيد فرس الماء يأكل التمساح قال ويكون في النيل خيول وفي تلك البحور
يعنى تلك الخلعان مثل خيول البر وهي تأكل التمساح أكلا ذريعا ولا للتمساح في وسط
الماء سلطان يظهر الا على ما احتمله بذنبه من الشريعة قال وفرس البحر يؤذن بطول
النيل بأثر وطء حافره حيث وجد أهل مصر أثر تلك لارجل عمر فوا أن النيل
ينتهى في طلوعه الى ذلك المكان وهذا الفرس ربما رعى الزرع وليس يبدأ اذا رعى في
أدنى الزرع اليه ولكنه يحرم منه بقدر ما يأكل يبدأ فيأكل بأكله من أقصاء فيرعى
مقبلا الى النيل وربما شرب من الماء بعد الرى ثم قال في المكان الذي يرعى فيه فينبت
أيضا الرطير عندنا تأكل التوت وتذرقه فينبت من ذرقه شجر التوت قالوا واذا أصابوا
من هذه الخيل فلوا صغيرا ربوه مع نسائهم وصبيانهم في البيوت ولم يزد على هذا
الكلام قالوا وفي سن من أسنانه شفاء من وجع المعدة قال والنوبة وناس من الحبشة
يأكلون الحمية نية بغير نار ويشربون الماء العطن فيمرضون فذا علقوا سن هذا أفاءوا قال
وأعفاج هذا الفرس يهرى من الجنون والصرع الذي يمتري مع الالهة قال وكذلك
لحوم بنات عرس صالحة لمن به هذه الملة قال وإنما يكون الانسان من مصائد الذئب
اذا لقيه والارض تلجأ فانه عند ذلك يخفش وجه الارض ويجمعه ويضرب وجهه
الارض فارسا كان أو راجلا قال ودقائق الثلج وغباره اذا صك وجه الفارس صدر
واسترخى وتحير بصره فاذا رأى ما مدحله به فرمى بهج بطن الدابة وربما عضها
فيقبض على الفارس فيصرعه ولا حراك به فيأكله كيف شاء الا أن يكون الفارس
مجربا ماهرا فيشد عليه عند ذلك بالسلاح وهو في ذلك يسير ويقطع المغازاة ولا يدعه حينئذ
يتمكن من النفر عليه وزعم عبويه أن الخصى العبدى النقيب من أهل همدان السوداني

مالها قرون وانما ذلك الذي سمع به قرن انما هو شيء يقولونه على التشبيه لانه من جنس الجلد والغضروف ولو كان من جنس القرون لكانت الحية صلبة الرأس والحية أضعف شيء رأساً ورأسه هو مقتله لان كل شيء له قرن فرأسه أصلب وسلاحه أتم والقرون سلاح عتيق غير مختلف ولا مصنوع وهو لذوات القرون في الرأس وللمكر كدن قرن في جبهته والجاموس أوثق بقرنه من الاسد بمخالبه ونابه وتقول المجوس يحيى سرفين على بقرة ذات قرون وظهرت الآية في شأن داوود وطالوت في القرن وشبور اليهود من قرن والبوق في الحروب التي منها كانت الحرب انما كان قرنا ويسمى الرجل روق والروق كل شيء يضاف الى شيء وقال بشار في اليعاقب أعقبه الجنوب روقاً من الارب

وفي العرب روق وأبو روق وقال ابن ميادة

دان له الروقان من وائل * وقبله دان له حمير

الروقان بكر وتغلب ويقال قرن الضحى وقرن الشمس وقرن الكلام وقرون السنبيل وأطراف عنوق النخل وأطراف عنوق الخافاء وأبرة العقرب كلها قرون والاجناس التي لها قرون تكون قرونها في الذكور منها وقد يكون الفحل أجمع كما ان الالحا عام في الرجال وقد يكون منهم السنباط وقد تشعب قرون الظباء اذا أسنت وقرون الظباء وبقر الوحش شداد جداً وانما تمدوا الاوعال في السلاح والثوب وفي القذف بأنفسها من أعالي الجبال على القرون والاغلب على القرون ان تكون اثنتين اثنتين وقد يكون لبعض الغنم قرون عدة والجواميس تمنع أنفسها وأولادها من الاسد بالقرون وبقر الوحش تمنع أنفسها وأولادها من كلاب الفئاص ومن السباع التي تطيف بها بالقرون قال الطرماح

أكل السبع طلاها فما * نسل الاسلام غير انهزام

وقال ابن النوسجدار أقيمت من خراسان في طرف الجبال فرأيت أكثر من ميلين في مواضع كثيرة من الارض أثر ستة أرجل فاضطرني ذلك الى أن سألت المكارى فزعم أني الخنزير الذي ذكر في زمان الهيج بركب الخنزيرة وهي ترتع أو تذهب نحو

الركبتان يديها وكذلك البهائم كلها وعساها ان أرادت القيام والانسان ركبتاه في رجليه ويقولون اشتريتمك للنعامة على التشبيه بالبعير والطائر يريدون تشابه الخلق لا على الولادة ويقولون للجواموس كاوامس على ان الجواموس يشبه الكباش والنور لا على الولادة لان كاوبقرة وماس على شبه الجواميس بالضأن لان البقر والضأن لا يقع بينهما تلاقح والتفليس الذي في الزرافة لا يشبه الذي في النمر وهو باليت أشبه وما الليث أحق به من هذا الوجه من الفهد فقد يمكن ان تسمح الضبع للارنب والكلبة للذئب وكذلك الثعلب والحرة وكذلك الطير وأجناس الحمام كالورداني والورشان والحمام وكالشهري من بين الحجر والبرذون والرمكة والفرس والبغل من بين الرمكة والحمار فأما بروك الجمل على النمرة والجمل لا بد ان تكون طروقه باركة فكيف تبرك النمرة للجمل والسباع انما تتسافد وتتلاقح قائمة وكذلك الظلف والحافر والمخاب والخلف والانسان والنمساخ يتبطنان الاثنى والطير كله انما يتسافد ويتلاقح بالاستناه من خلف وهي قائمة وزعموا ان الغراب يزاق الحجل والقيج فرما الفحا الاناث اذا كانا على علاوة الريح ولا تكون الولادة الا في مواضع القاء النطفة وأما السمكة فقد باين قوم معارضة الذكور الاثنى فاذا سبح الذكور الى جنب الاثنى عطف ذنبه وعقفت ذنبها فيلتي الحيوان فتسكون الولادة حيث يكون التلقيح لا يجوز غير ذلك والذين زعموا ان الحجلة تلقح من الحجل اذا كانت في سفالة الريح في شي لنقصان مني الذكور فانما شبهوا الحجل بالنخل وان النخلة ربما لقحت من ريح كافور النخال اذا كانت تحت الريح وسئل الشرق عن مجازة ما بين القرون والجمل فقال الابل والخيول من الحافر والبرثن والمخاب والقدم التي هي للانسان فنخصال ذي القرن ان منه ذا القرنين الملك المذكور في القرآن ويزعم بعضهم انه الاسكندر وقال أمية بن أبي الصلت

رجل ونور تحت رجل يمينه * والنسر للآخرى وليت مرصد

وقال ضربه على قرنه وقرن من دم كما يقال قرن من عرق والقرن أمة بعد أمة والقرن شيء يصيب فروج النساء يشبه بالعلة والفيل من ذوات القرون وفي الحيات والافاعي

والجواميس في طول الذنب وفي عدد أيام الحمل ومن الظلف الضأن والمعز وقد يكون بينهما تسافد وتلافح الا أنها تلقيه مليطا قبل أن يشر وذلك أقل من القليل ومن الظلف البقر الاهلي والجواميس وهي أهلية أبدا وهي موافقة للضأن في القرون وفي عدم الناب والجرة والكركش وتخالف الضأن في الصوف والسنام وتوافق المعز في الشعر وتخالف السنام وتخالف جميع الغنم في الحمل لان الغنم تضع خمسة أشهر والبقر تضع كما تضع المرأة في تسعة أشهر وليس تشبه المرأة في غير ذلك الا ما يذكرون من الغيب ونحو الكاهل فانهم ما ربما كانوا في بعض النساء وأكثر ذلك في نساء الدهاقين

﴿ القول في الزرافة ﴾

قالوا والزرافة تكون في أرض النوبة فقط قالوا وهي تسمى بالفارسية شتركاو بلك كانه يعني بقرة لا كان وهو البقر واشتر الجمل وبلنك هو الضبع فزعموا ان الزرافة ولد النمر من الجمل فلو زعمتم ان الجمل يكوم الضبع ويكوم ماله ظلف ما كان الا كذلك والمساهفة في أجناس الخبأ والخف والحافر أعم فلو جعلوا الفحل هو النمر والاثني هي الناقة كان ذلك أقرب في الوهم وليس كل ذكر يكون أنثى يلقحها وقد يكوم الانسان الدابة بشهوة منهما جميعا ولا يكون تلاقح كما أتفقوا في المساهفة وان الراعي يكوم الغنم وغير الغنم وانظر كم من ضرب ادعوا مما لا يعرف فواحدة ان بهما ذكر الشتمبي سبعا أنثى وهو من أصعب السباع ثم الثانية ان ألقح والثالثة ان ارحام النمر لا تتسع لاولاد الابل قالوا نمرهم عظام وابلهم لطاف وقد تتسع ارحام القلاص العربية لا واقع كرماني فتجي بهذه الجبارات ولولا أنه سبع لجاز أن يكون النمر يكوم الناقة فتتسع ارحامها لذلك قالوا وفي أعالي بلاد النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القليظ الى شرائع المياه فتتسافد هناك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجبي من ذلك خلق كثير مختلف الصورة والشكل والقدر منها الزرافة وللزرافة خطم الجمل والجلد للنمر والاذلاف والقرن للابل والذنب للظبي والاسنان للبقر فان كانت أمها ناقة فقد كامها نمر وظبي وأيل في تلك الشرائع وهذا القول يدل على جهل شديد والزرافة طويلة الرجلين منحنية الى أواخرها وليس لرجليها ركبتيان وانما

والضم والمطر والصبغ والحلى والممشطة والعتاب والنفذية وجميع ممالك اليوم فسكنت عنها حولاً ثم قالت يا أمه ان سألت ربي أن يجعل ابر الفيل أعظم أنطمعين أن يفعل ذلك قالت الام أي بنية قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها سألت عنها أمها وأنها قالت أي بنية ان الله ان جعل ابر الفيل أعظم وجعل حر امرأة الفيل أوسع وأعظم فيعود الامر كله الى الامر الاول قال فسكنت حولاً ثم قالت يا أمه فان سألت ربي أن يجعل ابر الفيل أعظم غلة فيصير عدداً كروامه أذكر أنطمعين أن يفعل قالت أي بنية قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها سألت أمها عنها وأنها قالت أي بنية سلى الله أن يجعل زوجك أشد غلة مما هو عليه ولاكن لا تسئليه ذلك حتى تسئليه أن يزيد في غلتك قالت يا أمه فان سألت أبي أن يجعله في غلة التيس أنطمعين أن يفعل ذلك قالت أي بنية قد سألت عن مثل هذه المسألة أمي فذكرت أنها سألت عنها أمها وأنها قالت لا يجوز أن يجعله في غلة التيس حتى يجعله تيساً قالت يا أمه فان سألت ربي أن يجعله تيساً ويجعلني عنزاً أنطمعين أن يفعل ذلك قالت بنية قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها زارت أمها لتسئله عن هذه المسألة فوجدتها في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وما أشك أن يومى قد دنا فلم تلبث الا أياماً حتى ماتت معناها في تسويق اللذة ودفعها بالحيلة

❦ باب الظلف ❦

وهي الظباء وهي ممز والممز أجناس والبقر الوحشي ذات اخلاف وهي بالمرز أشبه منها بالبقر الأهلى وفي ذلك تسمى زاجاً وليس بينها وبين الظباء وان كانت ذوات جرة وكروش وقرون وأخلاف تسافد ولا تلاقح وهي تشبهها في الشعر وفي عدم السنم ومن الظلف الوعل والتيتل والنامور والایل جليات كلها لا أدري كيف التسافد والتلاقح منها ومن الظلف الخنازير وهي لا كرش ولا جرة ولا قرون وليس بينهما موافقة الا في الظلف وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمشقى فيقال هو المخالف بالذنب وتقدر الاشياء كلها وتشاكل الممز والبقر والظباء بالشعر وقصر الذنب وبخالف البقر

وأولئك عجم فجعلهم كالسمك الذي يعيش في الماء ألا ترى أن معاوية بن أبي سفيان
ابن معاوية بن يزيد لما قتله ضبة دست في أسنانه سمكة وقال جرير

ما بين تيم واسماعيل من نسب * الا قرابة بين الزنج والروم
فقال قطرب الصقابة أبعد قيل له أن جريراً لا يفضل بين الصقابة والروم إنما هو
على معنى قول الكميت * حتى يؤلف بين الضب والنوز * وتقول العرب لا يكون ذلك
حتى يجمع بين الاروى والنعام لان الاروى جبلية والنعام سهلية وقال الكميت
يؤلف بين ضفدعة وضب * ويعجب أن نهر بني أدينا
وهذا هو معناه الاول وأبعد من هذا قول الشاعر

* حتى يؤلف بين الثاج والنار *

وقال أبو الحسن المديني قال أبو البرهان الملائي ثم الوقاصي قال وحدثني بذلك الغيداق
عن الوقاصي قال قالت جارية لامها ليلة زفافها يا أمه ان كان أير زوجي مثل أير الفيل
كيف أحتمل حتى أنتفع به قال فقالت الام أي بنية قد سألت عن هذه المسئلة أي
فذكرت أنها سألت عنها أمها فقالت لا يجوز الا أن يجملك الله مثل امرأة الفيل
قال فسكنت حولاً ثم قالت لامها يا أمه فاني ان سألت ربي أن يجملي مثل امرأة
الفيل أطمعني ان يفعل ذلك قالت يا بنية قد سألت عن هذه المسئلة أي فذكرت
انها سألت عنها أمها فقالت لا يجوز الا أن يجملي الله جميع نساء الرجال مثل نساء
الفيلة قال فسكنت عنها حولاً ثم قالت فان سألت ربي أن يجملي نساء جميع الرجال
مثل نساء الفيلة أطمعني أن يفعل ذلك قالت يا بنية قد سألت عن مثل هذه
أي فذكرت أنها سألت عنها أمها فقالت لا يجوز الا أن يجملي الله جميع رجال
النساء مثل رجال نساء الفيلة قال فسكنت عنها حولاً ثم قالت فان سألت ربي أن
يجملي جميع رجال النساء مثل جميع رجال نساء الفيلة أطمعني أن يفعل ذلك قالت
يا بنية قد سألت عن هذه المسئلة أي فذكرت أنها سألت عنها أمها وانها قالت
يا بنية ان الله ان جعل جميع الناس فيلة لم تجدد امرأة الفيل مع عظم بدنهما من المدة
الا ما تجدن أنت اليوم مع زوجك من المدة ثم تذهب عنك لذة الشم والقبيل

وقال ابن مقبل

تري البعرات الخضر تحت لبانه * فرادى وشتى أصمقتها صواهلها
وأنشد في غير هذا الباب

واني لغاض بين شـيبان وائل * ويش كرا نى بالفضاء بصير
وليس هذا موضع هذين البيتين وأنشد

أمسي المضاء وأهله في غبطة * ليسوا كما كان المضاء يقول
لا تحزراً الذبان فوق رؤسهم * فالיום تحزراً فوئها وتبـول

وقال أبو الحسن قال قال دخل زياد داره وكان بناها فيل مولاه فلم يرض بناها فقال
ادعوا فيلاً فلم يجدوه فقال ليتها في بطن فيل وفيل في البحر وكان فيل مولى زياد شديد
اللاكنة وأهدى بعضهم الى زياد حمار وحش فقال فيل أصلح الله الأمير أهدوا لنا
حمار وهش فقال أي شيء تقول ويحك قال أهدوا لنا ايراً يبنى عيرا فقال زياد الاول
أمثل وكان أبو مالك يقول العيثوم الفيل الاثني وذهب الى قول الشاعر
* وطئت عليك بخفها العيثوم *

فدل قول علقمة بن عبدة على ان العيثوم من صفات الفيل وقال

يتبع حديدا اذا ما هيجت رحلت * كان رفا على العلياء مهزوم
اذا ترعم من حافاتها ربيع * حنت سعاميم من أوساطها كوم
يهدي بها أسجج الحديد مختر * من الجمال شديد الخلق عيثوم

وقد أكتروا في ضرب المثل بعد ما بين الجنسين وقال عبد الرحمن بن الحكم
ألفضب أن يقال أبوك عف * وترضي ان يقال أبوك زاني
وأشهد أن آلك من قريش * كآل الفيل من ولد الاتان

لجمل معاوية من نسل الفيل لشرفه وجعل زيادا من نسل الحمار لضعفه ولعمرى لقده
باعد وكذلك قول الكميت

وما خفت الضباب معطفات * على الحيات من شبه الحسول

قال فهذا أبعد وأبعد لانه وان ولد نزار عرب فهم في معني الذئب وساكنى الصحارى

البلاد أن كل من أقام بقصبة تب اعتراه سرور لا يدري ماسببه ولا يزال مبتسما
 ضاحكا من غير عجب حتي يخرج منها وزعموا ان شيراز من جميع قرى فارس لها بنة
 طيبة ومن مشى واختلف في طرقات مدينة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وجد
 منها عرفا طيبا ونبته عجيبة لا تخفى على أحد ولا يستطيع أن يسميها ولو أدخلت كل
 غالية وكل عطر من المعجونات وغير المعجونات بقصبة الاهواز وقصبة انطاكية
 لوجدنه قد تغير وفسد اذا أقام فيه الشهرين والثلاثة وأجمع أهل البحرين أن لهم
 تمرا يسمى الماتحي وأن من فضحه وجمعه نبيذا ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغه
 عرقه حتي كأنه ثوب سخمى وزعم لى بعض البحرين أنها بالهند تكون نقالة
 وعوامل كموامل البقر والابل والنقالة التي تكون في السكلا والسوق وأنها تذل
 وتساح وتطاول وأنها غلات من هذا الوجه وزعم لى ان أحد هذه الفيلة التي رأيناها
 بسر من رأى أنه كان لقصار بأرض سندان يحمل عليه الثياب الى المواضع التي
 يغسلها فيه ولا أعلمه الا الفيل الذي بعت به ماهان أوز كريا بن عطية قالوا وعظام
 الفيل كلها عاج الا ان جوهر الناب أثمن وأكرم وأكثر ما يرى من العاج الذي
 في القباب والحجال والفلك والمداهن إنما هو من عظام الابل يعرف ذلك بالرزانة
 والملاسة والعاج متجر كبير يتصرف في وجوه كثيرة ولو لا قدره لما فخر الاحنف
 ابن قيس فيما فخر به على أهل الكوفة حيث قال نحن أكثر منكم عاجا وساجا
 ودياجا وخراجا ويقال إنه من كلام خالد بن صفوان ويقال أنه من كلام أبي بكر
 الهذلي والفرس الكرم تقع الذبابة على موقى عينيه فيصفق باحدى جفنيه فتخر الذبابة
 ميتة وقال ابن مقبل

كان اصطفاق ماقيه بطرفته * صفاق أديم بالاديم يقابله

ويصبح الحمار فتصق الذبابة فتصق قال العبدى

من الحمير صفق ذبابه * بكل ميثاء كنفريد المنف

وقال عقبة بن مكرم التغلبي

وترى طرفها حديدا بعيدا * أعوجيا لطن رأس الذباب

في حدثان ما اقتطعه من الوحش فانهم ينزفون عليه فيلا مثله ويحتالون له في ذلك فا
 أكثر ما يجدونه بعد ذلك قد لان قال وهو مادام راكبه عليه فهو الين من كل ذي
 أربع وأحسن طاعة ولكن لبعضها صعوبة عند نزوله عنه فاذا شدوا مقادير قوائمها
 بالجمال شدا قويا لانت قال وهي على صعوبتها تأنس سريعا وتلقن سريعا فأول ما
 يعلم السجود للملك فاذا عرفه فكلمها رآه سجد له فلما صدق الحس فهو يفوق في
 ذلك جميع الحيوان وهو والجل سواء اذا علما لان الاثنى اذا لقحت لم يعاوداها
 للضراب فهذه فضيلة مذكورة في حس الجل وقد شاركة الفيل فيها وبأية في خصال
 آخر واثاث الفيلة وذكرها متقاربة في السمن وكذلك النساء والرجال وهو بحري
 الطباع ونشأ في الريف فهو أجرد الجلد فلذلك يشتد جزعه في البرد فان كان أجرد
 الجلد فما قولهم في أحاديثهم طلبوا من الملك الفيل الأبيض والفيل الابقع وجاء فلان
 على الفيل الاسود وأخبرني رجل من البحرين لم أرفيهم أقصد ولا أسد ولا أقل
 تكلفا منه قال لم أجدهم يشكون أن فيالا ضرب فيلا فأوجبه فالح عليه واثم عند ذلك
 نهوه وخوفوه وقالوا لانتم حيث ينالك فانه من الحيوان الذي يحمده وبطال واما اراد
 ذلك السائس الفائلة شدة الى أصل شجرة وأحكم وثاقه ثم نجي عنه بمقدار ذراع ونام
 ولذلك السائس حمة فتناول الفيل بخرطوم غصنا كان مطروحا فوطي على طرفه حتى
 تشعث ثم أخذه بخرطوم فوضع ذلك الطرف على حمة الهندي ثم لواها بخرطوم
 فلما ظن أنها تشبكت به وانمقدت جذب الهندي فاذا هو تحت رجله خبطه خبطة
 كانت نفسه فيها فان كان الحديث حقا في أصل مخرجه فكذلك بالفيل معرفة ومكيدة
 وان كان باطلا فانهم لم ينخلوا الفيل هذه النحلة دون غيره من الدواب الا وفيه
 عندهم ما يحتمل عليه ويليق به قال والعرق الذي يسيل من جبهته في زمن من
 الزمان يضارع المسك في طيبه لا يمرض له وهو في غير بلاده وقد علمنا أن لرائحة
 الطيب فضيلة اذا كان بالمدينة وان الناس اذا وجدوا ريح النوى النقيع بالعراق هربوا
 منه وأن أهل المدينة ينتسبون المواضع التي يكون فيها ذلك النماح لطيب تلك
 الرائحة ويزعم تجار التبت ممن قد حصل الصين والزنج ولب تلك الجزائر وتقب في

قلنا فلا نرى لك بدا من اللبد على حال قال قال أبو نواس فاني أقول عنك بيتين قال
هاتهما فقال

كأنه لما بدا للوئبه * أبور أعيار جمع من ضربه

قال الخزامي لابي نواس هبهما الى على أن لاتدعيهما فعمسى انتحلهما قال وما ترجو من
هذا الضرب قال قد رأيت غرموله فما عذري عند الفيل ان لم أقل فيه شيئا وحدثني
صديق لي قال رأيت الفيايين على ظهر فيل من هذه الفيلة فأقبل صبي يريد السندی
الراكب فكلم الفيل بالهندية فوقف ثم كلمه فمد يده رافعا في الهواء حتي ركبها الغلام
ثم رفع يده حتي مد السندی يده فأخذ بيد الصبي ولابتر والجواميس أربعة أخلاف
في مؤخر بطونها وللشاة خلفان وللناقة أربعة في مواخر البطن وللمرأة والرجل
والفيل ثديان في الصدر وثندي الفيل يصغر جداً اذا قرنته الى الفيل وللسنور ثمانية
أطباء وكذلك الكلبة في جميع بطنها والخنزيرة كثيرة الاطباء وللفهد في بطنها أربعة
أطباء وللمرأة طبيان لا يصغر ان عن مقدار بدنهما والبقرة والانسان والرمكة والحجر
في ذلك سواء الا انها من الحافر أطباء ومن النطف اخلاف والسباع في ذلك
والحوافر سواء وقال صاحب المنطق غرمول الفيل يصغر عن مقدار بدنه وخصيته
لاحقة بكليته لا ترى ولذلك يكون سريع السفاد وزعم الهندي صاحب كتاب الباه
أن أعظم الايورأير الفيل وأصغرهما اير الظبي وما أعجب ما قرأت لصاحب الحيوان
في كتاب المنطق وجدته قد ذكر قصر عنقه ولم يذكر انقلاب لسانه وذلك أعجب
ما فيه ولم ينظر في كم يضع ولا مقدار مدة حمله وكيف يخرج من بطن أمه نابت
الاسنان والفيلة لاتلد التوائم قال وهي تفد وتفرد قال وقال بعض العلماء لا يقال أفدت
ولا أفردت الا لما يجوز ان يتم قال وأمراضها أقل من أمراض غيرها الا أن النفخ
والرياح يعرض لها كثيراً ويؤذيها أذى شديداً وعامة أمراضها من ذلك ولا سيما اذا
اكثر منه فمداودته قال وربما ابتلعت الحجارة قال واذا أصابها استطلاق وسقيت
الماء الحار وعلفت الحشيش المنسول واذا أتعبوا اعتراها السهر فتعالج عند ذلك بأن
تدلك أكتافها بزيت وبعضها يشرب الزيت شربا ذريعا قال واذا تصعب الفيل وكان

منه قال الشاعر

أحب أن اصطاد ظلياً سحلاباً * أو جرذاً يرعى ربيعاً أرملاً
 فجعله أرملاً لازوجة له فيكون أسمن له لأن كثرة السفاد يورثه الهزال ولا يكثر
 سفاده إلا من شدة غلمته وهجا اعرابي صاحبه حين أكل لحم سوعث فقال
 أكلته من عوث ومن قرم * كالورل السافد يفرى بالنسم
 لأن الورل يشبه لحم الضب وهم لا يرغبون فيه لأنه عضل متشيج ولأنهم كثير آما يجدون
 في جوفه الحيات والافاعي وله ذنب سمين وذلك شر له وللورل في السفاد ما يجوز
 به حد الجمل والخنزير قال والنسم والنسيم في هذا الموضع واحد وقالت فروة القرنية
 نفي نسم الريح القذا عن متونه * فما أن به عيب تراه لشارب
 وأنا أعلم اني لو فسرت لك معاني هذه الاشعار وغريبها لكان أتم للكتاب وأنفع لمن
 قرأ هذه الابواب وليكني أعرف مـلالة الناس للكتاب اذا طال قال الشاعر بهجوا
 من قراه لحم كلب

جاء بحر شاوى شعير عليهما * كراديس من أوصال أعقر سافد
 فلم يرض أن جمعه كلباً حتى جمعه سافداً فاما ابن الاعرابي فزعم أنه انما عني تيساً
 وقد أبطل وعلى أن المعنى فيهما واحد قالوا وانما صار الخصى من كل شيء أسمن لأنه
 لا يسفد ولا يهيج قال والسقمقور انما ينفع أكله اذا اصطادوه في أيام هيجه وسفاده
 لأن العاجز عن السفاد يتعالج بأكل لحمه فصار لحم الهياج أهيج له أقبل أبو نواس ومعه
 الخزامى الكاتب وكان أطيّب الخاق وقد كان قبل ذلك نظار الى الفيلة فأبصر غرمول
 فيل منها وعلم الخزامي أن غرمول الفيل بوصف بالجذبة فوصف لنا غرموله وأنشدنا
 فيه شعراً لنفسه

كانه لما بدا للسفد * جعبة تركي عليها لبد
 قلنا له أقويت وأجريت ذكر اللبد على غير حاجة قال فاني قد قلت غير هذا قلنا
 فأنشدنا فقال

كانه لما بدا للسفد * جعبة فيل لففت في لبد

كذلك ظاهر هذا الحكم حتى يخص ذلك برهان حادث وإنما تكثر العلامات
وتعظم على قدر طبائع أهل الزمان وعلى قدر الأسباب التي تنفق وتنبأ لقوم دون
قوم وهو أن يكونوا جبابرة عناة واغبياء منقوصين أو علماء معاندين أو فلاسفة
محتالين أو قوما شتمهم من العادات السيئة وتراكم على قلوبهم من الآلف للامور
المردية مع لبث ذلك في قلوبهم أن تكون نجاتهم وملتهم ودعوتهم تحتل من
الأسباب والاحساب أكثر مما يحتمل غيرها من ذلك ان من الكفر ما يكون
عند المسئلة والجواب أسرع انتشاراً وأظهر انتقاضاً ومنه ما يكون أفئس شيئاً وان
كان مصير الجميع الى الانتقاض والى الفساد ومنه شيء يحتاج من المعالجة الى أكثر
وأطول وإنما يتفاضل العلماء عند هذه الحال وقد يكون أن يتقدح في قلوب الناس
عداوات وأضغان شبيهة بالتحاسد الذي يكون بين المنفقين في الصناعات وربما كانت
العداوة من جهة العصبية فإن عامة من ارتاب بالاسلام انما كان ذلك رأى الشعوية
والتماذى وطول الجدال المؤدى الى القتال فاذا أبغض شيئاً أبغض أهله وان أبغض
تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنقل به حتى ينسأخ من الاسلام
اذا كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف وتزعم الهند ان شدة غلة الفيل
وطول اقامته فيها وهجرانه الطعام والشراب وبقية تلك الطبيعة وعمل ذلك العرق
السارى هو الذى يمنع الفيل أن يصير فى مثل جسمه مرتين لان ذلك من أمتن
أسباب الهزال واذا تقادم ذلك فى بدنه وعب فيه عمل فى العظم والعصب ونفذي الشحم
واللحم وان كان رفع الصوت والصياح وكثرة الكلام والغضب والحدة يورث الهزال
لان البدن يسخن عن ذلك اذا شاعت فيه الحرارة أحرقت وأكلت وشربت ولذلك
صار الخصى من الديوك والانعام أسمن وزعموا أنه ليس يمايش الناس من الحيوان
أقصر عمراً من المصفور ولا أطول عمراً من البغل والابل أسباب فليس يقع الظن
الا على قلة سفاد البغل وكثرة سفاد المصفور قالوا ونجد العمر الطويل أمراً خاصاً
فى الرهبان فنظن أيضاً تر كها الجماع من أسباب ذلك ، قالوا واذا اغتلم الذكّر من
الحيوان فهو أخف ما يكون لحماً واذا أكثر سفاده تضاعف فيه ذلك وصار لحمه أبيض

عدونا أحداً أنكر شأن الفيل أو عرف فيه بحرف واحد ورزى العروضى وهو أبو وهب لم أرقط أطيب منه احتجاجاً ولا أطيب عبارة قال في شعر له بهجو ولد عتبة بن جعفر فكان في احتجاجه عليهم وتعريفه لهم أن قال

تهم علينا بأن الذئب كلمكم * فقد اعمى أبوكم كالم الذئب
فكيف لو كلم الليث المصور اذا * تركتم الناس مأكولا ومشروبا
هذا السندى لأصل ولا طرف * يكلم الفيل تصميذا وتصوبيا

ولو كان ولد أهبان بن أوس ادعوا أن أباهم كالم الذئب كانوا مجانين وإنما ادعوا أن الذئب كالم أباهم وأنه ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه صدقه والفيل ليس يكلم السندى ولم يدع ذلك السندى قط وربما كان السندى هو المكلم له والفيل هو المتفهم عنه فذهب رزى العروضى من التغليط في كل مذهب والناس يكلمون الطير والبهائم والكلاب والسنائير والمراكب وكل ما كان تحتهم من اصناف الحيوان التي قد خولوها وسخرت لهم وربما رأيت الفراد يكلم القرد بكل ضرب من الكلام ويطيعه القرد في ذلك وكذلك ربما رأيت يلقن البيغاء ضرباً من الكلام والبيغاء تحكيه وان في غراب البين تمجيباً وكذلك كلامهم للدب والشاة المكية وهذه الاصناف التي تلقن وتحكي وقد روى الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم في كلام السباع والابل ضرباً ولم يذهبوا الى أنها نطقت بحروف مقطعة ولكن النبي صلى الله عليه وسلم اما أن يكون أوحى اليه بحاجاتها واما أن تكون فراسته وحسه وثبته في الامور مع ما يحضر الله من التوفيق بين له معانيها وجلالها واستدل بظاهره على باطن ونبيه وحركه على موضع الحاجة واما أن يكون الله ألهمه ذلك إلهاماً وأما جهة سليمان بن داود صلى الله عليه وآله على نبينا وعليه في المعرفة بمنطق الطير ومنطق كل شيء فلا ينبغي أن يكون ذلك الا أن يقوم منها في الفهم عنها مقام بعضها من بدخ اذ كان الله قد خصه بهذا الاسم وأبانه بهذه الدلالة واعلام الرسل لا يكثر عددها ولا يعظم قدرها على أقدار فضل الانبياء فوق سليمان بن داود وأدنى ذلك أن داود فوجه لان الحكم في الوارث والمورث والخليفة والذي استخلفه أن يكون الموروث أعلى والمستخلف أرفع

تصير الخطابة لجميع الامم بعد الترجمة على السنة هؤلاء العرب الذين بهم بدأت الخطابة
لجميع الامم وكيف يجوز أن يعجب جماعة الامم من شيء لم يروه قط ولا كان على ظهرها
يوم نزلت هذه السورة رجل واحد قد شهد الفيل من الحبشة وعلى أن الفيل وافى
مكة وما بها أحد الا عبد المطاب في نفر من بقية الناس ولا كانوا حيث يتأملون
وقال ناس كان الناس كرجلين رجل قد سمع بهذا الخبر من رجالات قريش الذين
يحقررون أنفسهم بذلك التعظيم كما كانت السدنة تكذب الاوثان والاصنام لتعقر بذلك
التابع ورجل لم يكن عنده علم بأن هذا الخبر باطل ولم يتقدم على انكار ذلك الخبر وجميع
قريش تثبته قيل لهم ان مكة لم تزل وان خزاعة وبقايا جرهم بها وقد كان بينهم ما كان
حتى انتزعوا البيت بينهم وقد كان بين ثقيف وقريش لقرب الدار والمصاهرة والمشابهة
والثروة والمشاركة في التجارة تحاسد وتصافى وقد كان بينهم هنالك أموال والخلفاء
والسكان والنازلة ومن يحج في كل عام وكان البيت مزوراً على وجه الدهر يأتونه
رجالا وركبانا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وبشق الانفس كما قال الله تعالى
فاجعل أثمة من الناس تهوى اليهم وكان بقرب سوق عكاظ وذو الحجاز وهما سوقان
معروفان وما زالتا قائمتين حتى جاء الاسلام فلا يجوز أن يكون السالب والمسلوب والمفتخر
عليه والمحسود والمندين به والمنكر له مع اختلاف الطبائع وكثرة العلل يجمعون كلهم على
قبول هذه وتصديق هذه السورة وهم مطبقون على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
والكفر به والمحلون من العرب ممن كان لا يرى للحرم ولا للشهر الحرام حرمة طي
كلها وختم كلها وكثير من أحياء قضاة ويشكر والحارث بن كعب هؤلاء كلهم
أعداء الدين والنسب هذا الى ما كان في العرب والنصارى والذين يخالفون دين مشركي
العرب كل الخلاف كغلب وشيدان وعبد القيس وقضاة وغسان وسليم والعباد
وتنوخ وعاملة ولخم وجذام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خطاء وأعداء يغارون
ويسبون ويسبى منهم وفيهم الشرور والاثار والطوائل وهم العرب وأسنتها الهداه
وأشمارها التي هي مياسم هما البعيدة وطابها للطوائل وذمها لكل دقيق وجليل من
الحسن والقبيح في الاشعار والارجاز والمزدوج والمشور فما سمعنا من جميع هؤلاء الذين

وتمظيما لشأنه وما أجرى من ذلك على يدي جده عبد المطلب حين غدت الحبشة لتهدم البيت الحرام وتذل العرب فلم يذكر الله منهم ملكا ولا سوقة باسم ولا نسب ولا نعمت وذكر الفيل باسمه المعروف وأضاف إليه السورة التي ذكره فيها وجعل فيها من الآيات أنهم إذا قصدوا به نحو البيت تعاصي وبرك وإذا خلوه وشانه صد عنه وصدف وفي أضاف ذلك التعميم أذنه نفيل بن حبيب وقال أبرك جمهور وكان ذلك اسمه وقد طمن في ذلك ناس فقالوا قد يستقيم أن ينصرف عنه ويحرد دونه كل ذلك بتصرف الله له وكيف يجوز أن يفهم كلام العرب ويعرف معنى قول نفيل قلت يفهم الفيل عن الفيال جميع الأدب والتقويم وجميع ما يراد منه عند الخط والرحيل والمقام والمسير قلنا قد يفهم بالهندية كما يعرف الكتاب اسمه ويعرف قولهم أخسأ وقد يعرف السور اسمه ويعرف الدعاء والزجر وكذلك الطفل والمجنون وكذلك الحمار والفرس إذا كن قد عودن تلك الإشارة وسماع تلك الالفاظ فأما الفيل وهو هندي جاء به إلى تلك البلدة حبشي نخرج من عجمة إلى عجمة كيف يفهم مع ذلك كلام العرب وسرار نفيل بن حبيب بالعربية قلنا قد يستقيم أن يكون قال له كلاما بالهندية كان قد تعود سماعه من الفيالين فيكون ترجمته بالعربية هذا الكلام الذي حكوه وقد يكون الذي أنطق الذئب لأهبان بن أوس وجعل عود الهيثم يحيى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصور لوهم الفيل إرادة نفيل بن حبيب وقد يستقيم مع لقن الفيل وذكره وحكاياته ومؤانته أن يعرف ذلك كله وأكثر منه لطول مقامه في أرض الحبشة واليمن وليس يبعد أن يكون بأرض الحبشة جماعة كثيرة من العرب من وافد وباغ وتاجر وغير ذلك من الأصناف فيسمع ذلك منهم الفيل وليس هذا المقدار بمستنكر من الفيل مع الذي قد أجمعوا عليه من فهم الفيل ومعرفته وكان منحه الطبيب الهندي صحيح الإسلام وكان إسلامه بعد المناظرة والاستقصاء والتثبت قالوا فسمع مرة رجلا يقرأ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وسمع بعض الجهال يقول فكيف لو رأى الفيل فعدله قوم فقال منحه لا تملوه فإنه لا شك أن خالق الفيل أعجب قيل له كيف لم يضرب تعالى به الله المثل دون البعير فقال إنما خاطب العرب وهم الحجة على جميع اللغات ثم

وقال كعب بن زهير في اعتذاره الى النبي صلى الله عليه وسلم
 لقد أقوم مقاما ما يقوم به * أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
 لظل يرعد الا أن يكون له * من الرسول بأمر الله تنويل
 وذكر أمية بن أبي الصلت سفينة نوح فقال
 تصرخ الطير والبرية فيها * مع قوى السباع والافيال
 وقال أمية أيضاً

خلق النحل معصرات تراها * تعصف اليا بسات والمحظورا
 والنماسيح والرتائل والاي * ل شتي والريم والعصفورا
 وصواراً من النواشط عينا * وزماماً ضوا حيا وحميرا
 وأسودا عواريا وفيولا * وسباعا والنمل والخزبرا
 وتزعم الهند ان بهيمة الفيل في بعض الزمان يعرق عرقا غليظا غير سائل يكون أطيب
 رائحة من المسك وهذا شيء يعتريه كل عام وموضع ذلك ينبوع في جبهته والناس
 يحدون ريح المسك في بيوتهم في بعض الاحايين وهي ريح فارة يقال لها فارة المسك
 وليس به وهو بالخشف حين تضره الظبية أشبه وتقول العرب في فارة الابل صادرة
 ان أرج ذلك العرق أطيب من المسك الاذفر في ذلك الزمان وفي ذلك الوقت من
 الليل والنهار قال الراعي

لها فارة ذفراء كل عشية * كما فتق الكافور بالمسك فاتقه
 قال الاصمعي ثلث لابن مهدي كيف تقول لا طيب الا المسك والبان وأدهان يحجر
 قال فإني أنتم عن فارة الابل صادرة قالوا وربما وجد الناس في بيوتهم الجرذ يضرب
 الى السواد يحدون من بدنه اذا عدا الى حجره رائحة تشبه رائحة المسك وبعض الناس
 يزعم أن هذا الجنس هو الذي يخبأ الدناير والدرهم والحلي كما يصنع العمقق والغراب
 وهذا الجرذ غير فارة المسك التي تكون بخراسان وتلك بالخشف الصغير أشبه وانما
 يأخذون سرته وهي ملائمة من دم عبيط قالوا وقد جمل الله الفيل من أكبر الآيات
 وأعظم البرهانات للبيت الحرام ولقبلة الاسلام وتأسيسا لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم

رأيت عجبا قال وما هو قال رأيت خلقا يمشى على رجليه ويتناول الطعام بيديه الى فيه قال ان كان ماتقول حقا فانه سيخرجني من قعر البحر وينزلك من وكرك من الجبل والفيل أعجب منه لان يده فيه وأيدي البهائم والسباع على ذلك عاملة شيئا والقرديا كل بيديه ويتقى الجوز ويفلي ثيابه وليس شيء يكرع بأنفه ويوصل الطعام الى فيه بأنفه غير الفيل والدب الا أنني تميم أولادها تحت شجرة الجوز ثم تصعد الشجرة فتجمع الجوز في كفها ثم تضرب باليمين على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمى به الى أولادها فلا تزال كذلك حتى اذا شب من نزلت وربما قطع الدب من الشجرة النصف الضخم الذي لا يقطعه صاحب الفاس الا بالجهد ثم يشد به على الفارس قابضا عليها في موضع قبض العلماء فلا يصيب شيئا الا هتسكه ، قال صاحب المنطق ليس شيء من ذوات الاربع الا وتصرف يديه في الجهات أقل من تصرف يدي الفيل نوصل هذا الموضع بالبَاب الذي فيه ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قال ومثل قوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد وقوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل وقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وهذا كله ليس من رؤية العين وبَاب آخر من هذا وهو قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ويقول الرجل رأيت الله كيف يقول كذا وكذا وفلان يرى السيف وفلان يرى رأى أبي حنيفة وقد رأيت عقله حسنا وقال ابن مقبل

سل الدار من حي جبير براهب * بحيث ترى هضب القلب المصباح
واذا قابل الجبل الجبل فهو يراه اذا قام منه مقام الناظر الذي ينظر اليه وتقول العرب دار فلان تناظر وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل وكيف ذلك قال لا تنراي نارا هما ويقولون اذا استقبلت تلقاء وجهك فنظر اليك الجبل فخذ عن يمينك وقال أبو عثمان ويوصف جلد الفيل والجاموس بالقوة قال جميل اذا ما علت نشزا تمتد زمامها * كما امتد جلد الاصاف المترقق وما يبتني منى العداة تماقدوا * ومن جلد جاموس سمين مطرق وأبيض من ماء الحديد مهند * له بعد اخلاص ضربة رونق

الانبياء، وأبغض الجواموس والثور فأما البعير فركب هود وصالح وشعيب والنبيين
عليهم السلام وأما الفرس فركب أولى العزم من الرسل وكل من أمره الله بحمل السلاح
وقتل الكفار وأما الحمار فركب عيسى بن مريم وعزير وبالم وكيف لا أحب شيئاً
أحياه الله بعد موته قبل الحشر، قال ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشي إلى مسلم بن
قتيبة على حمار يريد المسجد قال قعدة نبى وبذلة جبار وأبغض الفيل لأنه أبو الخنازير
وأبغض الثور لأنه يشبه الجاموس وأبغض الجواموس لأنه يشبه الفيل وأنشدني هذا
المعنى جعفر بن أخت وأصل في منزل الفضل بن عاصم الناجوري

ما أبغض الخضر فيلا منذ كان ولا * أحب عيرا وذا كم غابة الكذب
والفيل أقبل شئ لو تلقته * حاجات نفسك من جد ومن لب
ولو تتزوج منها واحد لرأي * رأي الملوك ولو أوفى على الركب
يفضي ويركع تمظيما لهيبته * وليس يعدله النسوان في الطرب

قال أنشدنيها يونس بن رباح سان وهو يمدح الفيل كما تري بالطرب والحكاية وأنه
قد أدب وعلم السجود للملوك وزعموا أن أول شئ يؤذونه بالسجود للملك الفيل قالوا
خرج كسري ابرويز ذات يوم لبعض الاعياد وقد وضعوا له ألف فيل وقد أجدق
بها ثلاثون ألف فارس فلما بصرت به الفيلة سجدت له فما رفعت رأسها حتى جذبت
بالحاجن وراطنها الفيالون وقد شهد ذلك المشهد جميع أصناف الدواب والخيول فما دونها
وليس فيها شئ يفصل بين الملك والرعية فلما رأى ذلك كسرى قال ليت أن الفيل كان
فارسيا ولم يكن هنديا انظروا إليها وإلى سائر الدواب وفضلوها بقدر ماترون من فهمها
وأدبها، وأما ما ذكرته الزنج من طول الخطب فكذلك هم في بلادهم وعند نوابهم
ولكن معانيهم لا ترتفع عن اقدار الدواب إلا ما لا يذكر وأنشدنا في تعظيم شأن
الفيل وصحة نظره وجودة تحديقته وتأمله وسكون طرفه

إذا مارأت الفيل ينظر قاصدا * ظننت بأن الفيل يلزمه الفرض
وقال عبد الإعلى في المثل أن النون قال للضب حين رأي انسانا في الارض اني قد

قال الله تبارك وتعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة وأنزل هذه السورة وقرئ يومئذ مجلية في الرد على النبي صلى الله عليه وسلم وما شئ أحب اليهم من أن يروا له سقطة أو عثرة أو كذبة وبمض ما يتعلق به مثلهم فلولا أنه كان أذكركم أمرا لا يتدافعون ولا يستطيع العدو انكاره للذي يري من اطباق الجميع عليه لوجدوا أكثر المقال فهذا باب يكثر الكلام فيه وقد أتينا عليه في كتاب الحجة قال أبو عثمان خرجت يوم عيد فلما صرت بفساذ وإذا فيل مجال بمقطوع ومقطعات وإذا برجال جلوس عليهم الاسلحة فسأت بعض من شهد العيد فقلت ما بال هذه المساحة في هذا المكان وقد اختلط الناس بذلك النمل فقال هذا الفيل فقصدت نحوه ومالي هم الا انظر الى أذنيه وما كانت لي في ذلك علة الا شغل فابي بكل شئ هجمت عليه منه وكله كان شاء لا عن أذنه التي اليها كان قصدي فهذا كرت في ذلك سهل بن هارون فذكري انه ابتلى بمنه وأنشد في ذلك بيتين من شعره وهما قوله

أتيت الفيل بحسبا بقصدي * لا بصراذنه وبطول فكري

فلم أر أذنه ورأيت خلقا * يقرب بين نسياني وذكري

قال وقال رجل مرة أخزى الله الفيل فقال بكر بن عبد الله لا تشتم شيئا جمعه الله آية في الجاهلية وإرهاصا للنبوة وقال سعدان الاعمى النحوي قلت للاصمعي أي شئ رأيت أعجب قال الفيل وقيل لابي الفيل أي أمور الدنيا أعجب فقال النعم وقيل لابراهيم النظام أي أمور الدنيا أعجب فقال الروح وقيل لابي عقيل بن درست أي أمور الدنيا أعجب فقال النوم واليقظة وقيل لابي شمراي أمور الدنيا أعجب فقال التسيان والذكر وقيل لسالم الخلال أي أمور الدنيا أعجب فقال البار وقيل لبطليموس أي أمور الدنيا أعجب فقال بطن الفلك وقال مرة أخري الضياء وقيل لابي عمرو بن فايل الاسواري أي شئ أعجب قال الآجال والارزاق وكان ابراهيم بن سيار النظام شديد التعجب في الفيل وكان سعيد بن عمرو يقول إن السرطان والنعامة أكثر عجائب من الفيل وهذا تفسير أبو عقيل السواق عن مقاتل بن سليمان قال قال موسى للخضر أي الدواب أحب اليك وأيها أبغض قال أحب الفرس والحمار والبمير لأنها مراكب

معروفة لا يرتاب فيها أحد من الرواة وإنما ذكر ذلك طفيل لأن تحتها كانت تنزل
تهامة فأخرجتها كنانة فيمن أخرجت فهو قوله

ترعى مذالف وسمى أطاع له * بالجزع حيث عصي أصحابه الفيل
قال أبو الصلت واسمه ربيعة وهو أبو أمية بن أبي الصلت وهو ثقي طائفي وهو جاهلي
وثقيف يومئذ اضداد بالبلدة وبالمال وبالحدائق وبالجنان وله اللات والغنم وبیت له
سدنة يضاهون بذلك قريشاً فقال هذه الاشياء التي توجب الحسد والمنافسة

ان آيات ربنا بينات * ما يماري فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معفور
واضعا خلفه الحوار كما في * طر صخر من كبكب محذور

وقال بعضهم لا برهة الا شرم
أين المفر والاله الطائب * والاشرم المغلوب غير الغالب
وقال عبد المطاب وهو على حراء

لاهم ان المرء يـ * نـع رحاله فامنع رحالك
لا يغلبـ بن صليهم * ومحا لهم ابدا محالك
ان كنت تاركهم وقـ * لـمـتـنا فامر ما بدالك

وقال نفيل بن حبيب الخثعمي وهو جاهلي شهد الفيل ومنع الله عز وجل في ذلك
اليوم

الاردي جمالك يارديننا * نعمناكم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولن تربه * الى جنب المحصب مارأينا
أكل الناس يسأل عن نفيل * كان على للجيشان ديننا
حمدت الله ان عاينت طيراً * وحصب حجارة تلقى علينا

وقال المغيرة بن عبد الله المخزومي

أنت حبست الفيل بالمغمس * حبسته كأنه مكر دس

* تحبس ترهق فيه الانفس *

الاعرابي يطبخ لحم الدجاج بماء ومالح ويطبخ لحم الجمل بماء ومالح حتى تعرف فضل ما بين اللحمين قال كسرى فكيف تزعم أن الجمل أحمل للثقل من الفيل والفيل يحمل كذا وكذا رطلا قال الاعرابي ليبرك الفيل وبيرك الجمل وليحمل الفيل حمل الجمل فان نهض به فهو أحمل الأثقال ، قال القوم ليس في استطاعة الجمل للنهوض بالأحمال ما يوجب لها فضيلة بالنهوض بعد النزول فأما نفس الفيل فالذي بينهما أكثر من أن يقع بينهما الخيار قالوا وبفارس ثيران تحمل حمل الجمل باركة ثم ناهضة فهذا باب الذم فقد حدثنا عن شريك عن جابر الجعفي قال رأيت الشعبي خارجاً فقلت له أين تريد قال أنظر إلى الفيل قال وسألت أبا عبيدة فقلت ما لون الفيل قال جون ومن أعاجيب الفيل سوطه الذي به يحث ويضرب بمحجن حديد طرفه في جبهته والطرف الآخر في يدراكبه فاذا أراد منه شيئاً غمز تلك الحديد في لحمه على قدر ارادته لوجوه التصرف وقد ذكر أبو الفيس بن الاسات في الجاهلية وهذا الشعر حجة في صرف الله الفيل والطير الابليل وصد أبي يكسوم عن البيت وسند كرفي ذلك طرفا ان شاء الله تعالى قال أبو قيس

ومن صنعه يوم فيل الحبو * شاذ كل ما بعثوه وزم
محاجتهم تحت اقرباه * وقد كلوا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه معولا * اذا يممه ففناه كلم
فأرسل من ربهم حاصب * يلغهم مثل لف القرم
قال أيضاً صبي بن عامر وهو أبو قيس بن الاسات وهو رجل من أهل يثرب وليس بمكي تهامي ولا قرشي ولا حليف قرشي وهو جاهلي -

قوموا فصلوا ربكم وتوذوا * بأركان هذا البيت بين الاخشاب
فغندكم منه بلاء مصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتاب
فلما أجازوا بطن نعمان ردهم * جنود الاله بين ساف وحاصب
فولوا سراعا نادمين ولم يؤب * الى أهله ملجيش غير عصاب
ويدل علي صحة هذا الخبر قول طفيل الغنوي وهو جاهلي وهذه الاشعار صحيحة

رؤياك هلك زاهر بن بصبري وسئل الشعبي عن أكل لحم الفيل فقال ليس هو من بهيمة الانعام وخرطومه الذي هو سلاحه والذي به يبطش وبه يعيش من مقاتله وقال زهرة بن حيوة يوم القادسية اما لهذه الدابة مقتلا قالوا بلى خرطومه فشد عليهم حتى خالطهم ودنا من الفيل فحمل كل واحد منهما على صاحبه فضرب خرطومه فبرك وأدبر القوم قال والفيل أققم صغير العنق مقلوب اللسان مشوه الخلق فاحش القبح ولم يصاح ذو أربع قط فصير العنق في طاب ولا هرب ولو أن سلاح الثور يحول في اهابه ولو لا سمته ما خطا مع قصر عنقه ولذلك قال اعرابي^(١) قال الشاعر في عيب الثور وهو اسحاق بن حبان الجري

وأغاب فضفاض جلد اللبان * يدافع غيبه بالوظيف

وليس يؤتي العير في ظهره مع طول عنقه الا من ضيق جلده والفيل ضئيل الصوت وذلك من أشد عيوبه والفيل اذا بلغ في الغلظة أشد المبالغة أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى تنضم أبطاله وترم رأسه وقد وصف الراجز الجمل الهائج فقال

سام كان رأسه فيه ودم * اذ ضم ابطالا هياج ففطم

* وآض بعد البدن ذا لحم ودم *

ولو لم يكن في الفيلة عيب الا أن عدد أيام عمرهم كعمر بعض البهائم لكان ذلك عيبا ولو ترك أهل المدينة غراس العجوة لما كانت تطعم الا بعد أربعين سنة قال وليس شيء يحمل من عدد الارطال ما يحمل الفيل لان الذي يفضل بين حمل الفيل وحمل البختي أكثر من قدر ما يفضل بين جسم الفيل على جسم البختي وقد قال الاعرابي الذي دخل على كسري ليعجب من جفائه وجهله حين قال له أي شيء أبعد صوتا قال الجمل قال فأى شيء أطيب لهما قال الجمل قال كسري كيف يكون الجمل أبعد صوتا ونحن نسمع صوت الكركي من كذا وكذا ميلا قال الاعرابي ضع الكركي في مكان الجمل وضع الجمل في مكان الكركي حتى تعلم أيهما أبعد صوتا قال وكيف يكون لحم الجمل أطيب من لحم البطل والذجاج والفراخ والدراج والنواهض والجوازل قال

قط هندياً أقر بذلك أم هل أقر بقايا الامم للفرس بهذا الاسم المعروف بهذا الاسم ويقال رجل فيل اذا كان في رأيه فيالة والفيالة الخطأ والفساد وهم يسمون الرجل بفيل منهم فيل مولى زياد ويكون بأبي الفيل منهم أبو الفيل الاشعري الذي امتدحه أبو دهب و قال الراجز غيلان يقال له راكب الفيل ومنهم عبسة الفيل وكذلك يقال لابنه معدان وله حديث وقال الفرزدق

لقد كان في معدان والفيل زاجر * لعنسة الراوى على القصائد

وقال الاصمعي اذا كان الرجل نبيلاً جباناً قيل هذا فيل وأنشد

يقولون للفيل الجبان كأنه * أذب خصي نفرته القمائع

وقال سلمة بن عباس قال لي رؤبة ما كنت أري في رأيك فيالة ويقول الرجل لصاحبه لم يفيل رأيك وهو رأى قائل ورجل فيل وبالسكوفة باب الفيل ودار الفيل في الساحة وكذلك حمام فيل وفي حمام فيل يقول بعض السلف

لعمري أهلك ما حمام كسرى * على البانين من حمام فيل

ولم أرقاض يا حلف الموالى * كنسبتنا على عهد الرسول

وأبو الفيل محمد بن ابراهيم الرافعي كان فارس أهل العراق وفيلوية السطلي هو الذي كان يجرى لأمه كل أضحي درهما خدنتي امرأة قالت مات لام فيلوية أو ما كان يجرى فيلوية في كل أضحي الا درهما قالت أي والله وربما أدخل أضحي في أضحي وقال بعض من يخالف الهند الفيل لا ينفع بالحمة ولا بلبنه ولا بسمته ولا بزبده ولا بشعره ولا بوبرة ولا بصوفه عظيم الموثنة في المنفعة شديد السرف على الرياض ان اغتم لم تف جميع منافعه في دهره بمضرة ساعة واحدة وهو مرتفع في الثمن وان أخطاوا في تدبير مطعمه ومشربه وتعلمه وتلقنه هلك سريعاً ولا يتصرف كتصرف الدواب ولا يركب في الحوائج في الاسواق والجنائز والزيارات ولو أن انساناً عاد مريضاً أو انبع جنازة على فيل لصار شهرة وترك الميت آية وسئل ابن سيرين عن رجل رأى فيما يرى النائم كأنه راكب علي فيل فقال له أمر جسيم لا منفعة فيه قالوا وقال رجل للحجاج رأيت في المنام رجلاً من غمالك قدم فيلا ف ضرب عنقه فقال ان صدقت

وان لا يبيض ولا يفرخ ونحن قد نصيد البلال والذباب والوراشين والفواخت
والقمارى والدراج فلا تتسافد عندنا فى البيوت وهي من أطيار بسايتنا وضباعنا ولا
تتلافح إذا اصطدناها بل لا تصوت ولا تفنى ولا تنوح وتبقى عندنا وحشية كمد
ماعاشت فان أخذناها فراخا زوجت وعششت وباضت وفرخت فلعلكم أن تكونوا
لو أهديتكم إليها أولادها صفاراً فنشأت عندنا وذهب عنها وحشة أنس الأهل فان
الوحشة هي التي كمدتها ونقصت قوتها وأفنت شهوتها وقد نجد الشفنين الذكر تهلك
أنثاه فلا يزوج غيرها أبداً في بلادها كان ذلك أو في غير بلادها ونحن لو جئنا
بالأسد والذئب والنمر والبيور فأقامت عندنا الدهر الطويل لم تتلافح وقد أصاب
اعرابى جرودئب فرباه ورجا حراسته وان يألفه فيكون خيراً من الكلب فلما قوى
وثب على شاة له فأكلها فقال الاعرابى

أكلت شويتهى وربيت عندى * فن أنبأك أن أبأك ذيب

وقد تتسافد عندنا وقد تلاخت عند بعض الملوك وكان جعفر بن سليمان أحضر على
مائده بالبصرة يوم زاره الرشيد البان الظباء وزبدها وسلاها ولباها فاستطاب الرشيد
جميع طعومها فسأل عن ذلك وغمز جعفر بعض الغلمان فأطاق عن الظباء ومعهما
خشفانها وعليها سملها حتى مرت فى عرصة تجاه عين الرشيد فلما رآها على تلك الحال
وهى مفرطة مخمبة استخفه الطرب حتى قال ما هذه الالبان وما هذه السمنان واللبا
والرائب والزبد الذى بين أيدينا قال من حلب هذه الظباء اقتنيت وهى خشفان
فتسافدت وتلاخت ولو أطلقوا الذئب والأسد فى مروج العراق وأقاموا لها حاجاتها
لتسافدت وتلاخت فلعلهم لو تقدموا فى اصطناع أولاد الفيلة واقتناها صفاراً لم تلبث
حتى تتسافد وتتلافح وقد زعمتم أن كسرى أبروز استنتج دغفلا واحداً قال الهندى
تكفينى هذه الحجة وهى بيننا وبينكم أو ليس قد جهد فى ذلك جميع الملوك من جميع
الأمم فى قديم الدهر فلم يستنتجوا الا واحداً واعلم ان هذه الاحاديث من أحاديث
الفرس وهم أصحاب نفخ وتزيد ولا سيما فى كل شيء مما فى باب العصبية ويزيد فى
القدار الا كاهرة وان كانوا كذلك فهم أطباء وأئمتهم لا شهادة لهم ولكن هل رأيتم

الفرسان بالحران مرة وبالأقدام مرة وبسوء الطاعة وشدة الجزع وربما شب الفرس بفارسه حتي يلقى بين الحوافر والسيوف اسهم يصيبه ولحجر يقع به وما يشبه ظهر الفرس من ظهره وظهر الفيل قنطرة من القناطر ومساحة من المساح وفي الفيلة عجب آخر وذلك ان قصر الاعمار مقرون بالابل والبراذين وبكل خلق عظيم وبكل شئ يعايش الناس في دورهم وقراهم ومنازلهم فالناس أطول أعماراً منها كالجل والفرس والبرذون والبغل والحمار والثور والشاة والكلب والدجاج وكل صغير وكبير الا الفيل فانه أطول عمراً والفيل أعظم من جميع الحيوان جسماً وأكثرأ كلاً وهو يعيش المائتين سنة والمائتين سنة وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان أنه قد ظهر فيل عاش أربعاً مائة سنة فالفيل في هذا الوجه يشارك الضباب والحيات والنسور واذا كان كذلك فهو فوق الورشان وغير المائة وهو من المعمرين وفوق المعمرين وهو مع ذلك أطول الحيوان بدنأ وأطولها عمراً وقال بعض من يستفهم ويحب العلم ما بال الاسد اذا رأى الفيل علم أنه طعام له واذا رأى النمر والبير لم يكونا عنده كذلك وكيف وهو أعظم وأضخم وأشنع وأهول فان كان الاسد انما اجتراً عليه لانه لحم ودم واللحم طعامه والدم شرابه فالبير والنمر من لحم ودم وهما أقل من هؤلاء واقماً جسماً قال القوم ومتى قدر الاسد في الفيل انه اذا قاتله غلبه واذا قتله أكله وقد نجد البير فوق الاسد وهو لا يعرض له والاسد فوق السكاب وهو يشتهي لحمه ولحم القنفذ بأكثر مما يشتهي لحم الضبع والذئب وليست تحله الهوائية التي ذهبت اليها فاما علم جميع الحيوان بالمواضع التي تعيشها فن علم البعوضة ان بين ظاهر جلد الجاموس دماً وأن ذلك الدم غذاء لها وانها متى طغت في ذلك الجلد الغليظ الشثن الشديد الصلب ان خرطومها ينفذ فيه من غير معاناة ولو أن رجلاً من مناطق جلده بشوكة لا تكسرت الشوكة قبل ان تصل الى موضع الدم وهذا باب يدرك بالحس وبالطبع وبالشبه وبالخالقة والذي سخر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس هو الذي سخر الصخرة لذئب الجرادة وهو الذي سخر قنم النحاس لآبرة العقرب وقال بعض الحكماء ولو كانت الفيلة لا تتلافح عندنا بالعراق لانها هندية لتغير الهواء والارض فمقر ذلك ارحامها وأعظم اصلاها لكان ينبغي للطاووس ان لا يتزاوج عندنا

فرم كان ضياء الشمس سنه * لو ناطق الشمس ألفت نحوه الكلما
وتقول الفرس أعطى كسرى ابروز ثمان عشرة خصلة لم يعطها ملك مضى ولا يعطها
أحد أبداً من ذلك اجتمع له تسعمائة وخمسون فيلا وهذا شيء لم يجتمع عند ملك قط
ومن ذلك أنه أنزى الذكورة على الاناث وان فيلة منها وضعت عنده وهي لا تتأنج
بالعراق فكانت أول فيلة بالعراق وآخر فيلة تضع قالوا واتي رستم الاذني المسلمين يوم
القادسية ومعه عشرون ومائة فيل من بقايا فيلة كسرى ابروز قالوا ومن خصاله أن
الناس لم يروا قط أمد قامة ولا أتم ألواح ولا أبرع جمالا منه فلما مات فرسه السيد
كان لا يحمله الا فيل من فيلته وكان يجمع وطاء ظهر الفيل وثبات قوائمه ولين مشيته
وبه خطوه وكان الطفها لدا وأعد لها خيما قالوا ولم يجتمع لاحد من ملوك الاسلام
من القيلة ما اجتمع عند أمير المؤمنين المنصور اجتمع عنده أربعون فيلا منها عشرون
خفا قالوا والفيل أشرف مراكب الملوك وأكثرها تصرفا لذلك سأل وهرز الاسوار
عن صاحب الحبشة حين صافهم في الحرب ف قيل له ها هو ذاك على الفيل فقال لا أرميه
ثم سأل عنه ف قيل له قد نزل عنه وركب الفرس قال لا أرميه وهو على مركب الحماة
قيل قد نزل عنه وركب الحمار قال قد نزل عن مركبه لحمار فدعا بمصابة رفع بها حاجبيه
وكان قد أسن حتى سقطت حاجباه على عينيه ثم رماه فقتله وكان سهل بن هارون
يتعجب من نظر الفيل الى الانسان والى كل ما يمر به وهو الذي يقول

ولما رأيت الفيل ينظر قاصداً * ظننت بان الفيل يازمه الفرض

قال أبو عثمان وقد رأيت أنا في عين الفيل من صحة الفهم والتأمل اذا نظر بها وشبهت
نظره الى الانسان بنظر ملك عظيم الكبر راجح الحلم واذا أردت أن ترى من الفيل
ما يضحك وتراه في أسخف حالاته فأتى اليه جوزة فانه يأخذها بطرف خرطومه
فاذا دنا منها تنفس فاذا تنفس طارت الجوزة من بين يديه ثم يدنو ثانية ليأخذها
فيتنفس أخرى فتبعد فلا يزال ذلك دأبه قال وبفضل الفيل الفرس في الحرب أن الفيل
يحمي الجماعة كلهم ويقاتل ويرمي ويزج بالمداريق وليس له من الهول ما للفرس
وهو أجسن مطاوعة ولا يعرف بجماح ولا طلاح ولا حران والخيول العناق ربما قتلت

أبيت أهوى في شياطين ترن * مختلف نجواهم جن وحن
 ففرق هذا بين الجنسين وسمع بمض الجبال قول الحسن ذهب الناس وبقيت في
 النسناس فجعل النسناس جنساً على حدة وسمع آخرون أجهل من هؤلاء، قول الكميت
 نسناسهم والنسناسا فزعموا أنهم ثلاثة أجناس ناس ونسناس ونسناس هذا سوى
 القول في أشق وواق والزوال في أولاد العراق وفي أولاد السعالي من الناس وفي
 غير ذلك مما ذكرناه في موضعه من ذكر الجن والانس وقد علم أهل العقل ان
 النسناس وقع على السفلة والاوغاد والفوغا، كما سموا الجراد اذا ألتى البيض وسخف
 وخف وطار، قال واذا اغتلم الفيل قتل الفيلة والفيالين وكل من لقيه من سائر الناس
 ولم يقم له شيء حتى لا يكون لسواسه هم الا الحرب والا الاحتيال لانفسهم وتزعم
 الفرس ان فيلانا من فيلة كسرى اغتلم فأقبل نحو الناس فلم يقم له شيء حتى دنا من
 مجلس كسرى فانسع عنه جنده وأسلمته صنائمه وقصد الى كسرى ولم يبق معه الا
 رجل واحد من فرسانهم كان أخصمهم به حالا وأرفقهم مكانا فلما قرب من الملك شد
 عليه بطبر زين كان في يده فضرب به جبهته ضربة غاب لها جميع الحديد في جبهته
 فصعد عنه وارتدع وأبى كسرى أن يزول من مكانه فلما أيقن بالسلامة قال لذلك
 الرجل ما أنا مما وهب الله لي من الحياة على يدك بأشد سرورا مني بما رأيت من هذا
 الجلد والوفاء والظفر في رجل من صنائعنا وحين لم تخطى فراستي ولم يفل رأيت فهل
 رأيت أحدا قط أشد منك قال نعم قال حدثني عنه قال على أن تؤمنني فأمنه حدث
 عن بهرام سوين بحديث شق على الملك وكرهه اذ كان عدوه على تلك الصفة، قال
 اذا اغتلم الفيل وصال وغضب وخط خلاه الفيالون والرواض فربما عاد وحشياً والفيلة
 من الاجناس التي يكون فيها الاهلي والوحشي كالسنانير والظباء والحير وما أشبه
 ذلك وأنشد الكرمانى الشاعر لمومان قوله

فكنت في ظلي من عنده كرما * كراكب الفيل وحشياً ومفتلاً

وهذه القصيدة التي يقول فيها

قد كنت صعدت عن يعبور مغتربا * حتى لقيت بها حلف الندى حكما

أنهزأ مني أم عزة ان رأت * نهاراً وليلاً ألباني فأسرعا
فان أك لاقيت الدهاريس منهما * فقد ألبيا النعمان قبلي وتبعا
ولا يلبث الدهر المفرق بينه * على الفيل حنى يستدير فيسرعا
وقال مروان بن محمد وهو أبو الشمقمق حدثني صديق لي قال سألت أبا الشمقمق
عن اسمه وكنيته فقال أنا مروان بن محمد مولى مروان بن محمد

يا قوم اني رأيت الفيل بمدكم * فبارك الله لي في رؤية الفيل
لما بصرت باير الفيل أذهاني * عن الحخير وعن تلك الاباطيل

وقال الاصمعي جنى قوم من أهل ليمامة فأرسل اليهم السلطان جندا من غازية ابن
زياد فقام رجل من أهل البادية من أصحابه فقال يامعشر العرب ويا بني المحصنات
قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم والله لئن ظهر هؤلاء القوم عليكم لا يدعون فيها لبننة
حرء ولا كلة خضراء الا وضعوها بالارض ولا أغركم من شباب معهم في جعاب
كأنه أبور الفيلة ينزعون في قسي كأنها الفيل تثط احداهن أطيط الزربوق يعط
أحدهم فيها حتى يمرق شعر إبطيه ثم يرسل نشابة كأنها رشاً منقطع فابين أحدكم
وبين أن تنضح عينه أو يصدع قلبه منزلة قال نضاع قلوبهم فطاروا رعباً ، قالوا الفيلة
ضربان فيل وزندبيل وقد اختلفوا في أشعارهم وأخبارهم فبعضهم يقول كالبحر
والعراب والجواميس والبقر والبراكين والخليل والفأر والجردان والذر والنمل وبعضهم
يقول انما ذهبوا الى الذكر والانثى قال خالد القناس في قصيدته تلك المزاوجة التي
ذكر فيها الضبة فاطنب فيها فقال حين صار الى ذكر الفيل

ذاك الذي مشفره طويل * وهو من الافيال زندبيل

فذهب الى الفطس وقال الآخر

* من بين فيلان وزندبيل *

جمل زندبيل هو الذكر وقال أبو يقطان سعيد بن حفص ان زندبيل هو الانثى
فلم يقفوا من ذلك على شيء وبعض الناس يقسم الجن على قسمين فيكون جن وحن
وبجمل التي بالحاء أضعفها وأما الراجز فقال

ولما هجا أبو طروق الضبي امرأته وكان اسمها سغفيرة جعل الخنزير خنزيرات فجمعها كما ترى
للتشابه وقال الآخر

كان الذي يبدو لنا من لثامها * جحافل غير أو أشافر فيل
والفيل يوصف ولذلك قال الاعرابي

قد قاذني يا صاحبي المعصم * ولم أكن أخدع فيما أعلم
أذ يصفق الناب العريض الأعظم * وأذني الفيل له أو ترجم
وقيل إن الفيل فيل مرجم * وحنفش قد تم منه المخرم
أجرد أعلا الجسم منه الضخم * يجر أرجاء ثقلا تحطم *
ما تحتها من قرضها مبسم * وحنك حين يمد أنفم
ومشفر حين يمد سرطم * برده في الجوف حتى يعظم
لو كان عندي سبب أو سلم * نجيت نفسي جاهدا لا أظلم
(وقال آخر)

من يركب الفيل فهذا الفيل * إن الذي يركبه محمول
على تهويل لها تهويل * كالطود إلا أنه يجول
* وأذن كأنها منديل *

وقال عمار بن الوليد يضرب المثل بقوة الفيل

إذا أنا ما أمير لم يقم لهم * هذا وجاءت بنامنه الأحاييل
وعض مجهولنا الأفي وحمله * من المظالم ما لا يحمل الفيل

وقال الهذيل يمدح أبا الفيل الأشعري

إن أبا الفيل لا تحصى فضائله * قد عم بالعرف كل المعجم والعرب

ونظر ابن أبي سلمة المدني إلى خرطوم الفيل وإلى غرموله فقال

ولم أر خرطومين في جسم واحد * قد اعتدلا في مشرب ومبال

فقد غلط لأن الفيل لا يشرب بخرطومه ولكنه يوصل الماء إلى فمه فشبهه غرموله
بالخرطوم وغرموله يشبه بالجمجمة والمنديل والنزع وقال الخبيل في تعظيم شأن الفيل

قذفت به الى جوفها فهو لها كالبلعوم والحلقوم والمذبابة خرطوم تخرجه اذا ارادت
الدم وتدخله اذا رويت فأما من يسمى خطم الخنزير والسكاب والذئب خرطوما فأما
ذلك على التشبيه وكذلك يقولون لكل طويل قصير اللحية وقد يقال للخطم
خرطوم وأنشد ابن الاعرابي لفتى من بني عامر

ولا أقوم على شيخي فاشتمه * ولا أمر على تلك الخراطيم

جعل سادة عشيرته في الناذي كالخراطيم والمقاديم والهوادي وعلى ذلك قالوا بنو
فلان رؤسهم وخراطيمهم ومعنى العامري الذي ذهب اليه في شعره كأنه عظم
الشيخة أن يمر بهم وقد قال الشاعر

* هم الانف المقدم والسنام *

والفيل والبير والطاوس والبيغا والدجاج السندي والسكر كدن مما خص الله به الهند
وقد عد ذلك مطيع بن اياس حين خاطب جارية له تسمى روقة فقال

روق أي روق كيف فيك أقول * صار بينا ورد ورمل ونيـل

وبعيد من بينه حينما كا * نوبين الحبيب بين وبيـل

ببلادهم تبيض الطاوود * س وفيها تزواج الزندبيل

وبها البغاء والصقر والعـر * دله في ذرى الاياط مقيل

والخوع العرجاء والايـل الاقر * ن والليث في الفياض الشبول

وقال أبو الاصلع الهندي يفخر بالهند وما أخرجت بلادها

لقد يعدلني صـحـي * وما ذلك بالامـثـل

وفي مدحتي الهند * وسهم الهند في المقتل

وفيه الساج والعاج * وفيه العود والدغفل

وإن التوتيا فيه * كمثل الجبل الاطول

وفيه الدار صيني * وفيه ينبت الفلفل

والمنشابه عندهم من الحيوان الخنزير والبعوضة والجاموس وقال رؤبة

ليث يذق الاسد الهاموسا * والافهمين الفيل والجاموسا

ثم ينصبون لكل ضرب من الطعام، والجري يأكل الجرذان ويصيدها وهو آكل لها من السنابير والحيات والكلاب السلوية ويأكل الجري جميع جيف الموتى والسمك يأكل السمك ويأكل من كل حب ونبات يسقط في الماء وإن استفهم مستفهم أو اعترض معترض فقال وكيف يأكل الجري الجرذان والجرذان أرضية بيوتية والجري مائي قيل له يخبرنا جميع من بيت في السفن وفي المزارع وفي قبض البصرة عندنا أن جرذان الانابير تخرج ارسالا بالليل كأنها بنات عرس والجري قد كن لمن وهو فاتح فاه فاذا دنا الجرذ من الماء فعب فيه النعمه ليس دون ذلك شيء بسحر فم واسع يدخل في مثله الضب الهرم وإنما يضع خطمه على الشربة قال أبو عثمان ومما لا أكتبه لك من الاجناس العجيبة التي لا يجسر عليها الا كل وقاح أخبار بعض العلماء وبعض من يؤلف الكتب يقرأها ويدرس أهل البصرة ويحفظها زعموا أن الضبع يكون عاما ذكر وعاما أنثى وسمعت هذا من جماعة منهم من لا أستجيز تسميته قال الفضل بن اسحاق أنا رأيت الغفص والبلوط في غصن واحد قال ومن الغفص ما يكون مثل الاكر وقد خبرني بذلك غيره وهو يشبه تحول الانثى ذكرًا والذكر أنثى وقد ذكرت العرب في أشعارها الضباع والذئاب والسمك والمسبار وجميع الوحوش والحشرات والاجناس وهم أخبر الخلق بشأن الضبع فكيف تركت ما هو أعجب وأظرف وقد ذكرت العلماء الضباع في مواضع من الفتيا لم نر أحداً ذكر ذلك وأولئك بأعيانهم هم الذين يزعمون أن النمر تضع في مشيمة واحدة جروا وفي عنقه أنثى قد تطوت به وإذا لم يأتنا في تحقيق الاخبار شعر شائع أو خبر مستفيض لم نلتفت اليه وقد أقررنا أن للسقنقور ايرين وكذلك الجرذون والضب حين وجدناه ظاهراً على السنة الشعراء وحكاية الاطباء، والخرطوم للفيل هو أنفه ويقوم مقام يده عنقه والخرق الذي هو فيه لا ينفذ وإنما هو غل وإذا ملأه الفيل من طعام أو ماء أوفى لجه فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وإنما صار ولد البختي من البختية جزور لحم لفص عنقه ولعجزه عن تناول الماء والمرعى وللبعوضة خرطوم وهو أشبه بالفيل الا أن خرطومها أجوف فاذا طعن به في جوف الانسان والبهيمة فاستقي به الدم من جوفه

لا تملك من أنفسها شيئاً وهو مع ذلك يشد على المسكر حتى يفرقه تفريق السمير
ويطويه طي السجل ويهارش النمر عامة نهاره لا يقتل أحدهما صاحبه وان كان الجمل
الحائج باركا أتى فضرب جنبه ليثني اليه عنقه كأنه يريد عضته فيضرب بيداره الى مشفر
فيه فيجذبه جذبة يفصل بها دأيات عنقه وان ألفاه قائماً وثب به فاذا هو على ذروة
سنامه فعند ذلك يصرفه كيف شاء ويلعب به كيف أحب ونحن لا نشك أن للفرس
تحت الفارس غناء في الحرب لا يشبهه غناء ولذلك فضل في القسم وانما ذلك بتصريف
راكبه له وقتاله عليه فأما هو في نفسه فان كان أوفر سلاحاً من الجاموس وفر عن
قرنه واستسلم لعدوه فانه من هاهنا لا يقدر انحصار أقسام الخير في شخص واحد
ولكن ان كان عليه تقاتل الانبياء واتباع الانبياء وملوك الكفار حتى يجمع الله
الباطل ويظهر الحق فلذلك قدمناه على جميع البهائم والسباع وانما نقدمه على الوجه
الذي قدمه الله فيه، واعترض على أصحاب فرس الماء معترضون فقالوا الفرس لا يكون
الابهيمة والبهائم لا تصيد وتأكل صيدها وانما طعام الفرس النبات وليس اللحم لها
بطعام وقال النمر بن تواب

واخيل في اطعامها اللحم ضرر * نطعمها اللحم اذا عز الشجر

في كلمته التي يقول فيها * الله من آياته هذا القمر *

وقد تاملت في تلك الحالات اللحم اليابس وحشيش السمك فأما الحشيش فاخيول أهل
الاسياف خاصة فيل لهؤلاء المعترضين على فرس الماء وقد يكون في الخلق المشترك
وغير المشترك ما يأكل اللحم والحب فالمشترك مثل الانسان الذي يأكل الحيوان
والنبات والمصفور من الخلق لانه يأكل الحب والصيد ويصطاد النمل الطيار والأرضية
فيأكلها ويأكل اللحم والدجاج تأكل اللحم والديدان وتحسو الدم وتلقط الحب والغراب
لا بدع شيئاً الا أكله وما خرج من حد المشترك وهو كنعو الذئب والضبع وكنعوا
الشاهين والصقر فان هذه وأشباهاها لا تعرف الا اللحم وضروب من الطير لا تعرف
الا الحب والنبات والمشارك أجمع مما هو غير مشترك والسمكة تأكل الطير والنبات
وتأكل الجيف التي تصيب في الماء وتصاد بضروب من الحيوان تجمل لها في الشطوط

باب الغلبة والقتال والمساجلة والانتصاف من الاعداء والفرس قد يقاقل الفرس في المروج اذا أراد أن يحمي الحجور كما يحمي المير العانة ويقاقل عليها كل غير يريد مشاركتة فيها وهذا شيء يعرض لجميع الفحولة في زمن الهيج وقد يصاول الجمل الجمل قربما قتل أحدهما صاحبه ولكن هذه الفحولة لا تعرض لشيء من الحيوان في غير هذا الباب وان أراد الفرس أسد فليس عنده من احراز نفسه وقتل عدوه ما عند الجاموس فان فضله الجاموس بقرنيه فان البيان الذي في القرن لو استعمله لكان سلاحا ولو استدبر الاسد فركله ورعحه وعضه بفيه لكان ذلك مما يدفع عنه ويحمي لحمه وليس للجاموس في اظلافه وفي رجله وفي فمه سلاح فقد دلت الحال على أن مدار الامر انما هو شجاعة القلب وفي هذا القياس ان الصقر انما يوايب الكركي لما كان سلاحه دون شجاعة القلب التي يقوي بها الضعيف وبخلافها يضعف القوي وسافر ذلك ذلك ببعض ما تعرفه ، لا تشك أن الهر أقوى من الهرة في كل الحالات حتي اذا سفدها حدث بينهما بغض ومطالبة وحدثت للهرة شجاعة وللهر ضعف فصارت الهرة في هذه الحال أقوى منه وصار الهر أضعف ولو لا أنه بمن في الحرب غاية الامعان ثم لحقته لقطعه وهو مستحذ ومثال ذلك أن الجرذ يخشى ويرى به في أنابيب التجار وفي الابرجة والبيادر فلا يدع جرذا ضحكاً فد أعيا الهر وابن عرس الا قتله وان كان أعظم منه وأشد وأخصى من كل شيء أضعف قوة من الفحل الا الجرذ فانه اذا خصى أحدث له الخصى شجاعة وجراءة وأحدثت له الشجاعة قوة وأحدث له علم الجرذان بحال الخصاء لها جنبنا وأحدث الجبن لها ضعفا والرجل الشديد الاسر قد يفزع فتتحل قوته ويسترخى عصبه حتي يضربه الصبي والذئب القوي من ذئاب اللحم يكون معه الذئب الضعيف فان رمي القوي أحدث ذلك للضعيف طمعا فعند ما يرى الدم وثب عليه فيعتري ذلك القوي عند ذلك من الضعف بمقدار ما يعتري الضعيف من القوة حتي يأكله كيف شاء والاسد الذي يعتريه الضعف في الماء الفمر حتي يركب ظهره الصبي ثم يقبض على أذنيه فيغطه كيف شاء وقد يفعل به ذلك غلمان السواد وشاطئ الفرات اذا احتمات المدود الاسنة

ليعجم عليه فيججم عنه حتى تذهب عنه سكرة الغلظة فيرجع الى معرفة حال الكركدن
 فلا يطور طوره ولا يخله بأداني أرضه وأما الفيل فاذا كان غير هائج والاسد في غير
 أيام سفاده ثم لا يكون الاسد عراقيا ويكون سواديا ثم يكون من أجمة أفريقيا فان
 الفيل لا يقوم له قال صاحب الفيل الفيل لا يعاين أسدا أفريقيا حتى تفسخه البلدة
 وتوهنه الوحشة ويمرضه الغذاء ويفسده الماء وهو لا يصل الى ذلك المكان حتى يجمع
 بينه وبين الاسد وحتى يسمع تجاوب السنابير وتضاغطها وهو أسمع من قراد فيثبت
 ذلك في صدره وتزايد تلك الوحشة في نفسه فتى رأي أسدا قائما فربما حملته الدهشة
 منه والبنفس المجبول الى الصدود والذهاب عنه فيظن كثير من الناس ان ذهابه هرب
 وان صدود وجبن وانما هو من الوحشة منه والكرامة لما نظره وربما اضطره الاسد بخروقه
 حتى ينقض حمله ويغلب وقاره فيخبطه خبطة لا يفاج بعدها أبدا قال صاحب الفرس
 زعمتم أن الاسد في الارض كالعقاب في الهواء والتمساح في الماء وأن تمساحا وأسدا
 انجا على شريعة فقتل كل واحد منهما صاحبه كأن التمساح ضرب بذنبه في
 الشريعة وضغم الاسد رأسه فانا جميعا قال والفرس المائي بالنيل يقتل التماسيح ويقهرها
 ويأكلها ولا يساجلها الحرب ولا تقع بينهما مغالبة ومجازبة ولا تكون الايام بينهما
 دولا فهذه فضيلة ظاهرة على الاسد وشرف فرس الماء راجع الى فرس الارض فان
 كان فرس الارض لا يقوي على الاسد ولا على النمر ولا على البهر فان ابن عمه وشكله
 في الجنس قد قوي على التمساح وهو رئيس سكان الماء قالوا اما واحدة فان التمساح ليس
 برئيس سكان الماء الا أن يريد بمض سكان الاودية والانهار والخلجان والمتحيزات في
 بعض المياه العذبة والكوسج واللحم والسرطان والدلفين وضروب من السمك مما
 يعايش السمك ينهش التمساح من نابه وعلى أن التمساح ربما يأكله ذلك الفرس وهو في
 الماء وليس للتمساح في جوف الماء كبير عمل الا أن يحتمل شيئا بذنبه ويلججه اليه ويدخله
 الماء وربما خرج الى الارض للسفاد والحضن البيض فلا يكون على ظهر الارض شيء
 أذل منه وذلك على الارض شبيه بذل الاسد في وسط الماء الغمر ولعمري أن لو عرض
 له هذا الفرس في الشرائع فقتله لقد كان ذلك من مفاخره فلذلك لم نذكر الخيل في

السنابير وقد جمل الله في طبع الفيل الحرب من السنور والوحشة منه وكما أن بعض
 شجمانكم يمشى الى الاسد ويقبض على الثعبان ولا يستطيع النظر الى الفار والجرذان
 حتى يهرب منها كل الحرب ويمتريه من القبض واصفرار اللون مالا يعتري المصبور
 على السيف وهو يلاحظ بريقه عند قفاه وذكر على بن محمد السميري قال بينما عبد
 الله بن حازم السلمي عند عبيد الله بن زياد اذ دخل عليه جرد أبيض ليقبل منه فأقبل
 عبيد الله على عبد الله فقال هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا الجرذ واذا عبد الله
 قد تضائل حتى صار كأنه فرخ واصفر حتى كأنه جرادة فقال عبيد الله أبو صالح يعصى
 الرحمن ويتهاون بالشیطان ويقبض على الثعبان ويمشى الى الاسد ويلقى الرماح بوجهه
 وقد اعتراه من جرد ما ترون اشهدوا أن الله على كل شئ قدير ، واذا عين الفيل
 الاسد رأى فيه شبه السنور فيظن أنه سنور عظيم فلا يبلغ مقدار تلك المناسبة وذلك
 الشبه ومقدار ذلك الظن ما يبلغ رؤية السنور نفسه وليس هربه منه من جهة انه
 طعام له وأنه ان ساوره غلبه على نفسه وان كان في المعنى يرجع الى انه طعام لصغار
 السباع وكبارها وهل قتل الاسد قط فيلا ومتى أكله وأنه مع ذلك لربما ركه الركلة
 فاما أن يقتله وأما ان يذهب عنه هاربا في الارض وأما أن يخليه وأية حجة على الفيل
 في أن يرى سنورا فيفزع ذلك ، فلمعرفة بان الماء الكدر لا تتصور فيه الصور يضرب
 بيديه هذا قول بعضهم وأما صاحب المنطق وغيره ممن يدعي معرفة شأن الحيوان
 فانه يزعم أن الفرس بالماء الكدر أشد عجباً منه بالماء الصافي كما أن الابل لا يمجها الماء
 الا ان يكون غليظا وذلك هو الماء النير عندهم وانما تصلح الابل عندهم على الماء
 الذي تصلح عليه الخيل ويزعم من أقام ببلاد السودان أن الذين يسكنون شاطئ النيل
 من الحبشة والنوبة انهم يشربون الماء الكدر ويأكلون السمك الني فيعتريهم طحال
 شديد فاذا شدوا على بطونهم ضرسا من أضراس خيل الماء وجدوه صالحا لبعض
 ما يمرض من ذلك ويزعمون ان أعفاج هذا الفرس يبرى من الصرع الذي يكون
 في الالهة وقال بعض من يبصر بالاسد أن الاسد في الهند أضعف بل هي ضعيفة
 جدّا والفيل في بلادهم أقوى والوحشي منها والمفتم لا يقوم له الا الكركدن وأنه

البال رابط الجاش ثابت الجنان فأما الفيل فلم يولد الناس عليه وعلى الذكر كدن ما ولدوا من فراط القوة والنجدة والشهامة الا والامر بينهما متقارب عندهم ، والهند أصحاب البور والفيول كما أن الذوبة أصحاب الزرافات دون غيرهم من الأمم وأهل غانة ما صار لباسهم جلود النمر بها الا انها على حال موجودة في كثير من البلدان وقد ذكروا بأجمعهم قوة الفيل الوحشي على الاسد وقالوا في الفيلة الاهلية اذا لقيت عندنا بالعراق الاسد وجمعنا بينهما قالوا أما واحدة فان ذكور الفيلة لا تكاد تعيش عندهم وأنيابها التي هي أكثر سلاحها لا تنبت ببلادكم ولا تزيد على ما كانت عليه ما اقامت في ارضكم وهي أيضا لا تتأنج عندهم وذلك من شدة مخالفة البلدة وطبائرها ونقضها لقواها وانما أسرع اليها الموت عندهم للذي يعتريها من الآفات والاعراض في دوركم فاجتمعت عليها خصال أول ذلك انها من الوحش في صميم بلادها أجرى وأقوي وأشهم نفساً وأمضى فلما اصطدناها بالجبل وصيرناها مقهورة أهلية بعد ان كانت وحشية وفي غير غذائها لانها كانت تشرب اذا احتاجت وتأكل اذا احتاجت وتأخذ من ذلك مقدار ما تعرف من توقع الحاجة فلما صارت الى قيام العبيد عليها والاجراء لسواها والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقص والخور والخطأ والتقصير على حسب ما تجدد في سائر الاشياء ثم لم نرض ذلك حتى نقلنا ما كانت تجده من انكارها لتلك البلدة فصيرناها الى الضد بعد ان كانت في الخلاف وقد علمنا ان سبيلها سبيل سائر الحيوان فان الابل تموت ببلاد الروم وتهلك وتسوء حالها والمقارب تموت والتماسيح تموت ان نقلت الى دجلة والفرات والناس يصيبهم الجلاء فيموتون ويتهاقون وقد علمنا ان الزنج اذا خرجوا من بلادهم كما يحصل بالبصرة عندنا منهم وكذلك لو نقلوا اليكم بزر الفلفل والساج والصندل والعود وجميع تلك الالهضام فما امتناع نبات العاج ببلادكم الا كما امتناع نبات البنوس وان كان ينبت في حيوان والارضى في أرض فلا يفترخون مفتخر في الاسد في هذه البلدة اذا قام الفيل والاسد هاهنا في بلاده وفي الموضع الذي تتوفر أموره عليه لان اسد العراق هي الغابة وأقواها أسد السواد ثم أسد الكوفة ولان الفيلة عندهم أيضاً تري عندهم

وأما الاسد والنمر فيتعاديان والظفر بينهما سجال والنمر وان كان ينصف من الاسد فان قوته على سائر الحيوان دون قوته على الاسد وبدنه في ذلك أحمل لوقع السلاح ولا يعرض النمر للبر وقد أثبتنا أنهما ليسا من بابه فلا يعرض لهما لسلامة ناحيته وقلة شره وهما لا يعرضان له لما يعرفان من أنفسهما من العجز عنه وأما البهايم الثلاث التي ذكرناها فانها فوق الاسد والنمر والبرهندي مثل الفيل أيضاً والكر كدن فلا يقوم له سبع ولا بهيمة ولا يطعم فيه ولا يروم ذلك منه ، وأما الجاموس والاسد فخيرني محمد بن عبد الملك أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبرز للأسد جاموسين فقلبتاه ثم أبرز له جاموسة ومعها ولدها فقلبتاه وحمته ولدها منه وحصنته ثم أبرز له جاموساً وحده فوائبه ثم أدبر عنه وهذا وفي طبع الاسد من الجراءة عليه بمقدار ما مع الجاموس من التهيّب له فيعلم أنه قد أعطى في كفه ومخالبه من السلاح ما ليس لشيء سواه ويعلم الاسد والجاموس جميعاً انه ليس في فم الجاموس وبذبه وظلفه من السلاح قليل ولا كثير فعلى الاسد من الجراءة عليه ومع الجاموس من الخوف منه على حسب ذلك ويعلم الاسد ان بدنه يتوج في اهابه وان له من القوة على الوئوب والصبر والحضر والطلب والهرب ما ليس في الجاموس بل ليس ذلك عند الفهد في وثوبه ولا عند السبع في سرعة مره ولا عند الارنب في صمد ولا هبوط ولا يبلغه نقران الظبي اذا جمع جراميزه ولا ركض الخيل العتاق اذا أجيد إضمارها والجاموس يعرف كل ذلك منه ومع الجاموس من النكوص عنه بقدر ما مع الاسد من الاقدام عليه ويعلم انه ليس له الا قرنه وان قرنه ليس في حدة قرن بقر الوحش فضلاً عن حدة أطراف مخالب الاسد وانيابه وان قرنه متبذل لا يصان عن شيء ومخالب الاسد في الكام ومران واذا قوى الجاموس مع هذه الاسباب الخفيفة على الاسد مع تلك الانياب المستحقة حتى يقتله أو يعرض عنه كان قد تقدمه تقدماً فاحشاً وعلاه علواً ظاهراً فلذلك قدمنا الجاموس وهو بهيمة وقد منا رؤساء البهايم على رؤساء السباع هذا سوي ما فيها من المرافق والمنافع والمعاون والجاموس أجزع خلق الله من عض خرشنة وبموضة وأشد هرباً منها الى الماء وهو يمشي الى الاسد رضى

كله مثل السمكة وقالوا لا بد للبيض من حضن ومتى حضنت السمكة بيضها لا تلقت
الى بيضها وفراخها والعوام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكر كدن وتزعم أنه ربما
نطح الغيل فرفعه بقرنه الواحد الذي في وسط جبهته فلا يشعر بمكانه ولا يحس به
حتى ينقطع على الايام وهذا القول بالخرافة أشبه وأعجب من القول في ولد الكر كدن
ما يخبرنا به ناس من أهل النظر والادب وقرأة الكتب وذلك أنهم يزعمون أن النمرة
لا تضع ولدها أبداً الا وهو متطوق بأفمى وانها تعيش وتنش الا أنها لا تقتل ولو
كنت أجسر في كيتي على تكذيب العلماء ودراس الكتب لبدأت بصاحب هذا
الخبر وليس هذا عندي كزعمهم ان الافمى تلد وتبيض لان تأويل الافمى ينفصل
بيضاها فاذا طرقت بالبيض تلوت خطمته في جوفها ثم ترمى بتلك الفشور والحرابي
أولاً فأولاً ولا بد لكل ذات حمل أن تلقى مشيمتها ويزعم كثير من الاعراب أن
السمكة تتعفن ويتخاق منها أفمى فهذا الخبر وان كنت لا أسرع الى رده فاني على
أصحابه البين كفاً، وأما قرن الكر كدن فخبرني من رأي قرنه ممن اتق بمقله وأسكن
الى خبره أن غلط أصله وسمة جسمه يكون نحواً من شبرين وليس طوله على قدر
نخنه وهو محدد الرأس شديد الملاسة مدموم الاجزاء مديج ذو لدونة وعلوكة في صلابته
لا يتمتع عليه شيء ويحضر عندنا بالبصرة الى الصين الا أنه يقع الينا قبلهم فاذا ظهر
ظهرت في مقاطعه صورة عجيبة وفيه خصال غير ذلك لما يطلب، وقد كنا نزعم أن
الهواء للعقاب والماء للتمساح والفياض للأسد حتي زعم أصحابنا أن في نيل مصر
خيولاً تأكل التمساح أكلاً ذريعا وتقوي عليها قوة ظاهرة وتغتصبها أنفسها فلا تمتنع
عليها وعارضوا من أنكر خيل الماء بخنازير الماء وبكلاب الماء وبديس الماء ولم أجدهم
يشكون أن بعض الحيوان الذي يكون في البحر مما ليس بسمك وقد ذهب عني اسمه
اذا أبصر غريقاً عرض له وصار تحت بطنه وصدره فلا يزال كالحمال له والمزجي
والمعين حتى يقذف به الى جزيرة أو ساحل أو جبل وأصناف سمك البحر وأجناس
ما يعايش سمك البحر اذا عاينوا نباتاً أو طيراً اتقنوا بالارض الا أن ذلك القريب قد
ضممني بعيداً فلذلك سلم ذلك الفريق بمونة ذلك الحيوان فأما الاسد والبير فيتمه المان

قابلة تقر بشئ من هذا الباب وكذلك الاطباء وقد رووه كما علمت ولكن العجب كل العجب ماذا كانوا من اخراج ولد الذكر كدن رأسه واعتلافه ثم ادخالها بعد الشبع والبطنة ولا بدأ كرمك الله لما كل من نجوفان كان بقي الولد يأكل ولا يروث فهذا عجب وان كان يروث في جوفها فهذا أعجب وانما جعلناه يروث حيث سموه حماراً وهذا مما ينبغي لنا أن نذكره في خصصال الخصال اذا بلغ ذلك الباب ولا أقران الولد يخرج رأسه من بطن أمه حتى يأكل شبعه ثم يدخل رأسه ولست أراه محالاً ولا ممتنعاً في القدرة ولا في الطبيعة وأرى جوازه مرهوباً غير مستحيل الا أن قلبي ليس يقبله وليس في كونه ظلم ولا عيب ولا خطأ ولا تقصير في شئ من الصفات المحموده ولم نجد القرآن يشكره والاجماع يدفعه والله هو القادر دون خلقه ولست أبت بالإنكاره وان كان قلبي شديد الميل الى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا يعرف الا بالعيان الباهر والخبر المتظاهر وليس الخبر عنه مثل الخبر عن الدساس التي لا تبيض ولا تلد وانما أنكر ذلك ناس لان الدساس ليس أشرف كالحفاش بل هو كالمسوح وكسائر الطير وكاللوآتي تبيض من ذوات الاربع ومن المائيات والارضيات وليس الخبر عن الذكر كدن أيضاً كالخبر عن الدلفين أنها تلد وعن اللحم مثل ذلك وان الكوسج يتولد من بين اللحم وسمكة أخرى وهذا كله غير مستحيل الا اني لا أجعل الشئ الجائز كالشئ الذي نثبت له الأدلة ويخرجه البرهان من باب الإنكار والواجب في مثل هذا الرفع وان كان القلب الى نقض ذلك أميل والميل أيضاً يكون من طبقات وكذلك الظن يكون داخل في باب الإيجاب وربما نصرا عن ذلك وقد زعم ناس من أهل العلم ان السمك كله يلد وأنهم انما سمو ذلك بيضاً على التشبيه والتمثيل لانه لا فشر له هناك ولا غ ولا بياض ولا غرق وأن السمكة لا توجد أبداً الا فارغة البطن أو محشوة ولم نر الحب الذي عند مثالها أعظم ولم نرها ألت احدى تلك الطوامير واحداً فواحداً وأولاً فاولاً وما ذلك بأعجب ولا أضيق من حياء الناقة والسقبة والحائل يخرجان منه خروجاً سلساً اذا أذن الله بذلك وكذلك المرأة وولدها والجاموس والرمكة والحجر والآتان والشاة في ذلك

وآخر برهاناً قلب يومكم * والجامه العنقاء في العين أعجب
يصفى بساباط ويشتوب آمدا * وذلك سر ما علمنا مغيب
أساغ له الكبريت والبحر جامدا * وملكه الابرار والشمس تجنب
فيومئذ قامت سماط بقدرها * وقام عسيب القفر يثني ويخطب
وقام صبي درنق في حماطه * عليهم بأصناف البساتين يغرب

فثبت زرارة بن أعين قول أبي السري في العنقاء وزادنا الكبريت الاحمر ولا أعلم في
الارض قوما يثبتون العنقاء على الحقيقة غيرهم قال فيثبتون الكركدن ذكر النبي
داود عليه السلام في الزبور حين سماء وقد ذكره صاحب المنطق في كتاب الحيوان
الا أنه سماء بالجار الهندي وجعل له قرناً واحداً في وسط جبهته وكذلك أجمع أهل
الهند كبيرهم وصغيرهم وانما صار الشك يعرض في أمر من قبل أن الانثى منها
ما يكون نزورا وأيام حملها ليست أقل من أيام حمل الفيل فلذلك قل عدد هذا الجنس
وتزعم الهند أن الكركدن اذا كانت ببلاد لم برع شيء من الحيوان شيئاً من أكناف
تلك البلاد حتي يكون بينه وبينها مائة فرسخ من جميع جهات الارض هيبة له وخضوعاً
له وهرباً منه ، وقد قالوا في ولدها وهو في بطنها قولاً لولا أنه ظاهر على السنة الهند
لكان أكثر الناس بل كثير من العلماء يدخلونه في باب الخرافة وذلك أنهم يزعمون
أن أيام حملها اذا كادت أن تتم واذا نضجت وشجنت وجرى وقت الولادة فربما
أخرج الولد رأسه من باطنها فأكل من أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه حتي
اذا تمت أيامه وضاق به مكانه وأنكرته الرحم وضمته مطيقاً قويا على الكسب والحضر
والدفع عن نفسه بل لا يعرض له شيء من الحيوان والسباع وقد زعم صاحب المنطق
أن ولد الفيل يخرج من بطن أمه نابت الاسنان لطول مكثه في بطنها وهذا جائز في
ولد الفيل غير منكر لان جماعة نساء معروفات الآباء والابناء قد ولدن أولادهن
ولهن أسنان نابتة كالذي رووا في شأن مالك بن أنس ومحمد بن عجلان وغيرهما وقد
زعم ناس من أهل البصرة ان خاقان بن عبد الله بن الهم استوفى في بطن أمه
ثلاثة عشر شهراً وقد مدح بذلك وهجي وليس ذلك بالمستنكر وان كنت لم أرقط

وساداتها وكبارها ورؤسائها ثلاثة الكركدن والفيل والجاموس قال ولعل بمض من
اغري بالاعتراض على الكذب يقول وابن الخليل والابل وفيها من خصال الشرف
والمنافع والغناء في السفر والحضر وفي الحرب والسلام وفي الزينة والبهاء وفي العدة
والعتاد ما ليس عند الكركدن ولا عند الفيل ولا عند الجاموس قال القوم ليس الى
هذا الباب ذهبنا ولا اليه قصدنا ولا ذلك الباب مما يجوز أن ندخله في هذا الباب ولكننا
ذهبنا الى الحمامة والدفع على النفس والقتال دون الاولاد والى الامتناع من الاضداد
بالحيلة اللطيفة وبالبطش الشديد وليس عند الخيل والابل اذا صادمت الاسد
والنمرور والنبور ما عند الجاموس والفيل والكركدن فاما الكركدن فان كل شئ من
الحيوان يقصر عنه غاية القصير الفاحش وما أكثر من ينكر ان في الدنيا حيوانا
يسمى الكركدن ويزعمون ان هذا وعنقاء مغرب سواء وان كانوا يرون صورة العنقاء
مصورة في بسط الملوك واسمها عندهم بالفارسية سيمرك كأنه قال وحده ثلاثون
طيراً لان قولهم بالفارسية سئ هو ثلاثون بالعربية ومرك بالفارسية هو الطائر
بالعربية والعرب اذا أخبرت عن شئ وبطلانه قالت حلقت به في الجو عنقاء مغرب
وفي الحديث إن بمض الأثم سألتوا نبهم وقالوا ان تؤمن لك حتى تفعل كذا وتفعل
كذا وتأتى في فم العنقاء اللجام وترد اليوم أمس قال أبو الهندي السميطي وهو
معدان المكفوف المريدي

ياسمي النبي والصادق الوء * د وجد الصبي ذى الخلخال
صاحب اللؤلؤ الذى لم يشنه * بمد خرز مشاب اللال
مهدته العنقاء وهي عقيم * رب مهد يكون فوق الهلال
يوم تصنى له النمامة والاحنا * ش طرا لشدة الزلزال
فأهل هذه النحلة يثبتون العنقاء ويزعمون انها عقيم وقال زرارة بن أعين مولى بني
أسمد بن همام وهو رئيس النيمية وذكر هذا الصبي الذى تكلمه العنقاء فقال
وأول ما يحى نماج وأكبش * ولوشاء أحيانها وهو مذنب
ولكنه ساع بأم وجدة * وقال سيكفني الشقيق المقرب

كعض الاسد الا كول ولا كعض الجمل المؤول للامل ولا كعض الانمي لا فراغ
 السم ولا تراه يصنع به ويستعمله الا كما يستعمله ذو القرن عند القتال والغضب فقال
 لهم بعض من يرد عليهم اما قولكم ان القرن لا يكون الا بجوف الاصل فهذا قرن
 الايل مصمت من اوله الى آخره وهو ينقل في كل سنة فاذا نبت حديثا لم يظهر
 حتى يستحكم في بسه وصلابته واذا علم انه قد بلغ ظهر وأكثر القرون الجوف
 يكون في أجوافها قرون وليس ذلك كقرن الفيل قالوا ولم نجد هذا القرن في لون
 القرون ووجدناه لسائر أسنانه واضراسه أشبه للبياض والسمرة وليس كذلك صفة
 القرون ووجدناه يقول فم الايل صغير وهو أقيم ولا يجوز أن يكون مثل ذلك المسمى
 والفك نبت فيه ومنه نابان يكون فيهما ثلاثمائة من وقد رأيت قرونا كثيرة
 الاجناس بيضاء وبرشاء وصهباء وهذه أيضا من عجائب الفيل وقرن الكركدن أغاظ
 من مقدار ذراع وليس طوله الا على قدر غاظه وهو أصلب وأكرم من قرن الفيل
 ويقال أكبر ايور الحيوان اير الفيل وأصغرها قضيب الظبي وقضيب البط لا يذكر
 مع هذه الاشياء وليس شيء على قدره ومقدار جسمه أعظم ايرا من الفيل وقد علمت
 أن للضب ايرين وكذلك الحرذون والسقنقور وقد عرفنا مقدار ذلك ولكنه لا يدخل
 في هذا الباب ولو لم يكن من عجائب الفيل الا خرطوم الذي هو أنفه وهو يده
 وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شيء من المنضروف والعصب وبه يقايل
 ويضرب ومنه يصيح وليس صياحه في مقدار جرم بدنه ويضرب به الارض ويرفعه
 في السماء ويصرفه كيف شاء وهو مقتل من مقاتله والهند تربط في طرفه سيفا
 شديد المتن فيقاتل به مع ما في ذلك من التهويل على العدو وهو مع عظم بدنه جيد
 السباحة الا أنه يخرج خرطوميه ويرفعه في الهواء صعدا لانه أنفه ألا ترى أن
 الجاموس يغيب بدنه في الماء الا منخربيه والبعير قبيح السباحة لانه لا يسبح
 الا على جنبه فهو في ذلك باطني ثقيل والبعير يغايير بينه وبين الفيل فلذلك ذكرناه وقد
 علمنا أن الانسان يفرق في الماء ما لم يتعلم السباحة فأما الفرس الاعسر والقرد فانهما
 يفرقان البنية والعقرب يقوم وسط الماء لا طافية ولا لازقة في الارض وأشرف السباع

وثب وثبة أعجبه بها عن الضربة ولصق بصدر الفيل ويلاق بأصول نايه وهما عنده
قرناه فجال به الفيل جولة كاد يحطمه من شدة ما جال به وكان رجلا شديد الخلق
رابط الجاش قال فاعتمدت وأنا في تلك الحال وأصول الانياب جوف فانقلما من
أصلهما وأدبر الفيل وصار القرنان في يدي وكانت الهزيمة وغنم المسلمون غنائم كثيرة
ومات في ذلك

مشيت اليه وادعا متمهلا * وقد وصلوا خرطومة بحسام
فقلت لنفسي إنه الفيل ضارب * بأبيض من ماء الحديد هدام
فان تشكلي عنه فمذكر واضح * لدى كل منخوب الفؤاد عمام
وعند شجاع القوم أكلف فاحم * كظامة ليل جلات بقتام
فناعشته حتي لصقت بصدره * فما هوان لازمت أي لزام
وعدت بقرنيه أريد لبانة * وذلك من عادات كل محامي
فجال وهجيره صوت مخضرم * وابت بقرني يذبل وبشام
(وقال هارون)

ولما أتاني أنهم يعتدون * بقائم سيف فاضل الطول والعرض
صررت ولم أحفل بذلك منهم * اذا كان أنف الفيل في غفر الارض
وحين رأيت السيف يهتز قائما * ويبلغ لمع البرق بالبلد الغض
وصار كمنخراق بكف حزور * يصرفه في الرفع طورا وفي الخفض
وأقبل سفري كل شيء شماله * وصرت كاني فوق مزلة رحض
وأهوى نجاتي فاغنمت ذهوله * ولم يقترب عنه أخوثة محض
فجال وجال القرن في كف ماجد * كثير مراس الحرب مجتنب الخفض
فطاح وولى هاربا لا تهيد * رطانة هندي برفع ولا خفض
والهند تزعم ان نابي الفيل يخرجان مستبطين حتى يخرجاك الحنك ويخرجا أعقفين وانما
يجمعاهما نابيين من لا يفهم الامور قالوا والدليل على ذلك أن لهما أصليين في مخارج القرون
يوجد ذلك عند ساخ جلده ولان القرن لا يكون نابا ومع ذلك أنا لا نجد الفيل يعض

العامري قوله

أنا الشاعر الخطار من دون عامر * وذو الضغم اذ بعض المحامين ناهش
بخطب كخطب الفيل حتى تركته * أمبا به مستدمات مفارش
وأشد الاصمى وأبو محمد لثيل بن مقبل

بني عامر ما تأمرون بشاعر * بحبر بآيات الكتاب هجائيا
أأعفو كما يعفو الكريم فاني * أرى الشعب فيما بيننا متدانيا
أم اخبط خبط الفيل هامة رأسه * يحرد فلا أبقى من الريش باقيا
وكانت الاكسرة وهي الكسور تؤدبها وتعودها وطء الناس وخطبهم اذا التي تحت
قوائمها بعض أهل الجنايات فكان ممن رمى به تحت رجل الفيلة النعمان بن المنذر وقال
في ذلك الشاعر

ان ذا الناج لا أبالك أضحي * وذرى بيته يجوز الفيول
ان كسري عدى على الملك النعما * زحى سقاء أم البليـل

وذكر الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير قال رأيت في
ديوان معاوية كتابا من ملك الصين الذي على مربطه ألف فيل وبنيت داره بابن
الفضة والذهب والذي تخدمه بنات ألف ملك والذي له نهران يشفان اللواؤ الى معاوية
وقال ولما أراد كسري قتل روشك المغني لقتله فلهوذ المغني وأمر أن يرمى تحت الفيلة
النفث الى كسري وقال اذا قتلت روشك المغني وقد قتل روشك فلهيذ فن يطربك
فقال كسري المدة التي بقيت لك التي أنطقك خلوا سبيله، وقال صفوان بن صفوان
الانصارى وكان عند داود بن يزيد المرزبان الهند تؤدب الفيلة بأنواع من التأديب
ويدربونهم على أنواع آداب الجروب حتى ربما ربطوا السيف اللهمم الرغيب الشديد
المتن الحديد الغرب التام الصقل الطويل السيلان في طرف خرطوم الفيل وعلمن كيف
يضرب به قداما ويمينا وشمالا وكيف يرفعه بخراطومه حتى يكون فوق رؤس الفياكين
القيود على ظهره قال وأنشدني هارون بن فلان المولى مولى الانصار قصيدته التي ذكر
فيها خروجه في الحرب الى فيل في هذه الصفة فشي الىه فلما كان حيث يناله السيف

جعل هذه السمكة بما يديشها ويصاحبها انها شديدة الطاب والشهوة لا كل الغنير والغنير
 أقتل للبال من الدنلى للدواب فاذا أصابوه ميتا استخرجوا من جوفه غنيراً كثيراً
 فاسداً وما فيه من النفع الا أن دهنه يصاح لترين سفن البحرين فرآنى غانم العبد
 يوماً وأنا أحكي هذا الكلام وكان من أموق الناس وأرقهم رقاعة مع تيه شديد
 وغجب ورضى عن نفسه وسخط على الناس فمن حمقه أنه هندي وهو يتصب على الفيل
 فقال ما تقول الهند في الحوت الذي يحمل الارض أليس أعم نفعاً وأعلى أمراً قلت
 له يا هالك ان مدار هذا الكلام انما يقع على الاقسام الاربعة من بين جميع الحيوان
 المذكورة في الماء وفي الارض وفي الهواء كالذي ينساح من جميع الحيات والديدان
 كالذي يمشي من الدواب والاس وكالذي يطير من احرار الطير وبغائها وخشاشها
 وهمجها وكالذي يوم كالسمك وكل ما يمايش السمك فأما الحوت الذي يكون على
 وجه الارض فقد علمنا أن في الملائكة من هو أعظم من هذا الحوت مراراً ولو لا
 مكان من قد حضرنا لكان ممن لا يتساهل بالجواب وهذا مقدار معرفته، قالوا والفيل
 أقوى من جميع الحيوان في حمل الاثقال ومن قوة عظمه وعظمه أنه يمر خلف القاعد
 مع عظم بدنه فلا يشمر بوطئه ولا يحس يسيره لاحتمال بعض بدنه لبعض وهذه
 أعجوبة أخرى وليس في حوامل اناث الحيوان أطول مدة حمل من الفيل والكركدن
 فانه مذكور في هذا الباب والفيل يزيد عليه في بعض قوته، فأما الهند ففتنتهم
 بالكركدن أشد من فتنتهم بالفيل فأما ما كان دون ذلك من أجناس الحيوان فأطولها
 حملاً الحافر والخف ولا يزيدان على السنة الا ان تسحب الاثني وتزيد أياماً فأما الظلف
 فلي ضربين فما كان منها من البقر فان مدة حملها وحمل السمكة تسعة أشهر وما كان
 من الغنم فان حملها خمسة أشهر وقد ذكرنا أجناس الحيوان في ذلك فيما سلف من
 كتابنا هذا، قالوا والفيلة هولها في العين واحدوان فتحت ظهورها كالمناظر والمساح
 والارصاد والفيل قتال وضرب وخبط بقوائمه وكانت الاكاسرة ربما قتلت الرجل
 بوطء الفيلة قد دربت على ذلك وعلمته فاذا ألقى اليها الرجل تركت العلف وقصدت
 نحوه فداسته ولذلك أنشد أبو العباس بن يعقوب العامري لناهض بن بوصلة

وحديث الخلوة وأما السمك فأمري إن السمكة التي يقال لها البالسة الفاحشة العظم
 فقد طابنا ذلك عيانا وقتلوه يقينا ولكن أحسب على أن الشأن في الباله على ما
 ذكرتم فهل عرفتم أن فيها من الحس والمعرفة واللقن والحكاية والظرف وحسن المؤاتاة
 وشدة القتال والنصم تحت الملوك وغير ذلك من الخصال كما وجدنا ذلك وأكثرت
 منها في الفيل وهل رغبت في صيدها الملوك واحالت لها التجار أو حث على الظفر
 باجزائها بعض الأطباء وهل تصلح لدواء أو غذاء أو ليس إنما غاية البحريين أن سدوا
 من عيبها نائمة أو غافلة حتى تفرع وتنفق بقرع العصا واصطكاك الخشب وإنما قد منا
 خصال الفيل على خصال الحيوان الذي في كفه ومنقاره من الصنعة العجيبة أو يكون
 فيه من طرف المعرفة وغريب الحس ونفوذ البصر أو بعض ما فيه من الجمال
 والحسن ومن التفاريح ومن النحاسين والوشى والتساوى بالتأليف العجيب والتنضيد
 الغريب وما في خلقه من الاصوات الملهنة والمخارج الموزونة والاغاني الداخلة في
 الايقاع الخارجة من سبيل الخطأ مما يجمع الطرب والشجا ومما يفوق النوايح ويروق
 كل مغن حتى يضرب بحسن تخرجه وشجا مخرجه المثل وحتى يشبه به صوت المزمار
 والوتر، وأما ما يعرف بالسكر والحيل والكيس والروغان وبالفتنة وبالخدمة والرفق
 والتكسب والعلم بما يعنيه والحذر بالمشاورة والصبر على المطاولة مما يعطيه وتأتيه
 لذلك وحذقه وأما بعض ما يكون في طريق الثقافة يوم الثقافة بالمشاورة والصبر على
 المطاولة والقدم والروغان والسكر والجولان ووضع تلك التدابير في موضعها حيث
 لا نرذله طمأنة ولا تخطي له وثبة، وأما بعض ما يعرف بالنظر والعاقبة وبأحكام شأن
 الحال والمعيشة بالاخذ لنفسه والتقدم في حال المهلة والادخار ليوم الحاجة والاجتناس
 التي تدخر لأنفسها يوم المعجز عن الطاب والتكسب فمثل الذرة والتملة والجرد
 والفارة وكنحو العنكبوت والنحل فاذا كان ليس لتفيل الاعظمه وان كان العظم قد
 يدخل في باب من أبواب المفاخرة فلا ينبغي لأحد أن يشاهد به الابدان التي لها
 الخصال ويناضل به ذرات المفاخر العظيمة فما ظنك ببدن قد جمع مع العظم من
 الخصال الشريفة ما يغني الطوامير الكثيرة ويستغرق الجلود الواسعة وقد علمت من أن

الاشفار لجفونها الاعالى الا الانسان فان الاشفار الاعالى والاسافل وكل حيوان ذي صدر فانه ضيق الصدر الا الانسان فانه واسم الصدر وليس شئ من ذكور جميع الحيوان له ندى في صدره الا الانسان والفيل وقال ابن مقبل

وليلة مثل ظهر الفيل غيرها * طلس النجوم اذا اغبر الدياميم
والفيل أضخم حيوان وهو مع ضخمة أملح وأظرف وأخطر وهو يفوق في ذلك كل خفيف الجسم رشيق الطبيعة وانما الحكاية من جميع الحيوان في السكاب والقرد والدب والشاة المكية وليس عند الببغاء الا حكاية صور الاصوات فصار مع غلظه ونخامته أرق ذهنا وأدق طرفا وأظهر طربا فهذا من أعجب العجب وما ظنكم بعظم خلق ربما كان في نابه أكثر من ثلاثمائة من ، فقال من يعارضه قد أجنوا على أن أعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان وحكوا عن عظم بعض الحيات وقد ألحقوه بهما وأكثروا في شأن التنين فليس لكم أن تدعوا للفيل ما ادعيتم ، قال صاحب الهند والمعبر عن خصال الفيل وعلو سمكه وعظم جنرته واتساع صهوته وطول خرطومته وسعة أذنه وكبر غرموله مع خفته وطيشه وطول عمره وثقل حمله وقلة اكترائه لما وضع على ظهره فقد عاين ذلك من الجماعات من لا يستطيع الرد عليهم الا جاهل أو معاند فأما ما ادعيتم من عظم الحية فانه متى مسحنا طولها ونخنها وأخذنا وزنها كانت أكبر من الفيل فانا لم نسمع بهذا الا في أحاديث الرقائين والحوائث وتزبد البحر بن وأما التنين فاما سبيل الايمان فيه سبيل الايمان بمنقاء مغرب وما رأيت مجلسا قط فيه خبر التنين الا وهم ينكرون ويكذبون المخبر عنه الا أنا في الفرط ربما رأينا بعض الشاميين يزعم أن التنين أعصار فيه نار يخرج من قبل البحر في بعض الزمان فلا يمر بشئ الا أحرقه فسمى ذلك ناس التنين ثم جعلوه في صورة حية وأما السرطان فلم نر أحدا قط ذكر أنه عاينه فان كنا الى قول بعض البحر بين نرجع فقد زعم هؤلاء أنهم ربما قربوا الى بعض جزائر البحر وفيها الفياض والادوية واللحائيق وأنهم في بعض ذلك أوقدوا نارا عظيمة فلما وصلت الى ظهر السرطان ساح بهم وبكل ما عليه من النبات حتي لم ينبج منهم الا الشريد وهذا الحديث قد طم على الخرافات والتهورات

الاكثر منها والتجمل منها والتهويل بمكانها عنده ولا يدع ركوبها في الحروب وفي
الاعياد وفي يوم الزينة وكانت عند حمير والتبابعة والمقاوول والصاهلة من ملوكهم
والكيسوم من اولاد الحبشة وعند ملوك سبا مقربة مكرمة يدل على ذلك الاشعار
المعروفة والاخبار الصحيحة وقال الاعشي لما ذكر حضر موت وملوك سبا وسيل
العزم فقال

ففي ذاك المؤتسى اسوة * وما رب عني عليها العزم
رجام بنته لنا حمير * اذا جاء ماؤهم لم يرم
فأردى الحروث وأعيانها * على ساعة ماؤهم قد قسم
وطار الفيول وفيالها * بتياء فيها سراب فطم
وكان العتي مع الحجاج بقاتل ابن الزبير فلما رأى البيت يرمى بالمنجنيق أنشأ يقول
ولم ار جيشاً غر بالجح مثلنا * ولم ار جيشاً مثلنا كلهم خرس
دلفنا لبيت الله نري ستوره * باحجارنا نهب الولا نذل لعرس
دلفناهم يوم الثلاثاء من منى * بجيش كصد الفيل ليس له رأس
فلما فرغ وعاد تنيب مروان وكتب له عبد الملك كتابا الى الحجاج يخبره فيه وفوض
الامر اليه فقال

وقد علمت لو ان العلم ينفعنى * ان انطلاقي الى الحجاج تقرير
مستحقاً صحفاً تدمى طوابعها * وفي الصحائف حيات مناكير
لان رحلت الى الحجاج معتذراً * اني لاحق من تجري به المعير
وكل حيوان في الارض ذو لسان فاصل لسانه الى داخل وطره الى خارج الا الفيل
فان طرف لسانه الى داخل وأصله الى خارج وتقول الهند ان لسان الفيل مقلوب ولولا
أنه مقلوب ثم لقن الكلام تكلم وكل سمك يكون في الماء العذب فان له لسانا
ودماغا الا ما كان منها في الملح فانه ليس لسمك البحر لسان ولا دماغ وكل شئ
يأكل بالضغط دون الابتلاع فانه انما يحرك فكه الاسفل الا التمساح فانه انما يحرك فكه
الاعلى وكل ذى عين من ذوات الاربع والسباع والبهائم الوحشية والاهلية فانما

للحمار والنحويون ينشدون في ذلك قول الشاعر

عاديئنا لآلأت في ثباب * عداوة الجمار للغراب

وذكر أيضاً عداوة البوم للغراب وكذلك عصفور الشوك للحمار وفي هذا كلام كثير وقد ذكرنا بعضه في أول كتابنا من الحيوان ثم رجعنا إلى الاخبار عن الامثال قال وأكيس القوم من يلتمس إلا من بالقتال ما وجد عن القتال مذهبا فانما القتال النفقة فيه من النفس وسائر الاشياء انما النفقة فيها من الاموال فلا يكون قتال البوم من رأيك فانه من يؤا كل الفيل يؤا كل الحين قال فأجابه الجرذ فقال انه رب عداوة باطنة ظاهرها صداقة قال وهي أشد ضرراً من العداوة الظاهرة ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس قال واعلم أن كثيراً من العدو لا يستطاع بالشدة والمكيدة حتي يصاد بالرقي والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الاهلي وقال ان العشب كما رأيت في اللين والضعف وقد يجتمع منه الكثير فيصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل المغتلم، وقالوا يربك أحب إليك وأكرمهم عليك ويربك اكتب الكتاب صاحب سرك والسيف الذي لا يوجد مثله والفيل الابيض الذي لا تلحقه الخيل هو مركبك في القتال ويربك الفيلان العظيمان اللذان يكونان مع الفيل الذكور، وقد سمعنا في هذا الحديث والاخبار عن يوم القادسية ويوم جسر مهران وليس الناطف وجلولا، ويوم نهاوند بالفيل الابقع والفيل الاسود والفيل الابيض والناس لم يروا بالعراق فيلا أو بر ولا فيلا أشعر والفيلة التي كانت مع الفرس حكمها حكم الفيلة التي كانت مع أمير المؤمنين المنصور وعند سائر الخلفاء وكلها معصمة ولم نلق أحداً رآها وحشية قبل ان تصير في القرى والمواضع التي تذكرها فقد علمنا ان الطائر الصيود من الجوارح لو أقام في بلاده مائة عام لم يحدث بمنسره زوائد وعير العانة اذا أقام في غير بلاده احتاج إلى الاخذ من خافره وإلى من يختلف به إلى البيطار والطائر الوحشي من هذه المغنيات والنوائح لو أقامت عندنا دهرًا طويلا لم نسمع صوت اذا أخذناها وقد كبرت وكذلك المزاوجة والتعشيش والتفريخ وكل ملك يصل إلى ان تكون عنده الفيلة فان كان لا بدع

الحيّة ذات الحمة فينزع حتمها ويلعب بها وقال لما أقام الجمل مع الاسد حتى اذا كان ذات يوم توجه الاسد نحو الصيد فلقيه فيل فقاتله قتالا شديداً وأفلت الاسد مثقلاً يسميل دماً قد جرحه الفيل بأنياه فكان لا يستطيع ان يطالب صيداً فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياً لا يجدون ما يعيشون به من فضول الاسد، وقال كيف يرجو اخوانك عندنا كرمنا وأنت قد صنعت بمالكك الذي كرمك وشرفك ما صنعت بل مثلك في ذلك كما قال التاجر ان أرضاً يأكل جردانها مائة من من حديد غير مستنكر أن تحطف بزاتها الفيلة وقال الجرذ للغراب أشد العداوة عداوة الجوهر وعداوة الجوهر عداوتان منها عداوة متجارية كعداوة الفيل والاسد وربما قتل الفيل الاسد وربما قتل الاسد الفيل ومنها عداوة انما ضررها من أحد الجانبين كعداوة ما بيني وبين السنور فان العداوة بيننا ليس ضرراً منى عليه بل ضرراً منه على وقال ان الكريم اذا عثر لم يستعن الا بالكريم كالفيل اذا وحل لم يستخرجه الا الفيلة وسندكر عداوة الشيطان للانسان وعداوة العقرب مخالفة لعداوة الحية وعداوة الذئب والاسد والانسان خلاف عداوة العقرب والحية وعداوة النمر والاسد والنمر مخالفة لجميع ما وصفنا ومسالمة البير للاسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب وشأن الحيات والوزغ خلاف شأن الخنافس والعقارب وعداوة الانسان للانسان خلاف عداوة ذلك كله وابن عرس أشد عداوة للجرذان من السنور وعداوة البعير للبعير والبرذون للبرذون والحمار للحمار شكل واحد وعداوة الذئب للذئب خلاف ذلك والشاة من الذئب أشد فرقا منها من الاسد والنمر والبير وهي أقوى عليهما من الذئب وفرق الدجاج من ابن آوى أشد من فرقها من الثعلب والحمام أشد فرقا من الشاهين منها من الصقر والبازي وأسباب عداوات الناس ضروب منها المشاكاة في الصناعة ومنها التقارب في الجوار ومنها التقارب في النسب والكثرة من أسباب التقاطع في العشيرة والقبيلة والمساكن عدو للمساكن والفقير عدو للثني وكذلك الماشي والراكب وكذلك الفحل لا يخصى وبفضاء السوق موصولة بالملوك وكذلك الوصلة بالمال الرغيب وكذلك الوارث والمرورث ولجميع هذا تفسير ولكنه يطول وذكر صاحب المنطق عداوة الغراب

وقال آخر

باب يري ليس له داخل * الاخر اجمع في الزاوية
ان جئت فالفيل على هامتي * ومثله نيط بأوصاليه

ورأى مرة بن محكان قدرا فقال

ترمي الصلاة بنبل غير طائشة * وقعا اذا آنت من تحتها لها
زرافة مثل جوف الليل محفرة * لم يقذف الرال في حيزومها ذهبا
وقال بعض الاكرياء من امرأة كان حمها بيضا من رفقة عمران الاصم
لا نقل في سنها ولا قصم * بهنكة لو تركب الفيل ورم
كانها يوم توافي بالحرم * غمامة غراء من غب وهم

وقال رؤبة بن العجاج

ان الردافا والسكرى الارقبا * يكفيك رن الفيل حتى تركبا

ثم قال

سعادى الميران حتى أجنيا * شراً معيراً أولياها معربا

ومما قرأه الناس من الأمثال في شأن الفيل التي وجدوها في كتاب كلية ودمنة
فمن ذلك قوله أفلا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه مرارا حتى تاتي له الكسر وان
الفيل المغتلم يعرف قوته وفضله وأذا قدم اليه علفه مكرها لم يأكل حتى يمسح ويتملق
قال وقيل في أعمال ثلاثة لا يستطيعها أحد الا بمعونة من ابداع همة وعظيم خطر منها
عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو قالت العلماء في الرجل الفاضل انه لا ينبغي
ان يرى الا في مكانين ولا يليق به الا أحدهما إما مع الملوك مكرها وأما مع النساك
متبتلا كالفيل انما بهاءه وجماله في مكانين إما في برية وحشيا وأما مركبا للملوك فقد
قيل في أشياء ثلاثة فضل ما بينهما متفاوت فضل المقاتل على المقاتل والفيل على الفيل
والعالم على العالم وقال في كلام آخر فان لم يجمع الحيلة فهو اذا القدر الذي لا بدفع فان
القدر هو الذي يسابب الاسد قوته حتى يدخله التابوت وهو الذي يحمل الرجل
الضعيف على ظهر الفيل المغتلم فيضربه الفيل بأذنه فيهلك وهو الذي يساط الحواء على

الاجناس من الرجال كانت أسرع في الجبل لأنها لا تعدم موافقا لطبعها وإذا حملت ووضعت مرارا بطلت وليس هذا بعجيب لأنهم يزعمون أن صاحب الحصاة إذا أخذ روث الحمار حين يروثه حاراً فمصره وشرب ماءه أنه كثير ما يبول تلك الحصاة وفي روث الحمار أيضاً دواء للضرس المأكول وقال الاصمعي سألت بعض الأكلة ممن كان يقدم على ميسرة التياس كيف تصنع إذا جهدتك الكسطة والعرب تقول إذا كنت بطينا فعد نفسك زمنا فقال أخذ روث حمار حاراً فاعصره واشرب ماءه فاختلف عليه مرارا فلا أثبت أن يلحق بطني بصابي فأشتمى الطعام والمرأة من نساءنا اليوم إذا استحيضت استغت مثقالا من الأثمد لأنها عندهن إذا فعلت ذلك لم تلد وأنا رأيت امرأة فعلت ذلك ثم ولدت وخرء الكلب إذا كان الجعر أبيض اللون وكان غذاء الكلب العظام دون اللحم فهو عجيب لصاحب الذبحة وكذلك رجيع الانسان وخرء الفار يكون شيافا للصبيان يحملونه إذا استوكأ بطن أحدهم وإن كان من خرء الجرذان وكان عظيما كان الواحد منه هو الشياف ويصلح أيضا خرء الكلب لداء الثعلب وهو القرع الذي يمرض لشعر الرأس وخرء الحمام الأحمر يصلح من الهبولات من الرمل والحصاة يفتح منه وزن درهم مع مثله من الدار صيني وقال بعض المحدثين

يا الحية طالت على كونها * كأنها حية جبريل

لو كان ما ينصب من مائها * نهرا إذا طم على النيل

أو كان ما يقطر من دهنها * كيلا لو في ألف قنديل

فلو تراها وهي قد سرحت * حسبتهما نبذا على فيل

وأشد أبو عمرو الشيباني لبعض المولدين

إذا تلاقى الفيول وازدحت * فكيف حال البعوض في الوسط

وقال

وما الفيل أحمله موقراً * رصاصا بأثقل من معبد

ولا فزلى عليه العبيد * طينوء بعداين من إثم

وجاموسة أوقرت زئبقا * بأثقل منه ولا أنكد

يقودهم الفيل والزنبيل * وذو الضرس والشفة المائلة
 الفيل والزنبيل أبان والحكم بنا بشر بن عبد الملك بن مروان وذو الضرس خالد بن
 سلمة الخزومي الخطيب وهو ذو الشفة قتل مع يزيد بن عمرو بن هبيرة فيمن قتل
 وقد فصل خلف بن خليفة الفيل من الزنبيل ولم يقصروا وقد اختلفوا في ذلك وسند كـ
 شبهه ان شاء الله تعالى، وذكر بعض الفيالين ان الفيلة تضع بسبع سنين ولدا مستوي
 الاسنان وانهم يرصدون ذلك الوقت من الوحشية بها ويحتالون في أخذ الولد وان
 ذلك الولد يعيش فيهم في أيديهم ما بين الثمانين سنة الى المائة وان عمر الوحشية أطول
 وان كل شيء منها اليوم بالمسكر إناث وان الموت بالعراق الى الذكورة أسرع وان
 نابه لا يطول عندنا وانهم يعملون من جلودها الترسه أجود من جلود الجواميس
 ومن الحيوان من الدرق والجحف التي تتخذ من جلود الابل ومن هذه المعقبه ومن
 جميع ما يؤلف من أنواع الخشب والجلود التي قد أطيل انقاعها في اللبن ومن كل
 شيء رصين وذكر ان لها مروجاً وان المروج أصاح لها من القري ومواضعها من
 الوحش أصاح لها من المروج وذكر رسول لي الى سائسها انه قد أتبعها الى دجلة
 وان بعض الفوغاء صاحبها يا حجام بابك وهذا الكلام اليوم ظاهر على السنة الجهال وان
 فيلا منها ركله يركله ركلة صك بها الحائط حتى خيف عليه منها وانه رأى منها
 الانكار لذلك القول وان الفيال كان يحتملها على الانتقام لما صاحب بها واذا عرف الكلب
 اسمه وكذلك السنور وكذلك الشاة والفرس والطفل والمجنون المصمت الجنون
 وعرفت الناقة ما بين حمل وحام وعرف الحمار الصوت الذي يلمس به وفوفه والذي
 يلمس به سيره وعرف الكلب مخاطبة الكلاب والبيغاء مناغاة المتكلم له بخائر ان
 يكون الفيل بفضل فطنته يفهم اضعاف ذلك فاذا أمره بضرب انسان عند ضرب
 من الكلام استماد وأدامه لم ينكر ان يعرفه على طول الترداد، قالوا واذا حملت المرأة
 شيئاً من نجو الفيل بعد ان تخلط به شيئاً من عسل فانها لا تحمل أبداً قالوا وما يؤكده
 ذلك انك لو علقت على شجرة من نجوه شيئاً ان تلك الشجرة لا تحمل في تلك السنة
 قالوا وزواني الهند يفهمان ذلك استبقاء للطراق ولانها اذا كانت موفوفة على جميع

وسنخبر عن تقرير مافي هذه الفصيذة مفرقا اذ لم تقدر عليه مجموعا متصلا ولوا ممكن
ذلك لكان احسن للكتاب وأوضح وأفهم لمعناه

﴿ باب ما يدخل في ذكر الفيل وفيه اخلاط ﴾

قال رؤبة في صفة الفيل

أجرد كالخصن طويل النابين * مشرف للحي صغير العينين

* عليه أذنان كفضل الثوبين *

وأنشد ابن الاعرابي

هو البعوضة اذ كلفته كرما * والفيل في كل أمر أصله لوم

وقال اعرابي ووصف امرأة له

* لوأكلت فيلين لم تخش البشم *

وقال الاعرابي يصف الاكرياء

لو تركب البخني ميلا انحطم * أو تركب الفيل نهي الفيل ورم

وحمل ناس أبا الحلال الهداهدي الفيل أيام الحجاج فتمنع وانشأ يقول

أأركب شيطانا ومسحنا وهضبة * واسلم اني قبل ذلك فعلى

فقالوا له لو علوته ما كان عندك الا كالبغل فلما علاه صاح الارض الارض فلما خافوا ان

يرى بنفسه وهو شيخ كبير أنزلوه فقال بعد ذلك في كلمة له

وما كان تحتي يوم ذلك بفلة * ولكن تحتي من رفيع السحاب

وقال بعض الملاحين في بعض النساء

أرادت مرة بيتا * لها فيه تمايل

فلما أبصرت سترا * لوجهيه تهاويل

وفيه الفيل منقوشا * وفي مشفره طول

قالت انزعوا الستر * لا ياكفى الفيل

وقال خلف بن خليفة الاقطع حين ذكر الاشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة

وقامت قرش قرش البطا * ح هي القضب الاول الداخلة

ويخضع لايث الدين * بان ناسب الهرمن رأس ميل
 ويمصف بالبر بمد النور * كما تمصف الريح بالعندبيل
 وشخص ترى يده أنفه * فان وصفوه بسيف ثقيل
 وأقبل كالطود هادي الخميس * بهول شديد امام الرعيل
 ومربسـيل كسـيل الاتي * بخطو خفيف وجرم ثقيل
 فان سمته ذاك في هوله * شناعة اذنين في رأس غول
 وقد كنت اعددت هـراله * ثـقـيـل التثـبـت للزـنـدبـيـل
 فلما أحس به في العجاج * أنا الاله بفتح جـيـل
 * فطار وراغم فياله * بقلب نجيب وجسم نبيل
 فسبحان خالقه وحده * اله الانام ورب الفيـول

وذكر صفوان بن صفوان ان هارون هذا جاء معه هر تحت حصنه ومشي بسيفه الى
 الفيل وفي خرطومـه السيف والفيالون يذـمـرونـه فلما ذنى منه رمى بالهرق وجهـه
 فادبر هاربا وتساقط كل من كان فوقه وكبر المسلمون وكان ذلك سبب الهزيمة وذكر
 الهر في هذا الشعر كما كتبتـه لك وأما قوله

* بحلم يحـل عن الخـشـنـبـيـل *

فقد قال الانصاري في صفة النحل

تمص العشـايا ذناباتها * وفي مدر الارض عنـها فصول

ويشبعها المص مص الثرى * اذا جاءت الشاة والخشـنـبـيـل

وهذا غير قوله قد علمت جارية عطبول * انى بنصل السيف خشـنـبـيـل

وأما العندبيل فهو طائر صغير جدا ولذلك قال الشاعر

وما كان يوم الريح أول طائر * يروع كروع العندبيل الى الوكر

لان الريح تمصف به من صفـه فهو يعرف ذلك من نفسه فاذا فويت الريح دخل

جـحـره ويقولون عند لـيـب وعندبـيـل وكل صواب ولذلك قال هارون

ويمصف بالبر بمد النور * كما تمصف الريح بالعندبـيـل

مقاتله وموضع سلاحه وعن أدوائه ودوائه وعن القول في أنيابه وسائر أسنانه وسائر
عظامه وفرق ما بين عظامه وغظام غيره وعن مواضع عجزه وقوته والقول في البانها
وضروعها وعدد أخلافها وأما كن ذلك منها وعن سياحتها ومشيتها وحضرها وسرعتها
وخفة وطئها وابن ظهورها والذاذ را كبها وعن ثبات خفها في الوحل والرمل وفي الحدر
والصعداء وعن أمن را كبها من العثار وكيف احتيا لها عند احتياجها واغتلامها وعن
سكونها وانقضاء هيجانها عند حملها وعن طربها وطاعتها لسواها وفهمها لما يراد منها
وكيف حدة نظرها والفهم الذي يرى في ظرفها مع الوقار والنبيل والاطراق والسكون
ولو اجتمعت الملوك عربها وعجمها وأحمرها واسودها على اقتنائها والذين بها والفخر
بكثره مانها لهم منها حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا وأشرف الا لطاف حتى صار
اتخاذها مروءة وعتاداً وعدة ودليلاً على أن يقتنيها صاحب حرب وفي تفضيل الفيل على
مخضال البعير وفي أي مكان يكون أنفع للحرب من الفرس وأصبر عند القتال من النمر
واقول الاسد من الجاموس واكلب من البير اذا تعرض واشد من الكركدن اذا اغتلم
حتى لا يلفه مقدار ما يكون من تماسيح النيل وعقبان المهوء واسد الفياض وقد
جمع هارون مولى الازد الذي كان يزد على الكميث ويفخر بتحقطان وكان شاعرا
مولدا ولا عرف من شأنه وصناعته وقد قال في صفات الفيل أشعاراً كثيرة ذكرتها
في ما قدمنا ذكره فن ذلك قوله

أليس عجيباً بأن خلقه * له فطن الانس في جرم فيل

وأشد هذا البيت صفوان بن صفوان الانصاري وكان من رواة داود بن مزيد

أليس عجيباً بأن خلقه * له فطن الانس في جرم فيل

واكرم من شدة ذوات * بحلم يحل عن الخشبيل

روا نص مختلف خلقه * طويل النيوب قصير النعيل

ويلقى المدو بناب عظيم * وجوف رحيب وصوت ضئيل

وأشبهه شيء اذا قسمته * بخنزير بروجاموس غيل

تسارعه كل ذي أربع * فما في الانام له من عديل

في خفياء لم يكده يمتنع عليه مادونه اذا قاس بعض أمره على بعض وأجناس الحيوان
 يعلم بعضها علما ويصنع بكفه صنعة يفوق بها الناس ولا يهتدى الى ما هو دون الذي
 يدركه عليه وأنا اذا كر ان شاء الله ما جاء في الفيلة من عجيب التركيب وغريب التأليف
 المعارف الصحيحة والاحساس اللطيفة وفي قبولها التثقيف والتأديب وسرعتها
 في التلقين والتفويج وما جاء في أبدانها من الاعضاء الكريمة والاجزاء الشريفة وكم
 مقدار منافعها ومبلغ مضارها وبكم فضلت أجناس الحيوان وفاتت تلك الاجناس
 ما جعل الله تعالى فيها من الآيات والبرهانات والعلامات النيرات التي جلاها لعيون
 خلقه وعرف بينها وبين عقول عباده وقيدها عليهم وحفظها لهم من الادلة ويزيدهم
 بوضوح الحجة ويسخرهم لتمام النعمة وما ذكرها الله بها في الحديث الناطق والخبر
 صادق وفي الآثار المعروفة والامثال المضروبة والتجارب الصحيحة وما قالت فيها الشعراء
 فطقت به الخطباء وميزته العلماء وعجبت منها الحكماء وحالها عند الملوك وموضع نفعا
 عند الحروب ومهابتها في العيون وجلالتها في الصدور وفي طول أعمارها وقوة أبدانها
 في اعتزامها وتصميمها واخفارها وشدة اكتراثها وطلبها بطوائفها وارتداعها عن ملك
 سقاط والحشوة وعن اقتناء الاندال والسفلة وعن ارتخائها في الثمن وارتباطها على الخسف
 ابتذالها واذالتها وعن امتناع طبائنها وتنوع غواثرها ان تصلح أبدانها وثبت أنيابها
 تعظم جوارحها وتتسافد وتتلافح الا في معادنها وبلادها وفي منابها ومغارس أعرافها
 مع التماس الملوك ذلك منها حتى أعجزت الحيل وخرجت عن الطبع وعن الاخبار عن
 قلمها ووضعها ومواضع أعضائها والذي خالفت فيه الاشكال الأربعة التي تحيط بالجميع
 ما ينساح أو يعوم أو يمشي أو يطير وجميع ما ينتقل عن أولية خلقه وما يسبق على الطبائع
 الاول من صورته أو عما يتنازع من شبه الحيوان أو ما يخالف فيه جميع الحيوان وعن
 لقول في شدة قلبه وأسرده وفي جرأته على ما هو أعظم بدنا وأشد كلبا واحدا ظفارا واذرب
 أنيابا ونقرته مما هو أصغر منه جرما وأكل حذاء وأضف أسرا وأخمل ذكرآ وعن الاخبار
 من خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه
 وعظمه وبوله ونجوه ودن لسانه وفيه وعن أذنه وعينه وعن خرطومه وغرموله وعن

وقال صاحب المنطق نسل الاسد يقل لانه يجرح الرحم فيعقم قالوا والفيلة تضع في سبع سنين وأقل الخلق عددا وذراً الكركدن لان الانثى تكون نزوراً وأيام حملها كثيرة وهي من الحيوان الذي لا يلد الا واحداً وكذلك عظام الحيوان وهي مع ذلك تأكل أولادها ولا يكاد يسلم منها الا القليل لان الولد يخرج سوياً نابت الاسنان والقرن شديد الحافر

ما جاء في الفيلة من عجيب التركيب وغريب التأليف في المعارف الصحيحة والاحساس اللطيفة وفي قبولها النثيف والتأديب وسرعتها الى التلقين والتقويم وما جاء في أبدانها من الاعضاء الكريمة والاجزاء الشريفة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة ونسأله التأييد والعصمة ونعوذ به من كل سبب جانب الطاعة ودعا الى المعصية أنه قريب عجيب فعال لما يريد، قد قلنا في أول هذا الجزء من القول في الحيوان في احساس أجناسها المجمولة منها وفي صفاتها المطبوعة عليها وفي أعاجيب مراكبت عليه من الدفع عن أنفسها والتقدم فيما يحببها وفي تحصينها عواقب أمورها وكلما خوفت من حوادث المكروه عليها بقدر ما ينوبها من الآفات ويمتريها من الحادثات وأنها تدرك ذلك بالطبع من غير روية وبحس النفس من غير فكرة ليعتبر معتبر ويفكر مفكر ولينفي عن نفسه العجب ويعرف مقداره من العجز ونهاية قوته ومبلغ نفاذ بصره وأنه مخلوق مدبر ومصرف وميسر وان الاعجم من أجناس الحيوان والاخرس من تلك الاشكال يبلغ في تدبير معيشته ومصلحة شأنه وفي كل ما هو بسبيله ما لا يبلغه ذوار روية التامة والمنطق البليغ وان منها ما يكون ألطف مدخلا وارق مسلكا واصنع كفا وأجود حنجرة وأطبع على الاصوات الموزونة وأقوم في حفظ ما يعيشه طريقة الا ان ذلك منها مفترق غير مجموع ومنقطع غير منظم والانسان ذو العقل والاستطاعة والتصرف والروية اذا علم علما غامضا وأدرك

ولا يحضن اتسع عليه مطاب الرزق من الحبوب وأصول الشجر وجعلها بيض ثلاثين بيضة وأكثر بيضها كبار وليس في طاقتها ان تشتمل وتجنم على القليل منها وكذلك الحية تضع ثلاثين بيضة ولها ثلاثون ضالعا وبيضها واضلاعا عدد أيام الشهر ولذلك قويت اصلاها لكثرة عدد الاضلاع وحمل عليها في الحضن بعد الحضن اذ كانت لا ترضع والطائر الذي يلثم فرخه يكون أقوى من الطائر الزاق وكذلك من البهائم المرضعة ولما كانت المصافير تصيد الجراد والنمل والارضة اذا طارت وتأكل كل الحب واللحم وكانت مع هذا تلثم لم تكثر من البيض كتكثير الدجاج ولم تقل كتقليل الحمام والمصافير فيها زواج وكذلك النعام وليس في شيء من ذوات الاربع زواج وانما الزوج للتي تمشي على رجلين كالانسان والطير والنعام وليس في الطير بالعام وهو في الحمام من هذه المغنيات والنوائح عام وسبيل الحجل والفتح سبيل الديكة والدجاج والدجاجة تمكن كل ديك والديك يثب على كل دجاجة وربما غير الذكر حياته كلها لا يقيمط غير انشاه وكذلك الانثى لا تدعو الا زوجها وربما أمكنت وفي الحمام في هذا الباب من الاختلاف ما في النساء والرجال واما السفنتين فانه لا يقيمط غير انشاه وان هلك الانثى لم يزواج أبداً وكذلك الانثى للذكر فأما العلة في وضع القطا بيضها اقرادا وخروج البيضة من جهة أوسع الرأسين واستدارة بيض الرق واستطالة بيض الحيات وما يكون منها ارقط وأخضر وأصفر وأبيض واسود فاني لم أرى لهم بذلك جواباً فأحكيه لك قالوا انما يعظم البيض على قدر جثة البياضة وبيض الابكار أصغر فأما كثرة العدد فقالوا إنه كلما كان أكثر سفاداً كان أكثر عدداً وليس الامر كذلك لان العصفور رأ أكثر سفاداً من أجناس كثيرة هي أقل بيضا منها والجراد والسماك لاحضن ولازق ولا رضاع ولا لثم عليهن خفن جمل الفراخ كثيرة العدد وكانت الامهات والآباء عاجزة عنها لم يجعلها محتاجة الى الامهات والآباء فنقمهم هذا التدبير اللطيف والحكمة البالغة قالوا والاقل في ذلك البازي والاكثر في الذر والسماك قال الشاعر

بغات الطير أكثرها فراخا * وأم الصقر مقالة نزور

الدساس منها فانها تلد ولا تبيض ولا ترضع ولا تلقم والخفاش تلد ولا تبيض وترضع
 وهذا مختلف والدجاج والحجل والقطا وأشباه ذلك من الدارايح وغيرها أفاعيصها
 في الارض والحمام منها طورى جبلى ومنها ألوف أهلى فالجبلى تبيض في أوكار لها في
 عرض مقاطع الجبال والاهلى منها يبيض في البيوت والمصافير في بيوتها في أصول
 أجذاع السقف والخطاطيف تتخذ بيوتها في باطن البيوت في أوساطه وأمنعه والرخم
 لا تبيض من الجبال الا في الوحشى منها ومن أبعدها والا في اسحقها وأبعدها عن
 مواضع أعدائها ثم من الهضبات الا في صدوع صخورها ولذلك يضرب بامتناع
 بيضها المثل وأما الرق والضفدع والساحفة والنساح وهذه الدواب المائية فانها تبيض
 في الأرض وتحضن وأما السراطين فان لها بيوتا في عرض شطوط الانهار والسواقي
 تنملى مرة ماء وتخلو مرة ومن الحيوان ما لا يجثم كالضبة فانها لا تجثم على بيضها
 ولكنها تغطيه بالتراب وتنتظر أيام انصداعها فاذا كان موضع الفراخ والبيض من
 القطا وأشباه القطا فهو أخوصه واذا كان من الطير الذي يهيئ ذلك المجثم من
 العيدان والريش والحشيش فهو عش واذا كان من الظليم فهو ادحى يذكرك ذلك أبو
 عبيدة والاصمى وكلها وكور ووكون ووكنات ووكرات فالتى تبيض الكثير من
 البيض لا يجوزه شيء في الكثرة السمك ثم الجراد ثم العقارب ثم الضبة لان السمك
 لا تزق ولا تلقم ولا تلعم ولا تحضن ولا ترضع خين كانت كذلك كثر الله تعالى
 ذريها وعدد نسلها فكان ذلك على خلاف شأن الحمام الذى يزواج أصناف الحمام
 ومثل المصافير والنعام فانها لا تزواج فلما الحمام فلما جملة الله يزق ويحضن ويحتاج الى
 ما ينفذ به ولده ويحتاج الى الزق وهو ضرب من التيء وفيه عليها وهن شديد ولذلك
 لا يرحل اذا كان زاقا فلما كان كذلك لم يحمل عليها أكثر من فرخين وبيضتين ولما
 كانت الدجاجة تحضن ولا تزق وهى تأكل الحب وكل مادب ودرج زاد الله
 في بيضها وعدد فراريحها ولم يحمل ذلك في عدد أولاد السمك والعقارب والضباب
 التى لا تحضن البتة ولا تزق ولا تلقم ولما جعل الله أولاد الضب لها معاشا زاد في عدد
 بيضها وفراخها وصار ما يسلم كثيرا غير متجاوز للقدر وكذلك الظليم لما كان لا يزق

والبعوض وأجناس الهمج انهما من الطير وضعا لا قدرها عن المدار ما يسمى طيرا
فاللائكة تطير ولا يسمونها طيرا لرفع اقدارها عن الطير ولا تسمى طيرا لموضع
اقدارها عن الطير وفي الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد قول أمية بن أبي الصلت
رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للآخرى وليث موصل

فقال صدق وقوله نسر يعني في صورة نسر لان الملك لا يقال له نسر ولا صقر ولا
عقاب ولا باز، وذكروا ان غراب نوح وحمامة نوح وهدى سليمان والنحل والدراج
وما جاء في الاثر في الديك الذي يكون في السماء وقال الناس غراب نوح وهدى
سليمان وحمامة نوح ورووا في الخطاف والصرد ولا نعرف شيئا من الحيوان أشرف
اسما من الخليل والطير لانهم يقولون فرس جواد وفرس كريم وفرس عتيق وفرس
رائع وقالوا في الطير لذوات المخالب المعقفة والمناسر المحذبة أحرار ومصرحات وعتاق
وكواسب وجوارح وقال لبيد بن ربيعة

فانتضلنا وابن سلمى قاعد * كعتيق الطير يفضي ويجل

وقال الشاعر

حر صنعهنا لتحسن كفه * عمل الرقيقة واستلاب الاخرق
ولولا انا قد ذكرنا شأن الهدى والغراب والنمل وما ذكرها به القرآن والخصال
التي فيها من المعارف حق القول والعمل لذكرناه في هذا الموضع وقال أمية بن
أبي الصلت

فاسمع لسان الله كيف شكوله * عجب وبذك الذي تستشده

والوحش والانعام كيف لغاتها * والعلم يقسم بينهم ويبده

وقال الله عز وجل نخبرا عن سليمان يا أيها الناس علمنا منطق الطير وقال الشاعر
باليلة لي بحوار بن ساهرة * حتى تكلم في الصبح العصفير

وقال الشاعر

وئنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخرب بعد ما تكلا

وقال الهميت

الزوضة والغبيضة فيعرف ما ينفعه من النبات وما هو سم عليه خاصة وما يخرج من
الحالتين جميعاً ومن الغذاء ما يريد في حال أخرى كالحمض والخلة ومنه ما ينفعه غير
جنسه فهو لا يقربه وإن كان ليس بقاتل ولا معطب فمن تلك الاجناس ما تعرفه برؤية
العين دون الشم ومنها ما لا تعرفه حتى تشمه وقد تغلط في البش فأنك كصنع
الحافر في الدفلى والثافة تعرف قولهم حل والجمل يعرف قولهم حاه قال الراجز وهو
يحقق رجلا هجاه

يقول للثافة قولاً للجمل * يقول حاه ثم يشنيه بحل

ومما فضلت به السباع على بنى آدم ان الله جعل في طباع اناث السباع والبهائم
من الوحشية والاهلية في رفع الابن وارساله عند حضور الولد والمرأة لا تقدر ان تدر
على ولدها وترفع ولدها في صدرها اذا كان ذلك القرب منها الغير ولدها والذي أعطى
الله البهائم من ذلك مثل ما تعرف به المعنى وتوهمه اعلم ان الله تعالى قد قدر الانسان على
أن يحبس بوله وغائطه الى مقدار وان يخرجهما ما لم تكن هناك علة من حصر وامر
وانما يخرج منه بوله ورجيه بالارادة والتوجه والتهيؤ لذلك وقد جعل الله حبسه واخرجه
وتأخيره وتقديمه على ما فسرنا فى هذا الطريق اناث السباع والبهائم في رفع الابن
وارساله وقد قال الله جل ثناؤه وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون فالكلمة فى الحشر مطلة
ومرسلة غير مستثنى منها فأوجب فى العموم الخير على الشر والطير أكثر الخلق
والحديث ان أكثر الخلق الجراد ومن العقارب طيارة قاتلة وزعم صاحب المنطق
أن بالحبشة حيات لها أجنحة وأشياء كثيرة تطير بعد ان لم تكن طيارة مثل الدعاميص
والنمل والارضة والجملان والجراد تنتقل فى حالات قبل نبات الاجنحة قالوا وحين
عظم الله شان جعفر بن أبى طالب خلق له جناحان يطير بهما فى الجنة كانه تعالى
الحق به الملائكة فى بعض الوجوه وذكر الله الملائكة فقال أولى أجنحة مثني
وثلاث ورباع ولا يقال للملائكة طير ولا يقال انها من الطير رفعا لافادارها ولا يقال
للنمل والدعاميص والجملان والارضة اذا طارت من الطير كذلك لا يقال للجرجس

للجردان وحمل تلك الدابة للفرقي حتى تؤديهم الى الساحل والسمكة شديدة البدن وكذلك الحية وكل شئ لا يستعين بيد ولا رجل ولا جناح وانما يستعمل اجزاء بدنه مما فانه يكون شديد البدن ، وخبرني بعض الصيادين ان الشبوط تنهى الى التحيز الى الشبكة فلا نستطيع النفوذ منها فتعلم انها لا ينجبها الا الوثوب فتأخر قدر قاب ربح ثم تأخر جامعة بمجراميزها حتى تذب فربما كان ارتفاع وثبتها في الهواء أكثر من عشرة أذرع وانما اعتمدت على ما وصفنا وهذا العمل أكثر مارووه من معرفتها وليس لها في المعرفة نصيب مذكور وأنواع من السمك يفوص في الطين وذلك أنها تسبح وتنفس في جوفه وتلزم أصول النبات اذا لم يرتفع وتلمس الطم والسفاد ونحن لم نر قط في بطن دجلة والفرات وجميع الاودية والانهار عند نضوب الماء وانكشف الارض وظهور الطين وعند الجزر والنقصان في الماء في مواخر الصيف وما نأمن مجاورة الابله جحراً قط فضلاً عما يقولون أن لها في بطون الانهار بيوتا ورأيت عجباً آخر وهو أني في طول مادخلت البراري ودخلت البلدان في صحاري جزيرة العرب والروم والشام والجزيرة وغير ذلك وما أعلم اني رأيت على لقم طريق أو جادة أوسرك مصافت ذلك وأنا جارية الطرق وأمعت في البراري وضربت الى المواضع الوحشية وما أكثر ما أرى الجحرة ولكني لم أر شيئاً يسم الثعلب وابن آوى فضلاً عن هذه الوحوش الكبار مما هو مذكور بالنواج والوجار وبالكناس والعربن وجحر الضب يسمى عرينه او هو غير العربن الذي يضاف الى الشجر واما حفظ الحياة والبصر بالكسب والاحتباس من العدو والاستعداد بالحيل فكما أعد الضب واليربوع والفهد اذا سمن عرف أنه مطلوب وان حر كنه قد ثقلت فهو يخفي نفسه بجمده حتى ينقضي ذلك الزمان الذي تسمن فيه الفهود ويعلم ان رائحة بدنه شبيهة الى الاسد فهي لا تمكاد تكون على حلاوة الريح والايل ينصل قرنه في كل عام فيصير كالاجم فاذا كان ذلك الزمان استخفي وهرب وكمن فاذا شب قرنه عرضه للريح والشمس في الموضع الممتنع ولا يظهر حتى يصاب قرنه ويصير سلاحاً يمتنع به وقرنه مصمت وليس في جوفه تجويف ولا هو مصمت الا على أجوف الاسفل والبعر يدخل

وقال بشر أخو بشار وكانوا ثلاثة واحد حنفي وواحد سدوسي وبشار عقيلي وإنما نزل في بني عقيل لمكان أخيه وقد كان قيل لأخيه لو خيرك الله أن تكون شيثا من الحيوان أي شيء كنت تتمني أن تكون قال عقاب قيل ولم تمنيت ذلك قال لأنها بيت حيث لا ينالها سبع ذو أربع ونجيد عنها سباع الطير وهي لا تمناني الصيد إلا في الفرط ولكنها تسلب كل صيود صيده وإذا رآها الجامع صاحب الصقر وصاحب الشاهين وصاحب البازي فهي لا تحمل على نفسها في الكسب وإن كانت فوق كل شيء وإن شاءت كانت بقرب كل شيء وتتعدى بالعراق وتتغشى باليمن وريشها الذي عليها هو فروها في الشتاء وخيشها في الصيف وهي أبصر خلق الله هذا قول صاحب المنطق في عقوق العقاب وجفائها بأولادها فأما أشعار العرب فهي تدل على خلاف ذلك قال دريد بن الصمة

وكل لجوج في العناق كأنها * إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر

لها ناهد في الوكر قد مهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عافر

والحيوان المحقق الرخمة والخباري قال عثمان بن عفان رضي الله عنه كل يحب ولده حتى الخباري وأثنى الذئب وهي تسمى جهيرة والضبع والنعجة والبقر هذه من الموصوفات بالموق قال آخر ومن الحيوان من ليس عنده إلا الجمال والحسن وكذلك التدرج مع جماله وحسنه وعجيب وشبه والزرافة وهي أيضاً موصوفة بالموق وليس عندها إلا ظرافة الصورة وغرابة التاج وهي من الخلق العجيب مواضع الأعضاء ويتنازعها أشباه كثيرة والفيل عجب ظريف ولكنه قبيح سمج وهو في ذلك بهي والمين لا تكرهه والخنزير قبيح سمج والمين تكرهه والقرد قبيح مليح وعند البيهقي والمكاء والعندليب وابن نمرة مع صغر أجرامها ولطافة شخصها وضئف أمرها من المعرفة والكيش والفطنة والخبث ما ليس عند الزرافة والطاووس ، والبيهقي عجب الأثر ويقولون عند ليب وهو أصفر الطير فأما الاجناس المائية من أصناف السمك والاجناس التي تعاشر السمك فإن جماعتها موصوفة بالجهل والموق وقلة المعرفة وليس فيها خلق مذكور ولا خصلة من خصال الفطن إلا كنعو مايروى من صيد الجري

أيدينا منها الا التعجب والتعجب فسألت بعد ذلك مشايخ الاكرة فزعموا أنها تلتقطه من زبد الممدود فلا يدري أمن نفس الزبد تأخذ أم من شيء يكون في الزبد والذي عرف الزنابير مواضع تلك الاجزاء ودلها على ذلك الجوهر هو الذي علم العنكبوت ذلك النسيج وقد قال الشاعر

كان نفا هارون اذ يعلمونه * قفاعة عنكبوت سل من دبرها غزل

وقد قال بلا علم واما دودة القز فلا نشك أنها تخرجه من جوفها، وتزعم الاطباء أنهم استفادوا معرفة الحقنة من قبل الطائر الذي اذا أصابه الحصر أتى البحر فأخذ بمنقاره من الماء المالح ثم استدخله فمجه في جوفه وأمكنه ذلك بطول العنق والمنقار فاذا فعل ذلك ذرق فاستراح والقنفذ وابن عرس اذا ناهشا الافاعي والحيات الكبار تعالجا بأكل الصقر البري والعقاب اذا اشتكت كبدها من رفعها الارنب والتملب في الهواء وحطها لها سرارا فانها لاتأكل الا من الكباد حتى تبرأ من وجع كبدها واذا جمع بمض أهل العبت وبعض أهل النجربة بين العقرب وبين الفارة في إناء زجاج ليس عند الفارة حيلة أبلغ من قرص ابرة العقرب فلما أن تموت من ساعتها واما ان تمجول السلامة منها ثم تقتلها كيف شاءت وتأكلها كيف أحببت قال ومن علم الذرة أنها تلتقي الحبة وتأكل موضع القطمير لثلاث نبت فتنفسد واذا أخذت الحبة من حبة الكزبرة فلقنها انصافا فلم ترض حتى تلتقها ارباعا لان الكزبرة من بين جميع البرزور تبت وان كانت انصافا وهذا علم غامض اذا عرفه الشيخ الفلاح الحرجب والفاشكار الرئيس والا كار الحاذق فقد بلغوا النهاية في الرياضة وقال جالينوس ومن علم الدب الاثنى اذا وضعت ولدها ان ترفعه في الهواء أياما تهرب به من الذر وللمل لانها تضعه كجذوة من لحم غير متميز الجوارح فهي تخاف عليه الذر وذلك له حنف فلا تزال رافعة له وراصدة وتفقدته وتحوله من موضع الى موضع حتى يشند وتفترج أعضاؤه وقال بشار الاعمى

اما الجياد فكل الناس يحفظها * وفي المعيشة أشياء منا كير
وكل قسم فله عقبان أكثره * والحظ شيء عليه الدهر مقصور

الا ما يظهر فقط وزعم حباب بن حسان القاضي انه احصى في قرية النساء المختونات
 والمبظرات فوجد أكثر المغائف مستوعبات وأكثر الفواجر مبظرات وان نساء الروم
 والهند وفارس انما صار الزنا وطلب الرجال فيهم أعم لان شهوتهم للرجال أكثر ولذلك
 اتخذ الهند دوراً لازواني قالوا وليس لذلك علة الا افارة البظر والقلقة والهند توافق
 العرب في كل شيء الا في ختان النساء والرجال ودعاهم الى ذلك تعمقهم في توفير
 حفظ البهائم قالوا ولذلك اتخذوا الادوية وكتبوا في صناعة البهائم كتباً ودرسوها
 الاولاد قالوا ومن أكثر ما يدعو النساء الى السحق اذا الصقن ووضع محز الختان
 وجدن هناك لذة عجيبة وكلما كان ذلك منها أوفر كان السحق الذ قال ولذلك صار
 حذاق الرجال يضمعون أطراف الكمر ويعتمدون بها على محز الختان لان هناك مجتمع
 الشهوة ومن هذا الباب الذي ذكرنا فيه صدق احساس الحيوان ثم اللاني يضاف
 منها الى الموق وينسب الى الغباوة قال دارد النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم في الزبور
 شوق الى المسيح مثل الابل اذا أكل الحيات فاعتراه العطش الشديد فكيف تراه
 يدور حول الماء ويحجزه من الشرب علمه بأن ذلك عطشه لان السموم حينئذ تجري
 مع الماء وتدخل مداخل لم يكن ليلفها الطعام نفسه وليس علمي بهذا علماً عن تجربة
 متقدمة بل هكذا يوجد في أول ما يأكل الحيات وفي آخرها وربما اصطيد الابل
 فيجد القناص رؤس الافاعي وسائر الحيات ناشبة الاسنان في عنقه وجلد وجهه لانه
 يريد أكلها فربما بدرته الافعى والاسود وغيرهما من الحيات فتعضه وهو يأكلها وياً كل
 ما ينال منها بالعض فتبقى الرؤس مع الاعناق معلقة عليه الى أن تنقطع وقال ابن
 الككبي قال الشرقي بن القطامي ذات يوم رأيتم لو فكر رجل منكم عمره الاطول
 في ان يتعرف الشيء الذي تتخذ الزناير بيوتها المحذقة بمثل المجالس المستوية في الافدار
 المتعاجزة بالحيطان السخيفة في المنظر الخفيفة في الحمل المستديرة المضمر بعضها ببعض
 المتقاربة الاجزاء وهي البيوت التي تعلم انها بنيت من جوهر واحد وكنها من ورق
 أطباق صفار الكاغد المزرة قولوا الى كيف جمعته ومن أي شيء أخذته وهو لا يشبه
 البناء ولا النسيج ولا الخياطة ولم يفسر ابن الككبي والشرقي في ذلك شيئاً فلم يصرفي

مكان أولاد أرباب السفن تهاوتوا ولكل شئ قدر وله موضع وزمان وجهة وعادة
 فاذا استوى قصب ريش العقاب وأحس بالقوة طار وأبوا فرخ الخطاف بسلامه الطيران
 تعلما ، وزعم ناس من أطباء النصاري وهم أعداء اليهود أنهم يختنون أولادهم في اليوم
 الثامن وإن ذلك نفع وبوافق أن يكون في الصميمين كما وافق الفصاين وأنهم لم يروا قط
 يهوديا أصابه مكروه من قبل الختان وأنهم قد رأوا من أولاد المسلمين والنصارى
 ممن لا يحصى من اتى من المكروه في ختانه أن كان ذلك في الصميمين من ربح الحرة
 ومن قطع طرف الكمرة ومن أن تكون الموسى حذبة العهد بالاحداد وسقى الماء
 فيسقط ذلك الكمرة ويعتريها برص وبظن أن ابن ثمانية أيام أعسر من الفلام الذي
 قد شب وشدن وقوى إلا أن ذلك برص لا يتقشر ولا يعدو مكانه كنعو البرص
 الذي يكون من الكى واحراق النار فانهما يفحشان وإن كانا لا ينبتان ، ويختن من
 أولاد السفلة والفقراء فيؤمن عليهم خطأ الختان وذلك غير مأمون على أولاد الملوك
 وأشباه الملوك بفرط الاجتهاد والاحتياط ومع ذلك يزيع ومع الزيع والردة يقع
 الخطأ وعلى قدر الاحتياط اليه ينال القلب من الاضطراب على حسب ذلك وليس من
 التدبير أن يحضر الصبي والختان الاسفلة الخدم ولا يحضره من يهاب وهذا الختان
 في العرب في النساء والرجال من لدن ابراهيم وهاجر الي يومنا هذا ثم لم يولد صبي
 يختنون قط أو في صورة يختنون وناس يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم
 ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية الصحيحة قال والبطراء نجد من
 اللذة ما لا يجده المختونة فإن كانت مستأصلة مستوعبة كان على قدر ذلك وأصل ختان
 النساء لم يحاول به الحسن دون التماس نقصان الشهوة فيكون العفاف عليهن مقصورا قال
 ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم عطية شبيهه ولا تهكبه فانه أسر للوجه وأحظى
 عند البعل كأنه أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقص من شهوتها بقدر ما يرد لها الى
 الاعتدال فإن شهوتها إذا قلت ذهب التمتع ونقص حب الأزواج وحب الزوج فيه
 دون الفجور والمرأة لا تكون في حال من حالات الجماع أشد شهوة منها للكرم
 الذي لفحت منه وقد كان رجل من كبار الاشراف عندها يقول للخاتمة لا تقرضى

ويراوح بين الاطباء ويعلم ان حنينها رغاء فاين حمقه وحدث ابن الاعرابي عن هشام بن سالم وكان هشام من رهط ذي الرمة قال اكلت حية بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى اذا فتحت فاهها تريده التي فيه حسكة فلم يزل يلقى فيه حسكة بعد حسكة فأخذت بحلقها حتى ماتت وأنشد ابن الاعرابي عند هذا الحديث قول الشاعر

كان لكل عند كل سخيمة * يريد بتخريق الاديم استلاها
وأنشد أبو عمرو الشيباني بيت شعر وهو هذا المعنى بعينه وهو قول الاسدي الزبيري

ان كنت أبصرتني قدام مصطلما * فربما قتل المكاء ثعبانا
يقول قد يظهر القليل بالكثير والقليل الاعوان بالكثير الاعوان والمكاء من أصغر الطير وأضعفه وقد احتمل للثعبان حتى قتله وقال جالينوس في الاخبار عن معارف البهائم والطير وفي التعجب من ذلك وتمجيب الناس منه قولوا لي من علم النسر الانثي اذا خافت على بيضها وفراخها الخفافيش أن تفرش ذلك الوكر بورق الدلب حتى لا تقربه الخفافيش وهذا أعجب والاطباء والعلماء لا يتدافعونه والنسور هي المنسوبة الى نالة المعرفة والكيس والفطنة ، وقال ابن الاعرابي وأبو الحسن المدائني قال رجل من الاعراب كان سنان بن أبي حارثة أحزم من فرخ العقاب وذلك ان جوارح الطير تتخذ أوكارها في عرض الجبال كان الجبل عموداً فلو تحرك الفرخ اذا طلب الطم وقد أبل اليه أبواه أو أحدهما وزاد في حركته شيئاً من موضع مجثمه لهوى من رأس الجبل الى الخضيض وهو يعرف مع صغره وضعفه وقلة تجربته ان الصواب في ترك الحركة ولو وضع في أوكار الوحشيات فرخ من فراخ الاهليات تهافتن تهافتاً كفراخ القطا والحجل والقيج والدراج والدجاج لان هذه تدر على البسط وذلك لها عادة وفراخ الوحشية لا تتجاوز الاوكار لانها تعرف وتعلم ان الهايكة في المجازة وأولاد الملاحين الذين ولدوا في السفن الكبار والمنشآت المظام لا يخاف الآباء والأُمّهات عليهم اذا دوجوا ومشوا ان يقع في الماء ولو أن أولاد سكان القصور والدور صاروا

الخلق المصير الى فراخها ولذلك قال الحكيم

ولا تجمع لوني في رجائي ودكم * كراج على بيض الانوق احتيا لها
والانوق هي الرخمة وقال ابن نوفل

وأنت كساقط بين الحشايا * يصير الى الخبيث من المصير

ومثل نعامه تدعى بعيراً * تماظمها اذا ما قيل طيري

وان قيل احمل قالت فاني * من الطير المربة في الوكور

وأما قوله ولا تعير بالشكير فانها لا تنهض بالشكير حتي يصير الشكير قصبا وأما
قوله ولا تسقط على الجفير فانما عني جمعة السهام والرخم والنسور والعقبان تتبع
الجيوش لتوقع القتال وما يكون لها فيه من الجيف وتتبع أيضاً الجيوش والحجاج لما
يسقط من كسير الدواب وتتبعها أيضاً في الازمنة التي تكون فيها الانعام والحجور
حوامل لما تؤمل من الاجهاض والاختداج قال النابغة

وثقت له بالنصر اذ قيل قد غدت * كتاب من غسان غير أشائب

بنو عمه دينا وعمرو بن عامر * أولئك قوم بأسهم غير كاذب

جوانح قد أيقن ان قبيله * اذا ما التقي الجمعان أول غالب

تراهن خالف القوم خزرا عيونها * جلوس الشيوخ في ثياب المراتب

فأخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالي فقال

اذا ما غزا يوما رأيت عصاة * من الطير ينظرن الذي هو صائم

وقال آخر

يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الروس تيجان القبي الذبل

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرئحم

فقال الحكيم كما ترى تحمق وهي كيسة الحويل * وقال بعض أصحابنا قيل لاعرابي
أتحسن ان تأكل الرأس قال نعم قيل وكيف تصنع به قال أعض عينيه واسعا خذ به
وأعقص أذنيه وأفك لحبيه وأرمي بالدماغ الى من هو أحوج مني اليه قيل له انك
لاحق من ربيع قال وما حق الربيع والله انه ليجنب العدو ويتبع أمه في المرعى

بالطباع سهواً وهوياً مما لا يبلغ الانسان في ماهو بسبيله الا ان يكرم نفسه على التفكير وعلى ادامة التنقيير والتكشيف والمقاييس فهو يستثقله ولكل شئ ضرب من الفضيلة وشكل الامور المحموده لينفي تعالى وعز عن الانسان العجب وبقبح عنده البطر ويعرفه اقدار القسم وسند كر من فطن البهائم واحساس الوحش وضروب الطير أمورا تعرفون بها كثرة ما أودعها الله تعالى من المعارف وسخرها في الصنعة ثم لانذ كر من ذلك في هذا الموضع الا من كل طائر منسوب الى الموق والى كل بهيمة معروفة بالغثاء بعدة ما فيه أشكالها من المعرفة والفطنة ولو أردنا الاجناس المعروفة بالمعارف الكثيرة والاحساس اللطيفة لذكرنا الفيل والبعير والذرة والتملة والذئب والثعلب والفرنوق والنحلة والمنكبوت والحمام والكلب، وسند كر على اسم الله تعالى بعض ما في البهائم والسباع والطير من المعرفة ثم نخص في هذا الكتاب المنسوبات الى الموق والمعروفات بالغباوة والغفلة وقلة المعرفة كالرخمة والزنبور والربع من أولاد الابل والنسر من عظام الطير، وقال المفضل الضبي قلت لمحمد بن سهل راوية الكميت ما معنى قول الكميت في الرخمة

وذات اسمين والالوان شتى * تحمق وهي كيسه الحويل

لهما خب تلوذ به وايسر * بضائمه الجنين ولا مذول

قال المفضل كان معناه عندي حفظ فراخها أو موضع بيضها وطاب طعمها واختيارها من المساكن ما لا يطوره سبع طائراً ولا ذواربع قال فقلت له فأى كيس عتد الرخمة الا ما ذكرت ونحن لا نعرف طائراً الأم أم أوما ولا أقدر طعمة ولا أظهر موقاً منها حتى صارت في ذلك مثلاً فقال محمد بن سهل وما حتمها وهي تحضن بيضها وتحمي فراخها وتحب ولدها ولا تمكن الا زوجها وتقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع فان الرماة وأصحاب الجبال والقناص انما يطلبون الطير بعد ان يعلموا أن القواطع قد قطعت فبقطع الرخمة يستدلون فلا بد للرخمة من ان تبجو سالمة اذا كانت أول طالع عليهم واما قولهم ولا تراب بالو كور يقول الوكر لا يكون الا في عرض الجبل وهي لا يرضى الا بأعلى الهضاب ثم مواضع الصدوع وخلال الصخور وحيث يمتنع على جميع

يصلح لإبلاغهم الارشية وأداة السقي وباتت الرجال تنتظر مجيئ الابل فانها تعرف
قربها منهم في جوف الليل بانتفاش القردان وسرعة حركتها وخشخشتها ومروورها
نحو الراعي وزجر الراعي ووقع الأخفاف على الارض من غير أن تحس أو انك
الرجال حسها أو يشعروا بشيء من أمرها فاذا استدلوا بذلك من القردان نهضوا
وبرزوا وتهيؤوا للعمل، فأما درك البصر فقد قالوا أبصر من غراب وأبصر من فرس
وأبصر من هدهد وأبصر من عقاب والسنانير والفار والجردان والسباع تبصر بالليل
كما تبصر بالنهار فأما الطم فيظنون انه لفرط الشره والشهوة ولفرط الاستمراء وافرط
الحرص والنهم ان لذتها تكون على قدر شرها وشهوتها ويكون على قدر ما يرى من
حركتها وظاهر حرصها ونحن قد نرى الحمار اذا عاين الاتان والفرس اذا عاين الحجر
والرمل والبغل والبغلة والتيس والعز فتنظن على قدر الشهوة والشهوة على قدر الحركة
وان الصياح على قدر غلبة الارادة ونجد الرجال اذا اغترهم ذلك لا يكونون كذلك
الا في الوقت الذي هم فيه أشد غلظة وأفرط شهوة، وان قال قائل ان الانسان يمشق
النساء في كل حال من الفصلين والصميمين وانما هيح السباع والبهائم في فصل معلوم
وهيح التيس والجلل والانسان المداوم أحسن حالا قلنا اذا لم يكن في ذكر المخابرة
بين نصيب الانسان في ذلك مجموعاً ومفرقاً وبين نصيب كل جنس من هذه
الاجناس مجموعاً ومفرقاً وانما ذكرنا نفس المخالطة فقط وما يدريككم أيضاً لعلمنا ان
تستوي في هذه الايام السيرة أضاعف ما يأتي الانسان في تلك الايام الكبيرة وعلى أنا
قد نرى مما يمتري الحمار والفرس والبغل وضرباً كثيرة اذا عاينوا الاناث في غير
أيام الهيح وها هنا أصناف تديم ذلك كما يدببه الانسان مثل الحمار والديكة وغير ذلك
وقد علمنا ان السنانير وأشباه السنانير لها وقت هيح ولكن ذلك يكون مراراً في
السنة على أشد من هيح الانسان فليس الامر على ما يظنون فان كان الانسان موضع
ذهنه من قلبه أو دماغه يكون أدق وأرق وأنفذ وأبصر فان حواس هذه الاشكال
أدق وأرق وأبصر وأنفذ وان كان الانسان يبلغ بالروية والتصفح والتحصيل والتمثيل
مالاً يبلغه شيء من السباع والبهائم فان لها أموراً تدركها وصنعة تحذقها تبلغ منها

الحكمة واحكام الصنعة ولا ينبغي لهذا الدهرى أيضاً أن يعرض لكتابنا هذا وان دل على خلاف مذهبه ودعا الى خلاف اعتقاده لان الدهرى ليس يرى أن في الارض ديناً أو نحلة أو شريعة أو ملة ولا يرى للحلال حرمة ولا يعرفه ولا للحرام نهاية ولا يعرفه ولا يتوقع العقاب على الاساءة ولا يتوخي الثواب على الاحسان وانما الصواب عنده والحق في حكمه انه والبهيمة سيان وأنه والسبع سيان ليس القبيح عنده الا ماخالف هواه وأن مدار الأمر على الاخفاق والدرك وعلى اللذة والالم وانما الصواب فيما نال من المنفعة وان قتل الف انسان صالح لثلاثة درهم الردي، فهذا الدهرى لا يخاف ان ترك الطعن على جميع الكتب عقاباً ولا لائمة ولا عذاباً ولا منقطعاً ولا يرجو ان ذمها ونصب اليها ثواباً في عاجل ولا آجل فالواجب أن يسلم هذا الكتاب على جميع البرية إذ كان موضعه على هذه الصفة ومجراه الى هذه الغاية والله تعالى الكافي الموفق بلطفه وتأييده انه سميع قريب ، ثم رجع بنا القول الى الاخبار عن الحيوان وبأي شيء تفاضلت وبأي شيء خصت وبماذا أنست وقد عرفنا ما أعطيت في الشم والاسترواح قال الراجز وذكر الذئب

يستخير الريح اذا لم يسمع * بمنزل مقراع الصفا المرقع

وقد عرفنا كيف شم السنائير والسباع والذئاب وأعجب من ذلك وجد ان الذرة لرائحة شيء لو وضعته على أنفك لما وجدت له رائحة كرجل جرادة يابسنة منبوذة كيف تجد رائحتها من جوف حجرها حتى تخرج اليها فاذا تكلفت حملها فاعجزتها كيف تستدعي اليها سائر الذر وتستعين بكل ما كان منها في الحجر ونحو شم الفرس رائحة الحجر من مسيرة ميل والفرس يسير قداما والحجر خلفه بذلك المقدار من غير تلفت ولا معاينة من جهة من الجهات وهذا كثير وقد ذكرناه في غير هذا الموضع ، فاما السمع فدعنا من قولهم أسمع من فرس وأسمع من فرخ العقاب وأسمع من كذا وأسمع من كذا ولكننا نقصد الى الصغير الحقير في اسمه وخطره والقليل في جسمه وفي قدره وتقول العرب اسمع من قراد ويستدلون بالقردان التي تكون حول المياه والبرث فاذا كان ليلة ورود العرب وقد بعث القوم من

اذا ظهر عجزك عن عمل من هو أعجز منك ان الذي فضلك عليه بالاستطاعة والمنطق
 هو الذي فضله عليك بضروب آخر وانكما ميسران لما خلقتما له ومتصرفان لما
 سخرتما له وان الذي يعجز عن صنعة السرفة وعن تدبير المنكبوت في لثهما
 ومهاتهما وضعفهما وصغر صورهما لا ينبغي أن يتكبر في الارض ولا يمشي الخيلاء
 ولا يتكلم في القول ولا يتألى ولا يستأمر وليعلم ان عقله منجاة من ربه وان استطاعته
 حارية عنده وانه انما يستبقى النعمة بادامة الشكر ثم حجب اليها طلب الذرء والسفاد
 والذي يكون مجلبة للولد وحجب اليها اولادها ونجلها وذريها ونسلها حتى قالوا اكرم
 الابل أشدها حنيناً وأكرم الصفايا أشدها حباً لا اولادها وجعل تألفها مع بعضها من
 الطروقة اذا لم يكن الزواج لها خلقا وجعل إلف العرس لها عادة وقواها على المسافدة
 لتتم النعمة وتم المنة وألهمها المبالغة في الترية وحسن التعهد وشدة التفقد وسوى في
 ذلك بين الجنس الذي يلتم اولاده تلقياً وبين الذي يرضعها ارضاعاً وبين الذي يزرعها
 زقاً وبين ما يحضن وما لا يحضن ومنها ما أخرجها من ارحام البيض وارجام البطون
 كاسية ومنها ما أخرجها كاسية كاسية وأتمعها وأولدها وجعلها نعمة على عباده
 وامتنحاناً لشكرهم وزيادة في معرفتهم وجلاء لما يتراكم من الجهل على قلوبهم فليس
 لهذا الكتاب ضد من جميع من يشهد الشهادة ويصلى الى القبلة ويأكل الذبيحة ولا ضد
 من جميع الملمعين من يقر بالبعث وينتحل الشرائع وأن الحد في ذلك وزاد ونقص
 الا الدهرى فان الذي ينفي الرب ويحيل الأمر والنهي وينكر جواز الرسالة ويجعل
 الطينة قديمة ويحمد الثواب والعقاب ولا يعرف الحلال والحرام ولا يقر بان في جميع
 العالم برهاناً يدل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق ويجعل الفلك الذي لا يعرف
 نفسه من غيره ولا يفصل بين الحديث والقديم وبين الحسن والمسيء ولا يستطيع
 الزيادة في خركته ولا النقصان من دورانه ولا معاينة لاسكون بالحركة ولا
 الوقوف طرفة عين ولا الانحراف عن الجهة هو الذي يكون به جميع الابرام
 والنقض ودقيق الامور وجليلها وهذه الحكم العجيبة والتدابير المتقنة والتأليف
 البديعة والتركيب الحكيم علي حساب معلوم ونسق معروف علي غاية من حقائق

وجلة أسبابه والله تعالى الموفق وانما اعتمادنا في هذا الكتاب على أخبار ما في أجناس
الحيوان من الحجج المتظاهرة وعلى الأدلة المترادفة وعلى التنبيه على ما خلقها الله تعالى
من البرهانات التي لا يعرف حقائقها الا من الفكرة وغشاها من العلامات التي لا تنال
منافعها الا بالعبارة وكيف فرق فيها من الحكمة العجيبة والاحساس الدقيقة والصنعة
اللطيفة وما ألهمها من المعرفة وكساها من الجبن والجرأة وبصرها بما يقيمها ويعيشها
وأشمرها من الفطنة بما تحاذر بها عدوها ليكون ذلك سبباً للحدزر ويكون حذرنا
سبباً للحراسة وحراستها سبباً للسلامة حتى تجاوزت في ذلك مقدار حراسة المحرب
من الناس والخائف المطلوب من أهل الاستطاعة والروية كالذي ترون من تحارس
الغرائق والكراكي وأشكال من ذلك كثيرة حتى صار الناس لا يضربون المثل الا
بها ولا يذمون ولا يمدحون الا بما يجدون في أصناف الوحش من الطير وغير ذلك
فقالوا أحذر من عقق وأحذر من غراب وأحذر من عصفور وأحذر من فرخ
العقاب وأسمع من قراد وأسمع من فرس وأجن من صافرة وأسخي من لافظة
وأصنع من تنوط وأصنع من سرقة وأصنع من دبر وأهدى من قطاة وأهدى من
حمام وأهدي من جمل وأزهي من ذباب وأجراً من الليث وأكسب من الذئب
وأخدع من ضب وأروغ من ثعلب وأعق من ضب وأبر من هرة وأسرع من سمع
وأظلم من حية وأظلم من ورل وأكذب من فاختة وأصدق من قطاة وأموق من رخمة
وأحزم من فرخ العقاب ونبهنا تعالى وعز عن هذه المناسبة وعن هذه المشاركة
وامتنعنا ما عندنا بتقديمها علينا ببعض الامور وتقديمها علينا في أكثر الامور وأراد بذلك
الا يخلينا من حجة ومن النظر الى عبرة والى ما يعود عند الفطن موعظة ولما كرهنا
من السهو والاغفال ومن البطالة والاهمال فجعلنا في كل أحوالنا لا تفتح أبصارنا الا وهي
واقعة على ضرب من الدلالة وعلى شكل من أشكال البرهانات وجعل ظاهر ما فيها
من الآيات داعياً الى التفكير فيها وجعل ما استخزنها من أصناف الاعاجيب يعرف
بالكشف عنها فمنها ظاهر يدعوك الى نفسه ويشير الى ما فيه ومنها باطن يزيدك
بالامور ثقة اذا أفضيت الى حقيقته لتعلم أنك مع فضيلة عقلك وتصرف استطاعتك

من سلطان الطيش وأقرب الى عادة الصلف وسيرة الاولين وأجدر أن يهب الله تعالى له السلامة في كتبه والدفاع عن حجته يوم مناظلته خصومه ومقارعة أعدائه وليس هذا الكتاب يرحمك الله في إيجاب الوعد والوعيد فيمترض عليه المرجئ ولا في تفضيل على فينتصب له العثماني ولا هو في تصويب الحكيمين في نسخته الخارجى ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضه من يخالف التقديم ولا هو في تثبيت الاعراض فيخالفه صاحب الاجسام ولا هو في تفضيل البصرة على الكوفة ومكة على المدينة والشام على الجزيرة ولا في تفضيل العجم على العرب وعدنان على خيطان وعمرو علي واصل فيرد بذلك الهذلي على النظامي ولا هو في تفضيل مالك على أبي حنيفة ولا هو في تفضيل امريئ القيس على النابغة وعامر بن الطفيل على عمرو بن معدي كرب وعباد بن الحسين على عبيد الله بن الحر ولا في تفضيل ابن سريج على الغريص ولا في تفضيل سيديويه على الكسائي ولا في تفضيل الجعفرى على العقبلي ولا في تفضيل حلم الاحنف على حلم معاوية وتفضيل قتادة على الزهري فان لكل صنف من هذه الاصناف شيعة ولكل رجل من هؤلاء جنداً وعدداً من مخلصيهم وسفاهم والمتسرعون منهم كثير وعداؤهم قليل وانصاف علماءهم أقل ولا تنكر هذا حفظك الله تعالى أنا رأيت رجلين بالبصرة على باب موسى بن عمران تنازعا في الغيب النيروزي والرازي فجرى بينهما اللعين حتى توابا فقطع الكوفي أصبع البصري وفقاً البصري عين الكوفي ثم لم ألبث الا يسيراً حتى رأيتهما متصافين متناديين لم يقعا قط على مقدار ما يفضب من مقدار ما يرضى فكيف يقعان على مقدار طبقات الغضب والرضا والله المستعان، وقد ترك هذا الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة والتثبت عند الحكومة جانباً وأعرضوا عنه صفحاً فليس الا لا أو نعم الا أن قولهم لا موصول منهم بالغضب وقولهم نعم موصول منهم بالرضا وقد عزل الحق جانباً ومات ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن، قال عمرو بن الحارث كنا نبغض من الرجال ذا الرياء والنفع ونحن اليوم نتمناها، قد كتبنا من كتاب الحيوان ستة أجزاء وهذا الكتاب السابع هو الذي ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا من جملة القول في شأنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— القول في احساس أجناس الحيوان —

اللهم انا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ونسألك الهداية الى الصراط المستقيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم خاصة وعلى أنبيائه عامة ونعوذ بالله ان تدعونا المحبة لاتمام هذا الكتاب الى ان فصل الصدق بالكذب وندخل الباطل فى تضاعيف الحق وأن نتكرر بقول الزور ونلتمس تقوية ضعفه باللفظ الحسن وستر قبحه بالتأليف المونق أو نستعين على ايضاح الحق الا بالحق وعلى ايضاح الحجة الا بالحجة ونستميل الى دراسته واقتنائه ونستدعى الى تفضيله والاشارة بذكره بالاشعار المولدة والاحاديث الموضوعة والاسانيد المدخولة وبما لا شاهد عليه الا دعوى قائله ولا مصدق له الا من لا يوثق بمعرفته ونعوذ بالله من فتنة القول وخطئه ومن الاسهاب وتقحم خطئه والاعتماد فيما يبتناوين كثير من أهل هذا الزمان على من حسن الظن والاتكال فيهم على العذر فان كثيرا ممن يتكلف قراءة الكتب ومدارسة العلم يقفون من جميع هذا الكتاب على الكلمة الضعيفة واللفظة السخيفة وعلى موضع من التأليف قد عرض له شئ من استكراه وناله بعض الاضطراب أو كما يعرض فى الكتب من سقطات الوهم وقلبات الضجر ومن خطأ الناسخ وسوء تحفظ المعارض على معنى لعله لو تدبره بعقل غير مفسد ونظر غير مدخول وتصفحه وهو محترس من عوارض الحسد ومن عارض التبرع ومن اخلاق من عسى أن يتسع فى القول بمقدار ضيق صدره ويرسل لسانه ارسال الجاهل بكنه ما يكون منه ولو جعل بدل شغله بقليل ما يري من المذموم تنقله بكثير ما يري من الحمود كان ذلك أشبه بالادب المرضى والخبيم الصالح وأشد مشاكلة للحكمة وأبعد

الجزء السابع من كتاب

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصري المتوفى سنة ٢٥٥ هـ جريه

وهذا الكتاب هو

البارع في الأدب والجامع في حكم العرب

عن تصحيح محمد بن الدين عثمان بن بكير

حقوق الطبع محفوظة للمترجم طبعه

الحاج محمد أفندي ساسي المغربي لنونسي

سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م

(مطبعة السعادة بجوار المحافظة بمصر)

« لصاحبها محمد اسماعيل »

فهرس

﴿ الجزء السابع من كتاب الحيوان ﴾

صحيفه

- ٦ ثم رجع بنا القول الى الحيوان
 ١٩ باب ما يستدل به في شأن الحيوان على حسن صنع الله واحكامه وتدابيره
 ٢٢ الكلام على القيل وما في خلقه وخلقته من المجائب
 ٧٥ باب الظائف
 ٧٦ القول في الزرافة

﴿ تم الفهرست ﴾

وقال جرير

تركت لكم بالشام جبل جماعة * متين القوى مستحصد الفتل باثيا
وجدت رقي الشيطان لا تستغزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال الاسدي

كثير المناقب والمكرمات * يجود مجداً وأصلاً أثيلاً
تري يديه وراء الكمي * تباله بعد نصال نصولاً
تمنى السفاه ورأى الخنا * وضل وقد كان قد ماضلوا
فان أنت تنزع عن ودنا * فما ان وجدت لقلبي محيلاً

ثم الجزء السادس من كتاب الحيوان ويليهِ الجزء السابع ﴿
« وأوله القول في احساس أجناس الحيوان »

وكان أبو عبد الحميد المكفوف يتمثل في قصصه بقوله
 يراقده الليل مسروراً بأوله * ان الحوادث قد يطرqn اسحاراً
 ونظر بكر بن عبد الله المزني الى مؤرق العجلى فقال
 عند الصباح بحمد القوم السري * وتنجلى عنهم غيابات الكري
 وقال أبو النجم

كلنا يأمل مدا في الاجل * والمنيا هي آفات الامل
 فأما أبو النجم فانه ذهب في الموت مذهب زهير حيث يقول
 ان الفتى يصبح الاستقام * كالغرض المنصوب للسهم
 * أخطاه رام وأصاب رامي *

وقال زهير

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تحطى يعمر فيهرم

وقال الآخر

واذا صنعت صنينة أتممتها * بيدين ليس نداها بمكدر
 فاذا تباع كريمة أو تشتري * فسوالك بأثمها وأنت المشتري

وقال الشاعر

فصير يد السربال يمشي معرجاً * وشق قریش في قریش مرکنا

وقال الآخر

بمئت الى العراق ورافديه * فزاريا أخيد القميص
 تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

وقال الآخر

حبذا رجمها الى يديها * بيدي درعها تحل الازارا

وأشد

طوبه المنايا وهو عنهن غافل * بمنخرق السربال عارى المناكب
 جري على الإهوال بدل ذروه * بأبيض سقاط وراء الفرائب

أبيض مني الرأس بدم سواده * ودعى المشيب حليتي لبعاد
واستنفذ القرن الذي أنا منهم * وكفى بذلك علاوة لحصادي

وقال اعرابي

إذا الرجال ولدت أولادها * واضطربت من كبراءضادها
وجعلت اسقامها تعادها * فهي زروع قد دنا حصادها
وقال ضرار بن عمرو من سره بنوه ساءته نفسه وقال عبد الرحمن بن أبي بكر من
أحب طول العمر فليوطن نفسه على المصائب وقال أخوذى الرمة
ولم يذني أو في الملمات بدمه * ولكن نكأ القرع بالقرح أو جمع
وقال بعض المجان

نرفع ديانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبق ولا مانر مع
وسئل بعض المجان كيف أنت في دينك قال أخرقه بالمعاصي وارقمه بالاستغفار وأنشدوا
لعروة بن أذينة

نراع إذا الجنائز قابلتنا * ويحزننا بكاء الباكيات
كروعة ثلة ليعمار سبع * فلما غاب عادت راتعات
وقال أبو العتاهية

إذا مارأيتم ميتين جزعتم * وإن لم تروا ملتم إلى صبواتها
وقالت الخنساء

ترتع ما غفلت حتى إذا ذكرت * فأنما هي إقبال وادبار
وكان الحسن لا يتمثل إلا بهذين البيتين وهما
يسر الفتى ما كان قدم من اتقى * إذا عرف الداء الذي هو قاتله
والبیت الآخر

ليس من مات فاستراح يميت * إنما الميت ميت الأحياء
وكان صالح المدني يتمثل في قصصه بقوله
فبأت پروي أصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

وقيل للمؤيد: بني أبك قال يوم ولد وقال الشاعر

تعرفت أطواراً أرى كل عبدة * وكان الصبي مني جديداً فأخلقا

وما زاد شئ قط إلا نقصه * وما اجتمعما إلا انفرا

وقيل لأعرابي في مرضه الذي مات فيه أي شئ تشتهي قال تمام العدة وانقضاء المدة ،

وقيل لأعرابي في شكاته التي مات فيها كيف تجددك قال أجدني أجداً مالا أشتري

وأشتري مالا أجداً وقيل لعمر بن العاصي في مرضته التي مات فيها كيف تجددك قال

أجدني أذوب ولا أثوب وقال معمر قال لرجل كان ممي في الحبس وكان مات

بالبطن كيف تجددك قال أجد روجي قد خرجت من نصفي الأسفل وأجد السماء

مطبقة على ولو شئت أن المسها بيدي لفعلت ومهما شكت في فلا أشك أن الموت

برد ويبس وأن الحياة حرارة ورطوبة وقال يعقوب بن الربيع في مرثية جارية كانت له

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت * للموت قد ذلت ذبول النرجس

رجع اليقين مطامعي بأسا كما * رجع اليقين مطامع المنلس

وقال يعقوب بن الربيع

لئن كان قـربك لي نافعا * لبعـدك قد كان لي أنفعا

لأنني أمنت رزايا الدهـو * روان جل خطب فلان أجزعا

وقال أبو العتاهية

وكانت في حياتك لي عظام * فأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال التيمي

لقد عزي ربيمة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

ومن عجب قصدن له المنايا * على عمـد وهن له بنود

وقال صالح بن عبد القدوس

ان يكن ما أصبت فيه جايلا * فذهاب الزاء فيه أجل

ونظر بعض الحكماء الى جنازة الاسكندر فقال ان الاسكندر كان أمس أنطق منه

اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وقال حساني

تلك الساعة واذا وجب في العقول السليمة أن لا يصدق في الاخبار لم يكن معه برهان
فيكفي بذلك ولو كان ذلك لمكان جائزا ولكنه ليس بواجب وعلي ان ناسا من
النحويين لم يدخلوا قوله تعالى الا من خطف الخطفة في الاستثناء وقال انما هو كقوله
الاخراجة المكاف نفسه * وأبي قبيصة ان أغيب وتشهدا
وكقوله أيضا

الا كـبـاشرة الذي كلفتم * كالعوض في علوانه المنبت
وقال الشاعر في باب آخر مما يكون وعظله من الفكر والاعتبار فن ذلك قوله
فلا تكن ريب المنون فاني * أرى قمر اليل المقدر كالنفي
يكون صغيراً ثم يمظم دائباً * ويرجع حتى قيل قد مات وانقضي
كذلك يزيد المرء ثم انتقاصه * وتكراره في إثره بعد ما مضى
﴿ وقال آخر ﴾

ومستثبت لا بالليالي تباته * وما ان تلاقى به الشفتان
وآخر في خمس وتسع تمامه * ويجهد في سبع مما وثان
الاول الطريق والثاني القعر وقال أبو العتامة
* أسرع في نقض امرئ تمامه *

وقال عبد هند

فان السنان يركب المرء حده * من العار او يمدو على الاسد الورود
فان الذي ينهأ كم عن طلابها * يناغي نساء الحلي في طرد البرد
نمال والايام تنقص عمرنا * كجائنة ص النيران من طرف الزند
وفي أمثال العرب كل ما قام شخص وكل ما ازداد نقص ولو كان يميت الناس الداء لا عاشهم
الدواء وقال حميد بن ثور

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داء ان تصبح وتسلما

وقال النمر بن توبل

يحب النفي طول السلامة والبقاء * فكيف ترى طول السلامة بفعل

تلك الحركة الى كله فلا يشكون ان الكل هو العامل لتلك الحركة ومن فضل شعاع
من كوكب فأحرق وأضاء في جميع البلاد وفي حكم كل انسان باضائة ذلك الاحراق
الى ذلك الكوكب وهذا جواب سهل والحمد لله ولم يقل أحد أنه يجب في قوله
وجعلناها رجوما للشياطين انه يعنى الجميع فاذا كان قد صح أنه انما عنى البعض في
غيب نجوم المجرة والنجوم التي تظهر في ليالى الحنّادس لانه محال أن تقع عين على ذلك
الكوكب بعينه في وقت زواله حتي يكون الله عز وجل لو أفنى ذلك الكوكب من
بين جميع الكواكب الملتفة لعرف هذا المتأمل مكانه ولو جدد مس فقده ومن ظن
بجهله أنه يستطيع الاحاطة بعد النجوم فانه متى تأملها في الحنّادس وتأمل المجرة وما
حولها لم يضرب المثل في كثرة العدد الا أنها دون الرمل والتراب وقطر السحاب
فيقال بعضهم يدنو الشهاب قريبا ونراه يحترق عرضا ولا منقضا ولو كان الكوكب
هو الذي ينقض لم يرك الخيط الرقيق ولا أضاء جميع الدنيا ولا حرق كل شيء مما على
وجه الارض قيل له قد تكون الجبال أقمية وتكون علوية فاذا كانت كذلك فصل
الشهاب منها عرضا وكذلك قال الله تعالى الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب
وقال الله عز وجل لعلى آتاكم بشهاب مقدس فليس لكم ان تقضوا بأن المباشر لبدن
الشیطان من الكوكب حتي لا يكون غير ذلك وأنتم تسمونه والله تعالى يقول فأتبعه
شهاب ثاقب والشهاب معروف في اللغة واذا لم يوجب عليها ظاهر لفظ القرآن لم
ينكر ان يكون الشهاب كالخط أو كالسهم لا يضيء الا بمقدار ولا يقوى على اجراق
هذا العالم وهذا قريب والحمد لله، وطمن بعضهم من جهة أخرى فقال زعمهم ان الله
تبارك وتعالى قال وحفظا من كل شیطان مارد لا يسمعون الى الملائكة الا على ويقذفون
من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب وقال على سبنن الكلام الا من خطف
الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب قال فكيف تكون الخطفة من المكان الممنوع قيل له ليس
بممنوع من الخطفة اذ كان لا محالة مؤمنا بالشهاب ومقتولا على أنه لو كان سلم بالخطفة
لما كان استفاد شيئا للكاذب والرياسة وليس كل من كذب على الله وادعى النبوة
كان على الله تعالى أن يظهر تكذيبه بأن يخسف به الارض أو ينطق بتكذيبه في

أو غلام السوء، ان جوعته * سرق الجار وان يشبع فسق
وقال ابن قيس الرقيات

مقل القوم من قریش اذا ما * فاز بالجهل معشر آخر ونا
لا يأمون في المشيره بالسوء * ولا يفسدون ما يصنعونا
وقال ابن نيس أيضاً واسمه عبد الله

لو كان حولى بنو أمية لم * ينطق رجال اذا هم نطقوا
ان جلسوا لم تضق بحالهم * أو ركبوا ضاق عنهم الافق
كم فيهم من فتى أخى ثقة * عن منكبيه القميص منخرق
تحسبهم عذر النساء اذا * ما احمر تحت القوانس الحدق
وأنكر الكلب أهله ورأى * انشر وطاح المروّع الفرق

وقال النابغة

سهكين من صدى الحديد كأنهم * تحت السنور جنة البقار

وقال بشار بن برد

يطيب ربح الخيزرانة بينهم * على أنها ربح الدماء تضوع
وسنقول في الشهب وفي استراق السمع وانما تركنا جمعه في مكان واحد لان ذلك
كان يطول على القارى ولو قد قرأ فضل الانسان على الجان والحجة على من أنكر
الجان لم يستثقله لانه حينئذ يقصد اليه على أنه مقصور على هذا الباب فاذا أدخلناه
في باب القول في صفات الوحش والسباع والهمج والحشرات فاذا ابتدأ القراءة على
ذلك استطال كل قصير اذا كان من غير هذا المعنى ، قالوا زعمتم ان الله تعالى قال واقعد
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى وحفظناها من كل
شيطان رجيم وقال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين ونحن لم نجد قط كوكبا خلا مكانه
فما يلزمنى أن يكون واحد من جميع هذا الخلق من سكان الصحاري والبحار ومن براعي
النجوم للاهتداء وأنكر في خلق السموات أن يرى كوكبا واحداً قائلاً مع قوله
وجعلناها رجوما للشياطين قيل لهم قد يحرك الانسان يده أو حاجبه أو أصبعه فتضاف

اشتريتني بدينارين ديناراً فقلت له أنت لا تفاج بعد هذا اذهب فأنتم حر لوجه الله
 تعالى فقال أنت عبد فكيف يجوز عتقك قلت فأبى عليك بما عز وهان فقال لا تبني
 حتى تعد طبابخاً فانك ان بعني لا تتغذي الا بنخب وباقلاء قال فتركتته وصبرت بعد
 ذلك أياماً فيينا أنا جالس يوماً اذ مرت على شاة ابون كريمة غزير الدر كنا فرقتنا بينهما
 وبين عناقها فأكثر في الثغاء فقلت كما يقول الناس وكما يقول الضجر اللهم ان
 هذه الشاة ليت ان الله بعث انساناً يذبحها أو سرقها حتى نستريح من صياحها قال فلم
 البت الا بقدر ما غاب عن عيني ثم عاد فاذا في يده سكين وساطور وعليه قميص
 العمل ثم أقبل على فقال هذا اللحم ما نصنع به وأي شيء تأمر به فقلت وأي لحم قال
 لحم هذه الشاة قلت وأيما شاة قال التي أمرت بذببحها قلت وأي شاة أمرت بذببحها
 قال سبحان الله أليس قلت الساعة ليت ان الله تعالى قد بعث اليها من يذببحها أو
 يسرقها فلما أعطاك الله تعالى سؤالك صرت تتجاهل قال روح فبقيت والله لا أقدر على
 بيعه ولا حبسه ولا على عتقه قال مسكين الدارمي

وان أبانا بكر آدم فاعلموا * وحواء قوم ذو عنانين شارف
 كان على خرطوميه متهافتنا * من القطن حاجته الا كف الزوائد
 وللصدأ المسود أطيب عندنا * من المسك دافته الا كف الدوائف
 ويصبح عرفان الدروع جلودنا * اذا جاء يوم مظلم اللون كاحف
 تعلق في مثل السوارى سيوفنا * وما بينها والكعب منا تنائف
 وكل رديني كان كموبه * قطاسابق مستورد الماء صائف
 كان هلالا لاح فوق فنائنه * جلاله فيم عنه والقيام الحرافف
 له مثل حلقوم النمامة خلة * ومثل القديمي ساقها متناصف
 وقال أيضاً مسكين الدارمي

واذا الفاحش لاقى فاحشاً * فمنكم وافق الشن انطبق
 انما الفحش ومن يمتاده * كغراب الين ما شاء نطق
 أو حمار السوء ان أشبعته * ربح الناس وان جاع نطق

أنا والله أخبرك عن قصتي كنت أذنب ذنبا كما يذنب هذا وهذا جميع غلمان الناس
خلف بكل يمين ليضربني أربع مائة سوط فكنت تراني ان أقيم قلت لا والله قال فهذا
الآن إياك قلت لا قال فاشتره فاذا هو أحسن الناس خبزا وأطبخهم قدرآ وخبرني
رجل قال قال رجل لعلام له ذات يوم يا فاجر قال جعاني الله فداك مولى القوم منهم وزعم
روح بن الطائفة وكان روح عبدا لأخت أنس بن أبي شيخ وكانت قد فوضت اليه
كل شيء من أمورها قال دخلت السوق أريد شراء غلام طبّاخ فبينما أنا واقف اذ جي بعلام
يعرض بعشرة دنانير ويساوي على حسن وجهه وجودة قدمه وحادثة سنة ذون صناعته
مائة دينار فلما رأيته لم أتمالك ان دنوت منه فقلت ويلك أقل ثمنك على وجهك مائة دينار
والله ما يبيعك مولاك بعشرة دنانير الا وأنت شر الناس فقال أمالهم فأنا شر الناس وأما
لغيرهم فأنا أساوي مائة ومائة قال فقلت التزين بجمال هذا وطيب طبخه يوما واحدا
عند أصحابي يساوي عشرة دنانير فابتهته ومضيت به الى المنزل فرأيت من حذقه
وخدمته وتوقيه وقلة تزيده ما ان بعثته الى الصبر في ليأني من قبله بعشرين دينارآ
فأخذها ومضى على وجهه فوالله ما شمعت الا والناشد قد جاء وهو يطلب جعله
فقلت لهذا وشبهه باعك القوم بعشرة دنانير قال لولا اني أعلم انك لا تصدق يميني
كيف طرت الدنانير من ثوبي ولكني أقول لك واحدة احببني واحترس مني واستمتع
بخدمتي واحسب انك كنت اشتريتني بثلاثين دينارآ قال فاحتبسته لهواي فيه فقلت
لعله ان يكون صادقا ثم رأيت والله من صلاحه واناة وحسن خدمته ما دعاني الى
نسيان جميع قصته حتي دفعت اليه يوما ثلاثين دينارآ كيوصلها الى أهلي فلما صارت الى
يده ذهب على وجهه فلم ألبث الا أياما حتى رده الناشد فقلت له زعمت أن الدنانير الاولى
ظرت منك فما قولك في هذه الثانية قال انا والله أعلم انك لا تقبل لي عذرا فدعني
خارج الدار ولا تجاوز بي خدمة المطبخ ولو كان الضرب برذ عليك شيئا من ماله
لاشرت عليك به ولكن قد ذهب ماله والضرب ينقص من أجرك ولعل أيضا
أموت تحت الضرب فتندم وتأنم وتفترض ويطلبك السلطان ولكن انصربي على
المطبخ فاني سأسرك فيه وأوفره عليك واستجيد ما اشتريه واستصلحك لك وعدانك

وكان من العرجان والشعراء أبو ثعلب وهو كليب بن الغول ومنهم أبو مالك الأعرج
وفي أحدهما يقول اليزيدي

تلقا ثنيا إذا ما جاء ندم * وبدهم ان أانا كان ثنيا
فألبدنا ضنخ السادات ثناويان وثنيان وهو اسم واحد وهو تأويل قول الشاعر
يصد الشاعر الثنيان عني * صدود البكر عن قرم الهجان
لم يمدح نفسه لان يغلبه الفعل وانما أراد ان يصغر بالذي هجاه وبأنه ثنيان وان كان
عند نفسه خلا وأما قول الشاعر

ومن يفخر بمثل أبي وجدى . يحجى قبل السوابق وهو ثاني
أي ثان عنانه ، أحاديث في أعاجيب الممالك آتيت باب السعداني فاذا غلام له مليح
بالباب كان يتبع دابته فقات له قل لمولايك ان شئت بكرت الى وان شئت بكرت
اليك قال أنا ليس أكلم مولاي ومي أبو القنافذ فقال أبو القنافذ ما محتاج مع هذا
الخبر الى معايته ، وقال أبو البصير المنجم وهو عند قثم بن جعفر لغلام له مليح صغير
السن ما حبسك يا حلقتي والحلقى المخذنت ثم قال أما والله لئن قتت اليك يا حلقتي لتعلمن فدا
أكثر عليه من هذا الكلام قال أدعو الله على من جمعاني حلقيا ، حدثني الحسن بن
المرزبان قال كنت مع أصحاب لنا اذ أئينا بغلام سندي بباع فقات له أشتريك يا غلام
فقال حتى أسئل عنك قال المكي وأني المثنى بن بشر بشيخ سندي ليشتريه على انه
طباخ فقال له المثنى كم تحسن يا غلام من لون فلم يجبه فأعاد عليه وقال يا غلام كم تحسن
من لون فكلهم غيره وتركه فقال المثنى في الثالثة ماله لا يتكلم يا غلام كم تحسن من لون
فقال السندي كم تحسن من لون كم تحسن من لون وانا لانحسن ما يكفيك أنت قال
حسبك الآن ثم قال المثنى للدلال امض بهذا عليه لعنة الله ، وحدثني ثمامة قال جاءنا
رجل بغلام سندي يزعم انه طباخ حاذق فاشتريته منه فلما أمرت له بالمال قال الرجل انه
قد غاب عنا غيبة فان اشتريته على هذا الشرط والا فانزكه فقات للسندي أ كنت أبقت
قط قال والله ما أبقت قط فقات أنت الآن قد جئت مع الآباق الكذب قال كيف
ذلك قال لان هذا الموضع لا يجوز أن يكذب فيه البائع قال جمعاني الله تعالى فداءك

وشى بي واش عند ليلى سفاهة * فقالت له ليلى مفالة ذى عقل

وخبرها نى عرجت فلم تكن * كورها تخبو الملامة للبدل

وما بى من عيب اننى غير أننى * جعلت العصار جلاؤهم بهار جلى

وقال أبو حية فى مثل ذلك

وقد جعلت اذا ماقت أوجعنى * ظهري فقامت قيسام الشارب السكر

وكنت أمشى على رجليين معتدلا * فصرت أمشى على أخرى من الشجر

وقال أعرابي من بني تميم

وما بى من عيب الفتى غير أننى * ألفت قناتى حين أوجعنى ظهري

وكان بنو الحداة عرجان كلهم فجهلهم بهض الشعراء فقال

اذا عدوا وعصى الطالع أرجلهم * كما تنصب وسط البيعة الصاب

لله در بنى الحداة من نفر * وكل جار على جيرانه كاب

وانما شبه أرجلهم بمصى الطالع لان أغصان الطالع تنبت معوجة لذلك قال سعد ان

الاعشى

والذى خفف الحذار من الذء * روقد فات قاصم الافعال

فهذا جامعا بأيد هشيم * وبساق كمود الطالع بالى

وله حديث وكان الحكم بن عبدل أعرج وكان بعد هجائه لحمد بن حبان بن ثابت

لا يبعث الي أحد بمصاه التى يتوكأ عليها وكتب عليها حاجته الا قضاها كيف كانت

فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أمير الكوفة وكان

أعرج وكان صاحب شرطته أعرج فقال ابن عبدل

الى المصاودع التعرج والتمس * عملا فهذى دولة العرجان

فأميرنا وأمير شرطتنا معا * يا قومنا لكليهما رجلان

فاذا يكون أميرنا ووزيره * وأنا فان الرابع الشيطان

وقال آخر ووصف ضعفه وكبر سنه

أتى الندى فلا يقرب مجلسي * وأقود للشرف الرفيع حماليا

الآجرة دابة فزعوها الآجرة فاذا تحتمها حية متطورة فمثل عن ذلك فقال لاني رأيت ما بين الآجرتين نديا من جميع تلك الرحبة فعلمت ان تحتمها شيئا يتنفس واذا سقط الثالج في الصجاري صار كله طبقا واحداً الا ما كان مقابلاً لأفواه أججرة الوحش والحشرات فان الثالج في ذلك المكان ينحسر ويرق لانفاسها من أفواهها ومناخرها ووهج أبدانها فالكلاب في تلك الحال يمتادها الاسترواح حتى تقف بالكلايين على رؤس المواضع التي تثبت الاجرد والقصيص وهي كالتربة التي تثبت الحكمة وتربيتها وربما كانت الواحدة كالرمانة الفخمة ثم تتخلى من بزر وليس لها عرق تمص به من قوى تلك الارض ولكنها أقوى اجتمعت من طريق الاستحالات وكما ينطبخ في أعماق الارض من جميع الجواهر وليس لها بد من تربة ذلك من جوهرها ولا بد لها من وسمي فاذا صار جانبها الى تلك المواضع ولا سيما ان كان اليوم يوماً بشمسه وقع فانه اذا أبصر الاجرد والقصيص استدلل على مواضعها بانتفاح الارض وانصداعها واذا نظر الاعرابي الى موضع الانفاخ يتصدع في مكانه فكان بفتحته في الحالات مستويا علم أنه كجأة وان خاط في الحركة والتصدع علم أنه دابة فاتق مكانها

— باب نوادر وأشعار وأحاديث —

قال الشاعر

وعصيت أمر ذوى النهي * وأطمت رأبي ذوى الجهالة
فاحتات حين صرمتني * والمـرء يعجز لا محاله

وقال بشار

وصاحب كالدمل الممد * حملته في رقمة من جلدي
الحري يحيى والمصا للعبد * وليس للملحف مثل الرد

وقال خالفة الانطم

العبد يقرع بالمصا * والحري تكفيه الملامه

باب من القول في العرجان قال رجل من بني عجل

والبر وابن السكابي يزعم عن الشرقي بن القطامي أن الهر السنور والبر الفارة والباز
والفهد من جوارح الملوك والشاهين والصقر والزرقي والبؤبؤ وليس ترى شريفا
يستحسن حمل البازي لان ذلك من عمل البازيار ويستعجن حمل الصقور والشواهين
وغيرها من الجوارح وما أدري علة ذلك الا ان الباز عندهم أعجمي والصقر عربي
ومن الحيوان الذي يدرب فيستعجب ويكس فيصيح المعقق فانه يستعجب من حيث
تستعجب الصقور ويزجر فيعرف ما يراد منه ويخبأ الحلي فيسأل عنه ويصاح به
فيمضي حتى يقف بصاحبه على المكان الذي خبأ فيه ولكن لا يلزم البحث عنه وهو
مع ذلك كثيرا ما يضع بيضه وفراخه ، وثلاثة أشياء تحب الدراهم والحلي وتفرح
بذلك من غير انتفاع به منها المعقق ومنها ابن مقرض دويبة آلف من ابن عرس
وهو صعب وحشي يحب الدراهم ويفرح بأخذها ويحبها ويصيد المصافير صيدا
كثيرا وذلك انه يؤخذ فيربط بخيط شديد الفتل ويقابل به بيت المصفور فيدخل عليه
فيأخذه وفراخه لا يقتلها حتي يقتلها الوجمل فلا يزال كذلك ولو طاف به على آلف
جحر فاذا حل خيطه ذهب ولم يقم وضرب من الفار يسرق الدراهم والدنانير والحلي
يفرح به ويظهره ويفيه في الجحر وينظر اليه وينقلب عليه قال وخطب الاشعث
فقال أيها الناس انه ما بقي من عدوكم الا كما بقي من ذنب الوزغة يضرب به يمينا
وشمالا ثم لا يلبث أن يموت فرب رجل من قشير فسمع كلامه فقال قبح الله تعالى
هذا ورأيه يأمر أصحابه بقله الاحتراس وترك الاستعداد وقد يقطع ذنب الوزغة
من ثلثها الاسفل فتعيش ان أفادت من الذر وقد تحتمل الخنافس والكلاب من الطعن
الجائف والسهم النافذ ما لا يحتمله مثله شيء والخنافس أعجب من ذلك وكفالك بالضرب
والجلل يكون سنامه كالحمد فيكشف عنه جلده في المجهدة ثم يحث من أصله
بالشفار ثم تماد عليه الجلدة ويداوي فيبرأ ويحتمل ذلك وهو أعجب في ذلك من
الكبش في قطع أليته من أصل عجب ذنبه وهي كالترس وربما فعل ذلك به وهو لا يستطيع
ان ينقل أليته الا بأداة تتخذ ولكن الألية على حال طرف زائد والسنام قد طبق على
جميع ما في الجوف ، ونظر إياس بن معاوية في الرحبة بواسط الى آجرة فقال تجت هذه

بفهمة ذات شرار مضبر * وكاهل باد وعنى أزهى
ومقلة سال سواد الحجر * منها الى شدى رحاب المغفر
فى ذنب طال وجلد أتمر * وأبطل مستأسد غضنفر
وأذن مكسورة لم تجبر * فطساء فيها رجب فى المنخر
مثل وجار التفلى المقور * أرهبا اسحاق فى التذر
منها على الخدين والمعدر

وقال ابن ابى كريمة فى صفة الفهد

كان بنات الففر حين تشعبت * غدوت عليها بالمايا الشواغب
بذلك يبنى الصيد طورا وتارة * بمخطفة الاحشاء رجب التراب
مرفقة الاذنان نمر ظهورها * مخططة الآماق غلب الفوارب
مولمة قطع الحياة عوابس * تحال على أشداقها خط كاتب
فوارس ما تعفين خربا وحلة * اذا أنست بالبيد شرب الكتائب
تضائل حتى ما تكاد تينها * عيون لذي الصراب غير كواذب
توسد أجناد الفوانس أدرعا * مزملة تجكي عناق الجنائب

قال والصبيان يصيحون بالفهد اذا رأوه يهودى وقد عرفنا معناهم فى الحرابى والعامه
توهم أن الفارة كانت يهودية سحارة والأرضة يهودية أيضا عندهم ولذلك يلطخون
الاجذاع لحم الجزور والضب يهودى ولذلك قال بعض القصاص لرجل أكل ضبا
اعلم أنك أكلت شيئا من بنى اسرائيل ولا أراهم يضيفون الى النصرانية شيئا من
السباع والحشرات ولذلك قال أبو علقمة كان اسم الذى أكل يوسف رجحون فقيل له
ان يوسف لم يأكله الذئب وانما كذبوا على الذئب ولذلك قال الله عز وجل وجاؤا على
ثميصه بدم كذب قال فهذا اسم للذئب الذى لم يأكل يوسف فينبغى أن يكون ذلك
الاسم لجميع الذئاب لان الذئاب كلها لم تأكله، وتوهم المجوس أن سومين الذى ينتظرون
خروجه يزعمون أن الملك يصير اليه يخرج على بقرة ذات قرون ومعه سبعون رجلا
عليهم جلود الفهود لا يقول هرا وبرأ حتى يأخذ جميع الدنيا وكذلك ألفاظهم فى الهر

برق على مؤخرها والفهد أنوم الخلق والفهد نومة مصمت قال أبو حية النيرى
بمذاربها أناسا نام حلهم * عنا وعنك وعنهما نومة الفهد

وقال حميد بن ثور الهلالى

ونمت كنوم الفهد عن ذى حفيظة * أكلت طعاما دونه وهو جائع
وقال الرقاشى فى صفة الفهد

قد اغتدى وللليل أحوى السد * والصبح فى الظلماء ذو تهدى
مثل اهتراز المضب ذى الفرند * بأهت الشد تين ملتند
أدبر مضبور القري عاكد * طاوى الحشافى طى جسم معد
كر الوفا حم عضور الجد * برامد ذى نكت مسود
وسحر اللجين سحر ورد * شربث أغلب مصمعد
كلابث الايمر فى الجلد * لالمح الجائل مستعد
حتى اذا عابن بعمد الجهد * على قطة الردف ردف العبد
مر مرعتنا بحس صلد * وانقض باد واغبر مجرهد
فى لهب منه وحبل اد * مثل انسياب الحية العربد
وقوله مثل انسياب الحية العربد هذه الحية غير الدابة التى يقال لها العربد وقد ذكرها
مالك بن خريم لعمر بن ممد يكرب

يا عمرو لو أبصرتنى * لرفوتنى فى الليل رفوا
والبيض تلمع خلفهم * تصوبها الفرسان عصوا
* وفلقت منى عربدا * يقطو امام الخيل قطوا
لما رأيت نساءهم * يدخلن تحت البيت حبوا
وسممت زجر الخيل فى * جوف الظلام هبا وهبوا
ففى فيلق ملومة * تمطو على الخيرات عطوا

وقال الرقاشى أيضا فى الفهد

لما غدا للصيد آل جعفر * رهط رسول الله أهل المنع

انه عني الظربان لان الظربان يفسو في وسط الهجمة فتتفرق الابل فلا تجتمع الا
 بالجهد الشديد ويقال ألج من الخنفساء وقال خلف الاحمر وهو يهجو رجلا
 ألج لجا من الخنفساء * وأزهي اذا ما مشي من غراب
 وأنشد أبو الرديني عن عبد الله بن كراع أخى سويد بن كراع في الضبع
 من يحن أولاد طريف رهطا * مردأ أوله سمطاً^(١) *
 وأى عضايط طوالا سبطا * كأضبع المرط هبطن هبطا
 ثم يفنين هديلا مرطاً * ان لكم عندي هناء لمطا
 * حطما على أنفسكم وعلطا *

وحكى أبو مجيب ما أصابه من أهله ثم قال وقد رأيت رؤيا عبرتها رأيت كأنني
 طردت أرنبا فأنجبرت خفرت عنها حتى استخرجتها فرجوت أن يكون ذلك ولداً
 أرزقه وقد كانت لي ابنة عمها هنا فأردت أن أتزوجها فما نرى قلت تزوجها على
 بركة الله تعالى ففعل ثم استأذني أن يقيم عندنا أياماً فأقام ثم أناني فقلت لا تخبرني
 بشئ حتى أنشدك ثم أنشدته هذه الايات

يأليت شمري عن أبي مجيب * اذبات في مجاسد وطيب
 معانقنا للرشأ الريب * أأثم المحفار في النليب
 أم كان رخو يابس الفضيبي

قال بلي كان والله رخو يابس الفضيبي والله لكأنك كنت معنا ومشاهدنا ، فأما
 الفهد فالذي يحضرنا من خصاله أن يقال انه عظام السنام يشتهي ريحه ويستدل برائحته
 على مكانه ويعجب بلحمه أشد العجب وقد يصاد بضروب منها الصوت الحسن
 فانه يصنى اليه اصفاء حسناً واذا اصطادوا الممن كان أنفع لأهله في الصيد من الجرو
 الذي يربونه لان الجرو يخرج خبا ويخرج الممن على التأديب صبوراً غير خب ولا
 ضرر لكل في صيده وهو أنفع من صيد كل طائر وأحسن في المين وله فيه تدبير
 عجيب وليس شئ في مثل جسم الفهد الا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة التي

صرع الشيطان ومن الازباد ومن النفضة ما ليس عنهما وربما جمعهما في نقاب واحد فأراك
 لله تعالى مجنوناً فلو جابج جمع الحركتين جميعاً بما لا يحجى من طباع المجنون والانسان العاقل
 وان كان لا يحسن يئني كهيئة وكر الزبور ونسج العنكبوت فانه اذا صار الى حكاية
 أصوات البهائم وجميع الدواب وحكاية العميان والعرجان والفأفأ والى أن يصور أصناف
 الحيوان بيده بلغ من حكايته الصورة والصوت والحركة ما لا يبلغه المحكي وفي الناس
 من يحرك أذنيه من بين سائر جسده وربما حرك إحداهما قبل الاخرى ومنهم
 من يحرك شعر رأسه كما أن منهم من يبكي اذا شاء ويضحك اذا شاء وخبرني بعضهم
 أنه رأي من يبكي باحدى عينيه وبالتالي يقترحها عليه الغير ، وحكي المكي عن جوار
 باليمن لمن قرون مضفورة من شعر رؤسهن وان احداهن تلمب وترقص على ابقاع
 موزون ثم تشخص قرناً من تلك القرون ثم تلمب وترقص ثم تشخص من تلك
 الضفائر المرصعة واحدة بعد أخرى حتى تنتصب كأنها قرون أو ابد في رأسها فقلت له
 فاعل التضفير والترصيع أن يكون شديد القتل ببغض العسل والذليد فاذا أخرجه
 بالحركة التي تثبتها في أصل تلك الضفيرة شخصت فلم أره ذهب الى ذلك ورأيت
 بحقيقة ويستشهد بأخيه ، وتزعم الاعراب أن الذئب ينام باحدى عينيه ويزعمون أن
 ذلك من حاق الحذر وينشر شعر حميد بن نور الهلالي وهو قوله

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * المنايا بأخري فهو يقظان هاجع
 وأنا اظن هذا الحديث في معنى ما مدح به تأبط شرّاً

اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * كأني من عينيه شجعمان فانك
 ويجمل عينيه ربيثة قلبه * الى سلة من حد أحضر بانك

ويقال أسمع من قنفذ وقد يذني أن يكون قولهم أسمع من الدلدل من الامثال
 المولدة وفرق ما بين القنفذ والدلدل كما فرق ما بين الفار والجرذان والبق والجواميس
 والبخاتي والارباب والضأن والمعز والذر والنمل والحراف والابل وأجناس من الحيات
 وغير ذلك فان هذه الاجناس منها ما يتسافد ويتلافح ومنها ما لا يكون ذلك فيها
 ويقال انه لا أخش من فاسية وهي الخنفساء لانها تنفس في يد من مسها وقال بعضهم

كان سرا أو كخيلا بنعصر * ينخط من قنفذ ذفراء الزفر
 وقال عباس بن مرداس السلمي يضرب المثل به وبأذنيه في القلة والصفر
 فانك لم تك كبن الرشيد * ولكن أبوك أبو سالم
 حمت المنير وأتقألهما * على أذني قنفذ وارم
 وأشبهت جدك شر الجدود * والعدو يدري إلى النائم
 وأنشدني نديم بن شهاب أحد بني عوف بن كنانة من عكل قال أنشدني نعيم بن
 طارق في تشبيهه ركب المرأة إذا جم بجحد القنفذ

على من عنائه وشقوته * وقد رأيت هذجا في مشيته
 وقد جلى الشيب عذار لحيته * بنت ثمانى عشر من حبيته
 يظنها ظنا بغير رؤيته * ليس بجمع صفة من همته
 لم يجزه الله برحب سمته * جم بعد خلقه وبزته
 كقنفذ القف اختفي في فروته * لا يبلغ الأبر بنزع رهوته
 ولا يكر راجعا بكرته * كأن فيه وهجا من ملته
 ويسمونه بالقنفذ وذو البرة الذي ذكره عمرو بن كاثوم هو الذي يقال له برة القنفذ
 وهو كعب بن زهير وهو قوله

وذو البرة الذي حدث عنه * به نحى ونشفي الماجئينا
 ومن القنفذ جنس وهو أعظم من هذه القنفذ وذلك ان لها شوكا كصياصي الحاكّة
 وانما هي مدارى قد سخرت لها وذلت تلك المغارز والمنابت ويكون متى شاء ان
 ان ينصل منها رمى به الشخص الذي يخفيه فعمل حتى كانه يخرج كالسهم الذي
 يخرج من الوتر ولم أر أشبه به في الحذف من شجر الخروع فان الحب اذا جف في
 أكله وتصدع عنه بعض الصدع حذف به بعض الفصوص فربما وقع على قاب الرمح
 العاوبل وأكثر من ذلك والبرذون يسقط على جالده ذبابة فيحرك ذلك الموضع فهد
 عام في الخيل فأما الناس فان الخنث ربما حرك شيئا من جسده وأى موضع شاء من
 يده والكأعاني وهو اسم الذي يتجنن أو يتفالج فالحج الرعدة والارتماش فانه يحكي من

كانت المظاة آخر من حضر فحضرت وقد قسم السم كله فتداخها الحسرة والاسف
فتراها اذا اشتدت رقت وقفة تذكر لما فاتها من نصيبها من السم ولتفريطها في الابطاء
حتى صارت لا تسكن الا في الخرابات والحشوش لانها حين لم يكن فيها من السم
شيء لم تطلب مواضع الناس كالوزغة التي تسكن معهم البيوت وتكرع في آيتهم الماء
وتنجه وتزاق الحيات وتهيجها عليهم ولذلك نفرت طباع الناس من الوزغة فقتلوها تحت
كل حجر وسلت منهم ولم أر قولاً أشد تنافضة ولا أموق من قولهم هذا لان المظاة لم
يكن ليعتريها من الاسف على فوت السم على ما ذكرنا الا وفي طبعها من الشرارة
الغريزية أكثر مما في طبع الافعى قال الراجز في معنى الاول

ياورلار فرق في سراب * اكان هذا أول الشواب

قال ورقفته سرعته ذاهبا وجائيا ويمينا وشمالا قال أبو دؤاد الأيادي في صفة لسان فرسه

عن لسان حكمة الورل الاحمر * يبعث الثري عليه العرار

وقال خالد بن عجرة ووصف الاصمعي حوافي بعض اراجيزه فقال

في قمر دن ضرس وصدك * يبرج منه بحد ضيق ضنك

فقد قلنا في القنفذ وصنيمه في الحيات والافاعي خاصة وفي أنه من المراكب وفي غير

ذلك من أمره فيما تقدم في هذا الكتاب ويقول من نزع فروته بأنها مملوءة شحمة

والاعراب تستطيب أكله وهو طيب للارواح والقنفذ لا يظهر الا بالليل كالمستخفي

فلذلك شبه به قال أيمن بن خريم

كقنفذ الرمل لا تخفي مدارجه * حتي اذا نام عنه الناس لم ينم

وقال عبدة بن الطبيب

قوم اذا دس الظلام عليهم * خرجوا قنائف بالنيمة تمرع

وقال

شربت الأمسور وغاليتها * فأولى لكم يابى الاعرج

تدبون من حول ركبناكم * ديب القنائف في العرفج

وقال الآخر في غير هذا الباب

لقد وقع الخرموس مني موقماً * أرى لذة الدنيا إليه تصير
والشد والآخر

برح بي ذو النقطتين الامس * يقرص أحياناً وحيناً بنهس
فقد وصفه هذا كما تري وهذا بصدق قول الآخر ويرد على من جمل الخرافيص
من البراغيث قال الآخر

بيت بالليل جواباً على رمث * ماذا هنالك من عض الخرافيص
وسنقول في الورل بما أمكن من القول ان شاء الله تعالى وعلى أنا قد فرقنا القول فيه
على أبواب قد كتبناها قبل هذا قالوا الورل يقتل الضب وهو أشد منه وأجود سلاحاً
والطف بدنا قالوا والسافر منا يكون مسروراً وهو الذي يريف الى الانسان وينفخ
ويتوعد قال واصطدت منها واحداً فكسرت حجراً وأخذت مروة فذبحتها بها حتي
قات قد نطحته فاسبط لحية فأردت ان أصني اليه وأشرت بابهاى في فمه ففض عليها
عضه اختلفت أنيابه فلم يخلها حتي عضضت على رأسه قال ذات أهلك فشققت بطنه
فاذا في قانصته حيتان عظيمتان الا الرأس قال وهو يشدخ رأس الحية ثم يتلعها فلا
يضره سمها وهذا عند أعجب ما فيه فكيف لو رأى الحوائث عندنا وأحدهم يعطى
شيء اليسير فان شاء أكل الأفي نيا وان شاء شواء وان شاء قديداً فلا يضره ذلك
بقايل ولا كثير، وفي أنه ليس شيء من الحيوان أقوى على أكل الحياة وقتلها منه ولا
أكثر سفاداً حتي لقد طم في ذلك على النيس وعلى الجمل وعلى المصفور وعلى الخنزير
وعلى الذباب في المدد وفي طول المكث وفيه أنه لا يحتقر لنفسه بيتاً ويغتصب كل شيء
لانها أي جحر دخلت هرب منه صاحبه فالورل يغتصب الحية نفسها كما تغتصب الحية
بيوت سائر الاحناس والطيور والضب وهو أيضاً من المراكب وهو أيضاً مما يستطاب
وله شحمة ويستطيون لحم ذنبه، والورل دابة خفيف الحركة ذاهبا وجائيا ويمينا وشمالا
وليس شيء بعد العظاة أكثر تلفاً منه وتوقفاً وتزعماً المجوس ان أهرمن وهو ابليس
لما جلس في مجاسه في أول الدهر ليقسم الشر والسموم فيكون ذلك عدة على مناهضة
صاحب الخير اذا انقضى الاجل بينهما ولان من طبعه أيضاً فعل الشر على كل حال

يقول خذلوه حتى أكله الأم السباع وأضعفها وقوله وتزميه الشجر صار برميه من
لا يرى أحداً وقد بقي من القول في الضبع ما سنكتبه في باب القول في الذئب، وأما
الحرقوص فزعموا أنه دويبة أكبر من البرغوث وأكثر ما يثبت له جناحان بعد حين
وذلك له خير وهذا المني يمتري النمل وعند ذلك يكون هلاكه ويمتري الدعاء يص
إذا صارت فراشا ويمتري الجمالان، والحرقوص دويبة عضها أشد من عض البراغيث
وبما أكثر ما يمض احراح النساء والخصا وقد سمي بحرقوص مارن أبو كابية بن
حرقوص قال الشاعر

أنتم بنى كابية بن حرقوص * كلهم هامة كالاخوص
وقال بشر بن المعتز في شعره المراح حين ذكر فضل عليّ على الخوارج وهو قوله
ما كان من اسلافهم أبو الحسن * ولا ابن عباس ولا أهل السنن
غر مصابيح الدجى مناجب * أوائلك الاعلام لا الاعارب
كمثل حرقوص ومن حرقوص * بقمة قاع حولها قصيص
ليس من الحنظل يشتر العسل * ولا من البحور يصطاد الورل
هيات ما سافلة كمالية * ما معدن الحكمة أهل البادية
قال والحرقوص يسمى بالنهيك وعض النهيك ذلك الموضع من امرأة اعرابي فقال
وما أنا والحرقوص ان عض عضه * لها بين رجلها بحد عقور
تطيب بنفسه بعد ما تستفزني * متألها ان النهيك صغير
والذين ذهبوا الى أنه البرغوث نفسه قالوا الدليل على ذلك قول الطرماح
ولو أن حرقوصا على ظهر قملة * يكر على صفي نيم لولت
قالوا ولو كان له جناحان لما أركبه ظهر القملة وليس في قول الطرماح دليل على ما قال
وقال بمض الاعراب وعض الحرقوص خصيته

لقد منع الحراقص الفرار * فلا ليلا يقر ولا نهارا
يفالبن الرجال على خصامهم * وفي الاحراح دسا وانجعارا

وقالت امرأة تغني زوجها

عظيماً فأراها إياه وفي البيت سراج نجم لرجل يشير إلى إيره وعينها طامحة إلى
ظل إيره في ظل الحائط فقال يا كذابة لشدة شهوتك في عظم ظل الإير لم تفهمي
عني شيئاً أما أنك لو كنت جاهلاً كان أنتم لبالك يارائي لو كان منفعة عظم الإير
كمنفعة عظم الركب لما طمحت عينك إليه قال الرجل فان للركب العظيم حظاً في
الدين وعلى ذلك تتحرك له الشهوة قالت وما تصنع بالحركة وشك يؤدي إلى شك
الإير أن عظم فقد ناك جميع الحر ودخل في تلك الزوايا التي لم تزل تنتظم من بعيد
وغيرها المنتظم دونها وإذا صغر ينكث الحر ونصفه وثلاثه فن يسره أن يأكل
بثالث بطنه أو يشرب بثالث بطنه قال اليعقوبي أمكنها والله من القول ما لم يمكنه ،
وقال وخلا معاوية بجزارية له خراسانية فلما هم بها نظر إلى وصيفة في الدار فترك
الخراسانية وخلا بالوصيفة ثم خرج فقال للخراسانية ما اسم الاسد بالفارسية قالت
كنيمان فخرج وهو يقول ما الكنيمان فقيل له الكنيمان الضبع فقال ما لها قاتلها الله
أدركت بثارها والفرس إذا استتبعته وجهه الإنسان قالت روي كنيمان أي وجهه
الضبع ، قال وكتب عمر بن يزيد بن عمير الاسدي إلى قتيبة بن مسلم حين عزل وكيع
ابن أبي سود عن رياسة بني تميم وولاهم ضرار بن حسين الضبي عزات السباع
ووليت الضباع وأنشد لعباس بن مرادس السلمي

فلو مات منهم من جرحنا لأصبحت * ضباع بأكناف الأراك عرائسا
قال خراشة بن أشيم

فمن مبلغ عني يساراً ورافعا * وأسلم أن الأوهيين الأقارب
فلا تدفني في صرى وادفني * بديمومة تنزو على الجنادب
وان أنت لم تمقر على مطبتي * فلاقام في مال لك الدهر حالب
فلا يأكلني الذئب فيما دفنتني * ولا فوغل مثل الصرعية حارب
أزل هليب لا يزال مآبطا * إذا ذربت أنيابه والمخالب

﴿ وأنشد ﴾

توكوا جارهم تأكله * ضبع الوادي وترميه الشجر

وقال الملاجم

معاور حباته الشخص أعم . كالذبح أفني سنه طول الهرم

وأنشد

بجاوز الجرض ولا تشمه * اسائغ المشفر رجب بلعمه

سالت دفاريه وشاب غاصمه * كالذبح في يوم مرس رهمه

يقول وبر لحبيها كثير كأنه شعر قد بله المطر وأنشد

لما رأيت قائما بالغرب * تخلجت أشداه للشراب

تخلج أشداق الضباع القاب

يعنى من الحرص والشره وتمثل ابن الزبير

خذي خريني ضباع وأبشري * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

وانما خص الضباع لانها تدبش القبور وذلك من فرط طلبها للحوم الناس اذ لم تجد لها
ظاهرة وقال تأبط شراً

فلا تقبروني ان فبري محرم * عايكم وليكن خامري أم عامر

اذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكتري * وغودر عند الملتقى ثم سائري

هنا لك لا أبني حياة تسرني * سمير الليالي بسلا بالجرائر

قال اليعقوبي واذا بقي القتل بالعماء وانتفخ أيره لانه اذا ضربت عنقه يكون منبسطا

على وجهه فاذا انتفخ انقلب فعند ذلك تجي الضبع فتركه فتقضي حاجتها ثم تأكله

وكانت مع عبد الملك جارية شهدت معه حرب مصعب فنظرت الى مصعب

وقد انقلب وانتفخ ايره وورم وغلظ فقالت يا أمير المؤمنين ما أغلظ أيور المنافقين

فاطمها عبد الملك ، ابن الاعرابي قالت امرأة لزوجها ، وكانت صغيرة الركب وكان

لزوجها صغير الاير ما للرجل في عظم الركب منفعة وانما الشأن في ضيق المدخل

وفي المص والحارة ولا ينبغي أن يلتفت الي ما ليس من هذا في شيء وكذلك

الاير انما ينبغي أن تنظر المرأة الى حر جلده وطيب عسلته ولا تلتفت الى كبره

وصغره وأنظ الرجل على حديثها انما شديدا فطمع أن يرى ايره في تلك الحال

أنت زعمت قد أمنت منكرى * أحلف بالله العلى الا كبر
 يمين ذي ثرية لم يكفر * لا خضبن منك جنب المنحر
 برمية من بارع مذكر * أو تتركين أحمرى وبقرى
 فاقبلت للقدرد المقدر * فأصبحت في الشرك المزعفر
 مكبوبة لوجهها والمنخر * والشيخ قد مال بقرب مجهر
 ثم أشتوي من أحمر وأصفر * منها ومقدور وما لم يقدر

وقال الآخر

يأبى لى نعلين من جلد الضبع * وشركا من أستها لا ينقطع
 * كل الخذاء يحتذى الحافي الوقع *
 وهذا يدل على ان جلدها جلد سوء واذا كانت السنة جذبة تأكل المال سميتها العرب
 الضبع قال الشاعر

أبا خراشة إما كنت ذانفر * فان قومي لم تأكلهم الضبع
 وقال عمير بن الحباب

فبشرى القين بطمن شرح * يشبع أولاد الضباع العرج
 ما زال إسدي لهم ونسجي * حتى اتقوني بظهور مشج
 * أريتنا يوما كيوم المرج *

وقال رجل من بني ضبة

يا ضبماً أكلت أيار أحمره * ففي البطون وقد راحت فراير
 ما منكم غير جملان ممددة * دسم المرافق انزال غوارير
 وغير همز ولمز للصديق ولا * تنكي عدوكم منكم أضافير
 وانكم ما بطشتم لم يزل أبدأ * منكم على الاقرب الادنى دنائير

وأنشد

القوة أمثال السباع فانشمر * فمنهم الذئب ومنهم النمر
 * والضبع المرجاء والليث المهر *

أبو زياد الكلابي أكلت الضبع شاة رجل من الاعراب فجعل يخاطبها ويقول
 ما أنا يا جمار من خطبك * على دق العضل من أنيابك
 * على هذا جحرك لا اهابك *

جمار اسم الضبع ولذلك قال الراجز
 يا أيها الجعر السمين وقومه * هزلان نحوهم ضباع جمار
 ثم قال الاعرابي

ما صنعت شاتي التي أكلت * ملأت منها البطن ثم جات
 * وخنتني وبئس ما فعلت *

قالت له لا زات تلقى الهما * وأرسل الله عليك الحمي
 * لقد رأيت رجلا معتما *

قال لها كذبت يا خبات * قد طال ما أمسيت في اكثراث
 * أكلت شاة صبية غراث *

قالت له والقول ذو شعجون * أسهبت في قولك كالجنون
 أما ورب المرسل الامين * لا لجنن بترك السمين
 وأمه وجهشه القرين * حتى تكون عقلة العيون
 قال لها ويحك حذريني * واجتهدي الجهد وواعديني
 وبالا ماني فملليني

لا قطعن ملتني الوتين * منك وأشني الهم من دفيني
 فصدقيني أو فكذبيني

أو أترك حق وما يليني * اذا فشلت عندها يميني
 تمرني ذلك باليقين

قالت ابا لقتل لنا تهدد * وأنت شيخ عثر مفند
 قولك بالجنن عليك يشهد * منك وأنت كالذي قد أعهد
 قال لها فأبشري وأبشري * اذا تجردت لساتي فاصبري

وليس للطرف طحال وقد * أشاعه العالم بالامر

وفي فؤاد الثور عظم وقد * يعرفه الجازر ذوالخبر

وليس عندي في الفرس أنه لا طحال له الا ما أري في كتاب الخيل لأبي عبيدة
والنوادير لأبي الحسن وفي الشعر لبشر فان كان جوف الفرس كجوف البرذون فأهل
خراسان في أهل هذا المسكر يذبحون في كل أسبوع عدة براذين وأما العظم الذي
ربما وجد في قاع الثور فقد سمعنا بعضهم يقول ذلك ورأيت في كتاب الحيوان
لصاحب المنطق وأما قوله

وأكثر الحيتان أعجوبة * ما كان منها عاش في البحر

فهو كما قال لان سمك البحر كله ليس له لسان ولا دماغ وأصناف من حيتان البحر
تجبي في كل عام في أوقات معلومة حتى تدخل دجلة ثم تجوز الى البطاح فيها الاشبور
ومنها البرسول ووقته ومنها الجراف ووقته وانما عرفت هذه الاصناف بأعيانها
وأزمانها لانها أطيب ذلك السمك وما أشك ان معها أصنافا اخر يعلم منها أهل الابله
مثل الذي أعلم أنا من هذه الاصناف الثلاثة وأما قوله

وأكبد تظهر في ليها * ثم توارى آخر الدهر

ولا يسيع الطعم مالم يكن * مزاجه ماء على قدر

ليس له شيء لا ذلافه * سوى جراب واسع السمك

فان سمكا يقال له الكوسج غايظ الجلد أجرد يشبه الجري وليس بالجري في جوفها
شحمة طيبة فان اصطادوها ليلا وجدوها وان اصطادوها نهارا لم يجدوها وهذا الخبر
شائع في الابله وعند جميع البحريين وهم يسمون تلك الشحمة الكبد وأما قولهم
السمكة لا تسيع طعمها الا مع الماء فما عند بشر ولا عندي إلا ما ذكر صاحب المنطق
وقد عجب بشر من امتناعها من بلع الطعم وهي منقمة في الماء مع سعة جراب فيها والعرب
تسمي جوف البئر من أعلاه الى قعره جراب البئر وأما ما سوى هذه القصيدة فليس
فيها الا ما يعرف وقد ذكرناه في موضع غير هذا من هذا الجزء خاصة وسنقول في
باب الضبع والفنفذ والخرفوص والورل وأشباه ذلك مما أمكن ان شاء الله تعالى قال

وأما قوله

ومسمع القردان في منهل * أعجب مما قيل في الحجر
لأنهم يقولون أسمع من فرس ويجملون الحجر فرساً بلاهاء وإنما يعنون بذلك الحجر
قانه أسمع قال والحجر وإن ضرب به المثل فالقرد أعجب منها لأنها تكون في المنهل
فتموج ليلة الورد في وقت يكون بينها وبين الابل التي تريد الورد أميال فتزعم
الاعراب أنها تسمع رغاءها وأصوات أخفافها قبل أن يسه مهاشي والعرب تقول أسمع
من قرد وقال الراجز

* أسمع من فرخ العقاب الا سعم *

وأما قوله

والمقرم المعلم ما إن له * مرارة تسمع في الذكر
وخصية تنصل من جوفه * عند حدوث الموت والنحر
ولا يرى بعدهما جازر * شقة شقة مائلة الهدر

فهذا باب قد غلط فيه من هو أعني بتعرف أعاجيب ما في العالم من بشر ولقد تنازع
بالبصرة ناس وفيهم رجل ليس عندنا أطيب منه فاطبقوا جميعاً على أن الجمل إذا نحر
ومات فالتفت خصيته وشقة شقته إنهما لا توجدان فقال ذلك الطيب فاعل مرارة
الجمل أيضاً كذلك ولعله أن تكون له مرارة ما دام حياً ثم تبطل عند الموت والنحر
وإنما صرنا نقول لا مرارة له لأننا لا نصل إلى رؤية المرارة إلا بعد أن تفارق الحياة
فلم أجده ذلك عمل في قلبي مع إجماعهم على ذلك فبعثت إلى شيخ من جزاري باب
المغيرة فسألته عن ذلك فقال بلى لعمري إنهما ليوجدان إن أرادهما مريرد وإنما سمعت
العامة كلمة وربما مزحنا بها فيقول خصية الجمل لا توجد عند منجره أجل والله ما توجد
عند منجره وإنما توجد في موضعها وربما كان الجمل خياراً جيداً فتألق خصيته بكليته
فلا يوجدان لهذه اللة فبعثت إليه رسولا أنه ليس يشفيني إلا المعالجة فبعثت إلى بعد
ذلك بيوم أو يومين مع خادمي نفيس بشقة شقة وخصية ومثل هذا كثير قد يغلط
فيه من يشتد حرصه على حكاية الغرائب وأما قوله

مناقع المياه بجففه في الظل ما الفاء في النار وكان يحترق، وزعموا ان الفلفل لا يضره الحرق ولا الفرق ولا الطلق ولا يصير جراً أبداً قال وكذلك الحمرة فكان هذا الطائر في طباعه وفي طباع ريشه مزاج من النفاطين وأظن هذا من طلق وحطى ومغرة وقد رأيت عوداً يؤتى به من ناحية كرماني لا يحترق وكان عندنا نصراني في عنقه صليب منه وكان يقول لضعفاء الناس هذا العود من الخشبة التي صلب عليها المسيح والنار لا تعمل فيها فكان يكسب بذلك حتى فطن له وعورض بهذا العود وأما قوله

* كما هر سبيع في غمر *

فالماهر هو السابح الماهر وقال الربيع بن نعب
وتري الماهر في غمرته * مثل كلب الماء في يوم مطير
وأما قوله

ولطمة الذئب على حسوه * وصنعة السرفة والدبر

قال فان الذئب يأتي الجمل الميت فيقبض بغمغمته فيعتمد على حجاجي عينه فيلحس عنه بلسانه حسياً فكانما قورت عينه تقويراً لما أعطى من قوة الوده وردده لسانه أشد هراقى اللحم والعصب من لسان البقر في اخللاً فأما عضته ومصته فليس يقع على شيء عظماً كان أو غيره الا كان له بالغاً بلامعانة من شدة فكيه ويقال إنه ليس في الارض سبع يعض على عظم الا ولكسرت صوت بين لحية الا الذئب فان أسنانه توصف بأنها تبرى العظم يري السيف المنموت بان ضربته من شدة مرورها في العظم من قلة نبات العظم له لا يكون له صوت كما قال الزبير بن عبدالمطاب

وينهى نحوه المحتال عنى * غموض الصوت ضربته صموت

ولذلك قالوا في المشل ضربه ضربة فكانما أخطاه لسرعة المر لانه لم يكن له صوت وقال الراجز في صفة الذئب

أطلس يخفي عينه خباره * في شدة صفرة وناره

وسنأتى على صفة الذئب وعلى غير هذا الباب من أمره في موضعه ان شاء الله تعالى وأما ذكر صنعة السرفة والدبر فانه يعنى حكمتهما في صنعة بيوتها فان فيها صنعة عجيبة

الحمل للبدن وقال أخرجني فاعتل عليه قومه في القتال بالورع
كان ربك لم يخلق خشيته * سواهم من جميع الناس انسانا
وقال آخر

كان بلاد وهي الله عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل
وقال الشاعر

يروعه السرار بكل أرض * مخافة ان يكون به السرار
وأنشدني ابن رحيم القراطيسي الشاعر ورمي شاطراً بالجن فقال
رأى في النجوم انسانا * فوارى نفسه شهرا
ويقولون في صفة الحديد اذا أرادوا أنه خالص فمن ذلك قول هيمان
* يمشون في ماء الحديد تنكبا *

وقال ابن نجبا

* أخضر من ماء الحديد جمجم *

وقال الاعشى في غير هذا

واذا ما الا كس شبه بالاز * رق عند الهيجا وقل البصاق

وقال الاعشى

اذ لا نقاتل بالهـ * ولا نراى بالحجارة

وقال الاخطل

وماتركت أسيا فناحين جردت * لا عداثا قيس بن عيلان من غدر

وأنشد الاصمعي

وبنو فزارة انها * لا تلبث الحلب الحلاب

يقولون لا تلبث الحلاب حلبا حتى تهزمهم واما قوله

وطائر يسبح في جاحم * كما هر يسبح في غمر

هذا طائر يسمى سندبيل وهو هندي يدخل في أتون النار ويخرج ولا يحترق له ريشة
وزعم ثمامة أن المأمون قال لو أخذ انسان هذا الطحلب الذي يكون على وجه الماء في

ولما جرننا الخيل خاضت بنا القنا * كما خاضت البزل اليها الطواميا
 رمونا برشق ثم ان سيوفنا * وردن فانكروا القتل المراميا
 ولم يك يثنى النبل وقع سيوفنا * اذا ما عقدنا للاجلاد النواصيا
 باب في ذكر الجبن ووهل الجبان ❦

قال الله عز وجل يحسبون كل صبيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله اني
 يؤفكون ويقال ان جريراً من هذا اخذ قوله

ما زلت تحسب كل شيء بعمدهم * خيلاً تكر غلبهم ورجالا
 والى هذا ذهب الاول

ولوانها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبداً وارتما
 وقال جرّان المود

يوم ارتحلت برحلى قبل برذعتي * والقلب مستوهل للبين مشغول
 ثم اغتررت على نضوي ليحمني * إثر الحول الفوادى وهو معقول
 وهذا صفة وهل الجبان وليس هذا من قوله

كم باقي الاعنة من كفه * وقاد الجياد باذئابها
 وقال الزكواني أو زمرة الاهوازي ففسر ذلك حيث يقول

يجمل الخيل كالسفين ويرقى * عاديا فوق طرفه المشكول
 لانهم ربما تنادوا في العسكر قد جاؤا ولا بأس فيسرج الفارس فرسه وهو مشكول
 ثم يركبه ويحمته بالسوط ويضربه بالرجل فاذا رآه لا يعطيه ما يريد نزل فأحضر على رجله
 'ومن وهل الجبان ان يذهل عن موضع الشكال في قوائمه وربما مضى باللجام الى عجم
 ذنبه وهو قوله يجمل الخيل كالسفين لان لجام السفينة الذي يميزها به والسكان هو
 الذنب، وقال سهل بن هارون الكاتب في المنهزمة من أصحاب ابن نهيك البهروان من
 خيل هرثمة بن أعين

يخيل للمهزوم افراط روعه * بأن ظهور الخيل أدنى من المطب
 لان الجبن يره أن عدوه على رجله أنجي له كأنه يري أن النجاة انما تكون على قلد

وقال عنترة

اذ يتقون بي الأسنة لم أخم * عنها ولكني تضايق مقدمي

وقال قطري بن الفجاءة

وقولي كلما جشأت لنفسي * من الابطال وبحك لا تراعي

فانك لو سألت حياة يوم * سوي الاجل الذي لك لم تطاعى

وقالت الخنساء

يهين النفوس وهون النفوس * غداة الكربة أبقى لها

وقال عامر بن الطفيل

أقول لنفس لا يجاد بمثلها * أقل المزاح اني غير مقصر

وقال جرير

ان طاردوا الخيل لم يشؤا فوارسها * أو نازلوا عائقوا الابطال فاقصروا

وقال ابن مقرم الضبي

واذا تامل بالسياط جيادها * أعطي كتائبها ولم يتعل

فدعوا نزال فيكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

وقال كعب الاشقرى

اليهم وفيهم منتهى الحزم والندى * وللكرب فيهم والخصاصة فاصبح

تري علقا تمشى النفوس رشاشه * اذا انفرجت من بمدن الجوانح

كان القنا الخطي فينا وفيهم * شياطين بثر هيبتها الموانح

هناك فذقنا بالرماح فما يرى * هنالك في جمع الفريقين راح

وذرنا كما دارت على قطبها الرحي * ودارت على هام الرجال الصمائم

وقال مهلهل

ودلفنا بجمعنا لبني شيب * ان ان الخليل يبني الخليل

لم يطيقوا ان ينزلوا ونزلنا * وأخو الحرب من أطاق النزولا

وقال عبدة وهو رجل من عبدة شمس

وكان ضروباً باليدين وباليدين

أما قوله ضروباً باليدين فإنه يريد القداح وأما قوله باليد فإنه يريد السيف، وأما قول
 حسان لفائده حين قربوا الطعام لبعض الملوك أطعام يدين أم يد قال هذا الكلام
 يومئذ وهو مكفوف وإن كان الطعام حيساً أو ثريداً أو حريرة فهو طعام يد وإن كان
 شواء فهو طعام يدين ومن أشعار المقتصدین فی الشعر أنشدني قطرب

تركت الركاب لأربابها * فأجهدت نفسي على ابن الصمق

جعلت يدي وشاحاً له * وبعض الفوارس لا يمتنع

ومن صدق على نفسه عمرو بن الأطنابة حيث يقول

وافدأني على الميكروه نفسي * وضربني هامة البطل المشيع

وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحني

(وقال آخر)

وقلت لنفسي إنما هو عامر * فلا تهيبه وانظري كيف يركب

وقال عمرو بن معدى كرب

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها * جد أول زرع أرسلت فاسبطرت

جاشت إلى النفس أول مرة * فردت على مكروها فاستقرت

وقال الطائي

ودنونا ودنوا حتى إذا * أمكن الضرب فمن شاء ضرب

ركضت فينا وفيهم ساعة * لهذميات وبيض كالشهب

تركوا القاع لنا إذ كرهوا * غمرات الموت واختاروا الهرب

وقال النمر بن توب

سمونا لبشكر يوم ألها * بتهرنا شميريا طوالاً

فلما التقينا وكان الجلا * دأحبوا الحياة فولوا شلالاً

وكما قال الآخر

هم المقدمون الخيل تدمي منحورها * إذا أبيض من هول الطمان السالح

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها * ان الشباب جنون برؤم الكبر
وفي شبيهه بالاول قول الشيخ الباهلي حين خرج الى المبارزة على فرس أعجب فقالوا بال
على بال فقال الشيخ

رأني الاشمرى فقال بال * على بال ولم يعرف بلائي
ومثلك قد كسرت الرمح فيه * فأب بدائه وشفيت دائي

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء

بعمين أباع قاسمنا المنايا * فكان قسمها خير القسم
وقالوا فارس الهيجا فلنا * كذاك الرمح بكاف بالكرم

وقال الاسدي

رفعنا طريقاً بأرماحنا * وبالراح منا فلم يدفعونا
فطاح الوسيط ومال الجوى * حولاتا كل الحرب الا السمينا

وقال الخزيمي

وأعدده ذخرا لكل ملعة * وسهم المنايا مولى بالذخائر

وقال السموأل بن عادي

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرمه آجالهم فتطول
لانا أناس لانرى القتل سبة * اذا ما رآته عامر وسلول

وقال أبو الفيران

يدنو وترفعه الرماح كأنه * شلو تنشب في خالب ضارحي
فتري ضريعا والرماح تنوشه * ان الصراة قصيرة الاعمار

وقال آخر وهو يوصي بلبس السلاح

فاذا أنتم هذه فتلبسوا * ان السلاح بصيرة بالحاضر

(وقال الآخر)

يا فارس الناس بالهيجا اذا شغلت * كلنا اليدى كرورا غير وقاف

فوله شغلت يزيد بالسيف والترس وأنشد أبو اليقظان

مع الفتيان حتى خل جسمي * وأفرع عاتق حمل النجاد
ومما يدخل في هذا الباب قول عنزة

رعناهم والخليل تردى بالقنا * وبكل أبيض صارم فصال
وأنا المنية في المواطن كلها * والطعن مني سابق الآجال
وأما قوله

ان المنية لو تمثل مثلث * مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل
وقال نهشل بن حوى

وما زال ركني يرتقي من ورائه * وفارس هيجا ينفض الصدر واف
فوصف بأنه مجتمع القلب مدبر لا يبرح وقد كان حميد بن عبد الحميد يوصف بذلك
لانه كان لا يرمي بسهم ولا يطعن برمح ولا يضرب بسيف ولكن التصبير والتحريض
والثبات اذا انهزم كل شجاع

باب من نذر في حمية المقتول نذراً فبلغ في طاب ناره الشفاء ❦

قال العباسي

دعوت الله اذ قدنا اليهم * لتلقى منقرا أو عبد عمرو
وكانت حلقة حلفت لوتر * وشاء الله ان أدركت وترى
وانى قد سقمت فكان برئى * بقرواش بن حارثة بن صخر

والاعراب تعد القتل سقماً وداء لا يبرئه الا أخذ ناره دون أخ أو ابن عم فذلك النار
المنيم ومن قال في ذلك صبار بن عباد بن السوام اليشكري في طاب الطائفة وأن ذلك
داء ليس له برء وكانوا قتلوا أخاه اساف بن عباد فلما أدرك ناره قال

ألم يأتها انى ضحوت وانى * شفانى من الداء الخامر شافى
فأصبحت ظلياً مطلقاً من حباله * صحيح الادب بعد داء اساف
وكنتم مغطى في قناعى حقبة * كشفت قناعى واعتطف عطاى

وفي شبيه هذا المذهب من ذكر الداء والبرء قال الآخر

وقال الآخر

طعنة ما طغنت في جمع الذ * م هلالا وأين منى هلال
طعنة الشابر المصمم حتي * نجم الرمح خلفه كالخلال

وقال الحارث بن حنظلة

لا يقيم العزيز بالبلاد السـ * ل ولا ينفع الذليل النجاء
حول قيس مثلثمين بكبش * قرطى كأنه عبلاء
فرددناهم بضرب كما ينح * رج من خربة المزاد الماء
وفعلنا بهم كما علم الله * وما للخائشين ذماء

وقال ابن هرمة

المشرفية والمظاهر نسجها * يوم اللقاء وكل ورد صاهل
وبكل أدوع كالخريق مطاعن * فسياف فمائق فمنازل
وبروى فمادل واذا قد ذ كرنا شيئا من الشعر في صفة الضرب والظمن فقد ينبغي أن
نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من اسراف من أسرف واقتصاد من اقتصد
فأما من أفرط فقول مهمل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرر بالذكور

وقال الهذلي

والظمن شمشعة والضرب هبة * ضرب الممول تحت الديعة العضدا
وللقسي أراميل وغنمة * حين الجنون تسوق الماء والقردا

ومن ذلك قول عنتره

برحبة الفرعين يهدي جرسها * بالليل معبس السباع الضرم

وقال قيس بن الاسات

قد حصت البيضة رأسي فـ * أطعم نوماً غير تهجاع

وقال دريد بن الصمة

أعاذل انما أفني شهابي * ركوبي في الصريح الى المنادي

ونائحة رافع صوتها * تنوح وقد وقع المرزم
تنوح وتسبر قلاسة * وقد غابت الكف والمعصم

وقال آخر

ومستنة كاستبال الخرو * ف قد قطع الجبل بالمرود
رفوع الاصابع ضوء الشمو * ش نجلاء مؤسية العود

وقال محمد بن بشير

وطعن حليس كفرخ النطيح * أفرغ من ثعب الحاجر
تهال العوائد من فتقها * ترد السبار على السابر
وأنشد والرجل من أزد شنوءة

وطعن حليس قد طغنت مرشة * يقطع أحشاء الجبان شهيقها
إذا باثروها بالسبار تقطعت * تقطع أم السكر شيب عقوقها
وروي للفند الرماني ولا أظنه له

كففنا عن بني هند * وقتلنا القوم اخوان
عسى الايام ترجفهم * جميعا كالذبي كائنا
فلما صرح الشر * وأضحى وهو عريان
شدنا شدة الليث * غدا والليث غضبان
بضرب فيه تفجيع * وتوهين واران
وطعن كغم الزق * وها والزق ملان

وأنشد السدي لرجل من بلحارث

أتيت الحرم في رحله * فشمز رحلي بعنس خبوب
تذ كر مني خطوبا مضت * ويوم الالباء ويوم الكشيب
ويوم حزار وقد الجموا * وأشرطت نفسي بان لا أثوب
ففرجت عنهم بنفاخة * لها عائد مثل ماء الزبيب
إذا سبروها عوى كلبها * وجاشت الهم بان صبيب

وحليل غالية تركت مجدلا * تمكو فريصته كشدق الأعم
يريد شديق البعير في السعة وقال الآخر
كم ضربة لك تحكي فافراسية * من المصاعب في أشداه علم
وقال الكميث

مشارف قرحي أكلن البريدا
(وقال آخر)

بضرب يلقح الضبعان منه * طروقه ويأنف السفارا

وقال الباهلي

بضرب كأذان الفراء فضوله * وطمن كإزاع المخاض بثورها
كانه ضربه بالسيف فملاق عليه من اللحم كأمثال آذان الحمير وقال بعض المحذنين
وهو ذو اليمينين

ومقمص تشخب أوداجه * قد بان عن منكبه الكاهل

فصار ما بينهما هوة * يمشى بها الراح والنابل

وفي صفات الطعنة والضربة أنشدني ابن الأعرابي

تمني أبو اليقظان عندي هجمة * فسهل مأوى ليها بالكلا كل

ولا عقل عندي غير طعن نوافذ * وضرب كاشداق الفصال الهوازل

وسب يود المرء لومات دونه * كوقع الهضاب صدعت بالمعاول

﴿وقال الآخر﴾

جمعت بها كفي فانهرت فتقها * ترى قائما من خلفها ماوراءها

وقال البعيث

أئن أمرت معزى عطية وأرأيت * تلاعا من المروت أحوي جميعها

تعرضت لي حتى ضربتك ضربة * على الرأس يكبو للبدن أميمها

إذا قاسها الآسى النطاسي أرعشت * أنامل آسيها وجاشت هرومها

وقال الآخر

فانه يقال أفدر من ذئب وأخبث من ذئب وأكسب من ذئب على قول الآخر
أكسب للخير من الذئب الازل

والخير عنده في هذا الموضع ما يمش ويقوت والخير في مكان آخر المال يعينه على
قوله عز وجل ان ترك خيراً الوصية وعلى قوله وانه حب الخير لشديد أي انه من
أجل حب المال لبخيل عليه ضيق به متشدد فيه والخير في موضع آخر الخصب
وكثرة المأكول والمشروب تقول ما أكثر خير بيت فلان والخير المحض الطاعة
وسلامة الصدر وأما قوله

أخبث من ذئب خمر

فعلى قول الراجز

أما أناك عني الحديث * اذا أنا بالفائض استغنيث

والذئب وسط غزى يعيث * وصحت بالفائض يا خبيث

وقالوا في المثل مستودع الذئب أظلم، واخذ دويبة عمياء صماء لا تعرف ما يدنو منها الا
بالشم تخرج من جحرها وهي تعلم أن لا سمع ولا بصر لها وانما تشحافها وتقف على
باب جحرها فيجىء الذباب فيسقط على شديدها ويمر بين لحبيها فتدفعها عليها
وتستدخلها بمجذبة النفس تعلم أن ذلك هو رزقها ونفسها فهي تعرض لها نهاراً ودون
الليل وفي الساعات من النهار التي يكون فيها الذباب أكثر لا تفرط في الطلب ولا
تقصر في الطلب ولا تخطئ الوقت ولا تملط المقدار ولا تخذل أيضاً تراب حوالى جحره
هو الذي أخرجه من الجحر يزعمون أنه يصلح لصاحب النقرس اذا بل بالماء وطلى
به ذلك المكان وأما قوله

والفيل والاعلم كالوبر

فالفيل معروف والاعلم البعير وبذلك يسمى لأنه أبدا مشقوق الشفة العليا ويسمى

الانسان اذا كان كذلك به ويدل على أن الأعلم والبعير سواء قول الراجز

اني لمن أنكر أو توسم * ابن جياش أفود الأعلم

وقال غنزة

تعرف بالاحساس أقدارها * في الاسر والالحاح والصبر
يقول لا يخفى علي كل سبع ضعفه وتجلده وقوته وكذلك البهيمة الوحشية لا يخفى
عليها مقدار قوة بدنّها وسلاحها ولا مقدار عدوها في الكر والفِر وعلى أقدار هذه
الطبقات تظهر أعمالها وأما قوله

والضبع العشاء مع ذئبها * شر من اللبوة والنمر
كما ترى الذئب اذا لم يطق * صاح فجاءت رسلا تجري
وكل شيء فعلى قدره * يحجم أو يقدم أو يجري
لان هذه السباع القوية الشريفة ذوات الرياسة الاسد والنمر والبيور لا تعرض
للناس الا بعد أن تهرم فتعجز عن صيد الوحش وان لم يكن بها جوع شديد فربها انسان
لم تعرض له وليس الذئب كذلك الذئب أشد مطالبة فان خاف العجز عوى عواء
استغاثة فتسامعت الذئاب وأقبلت فليس دون أكل ذلك الانسان شيء ، وتسم الاشياء
فقال انما هو نكوص وتأخر وفرار واحتجام وليس بفرار ولا اقدام وكذلك هو
وأما قوله

والكيس في المكسب شمل له * والعنديل الفرخ كالنسر
فالعنديل طائر أصغر من ابن نمرة وأصغر من ابن فرة وهو الذي يضرب به المثل
في صغر الجسم والنسر أعظم سباع الطير وأقواها بدنا وقال يونس النحوي وذكر
خلفا الاخر فقال يضرب ما بين العنديل الى الكركي وقد قال فيه الشاعر
ويضرب الكركي الى القنبر * لا عانسا يبغي ولا محتمل
﴿ وقال ﴾

وبما أقول لصاحبي خلف * أيها اليك تحذرن خلف
فلو أن بيتك في ذري علم * من دون قلة رأسه شفت
لخشيت قدرك ان يبيتها * ان لم يكن لي عنه منصرف
وفي المثل كل طائر يصيد على قدره وأما قوله

والخلد كالذئب على كسبه * والفيل والأعلم كالوب

القصيد التي فيها ذكر الرافضة والاباضية والنباتة فليس هذا موضع تفسيره
وسنقول في قصيدته الأخرى بما أمكننا من القول ان شاء الله تعالى انقضت قصيدة
بشر بن المعتز الأولى وأما قوله

* أو ابد الوحش واحناشها *

فان الاوابد المقيمة والاجناش الحيات مما صار بعد الضب والورل والحرباء والوحرة
وأشبه ذلك من الاحناش وأما قوله

وكلمها شر وفي شرها * خير كثير عند من بدرى

يقول هي وان كانت مؤذية وفيها فوائد فان فيها دواء وفيها عبرة لمن فكر وأذاها محنة
واختبار فبالاختبار يطمع الناس وبالطاعة يدخلون الجنة وسئل علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه غير مرة في علل نالته ف قيل له كيف أصبحت فقال بشر ذهب الى
قوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق وأما قوله

فشرهم أكثرهم حيلة * كالذئب والثعلب والذر

فقد فسر لك في قوله

والليث قد جلدته عليه * بما حوى من شدة الاسر

وهكذا كل من وثق بنفسه وقلت حاجته ويزعم أصحاب القنص ان العقاب لا تكاد
تواوغ الصيد ولا تمانى ذلك وانها لا تزال تكون على المرقب العالي فاذا اصطاد بعض
سباع الطير شيئاً انقضت عليها فاذا أبصرها ذلك الطائر لم يكن همه إلا الحرب
وترك صيده في يدها ولكنها اذا جاءت فلم تجد كافياً لم يمتنع عليها الذئب فما ذونه
وقد قال الشاعر

مهبل ذئبها يوماً اذا قلبت * اليه من مستكف الجو شملافاً

وقال آخر

كانها حين فاض الماء واحتملت * صقعا للاح لها بالقفرة الذيب
صبت عليه ولم تنصب من أمم * ان الشقاء على الاشقين مصبوب

وأما قوله

أَجْمَلُ لَيْثًا ذَا عَرَبِينَ تَرَى لَهُ * نِيَوًا وَأُظْفَارًا وَعَرَسًا وَأَشْبَالًا
كَأَخْرِ ذَانَابٍ حَدِيدٍ وَغُخَابٍ * وَلَمْ يَتَّخِذْ عَرَسًا وَلَمْ يَحْمِمْ مَعْقَلًا

وذلك ان فتيين تواجبا بالخناجر أحدهما صبيري والآخر كلبي فملا الى الامير
فضرب الصبيري مائة سوط فلم يحمدا صبره وشغل عن الكلي فضربه يوم العرض
خمسائة سوط فصبر صبرا حمدا ففخر الكلي بذلك على الصبيري وابن مناذر مولى
سليمان بن علان بن شماس الصبيري فقال هذا الشمر ومعناه ان شجاعا لواقى الاسود
وهو مساح بأرض هـ وبها غريب وليس هو بقرب خيضته وأشباله لما كان معه مما
يتخذ مثل الذى يكون معه في الحال الأخرى يقول وانما صبر صاحبكم لانه إنما
ضرب بحضرة الا كفاه والاصدقاء والاعداء فكان هذا مما أعانه على الصبر وضرب
صاحبنا في الخلاء وقد وكل الى مقدار جودة نفسه وقطعت المادة بحضور البطالة
وسمعت حمدان أبا العقب وهو يقول للامام له وكيف لا تستطيل على وقد ضربوك
بين الناس خمسين سوطا قلم تنطق فقال اذا ضربه السجان مائة فناة في مكان ليس فيه
أحد فصبر فهو أصبر الناس وأما قوله مشي السبنتي هو النمر صار اسما لكل سبع جرى
ثم صاروا يسمون الناقة القوية سبنتى قال الشاعر

* مشي السبنتى وجد السبنتى *

وأما قوله وتمسح النيل لعقاب الهوي * والليث رأس وله الامر

ثلاثة ليس لهم غالب * الالبما ينقض الدهر

فانهم يزعمون أن الهواء للعقاب والارض للاسد والماء للتمساح وليس للنار حظ في
شيء من أجناس الحيوان فكأنه سلم الرياسة على جميع الدنيا للعقاب والاسد والتمساح
ولم يمد الهواء ونصر المدود أحسن من مد المقصور وزوت المعتزلة المذكورون كلهم
رواية عامة الاشعار وكان بشر أرواهم للشعر خاصة وقولهم الطائر هوأى والسماك
مأى مجاز كلام وكل حيوان في الأرض فهو أرضى قبل ان يكون مأىاً أو هوأىاً لان
الطائر وان طار في الهواء فان طيرانه فيه كسباحة الانسان في الماء وانما ذلك على
التكلف والحيلة ومتى صار الى الارض ودلى نفسه لم يجد بداً من الارض، وأما بقية

البعوض نهـ اراً أكثر وتخرج الوزغة والعنكبوت الذي يقال له الليث فيصيدان
الذباب بالطف حيلة وأجود تدبير ثم تذهب تلك أيضاً بشأن غيرهما كأنه يقول بهذا
ذهب في أكل الطيبات بعضها لبعض وليس لجميعها بد من الطعم ولا بد للصائد ان
يصطاد وكل ضعيف فهو يأكل أضعف منه وكل قوي فلا بد أن يأكله من هو
أقوي منه والناس بعضهم عن بعض شبيه بذلك وان قصروا عن درك المقدار فجعل
الله عز وجل بعضها حياة لبعض وبعضها موتاً لبعض وقال المنهال

ووثبة من خرز أعصر * وخرنق يلب فوق التراب

وعض فوط قد تقوي على * محلولك البقة مثل الحباب

وظالم يعدو علي ظالم * قد ضج منه حشرات الشباب

وهذان الظالمان اللذان عني الأسود والأفنى فان الأسود اذا جاع ابتلع الأفنى وشكا
الى حواء مرة فقال افقرني هذا الأسود ومنعني الكسب وذلك ان امرأتى جهات
فرمت به في جونة فيها أفعى ثلاث أو أربع فابتلعن كلهن وارائى حية منكورة
لا يبعد ما قال، والعرب تقول للمسيء أظلم من حية وقد ذكرنا في موضعه من هذا
الكتاب ولا يستطيع أن يروم ذلك من الأفعى الا بأن يفتلها فيقبض على رأسها
وقفاها فان الأفعى تنفذ في الأسود لكثرة دمه واذا وصفوا اسم الحية بالشدة
والاجهاز خبروا عنها أنه لم يبق في بدنهام ولا فلة ولذلك قال الشاعر

لو حزت ما أخرجت منه يد بدلا * ولو تكشفه الزاقون ما سئما

وقال آخر

ليمعة من حنش أعمى أصم * قد عاش حتى ما هو يمشى بدم

والشأن في السلاح كلما كان أقل كان أبلغ وكلما كان أكثر عدواً وأشد ضرراً كان
أشجع وأجبن ليكل من عرف أنه دونه وأنشد أبو عبيدة

مشي السابقي الى هيجاء مقطعة * لها سلاحا أنياب وأظفار

كلاسه له فم الذئب وحسبك بفم الذئب وله فضل قوة الخالب وللنسر منسر وقوة
بدن يكون هماً فوق العقاب ولذلك قال ابن منذر

كما خمرت في حضنها أم عامر * لدى النخل حتى عال أوس عيالها
وأشد أبو غبيدة في ذلك شعراً فسر به المعنى وهو قوله

والذئب يفتدو بنات الذئج نافلة ه بل يحسب الذئب ان النجل للذئب
يقول لكثرة ما بين الذئاب والضباع من التسافد يظن الذئب ان أولاد الضبع أولاده
والأمر في الأعراب عجيب في أكل السباع والحشرات فمنهم من يظهر استطابتها
ومنهم من يفخر بأكلها كالذي يقول

أيام عمرو من يكن عقر داره * جراء عدي يأكل الحشرات
وأما قوله

لا ترد الماء أفاعى النقا * لكنها يمجها الخمر

وفي ذرى الحرمل ظل لها * اذا علا واحتدم الهجر

قال ومن العجب ان الافاعي لا ترد الماء ولا تريده وهي مع هذا اذا وجدت الخمر
شربت حتى تسكر حتى ربما كان ذلك سبب حتفها والافاعي تكره ريح السذاب
والشيج وتستريح الى نبات الحرمل وأما أنا فاني أقيت على رأسها وأنفها من السذاب
ما غمرها فلم أر على ما قالوا دليلاً وأما قوله

وبعضها طعم لبعض كما ه أعطى سهام الميسر القمر

فان الجرذ يخرج يلتمس الطعم فهو يخالط طعمه وهو يأكل ما دونه في القوة كسحق
صغار الدواب والطيور ويضها وفراخها ومما لا يسكن في حجر أو تكون أفاحيصه
على وجه الارض فهو يخالط لذلك ويحتاج لمنع نفسه من الحيات ومن سباع الطيور والحية
تريد الجرذ لئلا ياكله وتحتاج أيضاً للامتناع من الورل والنفذ وهما عليه أقوى منه
عليهما والورل إنما يخالط للحية ويحتاج للثعلب والثعلب يخالط لما دونه ، قال وتخرج
البعوضة لطلب الطعم والبعوضة تعرف بطبعها ان الذي يعيشها الدم ومتى أبصرت
الفيل والجاموس وما دونهما علمت انما خلقت جلودهما لها غذاء فتسقط عليهما وتطمن
بخرطومها ثقة منها بنفوذ سلاحها وبهجومها على الدم وتخرج الذبابة لها ضروب من
المطعم والبعوض من أكبر صيدها وأحب غذائها إليها ولولا الذباب لكان ضرر

* وتدمرى قاصع في جعر *

فقال الشاعر

واني لأصطاد اليرابيع كلها * شفاريها والتدمرى المقصما
واليرابيع ضربان الشفاري والتدمرى مثل القوى والمذكى وقال جرير حين شبه أشياء
من المرأة بأشياء من الحشرات وغيرها وذكروا فيها الجمل فقال
ترى التيمى يزحف كالقربنا * الى تيمية كعصا المليـل
يشف الزعفران غروس تيم * وتمشي مشية الجمل الدحول
يقول المجتلون غروس تيم * سوى أم الحنين ورأس فيل
وقال عبيد بن أبوب المنبرى في ذكر اليربوع

حملت عليها ما لوان حمامة * تحمله ظارت به للحفاف
نطوعا وانساعا وأشلاء مدنف * ترى رسمه طول السرى في المخاوف
فرحنا كما راحت قطاة تنورت * لا رغب ملق بين غير صفاف
ترى الطير والمصفور يبحثن وطأها * وينقرن وطأ المنسم المتقاذف
وقال ابن الأعرابي وهو الذي أنشدنيه ترى الطير واليربوع يعني أنهما يحسبان في
آثرهما ما جأ ياجأ اليه إما لشدة الجوع وإما لغير ذلك وأنشد أصحابنا عن بعض
الأعراب وشعرائهم أنه قال في أمه

فما أم الردين وان أجلت * بمالة بأخلاق الكرام
إذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبل التوام
يقول إذا دخل الشيطان في قاصمها ففاها تنفقناه أى أخرجناه من النفاق بالحبل المثنى
وقد مثل وأحسن في نعت الشعروان لم يكن أحسن في العقوق وأنشدني قوس
لا كزة السهم ولا قلع * بدرج تحت عجبها اليربوع
القلوع من القسي الذي إذا نزع فيها انقلبت على كف النازع وأما قوله
تخال به السمع الأزل كأنه * إذا ما عـدا البيت
ويقولون ان الضبع إذا هلك قام بشأن جرائها الذئب وقال الكمي

خلقه وفي أكل الحشرات والنبات

يارب يربوع قصير الظهر * وشاخص العجب ذليل الصدر
ومحكم البيت جميع الأمر * يرعى أصول سلم وسدر
حتى تراه كمداد العكر * باكرته قبل طلوع الفجر
بكل فياض اليدين غمر * وكل قناص قليل الوفر
مرتفع النجم كريم النجر * فعادمي بهيمد القعر
مختلف البطن عجيب الظهر * وتدمري قاصع في جحر
في العسران كان وبعد العسر * أطيب عندي من جني التمر
وشحمة الارض طعام المثري * وكل جبار بعيد الذكر
وهدسة أرفعها لفطري * ليوم حفل وليوم فخر
وكل شيء في الظلام يسرى * من عقرب أو قنفذ أو وبر
أو حية أملها في الجمر * فتلك همى واليها أجري
في كل حال من غني وفقير * وكل شيء لقضاء يجري
وكل طير جائم في وكر * وكل يعسوب وكل دبر
والذيخ والسمع وذئب القفر * والكاب والتتفل بعد الهر
والضب والحوت وطير البحر * والأعور الناطق يوم الزجر
آكله غير الحرابي الخضر * أو جعل صلى صلاة العصر
يشكر إن نال قرا من جمر * ياويله من شاكر ذي كفر
* أفسد والله على شكري *

فزع أنه يستطيب كل شيء إلا الحرباء الذي قد اخضر من حر الشمس والا الجميل
الذي يصلي العصر وزعم أنه انما جعل ذلك شكراً على ما أطم من العذرة وان ذلك
الشكر هو اللؤم والكفر ولا أعرف معنى صلاة الجميل وقد روى ابن الاعرابي عن
زاهر قال يابني لاتصل فانما يصلي الجميل ولا تصم فانما يصوم الحمار وما فهمته بمد
وأراه قد قدم الهدسة وهي أم حيين وهذا خلاف ما روى عن الاعرابي والمدني وأما قوله

وكلهم شر على أنفسهم * حميدة والميلاء حاضنة الكسف
 متى كنت في حي بجيلة فاستمع * فان لها قصفا يدل على حتف
 اذا اعزموا يوما على قتل زائر * تداعوا عليه بالنباح وبالغزف
 وذلك أن الخناقين لا يسرون الا معا ولا يقيمون في الامصار الا كذلك فاذا عزم
 أهل دار على خنق انسان كانت العلامة بينهم الضرب على دف أو طبل على ما يكون
 في دور الناس وعندهم كلاب مرتبطة فاذا تجابوا بالغزف ليختفي الصوت ضربوا تلك
 الكلاب فنبعت وربما كان منهم معلم يوءدب في الدرب فاذا سمع تلك الاصوات أمر
 الصبيان برفع الهجاء والفراة والحساب ، وأما الاعمى فهو المغيرة بن شعبة صاحب
 المغيرة مولى بجيلة والخارج على خالد بن عبد الله القسري ومن أجل خروجه عليه
 قال اطعموني ماء حتى انمي عليه ذلك يحيى بن نوفل فقال

تقول من النواكة أطعموني * شربا ثم بلت على السري

لا علاج ثمانية وشيخ * كليل الحد ذي بصر ضير

واما حميدة فكانت من أصحاب ليلى الناعظية ولها رياسة في الغالية والميلاء حاضنة أبي
 منصور صاحب المنصورية وهو الكسف قالت الغالية اياه عني وان يروا كسفا من
 السماء ساقطا يقولوا سحاب مراكوم وياه عني معدان الاعمى حيث يقول
 ان ذا الكسف صد آل كليل * وكليل رذل من الارذل
 تركا بالعراق داء دويا * ضل فيه تطف المحتال

وأما قوله

إنزل أبا عمرو على حد قربة * تربغ الي سهل كثير السلائق

فأراد الحرب لانه متى كان في ظهر فظ كثير الجواد والطرائق كان أمكر وأخفي ، وما
 أحسن ما قال النابغة في صفة الطريق اذا كان يتشعب حيث يقول

وما حية أو عزبر في ظهيرة * كمثل اليماني قاصدا للمناهل

له حجل يهوى فرادى وبرعوى * الى كل ذي تبريق بادي الشواكل

وهذا موضع اليربوع في تديره ومكره وقال الآخر في صفة اليربوع وفي حيلته وفي

اليدين فاذا خافت شيئاً لا ذت بالصعداء فلا يكاد يلحقها شيء ، قال وأخبرني ابن أبي نجيع
وكان حج مع المسيب بن شريك عام حج المهدي في سلسبيل قال زاملت المسيب
في حجته تلك فبينما نحن نسير اذ نظرنا الى يربوع يتخلل فراسخ الابل فصاح بعلمانه
دونكم اليربوع فاحضروا في أثره فأخذوه فلما حططنا قال اذبحوه ثم قال اسلخوه
واشوووه وأتوني به في غدائي قال فأتني به في آخر الغداء على رغيف قد رعبوه فهو
أشد حمرة من الزهوة يريد البسرة فمطف عليه ففني الرغيف ثم غمره بين راحتيه
ثم فرغ الرغيف فاذا هو قد أخذ من دسمه فوضعه بين يديه ثم تناول اليربوع فزغ
نخذاً منه فتناولها ثم قال كل يا أبا محمد فقلت مالى به حاجة فضحك ثم جعل يأتي عليه
عضواً عضواً ، قال وأما أم حبين فهي الهدسة وهي أم الحبين وهي دويبة تأكلها
الاعراب مثل الحرباء الا أنها أصغر منها وهي كدراء لسواد بيضاء البطن وهو خلاف
قول الاعرابي للمدني ، وقال اعرابي لسهل بن هارون في تواري سهل من غرمائه
وطلبهم له طلباً شديداً فأوصاه الاعرابي بالحزم وتدبير اليربوع فقال

انزل أبا عمرو على حد قرية * توبغ الى سهل كثير السلائق

وخذ نفق اليربوع واسلك سبيله * ودع عنك اني ناطق وابن ناطق

وكن كأبي فطن على كل رائع * له منزل في ضيق الارض شاهق

وانما قال ذلك لاحتيال اليربوع بأبوابه التي يخرج من بعضها اذا ارتاب بالبعض الآخر
وكذا كانت دار أبي فطنة الخفاف بالكوفة في كندة يزعمون أنه كان مولى لهم
وأشد أبو عبيدة قال أنشدني سفيان بن عيينة

اذا ما سرك العيش * فلا تمر على كندة

وقد قتل أبو فطنة وصاب ، ومن كان يحنق الناس بالمديشة عدية المديشة الصفراء
وبالبصرة رادوية والمريون بالحنق من القبائل وأصحاب النحل والتأويلات هم الذين
ذكرهم أعشي همدان في قوله

اذا سرت في عجل فسر في صحابة * وكندة فاحذر ها حذارك للخصف

وفي شيمة الاعمي خناق وغيلة * وفشب وأعمال لخندلة القذف

وقال الحكمي

بأرض باعد الرحمة * ن عنها الطالح والعشرا
ولم يجعل مصائدنا * يرايها ولا وحرا

وأما قوله

وهيشة تأكلها سرفة * وسمع ذئب همه الحضرة
فالهيشة أم حبين وحينئذ سواء وقد ذكرنا شأنها وأنشد

أشكو اليك زمانا قد تمرقنا * كما تمرق رأس الحية الذئب

وقد ذكرنا شأنها في صدر هذا الكتاب ويقال إنها لا تقيم بمكان تكون فيه هذه
الدودة التي يقال لها السرفة واليهما ينتهي المثل في الصنعة ويقال إنها أصنع من سرفة
ويقال إنها تقوم مع أم حبين مقام القراد من البعير إذا كانت أم حبين في الأرض
التي تكون فيها هذه الدودة، قال وقال مدني لا عرابي أنا كلون الضب قال نعم قال
فاليربوع قال نعم قال فالوحررة قال نعم حتى عهد أجناسا كثيرة من هذه الحشرات
قال أفنا كلون أم حبين قال لا قال فلتين أم حبين العافية، قال ابن أبي كريمة سأل عمرو
ابن كريمة اعرابيا وأنا عنده فقال أنا كلون القربا قال طال والله ما سال ماؤه على
شدقي، وزعم أبو زيد النحوي سميد بن أوس الانصاري قال دخات على رؤبة واذ
قدامه كانون وهو يل على جره جردا من جردان البيت يخرج الواحد بعد الواحد
فيأكله ويقول هذا أطيب من اليربوع يأكل التمر والجبين ويحسو الزيت والسمون
﴿ وأنشد ﴾

رؤي التيجي بزحف كالقربا * الى تيمية كقفا القردوم

وقال آخر

يدب على احشائها كل ايلة * ذئب القربا بات يملونقا سهلا

قال واليربوع دابة كالجرذ منكب على صدره لقصر يديه طويل الرجلين له ذئب
كذئب الجرذ يرفقه الصمداء اذا هرول واذا رأيته كذلك رأيت فيه اضطرابا وعج
والاعراب تأكله في الجهد والخصب، قال وكل دابة حشاها الله تعالى خبثا فهو قصير

ان أبا الخرشن شيخ هلب * محب ما يحتويه العجب
 قد كنت لما ان أجد الركب * واعتز القوم صحار رحب
 يا أجنح الاذن الاتخب * أهانك الله فبئس النجب
 ما كان لي اذا اشتريك قلب * بلى ولكن ضاع ثم اللب
 ان الذي باءك خب ضب * أخبرني انك غير ندب
 وشر ما قال الرجال الكذب * صب غليه ضبيع ودب
 سرحانة وحسل قرشب * ذبح عدته رملة وهضب
 كأنه تحت الظلام سقب * يأخذ منه من رآه الرعب
 أبو جراد مسهن السقب * حتى يقال حيث أفضى السحب
 وأنت تقاق هناك ضب * وصبح الراعي مجرى غب
 ورخعات بينهن ككاب * واكرع المير وقرث رطب
 يقول ادنوني الى شرائه ويقال ثرية لقيك لغة طائية وقال قرواش بن حوط
 نبئت انك يا عقال حويله * بشفاف ذنى عدم ولى لا أعلا
 صيفى مجامده وليثى همدنة * تقتلنى حمرا اذا ما أظلا
 لا تسأمانى من رسيس عداوة * أبدا فليست بسائم ان تسأما
 غضا الوعيد فإ كونا لوعدى * فيا ولا اكلاله متخضا
 فتي الا فكما البراز تلافيا * عركا يفل الحدشا كالمعلم
 قال وقال المديس الكلابى الوحرة دويبة كالعظاة خضراء اذا اجتمعت تلصق بالارض
 وجمع وحرة وحر مفتوحة الحاء ومنه قيل وحر الصدر كما قيل للعقد ضب ذهبوا
 الى لزوقه بالصدر كالتزاق الوحرة بالارض وأنشدوا
 بئس عمر الله قوم طوقوا * فقروا أضيا فم لحم وحر
 وسعقوهم فى إناء مقرف * لبنا من ذى مخراط فئر
 يقال لحم وخر اذا دب عليه الوحرة مقرف مبول ويقال فئر اذا وقعت فيه فارة

حلول للسلاح إلا في مرق بطنه فانه من هناك ضعيف جداً وقال التغلبي
 ترى الناس منا جلد أسود سالح * وزبرة ضرغام من الاسد ضعيف
 وله مع ذلك بدم الوثبة والازوق بالارض وله الجس باليد وله الطمن بالخب حتى ربما
 حبس البعير بينه وطين بخاب يساره في لبتة وقد ألقاه على مؤخره فينأى دمه
 شاحيا فاه وكأنه ينصب من فوارة حتى اذا شربه واستفرغه صار الى شق بطنه وله
 العض بأنياب صلاب حداد وفك شديد ومنخر واسع وله مع البرثن والشدة بأظفاره
 دق الاعناق وحطم الاصلاب وله انه أسرع حضراً من كل شيء أعمل الحضر في
 الحرب منه وله من الصبر على الجوع ومن قلة الحاجة الى الماء ما ليس مع غيره
 وربما سار في طلب الماء ثمانين فرسخاً في يوم وليلة ولو لم يكن له سلاح الا زثيره
 وتوقد عينيه وما في صدور الناس له لكفاء، وربما كان كالبعير الذي يعلم ان سلاحه في
 نايه وفي كركرته والانسان يستعمل في القتال كفيه في ضروب ومرفقيه ورجليه
 ومنكبيه وفه ورأسه وصدره كل ذلك له سلاح ويعلم مكانه يستوى في ذلك العائل
 والمجنون كما يستويان في الهداية في الطعام والشراب الى الغم والمرأة اذا ضعفت عن
 كل شيء فزعت الى الصراخ والولولة التماساً للرحمة واستجلاً بالانبياء في حماها
 وكفاتها أو من أهل الحسبة في أمرها، باب قال ويقال لولد السبع الهجرس والجمع
 هجارس ولولد الضبع الفوغل والجمع فواغل قال ابن حبناء

سلاجين منها بال كوب وغيرها * اذا مارآها فوغل الضبع كفرا
 قال والديسم ولد الذئب من الكلبة وسألت عن ذلك أبا الفتح صاحب قطرب فأنكر
 ذلك وزعم ان الديسمة الذرة واسم أبي الفتح هذا ديسم ويقال انه دويبة غير ما قالوا
 ويقال لولد اليربوع والفار درص وأدراص ويقال لولد الارنب خرنق والجمع خرائق
 قال طرفة

اذا جاسوا خيلت تحت ثيابهم * خرائق توفي بالضغيب لها نذرا

﴿ أشعار فيها اخلاط من السباع والوحش والحشرات ﴾

قال مسعود بن كبير الجرمي من طيء يقولها في حمار اشتراه فوجده على خلاف ما

ممن لا يرجع الى سلاحه ولا الى خبثه كان اما أن يكون أشد خضرا ساعة الحرب
 من غيره واما أن يكون ممن لا يمكنه الحضر ويقطعه الجبن فلا يبرح حتى يؤخذ
 وانما تقرب الشاة بالمتابعة والانقياد للسمع تظن أن ذلك مما ينفعها فان الاسد اذا
 أخذ الشاة لم يتابعه ولم تمنه على نفسها فربما اضطر الاسد الى أن يجرها الى عرينه
 واذا أخذها الذئب عدت معه حتى لا يكون عليه فيها مؤنة وهو انما يريد أن يحميها
 عن الراعي والسيكاب وان لم يكن في ذلك الوقت هناك كلب ولا راع فيرى أن
 يجري على عادته وكذلك الدجاج اذا كن وقفا على أغصان الشجر أو على الرفوف
 فلو مرتحتها كل كلب وسنور وكل ثعلب وكل شئ يطالبها فاذا مر ابن آوى بقر بها
 لم يبق منها واحدة الا رمت بنفسها اليه لان الذئب هو المقصود به الى طباع الشاة
 وكذلك شأن ابن آوى والدجاج يخيل اليها أن ذلك مما ينفع عنده وللجبن تفعل كل
 هذا ولمثل هذه العلة نزل المنهزم عن فرسه الجواد ليحضر ببدنه يظن اجتهدته أنجالة
 وأنه اذا كان على ظهر الفرس أقل كذا وان ذلك أقرب الى الهلاك ولمثل هذه العلة
 يتشبث الفريق بمن أراد انقاذه حتى يفرقه ويفرق نفسه وهما قبل ذلك قد سمعا بحال
 الفريق والمنهزم وانهما انما هما في ذلك كالرجل المعافا الذي يتعجب ممن يشرب الدواء
 من يد أعلم الناس به فان أصابته شقيقة أو لسعة عقرب أو اشتدكي خاصرته أو أصابه
 حصر أو أسر شرب الدواء من يد أجهل الخليفة أو جمع بين دواءين متضادين
 فالاشياء التي تعلم أن سلاحها في أذنانها وما آخرها الزنبور والثعلب والعقرب والحباري
 والظربان وسيقع هذا الباب في موضعه ان شاء الله تعالى وليس ثي من صنف الحيوان
 أردى حيلة عنده معارضة العدو من الغنم لانها في الاصل موصولة بكفايات الناس
 فأسندت اليهم في كل أمر يصيبها ولولا ذلك لخرجت لها الحاجة ضروبا من الأبواب
 التي تعينها فاذا لم يكن لها سلاح ولا حيلة ولم يكن ممن يستطيع الانسياب الى جحر
 وصدع صخرة أو في ذروة جبل وكانت مثل الدجاجة فان أكثر ما عندها من الحيلة
 اذا كانت على الارض ان ترتفع الى رف وربما كانت في الارض فاذا دنا المغرب فرزت
 الى ذلك وربما كان عند الخنفس من الآلات ضروب كنجو زهرة الاسد ولبدته فانه

أبوك سليم قد عرفنا مكانه * وأنت بحجري قصير قوائمه
ومن يحمل الظرب القصار ظهرها * كمن رفعت في السماء دعائه

قال والظربان يعلم أن سلاحه في فسائه ليس شيء عنده سواء والحباري تعلم أن سلاحها في سلاحها ليس لها شيء سواء قال ولها في جوفها خزانة لها فيها أبدأ رجع معد فاذا احتاجت إليه وأمكنها الاستعمال استعملته وهي تعلم أن ذلك وقاية لها وتعرف مع ذلك شدة لزجه وخبث نتته وتعلم أنها تساور بذلك الورق وإنما تثقله فلا يصيد ويعلم الديك أن سلاحه في صنعه ويعلم أن له سلاحاً ويعلم أنه تلك الشوكة ويدري لأي مكان يحتاج وأي موضع يطعن به والقنفذ تعلم أن فروتها جنة وإن شوك جلد ها وقاية فما كان منها مثل الدلدل ذوات المدارى فلما ترمى فلا تخطى حتى يمر مرور السهم المسدد وان كانت من صغارها قبضت على الأفعى وهي واثقة بأنه ليس في طاقة الأفعى لها من المكروه شيء ومتى قبضت على رأس الأفعى فالخطب فيها يسير وان قبضت على الذنب أدخلت رأسها فقرضتها وأكلتها أكلاً وأمكنها من جسمها تصنع ماشاءت ثقة منها بأنه لا يصل إليها بوجه من الوجوه، والاجناس التي تأكل الحيات القنافذ والخنازير والعقبان والسناير والشاهمرك على أن النسور والشاهمرك لا يتعرضان للكبار ويعلم الزبور أن سلاحه في شعرته فقط كما تعلم العقرب أن سلاحها في أبرتها فقط وتعلم الذباب والبعوض والقملة أن سلاحها في خراطيمها وتعلم جوارح الطير أن سلاحها في مخالبها ويعلم الذئب والكلب أن سلاحهما في أشداهما فقط ويعلم الخنزير والأفعى أن سلاحهما في أيابهما فقط ويعلم الثور أن سلاحه قرنه لا سلاح له غيره فإن لم يجد الثور والكبش والئيس قرونا وكانت جما استعملت باضطرار مواضع القرون والبرذون يستعمل فيه وحافر رجله ويعلم النمساح أن أحد أسلحته وأعونه ذنبه ولذلك لا يمرض إلا لمن وجده على الشريعة فإنه يضربه ويجممه إليه حتى ياتيه في الماء وذنب الضب أنفع من برائه وانما تفزع هذه الاجناس الى الخبث والى ما في طبيعها من شدة الحضر اذا عدت السلاح فعند ذلك تستعمل الحيلة مثل القنفذ في امكان عدوه من فروته ومثل الطي واستعمال الحضر في المستوي ومثل الارنب واستعماله الحضر في الصعداء واذا كان

قد هدم الضفدع بيت الفارة * فجاءت الرعية والوباره
* وحلم يشد بالحجاره * وهذا مثل قولهم

واختلط النقد على الجعلان * وقد بقي درهم وثلاث

واما قوله

والظربان الورد قد شفه * حب الكشام والوحر الحمر

وليس ينسبه اذا مافسا * شئ ولو أحرزه قصر

قال أبو ساليان الغنوي الظربان أخبث دابة في الارض وأهلكه لفراخ الضبة قال
فسألت زيد بن كثره عن ذلك فقال أي والله وللضب الكبير والظربان دابة فساءة
لا يقوم لشرفسوها شئ قلت فكيف يأخذها قال يأتي جحر الضب وهو بابا يستروح
فاذا وجد الضب ريح فسوه دخل هاربا في جحره ومعه من فوق الجحر
مستمعا حرشه وقد أصفى بأحدى أذنيه من فوق الارض نحو صوته وهو أسمع دابة
في الارض فاذا بلغ الضب منتهاه وصار الى أقصى جحره وكف حرشه استدبر جحره
ثم حفر عليه من ذلك الموضع وهو متي شمه غشى عليه فيأخذه قال والظربان واحد
والظربان الجميع مثل الكروان للواحد والكروان للجميع وأنشد قول ذي الرمة
من ال أبي موسى تري القوم حوله * كأنهم الكروان أبصرن بازيا

والعامة لا تشك ان الكروان ابن الحباري لقول الشاعر

ألم تران الزبد بالتمر طيب * وان الحباري خاله الكروان

وقال غيره الظربان يكون على خلقه هذا الكلب الصيني وهو من جنس جدد يدخل في جحر
الضب فيفسو عليه فينتن عليه بيته حتى يزلق الضب من بيته فيصيده والضباب
الدلالى أيضا التي يدخل عليها السيل فيخرجها وأنشد

يا ظربانا يتعشي ضبا * رأي العقاب فوقه فحبا

كان خصيه اذا أكبا * فروجتان تطايبان حبا

* أو ثملبان يحضران ضبا *

وأنشد الفرزدق

وقال آخر

انى أتيح لكم حرباء تنضبة * لا يترك الساق الا ممسكاسا
قال وكان مولى لابي بكر الشيباني فادعى الى العرب من ايلته فاصبح الى الجلوس في
الشمس قال قال لي محمد بن منصور مررت به فاذا هو في ضاحية واذا هو يحك جلده
بأظفاره خمشا وهو يقول انما نحن ابل وقد كان قيل له مرة انك تنشبه بالعرب فقال الى
يقال هذا انا والله حرباء تنضبة يشهد لي سواد لونني وشعائتي وغور عيني وحبي للشمس
قال والحرباء ربما رأى الانسان فتوعده ونفخ واطاول له حتى ربما فزع منه من لم يعرفه
وليس عنده شر ولا خير، واما الذي سمعناه من أصحابنا ان الورل السامد هو الذي
يفعل ذلك ولم أسمع بهذا في الحرباء الا من هذا الرجل، قال والحرباء أيضا المسمار
الذي يكون في حلق الدرع وجمعه حرباء وقد كنا غفلنا ان نذكر الوبر في البيت
الاول قال رجل من بني تغلب

اذا رجونا ولد من ظهر * جاءت به اسود مثل الوبر
* من بارد الادني لعيد القمر *

وقال مخارق بن شهاب

فيارا كبا اما عرضت فبلغن * بنى فالج حيث استقر قرارها
هلوا الينا لا تكونوا كانكم * بلافع أرض طار عنها بارها
وأرض التي أنتم لقيتم بجوها * كثير بها أو عالها ومدارها
فهبها هؤلاء بكثرة الوبار في أرضهم ومدح هؤلاء بكثرة الوعول في جبلهم وقال آخر
هل يشتمنى لا أبالكتم * دنس الثياب كطابخ القدر
جعل تمطى في غيابة * زمر المروءة ناقص الشر
لزبابة سوداء حنظلة * ولعاجز التدبير كالوبر
ويضرب المثل بتين الوبر ولذلك يقول الشاعر

تطلى وهي سيبة المقر * بوضر الوبر تحسبه ملأيا
وتتبن الوبر هو قوله ومما تتأرجح به الاعراب فمن ذلك قول الشاعر

بمستأسد القرى ان حو تلاعه * فنوارده ميل الى الشمس زاهره
وقال ذو الرمة

اذا جعل الحرباء يغبر لونه * ويخضر من لفتح الهجير غباغه
وينسج بالكف بن نسجاً كأنه * أخو جفرة على به الجذع صالبه
وقال ذو الرمة أيضاً

وهاجرة من دون مية لم يقل * فلو صى بها والجنذب الجون يرمح
إذا جعل الحرباء مما أصابه * من الحر يلوى رأسه ويرمح
وقال آخر

كان يدي حرباءها متشمسا * بدا مجرم يستغفر الله نائب
وقال آخر

لظا يفتح الحرباء حتى كأنه * أخو حربات بزئوبه شائع
﴿ وأنشدوا ﴾

قد لاحها يوم شمس ملهـاب * أهاج ما لشمسه من جلباب
يرى الاكام من حصاة طبطاب * شال الحرابي له بالاذناب
وقال العباس بن مرداس

على فاص يعلوها كل سبب * تخال به الحرباء أنشط جالسا
وقال الشاعر

تجاوزت والمصفور في الحجر لاجيء * مع الضب والشقدان تسود دورها
وقال أبو زيد

واستمكن المصفور كرها مع الضب * وأوفى في عوده الحرباء
والشقدان الحرابي وقوله تسود في الشجرة وعلى رأس الدود والوجه الشقدان باسكان
القاف وكسر الشين وأنشد

ففيها اذا الحرباء مد بكفه * وقام مثيل الراهب المتعب
وذلك ان الحرباء اذا انتصف النهار فعلا في رأس شجرة صار كأنه راهب في صومته

وكل نفاض القفا ملهد * ينصب رجله حذار المعتدى
 وشحمة الارض وفرخ الهدهد * والفار واليربوع ما لم ينفد
 فزارهم ناقة لم تخمد * سواء أحناش ولم تغرد
 من الجبين والنطاء الأجرد * بيت يسرى مادنا بئد
 وكل مقطوع المرا مملكد * حتى ينالوه بعود أو يد
 منها وأبصار سمال جهد * بقدون بالجد وبالتشدد
 زحفا وجوا مثل حبو المهد

وأما قوله

حرباؤها في قبطها شامس * حتى يوافي وقته العصر
 بميل بالشرق إليها كما * يميل في روضته الزهر
 قال والحرباء دوبة أعظم من المظاة أغبر ما كان فرخانم يصفر وانما حياته الحر فتراه
 أبداً أبدت جونة يعنى الشمس قد لجأ بظهره الى جدل فان رمضت الارض ارتفع ثم
 هو يقاب بوجهه أبداً مع الشمس حيث دارت حتى تغرب الا ان يخاف شيئاً ثم
 تراه سابحاً بيديه كما رأيت من المصلوب وكما حيت عليه الشمس رأيت جلده قد يخضر
 وقد ذكره ذو الرمة بذلك فقال

يظل بها الحرباء للشمس ماثلاً * الى الحول إلا أنه لا يكفر

إذا حول الظل العشى رأته * حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر

غداً أصفر الا على وراح كأنه * من الضح واستقباله الشمس أخضر

وإذا الجمل أيضاً يستقبل بهامته الشمس الا أنه لا يدور معها كيف دارت كما تفعل
 الحرباء وشقائق النعمان والخيرى يصنع ذلك ويتفتح بالنهار وينضم بالليل والنيلوفر
 الذى ينبت بالماء يغيب الليل كله ويظهر بالنهار والسمك الذى يقال له الكوسج في
 جوفه شحمة طيبة وهم يسمونها الكبد فان اصطادوا هذه السمكة ليلاً وجدوا هذه
 الشحمة فيها وافرة وان اصطادوها نهاراً لم توجد وقد ذكر الخطيئة دوران النبات
 مع الشمس حيث يقول

تدارى غراء أحواله * وربك أعلم بالمصرع
وقد قال عروة بن الورد في النمشير حين دخل المدينة فمیل له ان لم تمشر هلك
فقال

لعمري اثن عشرت من خيفة الردى * نهـاق الحمير اني لجزوع
وللارنب جلد ووبر ينفع به ولحمه طيب ولا سيما ان جعل محشيا لانه يجمع حسن
المنظر واستفادة العلم مما يرون من تديرها وتدير الكلاب والانتفاع بالجلد وبأكل
اللحم وما أقل ما تجتمع هذه الأمور في شيء من الطير وأما قولهم
اذا ابتدر الناس المعالي رأيتهم * قياما بأيديهم مسوك الارانب
هجومهم بانهم لا كسب لهم الاصيد الارانب ويبيع جلودها وأما قوله
وغائص في الرمل ذو حدة * ليس له ناب ولا ظفر

فهذا الغائص هو الحلكاء دوية نفوس في الرمل كما يصنع الطائر الذي يسمى الغماس
في الماء وقال ابن سحيم في قصيدته التي قصده فيها للفرائب والحلكاء التي يبيع في
الرمل ومما نفوس في الماء ويسبح فيه سباحة السمكة في الماء شحمة الرمل وهي شحمة
الارض بيضاء حسنة يشبه بها كف المرأة وقال ذو الرمة في تشبيه البنان بها
خرا عيب أمثال كان بنائها * بنات النقا تخفي سراراً وتظهر

وقال أبو سليمان الفنوي هي أعرض من المطاة بيضاء منقطة بحمرة وصفرة أحسن
دواب الارض وتشبه أيضاً أطراف البنان بالاساريع وبالغنم اذا كانت مطرفة وقال
مرفش

النشر مسك والوجه دنا * نير وأطراف الأ كف غم
وصاحب البلاغة من العامة يقول كان بنائها البياج والدراج ولها ذراع كأنها شبوطة
ويشبهه أيضاً بالدمقس ومن خرافات أشعار الاعراب يقول شاعرهم
أشكو الى الله العلي الأجد * عسبراً مثل فراخ السره
عشائراً قد نيفوا بفرقد * قد ساقهم خبث الزمان الانكد
وكل خرباء وكل خـرجـد * وكل رام في الرمال يهتدي

العجب أنها تحيض وانها لا تسمن وان قضيب الخرز ربما كان من عظم على صورة
قضيب الثعلب ومن أعاجيبها أنها تنام مفتوحة العين فربما جاء الاعرابي أن يأخذها
من تلقاء وجهها ثقة منه بأنها لا تبصر وتقول العرب هذه أرنب كما يقولون هذه
عقاب ولا يذكرون وفيها التوبير الذي ليس لشيء من الدواب التي تحتال بذلك
صائدة كانت أو مصيدة وهو الوطاء على مؤخر القوائم كيلا تعرف الكلاب آثارها
وليس يعرف ذلك من الكلاب الا الماهر وانما تفعل ذلك في الارض اللينة واذا فعلت
ذلك لم تسرع في الهرب وان خافت أن تدرك انحرفت الى الحزونة والصلابة وانما
تستعمل التوبير قبل دنو الكلاب وليس لشيء من الوحش مما يوصف بقصر اليدين
ما للارنب من السرعة والفرس يوصف بقصر الكراع فقط وكانت العرب في
الجاهلية تقول من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا نفس ولا سحر وكانت
عليه واقية لان الجن تهرب منها وليست من مطاياها لما كان الحيض وقد قال في ذلك
امرؤ القيس

يا هند لا تنكحي بوهة * عليه عقيقته أحسبا
مرسعة بين ارساغه * به عسم يتبني أرنبها
ليجعل في يده كعبها * حذار المنية أن يعطبا

وفي الحديث بكى حتى رسمت عينه مشددة وغير مشددة أي قد تفتيرت ورجل
مرسع وامرأة مرسعة وكان اذا دخل أحدهم قرية خاف من جن أهلها ومن وباء
الحاضرة أشد الخوف الا أن يقف على باب القرية فيعشر كما يعشر الحمار في نهيقه
ويعاق عليه كعب أرنب ولذلك قال قائلهم

ولا ينفع التعشير في جنب خرمة * ولا ددع يفني ولا كعب أرنب

الخرمة القطعة من النخل وقوله ددع كلمة كانوا يقولونها عند العثار وقد قال الحاددة
ومطية كلفت حل مطية * حرج ثم من العثار بددع

وقالت امرأة من اليهود

وليس لوالدة نفسها * ولا قولها لا إنها ددع

واذا تصفحه الفوارس معرضاً * فتقول سر حان الغضا المتعجب
اما اذا استدبرته فتسوده * سوقا يقصمها وظيف أحذب
منه وجاءرة كان حاتمها * كسب طم مكان الحل عنها أرنب

وقال عبد الرحمن بن حسان

كان حماتهما أرنبا * ن غيضا خيفة الاذوب

وَأَنْشُدِ الْاَثَرِمْ

بأعصف الاذن الطويل العمر * وأرب الخلة تلو الدهر

قد سمعت من يذكر ان اذن الانسان دليل على طول عمره حتى زعموا ان شيخا من الزنادقة لعنهم الله تعالى قدموه لتضرب عنقه فعدى اليه غلام سمدي كان له فقال أليس قد زعمت يا مولاي ان من طالت أذنه طال عمره قال بلى قال فما هم يقتلونك قال انما قلت ان تركوه وأنا لا أعرف ما قال الاثرم ولا سمعت شمرأ حديثا ولا قديما يخبر عن طول عمر الارنب قال الشاعر

معبلة في قلدح نبع حازر * تسقى دم الجوف لظفر قاصر

اذا لاتزال أرنب أو فازر * أو کروان أو حباری کاسر

الى حمار أو أتان عاهر

قال ويزعمون أنه ليس شيء من الوحش في مثل جسم الارنب اقل لبنا ودرورا على ولد منها ولذلك يضرب بدها المثل فمن قال في ذلك عمرو بن قتيبة حيث يقول

ليس بالمطعم الارانب اذ قلنا * ص در الاقتاح في الصبر

ورأيت الاماء كالجيش البا * لى عكوفاعلى قرارة قدر

ورأيت الرجال كالورم الاضخم * يذباع من وراء ستر

حاضر شرکم و خـ۔۔۔ ہرکم * دم جرومن الارانب بکر

والارباب قصير اليمين فلذلك يخفى عليه الصمداء والتوكل في الجبال وعرف أن ذلك

سهل عليه فصرف بعض حيله الى ذلك عند ارهاق الكلاب اياه ولذلك يمجنون بكل

كلب قصير اليدين لانه اذا كان كذلك كان أجدر أن يلحقها وفي الارانب من

برويه ما يروى الذباب فينثني * سكر او يشبعه كراع الارنب

وانما ذكر كراع الارنب من بين جميع الكراعات لان الارنب هي الموصوفة بقصر الذراع وصغر اليد ولم يرد الكراع فقط وانما أراد اليد بأسرها وانما جعل ذلك لها بسبب نحن ذا كروه ان شاء الله تعالى ، والفارس بوصف بقصر الذراع فقط والتوبيير لكل محتمل من صفات السباع اذا طمع في الصيد وخاف أن يصاد كالثعلب وعناق الارض هي التي يقال لها التفة وهي دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسناً وربما وائب الانسان فعمره وهو أحسن صيداً من الكلب وفي أمثالهم لانت أغني من التفة عن الرفة وهو الثبن الذي تأكله الدواب والماشية من جميع البهائم والتفة سبع خالص لا يأكل الا اللحم والتوبيير أن تضم برائنها فلا تطفأ على الارض الا بطن الكف حتي لا يرى لها أثر برائن وأصابع وبعضها يطأ على زماته وبعضها لا يفعل ذلك وذلك كله في السهل فاذا أخذت في الحزونة والصلابة وارتفعت عن السهل حيث لا ترى لها آثار قالوا ظلفت الاثر تظافه ظلفاً وقال النخيري أظلفت الاثر إظلافاً وعند عبد الملك بن نمر عن قبيصة بن جابر ما الدنيا في الآخرة الا كنفخة أرنب ويقال حذفته بالمصا كما نحذف الارنب وقال أبو الوجيه الكلبي لو كانت والله الضبة دجاجة لكانت الارنب دراجة ذهب الى أن الارنب والدراج لا تستعمل لحومها ولا تنقب شحومها وانما سمها بكثرة اللحم وذهب الى ما يقول المعجبون منهم بلحم الضب فانهم يزعمون ان الطممين متشابهان وأنشد

وأنت لو ذقت الكشابل كباد * لما تركت الضب يسمى بالواد

قال والضب يعرض لبيض الظالم ولذلك قال الحجاج لاهل الشام انما أنا لكم كالظلم الراح عن فراخه ينقي عنها القذر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب وبحرسها من الذئاب يا أهل الشام أنتم الجبة والرداء وأنتم العدة والحذاء

﴿ ثم رجع القول الى الارانب ﴾

فما في الخيل مما يشبه الارنب قول الاعشى

اما اذا استقبلته فيكانه * جذع سمانوق النخيل مشذب

قدمه قول مخارق الطائي حيث يقول

واني قد علمت مكان عث * له ابل معاسة تسوم
عن الاضياف والجيران عذب * فأدوت والفتي دُنس لثيم
واني قد علمت مكان طرف * أغر كأنه فرش كريم
له نعم يمام المحلل فيها * ويروي الضيف والزف العظيم

وأما قوله

* وخرنق يسفده وبر *

فان الاعراب يزعمون ان الوبر يشتهى سفاد المكرشة وهي أنثى الارانب ولكنه
يمجز عنها فاذا قدر على ولدها وب عليه والانثى تسمى المكرشة والذكر هو الخرز
والخرنق ولدهما قال الشاعر

قبـخ الاله عصـابة نادتهم * في جحججان الى أسافل نثق
أخذوا العناق وعرضوا احسابهم * لمجرب ذكر الحديد معرق
ولقد قرعت صفاتكم فوجدتكم * متشبثين بزاحف متعلق
ولقد غمزت فئاتكم فوجدتها * خرعاء مكسرها كمد معرق
ولقد قبضت بقلب سلمة قبضة * قبض المقاب على فؤاد الخرنق
ثم انتحمت للحمه فأكلته * في وكر مرتفع الجناح معلق
قالوا أنه قالها أبو حبيب بعد ان قال جشم ما قال وقد قدم اليه طعامه، ووصف اعرابي
خلق اعرابي فقال كان في غفائه خرزاً وكان في عضده جرداً وأنشدوا الماتح ووصف
ماتحاوراه يستقي على بثره فقال

أعددت للورد اذ الورد حفز * دلو جرورزا وجلالا حزرز
وما تحالا لا يثنى اذا احتجز * كان تحت جلده اذا احتفز
* في كل عضو جردين أو خرز *

وسنقول في الارنب بما يحضرنا ان شاء الله تعالى قال الشاعر

زعمت غداة ان فيها سيدها * ضخمها يوازنه جناح الجندب

حباري في اللقاء اذا التقينا * وحفات اذا اجتمع الفريق

وقال اعرابي

واست بحفات يطاول شخصه * وينفخ نفخ الكبير وهو لئيم

ووقع بين رجل من العرب ورجل من الموالي كلام فاربي عليه المولى وكان المولى فيه مشابه من العرب والاعراب فلم يشك ذلك العربي أن ذلك المولى عربي وأنه وسط عشيرته فأنخزل عنه فلم يكلمه فلما فارقه وصار الى منزله علم انه مولى فبكر عليه غدوة فلما رأى خذلان جلسائه له ذل واعتذر فعند ذلك قال العربي في كلمة له

ولم أدر ما الحفات حتي بلوته * ولا نقض للاشخاص حتي تكشفها

وقد أدركت هذه القصة وكانت في البحرين عند مسجر بن السكن عندنا بالبصرة فهو قوله والعت والحفات ذو نخفخ لان الحفات له نفخ وتوثب وهو ضخم شنيع المنظر فهو يهول من لا يعرفه وكان أبو ديجونة مولى سليمان يدعى غاية الاقدام والشجاعة والصرامة فرأى حفاتا وهو في طريق مكة فوجده وقد قتله اعرابي ورآه أبو ديجونة كيف بنفخ ويتواعد فلم يشك الا أنه أخبت من الافى ومن الثعبان وأنه اذا أتى به وادعي أنه قتله سيقضى له بقتل الاسد واليبر والنمر في نقاب خمله وجاء به الى أبيه وهو مع أصحابه وقال ما أنا اليوم الا ذئب وما يذئبني لمن أحس بنفسه مثل الذي أحس ان يرمى في المهالك والمعاطب ويذئبني ان يستبقها للجهاد أو دفع عن حرمة وحریم يذب عنه وذلك إني هجمت على هذه الحية وقد منعت الرفاق من السلوك وهربت منها الابل وأمن في الحرب عنه كل جمال ضخم الجزيرة فزئني اليه طبيعة الابطال فراوغتها حتى وهب الله الظفر وكان من البلاء انها كانت بأرض ملساء ما فيها حصاة وبصرت بفهر على قاب غلوة فسميت اليه وأنا أسوار كما تلمون فوالله ما أخطأت حاق لمزمته حتي رزق الله عليه الظفر وأبوه والقوم ينظرون في وجهه وهم أعلم الناس بضعف الحفات وأنه لم يؤذ أحدا قط فقال له أبوه ارم بهذا من يدك لعنك الله ولعنه معك ولعن تصديقي لك ما كنت تدعيه من الشجاعة والجرأة فكبروا عليه وسموه قاتل الاسد ، ومما هجوا به حين يشبهون الرجل بالعت في لؤمه وصغر

وأما قوله

ونمسيح خله طائر * وسابح ليس له سحر
فالتساح مختلف الاسنان فينشب فيه اللحم فيغذيه فينتن عليه وقد جعل في طبعه أن
يخرج عند ذلك الى الشط ويشجي، فاه لطائر يعرفه بعينه يقال انه طائر صغير أرقط
فيجئ من بين الطير حتي يسقط بين لحية ثم ينقره بمنقاره حتي يستخرج جميع ذلك
اللحم فيكون غذاء له ومما شأ ويكون تخفيفا عن التساح وترفيها فالطائر الصغير يأتي
ما هنالك يلتمس ذلك الطعم والتساح يتعرض له لمعرفة بذلك منه وأما قوله وسابح
ليس له فان السمك كله لا رنة له قالوا وانما تكون الرنة لمن يتنفس هذا وهم يرون
منخري السمك والخرق النافذ في مكان الانف منه ويجعلون ما يرون من نفسه إذا
أخرجوه من الماء ان ذلك ليس بنفس يخرج من المنخرين ولكنه تنفس جميع البدن
وأما قوله

والث والحفات ذو خفخ * وخربق يسفده وبر
فان الحفات دابة تشبه الحية وليست بحية وله وعيد شديد ونفخ وتواب ومن لم يعرفه
كان له أشد هيبة منه للاغاعي والتمايين وهو لا يضر بقليل ولا كثير والحيات تقتله
وأشد

ايضا يشون وقد رأوا أحفائهم * قد عضه ففضي عليه الاسود
والث دويبة تقرض كل شيء وليس له خطر ولا قوة ولا بدن قال الرازي
يحثني وردان أي حث * وما بحث من كبير عث
إهابه مثل إهاب الث

وأشد

وعث قد وكلت اليه أهلى * فطاح الاهل واجتبح الجريم
وما لاهي به طرف فيوحي * ولا صك اذا ذكر القصيم
فان تشتمونا على لؤمكم * فقد يقرض الـث ماس الاديم

وقالوا في الحفات هجا الكروبي أخاه فقال

تنتخ أي تنزع وتستخرج والعرب تسمي المنقاش المنتاخ ويقال نقت الرخم تنق نقيقا
وأشد أبو الجراح

حديثا من سماع الدل وعمر * كان نقيقين نقيق رخم
والنقيق يشترك يقال نق الضفدع ينق نقيقا ويقال أعز من الابلق المقوق وأبعد
من بيض الانوق فأما بيض الانوق فربما رؤي وذلك أن الرخم تختار أعالي الجبال
وصدوع الصخر والمواضع الوحشية وأما الابلق فلا يكون عقوقا وأما المقوق البقاء
فهو مثل وقال

ذكرناك ان صرت امام ركابنا * من الأدم مخاض القسي سلوب
تدلت عليه تنفض الريش تحتها * برائتها وراحت خضيب
خدارية صقماء دون فراخها * من الطود دار بينها ولحوب
ان القانص المحروم آب ولم يصب * فطعمه جنح الظلام نصيب
فأصبحت بعد الطير مادون فارة * كما قام فوق المنصتين خطيب

وقال بشر بن أبي خازم

فما صدع بحية أوبشرق * على زلق زوالق ذى كهاب
تزل اللقوة الشعراء عنها * مخالبها كأطراف الاشاب

وقال بشر أيضا

تدارك لحى بدم ما حلفت به * مع النسر فتخاه الجناح فبوض
فان تجعل النعماء منك تمامه * ونعماك نعمي لا تزال تفيض
تكن لك في نومي بد يشكرونها * وأيدي الندي في الصالحين فروض

وعلى شبيه هذا البيت الآخر قال الخطيئة

من يفعل الخير لا يقدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال عقيل بن العرنوس

صبيب لقرطاس يؤدي رسالة * فيالك نفسا كيف حان ذهولها
وكنيت كفرخ النسر مهد وكره * بملتفة الافنان خبل مقبلها

يخرج واحدا وربما طرده من جميعا حتى يجيء طائر يسمى كاسر العظام فيتكفل به
 يزيد بن الصمة يقول

كأنني وتربي فوق فتحاء لقوة * لها ناهض في وكرها لا تجابه
 ديمتری العقاب عند شبعها من لحم الصيد شبيه بالذي ذكرنا في النسر وأنشد
 صالح مسعود بن قيد لبعض القسيين

قري الطير بعد اليأس زيد فأصبحت * بوجفاء ففر ما يدب عقابها
 وما يتخطى الفحل زيد بسيفه * ولا العرمس الوجناء قد شق نابها
 وإن قيل مهلا أنها شديدة * يقطع أقران الحبال جذابها
 ر أنه يمتري العقاب من الثقل عند الطيران من البطنة ما يمتري النسر وقال
 رؤ القيس إن كان قاله

كانها حين فاض الماء واحتملت * فتحاء لاح لها بالفقرة الذيب
 فأبصرت شخصه من فوق مربقة * ودون موقعها منه سناجيب
 فأقبلت نحوه في الجو كاسرة * يحثها من هوي اللوح تصوب
 صبت عليه ولم تنصب من أمم * أن الشقاء على الاشقين مصبوب
 كالذئب عراها وهي مثقلة * اذ خانها ودم منها وتكريب
 لا كالذي في هواء الجو طالبة * ولا كذا الذي في الارض مطلوب
 كالبرز والريح مرآناها عجب * ما في اجتهاد على الاصرار تعيب
 فأدركته فنالته مخالبها * فأنسل من تحتها والدف معقوب
 يلوذ بالصخر منها بعد ما قترت * منها ومنه على الصخر الشايب
 ثم استغاثت بتمن الارض تعفوه * وباللسان وبالشدقين تريب
 ما أخطأته المنايا قيس أنملة * ولا تحرز الا وهو مكنوب
 يظل منحجر منها يراقبها * ويرقب الليل إن الليل محبوب

ل زهير

تنبذ أفلاذها في كل منزلة * تنتج أعينها العقبان والرخم

عقلا ورقنا ثم اردفه * كل على الوانها الخجل
 كدم الرعاف على ما زرها * وكأهن ضواصر أجل
 وهذا الشعر عندنا للمسيب بن علس وقال علقمة بن عبدة

رد الاءاء جمال الحي فاحتملوا * وكلهم باليزيد يات معكوم
 عقلا ورقنا يظل الطير يتبعه * كأنه من دم الأجواف مدموم

﴿ وقال الهذلي ﴾

ولقد عدوت وصاحبي وحشية * تحت الرداء بصيرة بالمشرف
 حتى آتيت الى فراش عزيزة * سوداء روثة أنفها كالخصف
 يعني عقابا وقوله بصيرة بالمشرف يريد الريح من أشرف لها أصابته وقال الآخر في
 شبيه بهذا

فاذا أتكم هذه فتلثوا * ان الرماح بصيرة بالحاسر

﴿ وقال آخر ﴾

كأنني اذ غدوت ضمنت بري * من العقبان حاية طلوبا
 كريمة ناهض في رأس نيق * ترى لمظام ما جمعت صليبا
 ﴿ وقال طفيل الغنوي ﴾

تبئت كعقبان الشريف رجاله * اذا مانوا احدثت أمر تعطفوا
 أي امهلوا وقال دريد

تعلت بالشطاء اذبان صاحبي * وكل امري قد بان اذبان صاحبه
 كاني وتربي فوق فتخاء لقوة * لها ناهض في وكرها لا تجابه
 فبات عليه ينفض الطل ريشها * تراقب ليلا ما تنور كواكبها
 فلما تجلى الليل عنها وأسفرت * تنفض حسري عن أخص مناكبها
 رأت ثعلبا من حزة فهوت له * الى خرة والموت عجلان كاربها
 نخر قتيلا واستمر بسحره * وبالقلب يدمى أنفه وثرابه

يُزعم صاحب المنطق أنه لبس ثي في الطير أجني لفراخه من العقاب وأنه لا بد من

﴿ وقال جميل ﴾

وما صائب من نائل قدفت به * يد وممر العقدين وثيق
له في خوافي النسر حم نظائر * ونصل كنصل الزاعي رقيق
على نبعة زوراء اما خطامها * فثني واما عودها فعتيق
باوشك قتل منك يوم رميتني * نوافذ لم تظهر لمن خروق
فلم أرحباً يابئين كحربنا * تكشف غماها وأنت صديق

﴿ وأما قوله ﴾

يسالم الضبع بذى مرة * أبرمها في الرحم العمر

لان النسر طير ثقيل عظيم شرة رغبهم فاذا سقط على الجيفة وتملاً لم يستطع
الطيران حتى يثب وثبات ثم يدور حول مسقطه مراراً ويسقط في ذلك فلا يزال
يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل تحته الريح فيكل من صادفه وقد بطن وتملاً
ضربه ان شاء بعصا وان شاء بحجر حتى ربما اصطاده الضعيف من الناس وهو مع
ذلك يشارك الضبع في فريسة الضبع ولا يثب عليه مع معرفته بمجزه عن الطيران
وزعم ان ثقته بطول العمر هو الذي جرأه على ذلك وقال هوت العقاب تهوى هوى
اذا انقضت على صيده أو غيره ما لم ترغه فاذا أراغته قيل أهوت له أهواء والاهواء
أيضاً التناول باليد والاراعة ان يذهب الصيد هكذا وهكذا ويقال دوم الطائر في
جو السماء وهو يدوم تدوماً اذا دار في السماء ولا يحرك جناحيه ويقال نسره بالنسر
وليس بذى غلب وانما له أظفار كأظفار الدجاج وقال المعجاج

شاكي الكلايب اذا أهوى ظفر * كفا برى الرأس منها أو نسر

وليس له سلاح انما يقوى بقوة بدنه وعظمه وهو سبع لثيم عديم السلاح وليس
من احرار الطير وعناقها ويقال ان عناق الطير تنقض على عمود الرحل وعلى الطنفسة
والتمرق فتحسبه لمرته لحما وهم مع ذلك يصفونها بحدة البصر ولا أدري كيف ذلك
وقال غيلان بن سلمة

في الآل يخفضها ويرفعها * رينغ كان متونه السجل

فمن آساد على ضوء كوكب * له من عماني النجوم نظير
ومنهم فرعى كل باب كأنما * به القوم يرجون الاذنين نسور
الى فطن يستخرج القلب طرفه * له فوق أعواد السرير زهير
وذكرت امرأة من هذيل قتيلًا فقالت

تمشى النسور اليه وهي لاهية * مشى العذارى عليهم الجلابيب
نقول هي آمنة ان تذعر ومدح بعض الشعراء عبد العزيز بن زرارة الكلابي فقال
وعند الكلابي الذي حل بته * بجوسماء ماضر وصوبوح
ومكسورة حمر كان متونها * نسور الى جنب الخوان جنوح
مكسورة يمني وسائد مثنية وقال ابن ميادة

ورجعت من بعد الشباب وعصره * شيخا أرب كأنه نسر
وقال طرفة
فلا تمنع منابت الص * مدان اذ منع النسور
وفي كتاب كليله ودمنة وكن كالنسر حوله الجيف ولا تكن كالجيف حولها النسور
فاعترض على ترجمة ابن المقفع بعض المتكافين من فتيان الكتاب فقال انما كان ينبغي
ان يقول كن كالضرس حف بالنعف ولا تكن كالهبرة تطيف بها الاكلة وأظنه
الضروس فقال الضرس وهذا من الاعتراض عجب ويوصف النسر بشدة الارتفاع
حتى الحقوه بالانوق وهي الرخة وقال عدي بن زيد
فوق علياء لا ينال ذراها * يلعب النسر دونها والانوق
﴿ وأنشدوا في ذلك ﴾

أهل الدناءة في مجالسهم * والطيش والعوراء والهذر
يدنون ماسألوا وان سئلوا * فهم مع العيوق والنسر
وقال زيد بن بشر التغلبي في قتل عمير بن الحباب

لا يجوزن أرضنا مضرى * بخفير ولا بفير خفير *
طعننت تغلب هوازن طحنا * والحت على بني منصور
يوم تردى الكهامة حول عمير * حجلان النسور حول جزور

النسور وأكثر ذلك قالوا في لبد قال النابغة
أضحت خلاء وأمسى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد
فضربه مثلاً في طول السلامة وقال لبيد

لما رأي صبح سواد خيله * من بين قائم سيفه والمحمل
صبحن صبحاً يوم حق حذاره * فاصاب صبحاً فاتقاً لم يقفل
فالتف منقصفاً وأضحى نجمه * بين التراب وبين خد الكحل
ولقد جرى لبد فادرك جريه * ريب الزمان وكان غير منقل
لما رأى لبد النسور تطايرت * ربع القوائم كالفقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نفعه * ولقد رأى لقمان أن لم يأتلى

وان أحسنت الاوائل في ذلك فقد أحسن بعض المحدثين وهو الخزرجي في ذكر النسور
وضرب المثل به وبلبد وصحة بدن الغراب حيث ذكر طول عمر معاذ بن مسلم بن رجا
مولى القعقاع بن سدر وهو قوله

ان معاذ بن مسلم رجل * قد ضج من طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب * الدهر وأثواب عمره جدد
يانسر لقمان كم تعيش وكم * تلبس ثوب الحياة يالبد
قد أصبحت دار آدم خربت * وأنت فيها كأنك الود
تسأل غربانها اذا حبلت * كيف يكون الصداع والرمد

وما تعلق بالسحاب من الغيم يشبه بالنعام وما ترا كب عليه يشبه بالنسور قال الشاعر
خليلي لا تستسما ودعوا الذي * له كل أمر أن يصوب ربيع
فيا للبلاد أنفذ المحل عودها * وجبر لعظم في شطاه صدوع
بمنتصر غب النشاط كأنها * جبال عليهن النسور ونوع
عسى أن يحل الحي جزعاً وانها * وعلى النوى بالطاعنين تريع
أفي كل عام زفرة مستجدة * تضمنها منى حشا وضلوع
وشبه العجير السلولى شيوخاً على باب بعض الملوك بالنسور فقال

وقد قال النابغة

وثقت له بالنصر اذ قيل قد غدت * فبائل من غسان غير أشائب
بنو عمه دينا وعمرو بن عامر * أولئك قوم بأسمهم غير كاذب
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدي بمصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله * إذا ما التقي الجمعان أول غالب
تراهن خلف القوم خزر عيونها * جلوس الشيوخ في ثياب المذاب
والاصمى يروي جلوس الشيوخ في ثياب المراب وسباع الطير كذلك في اتباع
العساكر وأنا أرى ذلك من الطمع في القتلى وفي الرذايا والحسر أو في الجهيض وما
يجرح وقد قال النابغة

سما ما تبارى الريج خوصاعيونها * لمن رذايا بالطريق ودائع
﴿ وقال الشاعر ﴾

نشق هما حيق السلا عن جنينها * أخو قفرة بادي السعاية أطحل
﴿ وقال حميد بن ثور في صفة ذئب ﴾

إذا ما بدا يوما رأيت غيابة * من الطير ينظرن الذي هو صانع
لأنه لا محالة يسمى وهو جائع سوف يقع على سبع أضعف منه أو على بهيمة ليس
دونها مانع وقد أكثر الشعراء في هذا الباب حتي أطنب بعض المحدثين وهو مسلم
ابن الوليد بن يزيد فقال

يكسى السيوف نفوس الماكئين به * ويجمل الهام تيجان القنا الذبل
قد عود الطير عادات وثقن بها * فمن يتبعنه في كل مرتحل
ولا نعلم أحدا منهم أسرف في هذا القول وقال قولا يرغب عنه إلا النابغة فإنه قال
جوانح قد أيقن أن قبيله * إذا ما التقي الجمعان أول غالب

وهذا لا تثبته وليس عند الطير والسباع في اتباع الجوع إلا ما يسقط من ركبهم
ودوابهم وتوقع القتل إذ كانوا قد رأوا من تلك الجوع مرة أو مرارا فلما ان تقصد
بالأمل واليقين إلى أحد الجمعين فهذا ما لم يلقه أحد وقد أكثر الشعراء في ذكر

عز وجل من معصيته وقد ترك موضعه وسار الى بلاد سبا وهو وان أطرف
سليمان بذلك الخبر وقبلة منه فان ذنبه في ترك موضعه الذي وكل به وجولانه
في البلدان على حاله ولا يكون ذلك مما يحمل ذنبه السابق إحسانا والمعصية
لا تنقلب طاعة فلم لا تشهد عليه بالنفاق قال فاني أفعل قال فكي ذلك عنه فقال اما
هو فقد كان سلم على سليمان وقد كان قال لا عذبه عذابا شديداً أو لاذبحنه أو ليأثني
بسلطان مبين فلما آناه بذلك الخبر رأى أنه قد أدلي بحجة فلم يعذبه ولم يذبحه فان
كان ذنبه علي حاله فكيف يكون ما هجم عليه مما لم يرسل فيه ولم يقصد له حجة وكيف
يبقى هذا عليه وبكر يزعم أن الاطفال والبهائم لا تأثم ولا يجوز أن يؤثم الله تعالى الا
المسيئين فقال بشر لبكر بأي شيء تستدل على أن المسيء يعلم أنه مسيء قال بخجله
واعتذاره بتوبته قال فان العقرب متى سمعت فرت من خوف القتل وهذا يدل على
أنها جانية وأنت تزعم ان كل شيء عاص كافر فينبغي للعقرب أن تكون كافرة اذا لم يكن
لها عذر في الاساءة وأما قوله

والبير فيه عجب عجب * اذا تلاقى الليث والنمر

لان البير مسالم للاسد والنمر يطالبه فاذا التقيا أعان البير الاسد وأما قوله

وطائر أشرف ذو جردة * وطائر ليس له وكر

فان الاشرف من الطير الخفاش لان لا ذنابها حجبا ظاهرا وهو متعرج من الرغب
والريش وهو يلد والطائر الذي ليس له وكر وهو طائر يخبر عنه البحر يون أنه لا يسقط
الا ريثما يحمل لبيضه ادحيا من تراب ويفطى عليه ويطير في الهواء أبداً حتى يموت وان
لتي ذكر آتى تسافدا في الهواء ويبضه يتفقص من نفسه عند انتهاء مدته فاذا اطاق
فرخه الطير ان كان كأبويه في عاداتهما وأما قوله

ونرمل تأوى الى دوبل * وعسكر تتبعه النسر

يسالم الظبي بذئ مرة * أبرمها في الرحم العنبر

فالرملة آتى الثعالب وهي مسالمة للدوبل وأما قوله * وعسكر تتبعه النسر * فان
النسور تتبع العساكر وتتبع الرفاق ذوات الابل وقد يفعل ذلك العقبان وتعمله الرحم

والجذبية لعبا وأما قوله

وظبية تخضم في حنظل * وعقرب يمجها النمر

وفي الظبي أعاجيب من هذا الضرب وذلك أنه ربما رعت الحنظل فتراها يقبض
ويعض على نصف حنظلة فيقدها قد الخصفة فيمضغ ذلك النصف وماؤه يسيل من
شدقيه وأنت ترى فيه الاستلذاذ له والاستعلاء لظامه، وخبرني أبو محجن العنزي
خال أبي العميث الراجز قال كنت أرى بانطأ كية الظبي برد البحر يشرب المسالح
والاجاج والعفر ترمي بنفسها في النمر وإنما تطاب النوى المنقع في نمر الاناء فأى شيء
أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستعلى حرارة الحنظل وسنذكر خصال
الظبي في الباب الذي يقع فيه ذكره ان شاء الله تعالى ولست أذكر شأن الضب والنمل
والجمل والروث لانا قد ذكرناه مرة وأما قوله

وفارة البيش امام لها * والخلد فيه عجب هتر

فان فارة البيش دوية تشبه الفارة وليست بفارة ولكن هكذا تسمى وهي تكون في الغياض
والرياض ومنابت الاهضام وفيها سموم كثيرة كقرون السنبيل ومافي القسط فهي
تخال تلك الاهضام وتطلب السموم وتفتنيتها والبيش اسم لبعض السموم وهذا مما
يعجب منه وقد ذكرنا شأن القنفذ والحية في باب القول في الحيات وأما قوله

* وعضرفوط ماله قبلة * وهو أيضاً عندهم من مطايا الجن وقد ذكره أيمن

ابن خريم فقال

* دخلنا غزالة بنيانهم * نجوب العراق ونجبي النبطا

نكر ونحجر فرسانهم * كما أحجر الحية المضرفوطا

لان المضرفوط دوية صغيرة ضعيفة والحيات تأكلها وتغصبها نفسها وأنشدوا عن
السنة الجن

ومن عضرفوط حظ من فائمة * ينادر وردا من قطار قوارب

وأما قوله * وهدهد يكفره بكر * فانما ذلك لانه كان بكر ابن أخت

عبد الواحد البكرية فقال له أنخبر عن حال الهدهد بخير أنه كان يعرف طاعة الله

يبيء يكون أخوصه على المستوى والزبور يصيد النحلة فياً كلها والنحلة تصيد الذبابة
فتأ كلها والذبابة تصيد البعوضة فتأ كلها وأما قوله

وألفه ترعت رباحها * والسهل والنوفل والنضر

فالالقة هاهنا القردة ترعت ترضع والرباح ولد القردة والسهل الغراب والنوفل
والنضر وكل حرية من النساء وغير ذلك فهي ألفه وأنشدني بشر بن المعتمر لرؤبة
* حتى وجدت ألفه من الالق *

قد ذكرنا الهقل وشأنه في الحجر والصخر وأكل الضب أولاده في موضعه من هذا
الكتاب وكذلك قوله في العتران وهو الديك الذي يؤثر الدجاج بالحب وكأنه منجم
وصاحب أسطرلاب وذكرنا أيضاً ما في الجراد في موضعه ولسنا نعيد ذكر ذلك
إن كان مذكوراً في شعر بشر وأما قوله

* وأبنت يصطاده صقر *

﴿ثم قال﴾

صاحبه ربح ثما عذره * وقد عراه دونه الذعر

قول بدن الأبنت أعظم من بدن الصقر وهو أشد منه شدة ومنقاره كسنان الرمح
في الطول والذرب وربما تجلى له الصقر والشاهين نعلق الشجر والعرار وهنك كل شيء
نول فقد اجتمعت فيه خصال في الظاهر معينة له عليه ولولا أنه على حال يعلم أن الصقر
ما يأتيه دبراً واعتراضاً ومن عل وأنه قد أعطى في سلاحه وكفه فضل قوة لما
ستخزي له ولما أطمعه فيه بهر به حتى صارت جرأته عليه بأضعاف ما كانت وقد قال
مض بن مروان في قتل عبد الملك عمر بن سعيد

كان بنى مروان اذ يقتلونه * بغاث من الطير اجتمعن على صقر

نول هذا من العجب وأما قوله

والدب والقرد اذا علما * والفيل والكلبة والبفر

ن الحيوان الذي يلتن ويحكى ويكيس ويعلم فيزداد بالتعليم فهذه التي ذكرنا وهي
لدب والقرد والفيل والكلاب وقوله البفر يعني صفار الغنم ولعمري أن في الحكمة

الحذر وأنشدوا

خير الصديق هو الصدوق مقالة * وكذلك شرهم الميون الا كذب
قاذا غـدوت له تريد نـجازه * بالوعد راغ كما يروغ الثعلب
وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

بنى عائد شامت وجوه الأعداء * بطاء عن المعروف يوم التزايد
فما كان ضيفي اذ يني بأمانه * ففأثعلب أعيا ببعض المراسد
﴿ وأنشد ﴾

ويشربه مذقا ويسقي عياله * نـجـاجا كـأقـراب الثـعـالب أـزرقا
وقال مالك بن مرداس

يا أيها ذا الموعدى بالضر * لا تلعبن لعبة المغتر
أخاف أن تكون مثل هر * أو ثعلب أضيع بعد حر
هاجت به نخيلة الأظفر * عراء في يوم شمال قر
يجول منها لثق الذعر * بصرد ليس بذئ محجر
تنفض أعلى فروة المنبر * تنفض منها نابها بشزر
* نفضا كلون الشره المخمر *

الخيلة العقاب الذكر الا شبت صرد مكان مطمئن وقال اليعقوبى كان اسم أبي
الضريس ديناراً فقال له مولا يادنينير فقال اتصغرني وأنت من بنى نخيلة والعقاب
الذكر بدرهم والانتى بنصف درهم وانا اثني عشر درهماً ومن أشد سلاح الثعلب عندكم
الروغان والتموات وسلاحه انتن والزج وأكثر من سلاح الجبارى وقالت العرب أدهى
وأنتن من سلاح الثعلب وله عجيبة في طلب مقتل القنفذ وذلك اذا لقيه فأمكنه من
ظهره بال عليه فاذا فعل ذلك به ينسبط فعند ذلك يقبض على مرقا بطنه ومن العجب
في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله ويصيد الثعلب القنفذ فيأكله ويرى
القنفذ الافى فيأكلها وكذلك صنيعه في الحيات ما لم تعظم الحية والحية تصيد
العصفور فتأكله والعصفور يصيد الجراد فيأكله والجراد يلتهم فراخ الزناير وكل

وعجل نضى بالثمان كلها * ثعالب موتى جلداهم ينزع

وأنشدوا في جنبه قول زهير بن أبي سلمى

وبلدة لا ترام جابية * زوراء مفبرة جوانبها

تسمع للجن عازفين بها * تصيح من رهبة ثعالبها

كلفتها عر مسا عذارة * ذات هنا قم منا كبها

تراقب المحصر الممر اذا * هاجرة لم تقل جنادها

والذى عندي أن زهيراً قد وصف الثعالب بشدة القاب لأنهم اذا هولوا بذكر الظلمة الوحشية والغيلان لم يذكروا الا فزع من لا يكاد يفزع لان الشاعر قد وصف نفسه بالجرأة على قطع هذه الارض في هذه الحال وفي استئذاله وجنبه قالت أم سالم لابنها معمر

أرى معمرأ لا زين الله معمرأ * ولا زانه من زائر يتقرب

أعادي بنا عاديك عز وذلة * كأنك في السربال اذجت ثعلب

فلم تر عيني زائراً مثل معمر * أحق بأن يجنى عليه ويضرب

❦ وقال عقيل بن علقمة ❦

تأمل لما نال أمك هجرس * فأنك عبيد يازميل ذليل

واني متى أضربك بالسيف ضربة * أصيح بنى عمرو وأنت قتيل

الهجرس من ولد الثعالب قال وكيف يصطاد وهو على هذه الصفة فأنشد شعر ابن ميادة

ألم تر أن الوحش يخدع مرة * ويخدع أحياناً فيصطاد ثورها

بلى وضواري الصيد تحقق مرة * وان فرحت عقبانها ونسورها

قال وسألت عنه بعض الفقهاء فقال قيل لابن عباس كيف تزعمون أن سليمان بن داود

عليهما السلام كان اذا صار في البرارى وحيث لا ماء ولا شجر فاحتاج الى الماء دله

على مكانه الهدهد ونحن نفطى له الفخ بالتراب الرقيق ونبرز له الطعم فيقع فيه جهلا

بما تحت ذلك التراب وهو يدل على الماء في قعر الارض الذى لا يوصل اليه الا بأن

يحفر عليه القيم الكيس قال فقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا جاء القدر لم ينفع

يبسط آمالنا فنبسطها * ودون آمالنا نوابه

وكم رأينا في الدهر من أسد * بالت على رأسه ثعالبه

ففي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود وهو ضروب ومنه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفئك ومنه الخلدجي وهو الاغم ومن أعاجيبه ان لونه وهو قضيبه في خلقة الانبوبة أجدر شطريه عظم في صورة المثقب والآخر عصب ولحم ولذلك قال بشر بن المعتمر

والتفل الرائع امانضى * فشطرت أنبوب على شطر

وهو سبع جبان جداً ولكنه لفرط الخبث والحيلة يجري مع كبار السباع وزعم اعرابي ممن يسمع منه انه طارده مرة بكلاب له فراوغه حتي صار في خمر ومصر بمكانه فرأي ثعلبا ميتا واذا هو قد زكر بطنه ونفخه فوهمه أنه قد مات من يوم أو يومين قال فتعديته وشتم رائحة الكلاب فوثب وثبة فصار في صحراء وفي حديث العامة أنه لما كثرت البراغيث في فروته تناول بفيه اما صوفة واما ليفة ثم أدخل رجليه في الماء فترفت من ذلك الموضع فما زال يغمس بدنه أولا فأولا حتي اجتمعن في خطمه فلما غمس خطمه أولا فأولا اجتمعن في الصوفة فاذا علم أن الصوفة قد اشتملت عليهن تر كها في الماء ووثب فاذا هو خارج من جميعها فان كان هذا الحديث حقا فما أعجبه وان كان باطلا فانهم لم يجعلوه له الا للفضيلة التي فيه من الخبث والكيس واذا مشى الفرس مشيا شبيها بمشي الثعلب قالوا مشى الثعلبية قال الراعي

وخيل نضي بالثمان كأنها * ثعالب موتى جلدها قد تساما

وقال الاصمعي سرق هذا المعني من طفيل الغنوي ولم يجد السرق وفي تشبيهه بعض مشيته قال المراد بن منقذ

صفة الثعلب أدنى جريه * واذا ير كض يعفور أشر

وقال امرؤ القيس

له أبطالا ظي وساقا نعامه * وإرخاء سرحان وتقرب تنفل

والبيت الذي ذكر الاصمعي لطفيل الغنوي أن الراعي سرق معناه هو قوله

شبهه بماعليه من لطوخ الدماء برجل يحفر في معدن المغرة والمغرة أيضاً المكر ولذلك
قال أبو زبيد في صفة الاسد المخمر بالدماء

يناجيهم للشرتاني عطفه * عنايته كأنما بات يكر

وأما قوله

والحمة الصماء في جعرها * والتنفل الرائغ والذر
فالتنفل هو الثعلب وهو موصوف بالروغان والخبث ويضرب به المثل في النذالة
والدناءة كما يضرب به المثل في الخبث والروغان وقال طرفة

وصاحب قد كنت صاحبتة * لا ترك الله له واضححه

كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحه

﴿ وقال دريد بن الصمة ﴾

ومرة قد أركتهم فتركتهم * يروغون بالعراء روع الثعالب

﴿ وقال أيضاً ﴾

ولست بثعلب ان كان كون * يدس برأسه في كل جحر

ولما قال أبو محجن الثقي لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من حائط الطائف ما قال
قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه انما أنت ثعلب في جحر فابرز من الحصن ان
كنت رجلاً ، ومما قيل في ذلة الثعلب قال بعض السلف حين وجد الثعلبان بال على
رأس صنمه

اله يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بات عليه الثعالب

فأرسلها مثلاً وقال دريد في مثل ذلك

تمنيته قيس بن سعمد سفاهة * وأنت امرؤ لا تحتويك المقاب

وأنت امرؤ جمع القفا متمكس * من اللاقط الحولى ثمان كاتب

إذا انتسبوا لم يعرفوا غير ثعلب * اليهم ومن شر السباع الثعالب

﴿ وأنشدوا في مثل ذلك ﴾

ما أعجب الدهر في تصرفه * والدهر لا تنقضى عجائبه

فاذا آدمى احدهما وثب على صاحبه المدمى فزقه وأكله وترك الانسان وان كان احدهما قد أدماه ولا أعلم في الارض خلقاً الاثم من هذا الخلق ولا شرأ منه ويحدث عند رؤيته الدم له في صاحبه الطمع ويحدث له في ذلك الطمع فضل قوة ويحدث للمدمى جبن وخوف ويحدث عنهما ضعف واسترخاء فاذا تهيأ ذلك منهما لم يكن دون أكله شيء والله أعلم حيث لم يعط الذئب قوة الاسد ولم يعط الاسد جبن الذئب الهارب بما يرى في أثر الدم من الضعف مثل ما يمتري الهر والهرة بعد الفراغ من السفاد فان الهر قبل ان يفرغ من سفاد الهرة أقوى منها كثيراً فاذا سفدها ولى عنها هارباً وابتعته طالبة له فانها في تلك الحال ان لحقته كانت أقوى منه كثيراً فلذلك يقطع الارض في الحرب ووربما ربي بنفسه من حلق وهذا شيء لا يعدمانه في تلك الحال ولم أرهم يقفون على حد العلة في ذلك وهذا باب سيقع في موضعه من القول في الذئب تاماً بما فيه من الرواية وغير ذلك وأما قوله

من خلقه في رزقه كلهم * الذئخ والتيتل والعفر

الذئخ ذكر الضبع والتيتل شبيه بالوعل وهو مما يسكن في رؤس الجبال ولا يكون في القرى وكذلك الاوعال وليس لها حفر ولا عمل محمود على التبسط وكذلك ليس للظباء حفر ولا عمل محمود في رؤس الجبال وقال الشاعر

وخيل تكرس بالدارعين * كمشى الوعل على الظاهر

وقال أيضاً *

والظبي في رأس اليفاع تحاله * عند الهضاب مقيداً مشكولاً

والعفر ولد الأروية واحد الاروى والاروي جماعة من اناث الاوعال وأما قوله

والصدع الاعصم في شاق * وجأبة مسكنها الوعر

فالصدع الشاب من الاوعال والاعصم الذي في عصمته بياض وفي المعصم منه سواد ولون يخالف لون جسده والانثى عصماء والجأبة الجمار الغليظ الشدبد والجأبة الانان الغليظة والجأبة أيضاً مهموز المفرة وقال عنتره

فنبجا امام رماجهن كأنه * فوت الاسنة حافر الجأبة

وكل جنس فله مـدة * تماثب الانواء في الشهر
 والبدر مذ يظهر في ليلاها * ثم يوارى آخر الدهر
 ولا يسبغ الطعم ما لم يكن * مزاجه الدهر على قدر
 ليس له شيء لازلافه * سوى جراب واسع الشجر
 والتتفل الرائع اما نضا * فشطر انبوب على شطر
 متى رأى الليث أخا حافر * تجده ذافش وذا جزر
 وان رأى الخـثر طعاما له * أطعمه ذلك في الخـبر
 وان رأى مخلبه وافيـا * ونابه يجرح في الصخر
 منهـرت الشـدق الى غلصم * فالعير مأكول الى الحشر
 وما يعادى النمر في ضيغم * زئيره أصـبر من نمر
 لولا الذي في أصل تركيبه * من شدة الاضلاع والظهر
 يبلغ بالجـر على طبعه * ما يسحر المختال ذا الكبر
 سبحانه رب الخلق والامر * ومنشر الميت من القبر
 فاصبر على التفكير فيما تري * ما أقرب الاجر من الوزر

نقول بعون الله تعالى وقوته في تفسير قصيدة أبي سهل بشر بن المعتمر ونبدأ بالأولى
 المرفوعة التي ذكر في آخرها الاباضية والرافضة والناطقة فاذا قلنا في ذلك بما حضرنا
 قلنا في قصيدته الثانية ان شاء الله تعالى أما قوله

كأذؤب نهشها أذؤب * لها عواء ولها زفر

فإنها قد تهارش على الفريسة ولا تبلغ القتل فاذا أدعى بعضها بعضاً ونبت عليه فزقته
 وأكلته وقال الراجز

فلا تكفوني يا ابنة الأشم * زرقاء دمي دمها المدمي

وقال الفرزدق

وكنـت كذؤب السوء لما رأى دماً * بصاحبه يوما حال على الدم
 نعم حتى ربما اقبلا على الانسان اقبالا واحدا وهما سواء على عداوته والجزم على أكله

وكل شيء فعله قدره * يحجم أو يقدم أو يجري
 والكيس في المكسب مثل لهم * والعنديل الفرخ كالنسر
 والخلد كالذئب على خبثه * والفيل والاعلم كالوبر
 والعبد كالحر وإن ساءه * والابث الأثر كالصقر
 لكنهم في الدين أيدي سبا * تفاوتوا في الرأي والقدرة
 مدغم التقليد أحلامهم * فناصروا القياس ذا الشر
 فافهم كلامي واصطبر ساعة * فأنما النجح مع الصبر
 وانظر إلى الدنيا بين امرئ * يكره أن يجري ولا يدرى
 أما ترى الهقل وأمعاءه * تجمع بين الصخر والجر
 وفارة اليبس على بيشها * طيبة فائقة المطر *
 وطائر يسبح في جاحم * كاهر يسبح في غمر
 ولطمة الذئب على حسوه * وصنعة السرفة والدبر
 ومسمع القردان في منهل * أعجب مما قيل في الحجر
 وظيفية تدخل في موج * مؤخرها من شدة الذعر
 تأخذ بالحزم على قانص * يريها من قبل الدبر
 والمقدم آخر ما أنت له * مرارة تسمع في الذعر
 وخصية تنصل من جوفه * عند حدوث الموت والنحر
 ولا يرى من بعدها جازر * شفقة مائلة المـدر
 ولبص للطرف طحال وقد * أشاعه العالم بالامر
 وفي فؤاد الثور عظم وقد * يعرفه الجازر ذا الخبر
 وأكثر الحيتان أعجوبة * ما كان منها عاش في البحر
 إذ لا لبان سقى ملحه * ولا دماغ السمك الدهري
 يدخل في العزب إلى جسمه * كفهل ذي العلة في البر
 تدبر أوقانا بأعيانها * على مثال الفلك المجري

* لم ير الا عجبا شاملا * أو حجة تنقش في الصخر
 فكلم ترى في الخلق من آية * خفية الجمان في قعر
 أبرزها الفكر على فكرة * يحار فيها وضح الفجر
 لله در العقل من رائد * وصاحب في العسر واليسر
 وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد الأمر
 وان شيئا بمض أفعاله * ان يفصل الخير من الشر
 بذى قوى قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر
 بل أنت كالعين وانسانها * ونخرج الخيشوم والنحر
 فشرهم أكثرهم حيلة * كالذئب والثعلب والذئ
 * والليث قد بلده علمه * بما حوى من شدة الأسر
 فتارة تحطمه خابطا * وتاره يثنيه بالمصر *
 والضمف قد عرف أربابه * مواضع الفر من الكر
 تعرف بالاحساس أقدارها * في الاسم والجراح والصبر
 والبخت مقرون فلا تجهلن * بصاحب الحاجة والفقر
 وذا الكفايات الى سكرة * أهون منها سكرة الخمر
 والضبع العثراء مع ذبحها * شر من اللبوة والنمر
 ولو خلى الليث بطن الوري * والنمر أوفد جيئ بالبيه
 كان لها ارجا ولو فضفضت * ما بين قريته الى الصدر
 الذئب ان افلت من شره * فبعد ان أبلغ في العذر
 وكل جنس فله قلب * وعنصر اعراقه تسرى
 وتصنع الترفة فيهم على * مثل صنيع الارض والبذر
 والاضعف الاصغر احرى بان * يحتمل الاكبر بالفسكر
 متى يرى عدوه قاهراً * أحوجه ذاك الى المكر
 كما تري الذئب اذا لم يطق * صاح جفأت رسلا تجري

لست أباضيا غيباً ولا * كرافضي غره الجفر
 كما يفر الآكل في سبب * سفر آفاودي عنده السفر
 كلاهما وسع في جهل ما * فعاله عندهما كفر
 لسان من الحشو والجفاة الأولى * عابوا الذي عابوا ولم يدروا
 ان غبت لم يسلمك من بهمة * وان رنا فلاحظه شذر
 يعرض ان سالمته مدبراً * كأنما يابسه الدبر
 أبله خب ضفن قلبه * له اختيال وله مكر
 واتحلوا جماعة باسمها * وفارقوها فهم النمر
 وأهوج أعوج ذو لثة * ليس له رأى ولا قدر
 قد غره في نفسه مثله * وغرهم أيضاً كما غروا
 لا تنجم الحكمة فيهم كما * يذو عن الخزولة القطر
 قلوبهم شتى فما منهم * ثلاثة يجمعهم أمر
 الا الاذي أوبت أهل النقي * وانهم أعينهم خزر
 أولئك الداء العضال الذي * أعيا لديه الصاب والمقر
 حيلة من ليس له حيلة * حسن عزاء النفس والصبر
 ﴿ قال أنشدني أيضاً ﴾

ما ترى العالم ذا حشوة * يقصر عنها عدد القطر
 أوابد الوحش واجناسها * وكل سبع وافر الظفر
 وبعضه ذو همج هامج * فيه اعتبار لذوى الفكر
 والوزغ الرقط على ذلها * تطاعم الحيات في الحجر
 والخفس الأسود في طبعه * مودة العقرب في السر
 والحشرات الفبر منبثة * بين الورى والبلد القفر
 وكلها شر وفي شرها * خير كثير عند من يدري
 لو فكر العاقل في نفسه * مدة هذا الخلق في العمر

يقتلها الورد وتحبي اذا * ضم اليها الروث والجمر
 وفارة البيش امام لها * والخلد فيه عجب هتر
 وتنفذ يسرى الى حية * وحية يخلي لها الجمر
 وعضر فوط ماله قبلة * وهدهد يكفره بكر
 وقوة العقرب من لسمها * تخبر ان ليس لها عذر
 والبهر فيه عجب عجب * اذا اتلاقى الليث والتمير
 وطائر اشرف ذو جرذة * وطائر ليس له وكر
 وثرمل تأوى الى دوبل * وعسكر يتبعه النمر
 يسالم الضبع بذى مرة * اثرمها فى الرحم الغمر
 وتمسح خله طائر * وسابح ليس له سمير
 والفت والحفات ذو مخميج * وخربق يسفده وبر
 وغائص فى الرمل ذو حدة * ليس له ناب ولا ظفر
 حرباؤه فى قطمها شامس * حتى يوافى وقته العصر
 ويميل بالشق اليها كما * ويميل فى روضته الزهر
 والظربان الورد قد شفه * حب الكشا والوجر الحمر
 يلوذ منه الضب مذلوليا * ولو نجا أهلكه الذعر
 وليس ينجيها اذا مافشا * شي ولو أحرزه قصر
 وهرسه تأكلها سرفقة * وسمع ذئب همه الحصر
 لا ترد الماء افاعى النقا * لكنما يخنقها الحمر
 وفى ذري الحرمل ظل لها * اذا غلا واحتدم الهجر
 فبعضها طعم لبعض كما * أعطي سهام الميسر القمر
 وتمسح النبل عقاب الهوى * والليث رأس وله الأسر
 ثلاثة ليس لها غالب * الا بما ينتقض الأمر
 انى وان كنت ضعيف القوي * فالله يقضى وله الأمر

أهون على النفس وإذا حفظ كان أعلق وأثبت وكان شاهداً وإن احتيج إلى ضرب المثل
كان مثلاً وإذا تسمننا ما عندنا في هذه الأصناف على بيوت هذين الشمرين وقع
ذكرهما مصنفاً فيصير حينئذ آتق في الاسماع وأشد في الحفظ قال بشر بن المعتمر

الناس دأباً في طلاب الغني * وكلهم من شأنه الخنزير
كاذوب تمشها أذوب * لها عواء ولها زفر *
تراهم فوضى وأيدي سببا * كل له في نفسه سحر
تبارك الله وسبحانه * بين يديه النفع والضرر
من خلقه في رزقه كلهم * الذئب والتيتل والمفر
وساكن الجو إذا ما عدلا * فيه ومن مسكنه القفر
والصدع الأعظم في شامق * وجابة مسكنها الوعر
والحياة الصماء في جحرها * والتنفل الرائغ والذر
والقة ترغت رباحها * والسهل والنوفل والنضر
وهقلة ترتاع من ظلمنا * لها عرار ولها زمر
تلهم النار على شهوة * أحب شيء عندها الجمر
وضربة تأكل أولادها * وعترقات بطنه صفر
يؤثر بالطعم وتأذينه * منجم ليس له فمكر
وكيف لا أعجب من عالم * خشونه الناس والذعر
وحكمة يبصرها عاقل * ليس له من دونها ستر
جرادة تحرق متن الصفا * وأبغث يسطاده صقر
سلاحه ساح فذا عذره * وقد عراه دونه الذعر
والدب والقرد إذا علما * والفيل والكلبة والبفر
يججم عن فرط أعاجيبها * وعن مدى غاياتها السحر
وظيفة تخضم في حنظل * وعقرب يمجها التمر
وخففس تسمى بحملانة * يقوتها الارواث والبحر

مولج دبره خزانه مكر * وهو بالليل بالعفاريت يسرى
يقول هذا الظبي الذي من خبثه وحذره من بين جميع الوحش لا بدخل حرام الا
مستديراً لتكون عيناه تلقاء ما يخاف أن يفشاه هو الذي يسرى مع العفاريت بالليل
ضاحكاً بي هازئاً اذ كان تحتى وأما قوله

يحسب الناظرون انى ابن ماء * ذا كره عشه بضفة نهر
لان الجني اذا طار به فى جو السماء ظن كل من رآه أنه طائر ماء ، وأما قولهم فى المثل
أروى من صب فانى لا أعرفه لان كل شئ الدوّ والدهناء والصمان واوساط هذه
المهامه والمصاصح جميع ما يسكنها من الحشرات والسباع لا يرد الماء ولا يريده لانه
ليس فى اوساط هذه الفياق فى الصيف كله وفى القيظ جميعاً منقطع ماء ولا غدير ولا
شريعة ولا وعل فاذا استقام أن يمر بظباؤها وأرانبها وثمانبها وغير ذلك منها الصيفة
كلها والقيظ كله ولم تذق فيها قطرة ماء فهي له فى الشتاء أترك لأن من افتات اليبس
اذا لم يشرب الماء اذا افتات الرطب أترك وليس العجب فى هذا ولكن العجب فى
ابل لا ترد الماء ، وزعم الاصمعي أن لبني عقيل ما عزالم يرد الماء قط فينبغي على حال ان
يكون وادبهم لا يزال يكون فيه من البقل والورق ما يعيشها بتلك الرطوبة التى فيها
ولو كانت ثعالب الدهناء وظباؤها وأرانبها ووحشها تحتاج الى الماء لطابته أشد الطلب
فان الحيوان كله يهتدى الى ما يعيشه وذلك فى طبعه وانما سلب هذه المعارف الذين
أعطوا العقل والاستطاعة فوكلوا اليهما فأما من سلب الآلة التى بها تكون الرؤية
والاداة التى يكون بها التصرف وتخرج أفعاله من حد الايجاب الى حد الامكان وعوض
التمكين فان سبيله غير سبيل من منع ذلك فقسم الله تعالى للملك الكفاية وقسم لهؤلاء
الابتلاء والاختبار ، أول ما نبداً قبل ذكر الحشرات وأصناف الحيوان والوحش بشمري
بشر بن المعتز فان له فى هذا الباب قصيدتين قد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب
والفوائد ونبه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة والموعظة البليغة وقد كان
يمكننا أن نذكر من شأن هذه السباع والحشرات بقدر ما تنسج له الرواية من غير أن
نكتبهما فى هذا الكتاب ولكنهما بجمعا من أمور كثيرة أما أول ذلك فان حفظ الشعر

وهذا الشعر ليس بروبه لأوس الا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس وقد طغنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتموه الي بشر بن أبي خازم من قوله والعير يرهقها الحمار وجحشها * ينقض خلفهما انقضا الكوكب فزعموا انه ليس من عادتهم ان يصفوا عدو الحمار بانقضا الكوكب ولا بدن الحمار بدن الكوكب وقالوا في شعر بشر مصنوع كثير مما قد احتملته كثير من الرواة على انه من صحيح شعره فمن ذلك قصيدته التي يقول فيها

فرجى الخير وانتظري إبائي * اذا ما الفارظ العنزي آبا

وأما ما ذكرتم من شعر هذا الضبي فان الضبي مخضرم وزعمتم أنكم وجدتم ذكر الشهب في كتب القدماء من الفلاسفة وأنه في الآثار العلوية لارسطاطاليس حين ذكر القول في الشهب مع القول في الكواكب ذوات الذوائب ومع القول في القوس والطوق الذي يكون حول القمر بالليل فان كنتم بمثل هذا تستعينون واليه تفزعون فانا نوجدكم من كذب التراجم وزيادتهم ومن فساد الكتاب من جهة تأويل الكلام ومن جهة جعل المترجم ينقل لغة الى لغة ومن جهة فساد النسخ ومن أنه قد تقدم فاعترضت دونه الدهور والاحقاب فصار لا يأمن ضروب التبديل والفساد وهذا الكلام معروف صحيح، وأما ما رويتم من شعر الافوه الاودي فلعمرى انه لجاهل وما وجدنا أحداً من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة وبعد فن أين علم الافوه أن الشهب التي يراها انما هي نذف ورجم وهو جاهل ولم يدع هذا أحد قط الا المسلمون فهذا دليل آخر على أن القصيدة مصنوعة

ثم رجع بنا القول الى تفسير قصيدة البهراني وأما قوله

جاييا للبحار أهدي لعربي * فافلا مجتنا وهضمة عطر

وأحلى هربير من صدف البحر * رواسقي العيال من نيل مصر

لان الناس يقولون إن الساحر لا يكون ماهراً حتي يأتي بالفلفل الرطب من سرنديب وهربرة اسم امرأته الجنية وذكر الظبي الذي جعله مركبه الى بلاد الهند فقال وأجوب البسلامتحي ظبي * ضاحك سنه كثير النمرى

من التأسيس والارهاص الا أن ينشدونا مثل شعر الشعراء الذين لم يدركوا المولد ولا بعد ذلك فان عددهم كثير وشعرهم معروف وقد قيل الشعر قبل الاسلام في مقدار من الدهر أطول ما بيننا اليوم وبين أول الاسلام وأولائكم عندكم أشعر ممن كان بعدهم وكان أحدهم لا يدع عظما منبوذاً بالياً ولا حجراً مطروحاً ولا خنفساء ولا جمل ولا دودة ولا حية الا قال فيها فكيف لم يتهياً من واحد منهم أن يذكر الكواكب المنقضة مع حسناتها وسرعتها والعجوبة منها وكيف أمسكوا بأجمعهم عن ذكرها الى الزمان الذي يجتمع فيه خصومكم وقد علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر له يوم ذي قار قال هذا اول يوم انتصفت فيه العرب وبني نصرروا ولم يكن قال لهم قبل ذلك أن وقعة ستكون من صفتها كذا ومن شأنها كذا وأنصرون على العجم وبني تنصرون فان كان بشر بن أبي خازم وهؤلاء الذين ذكرتم قد عاينوا انتفاض الكوكب فليس يستنكر ان تكون كانت ارهاصاً لمن لم يخبر عنها ويحتج بنفسه فكيف وبشر بن أبي خازم في أيام الفجار التي شهدها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وان كثانة وقريشا به نصرروا وسنقول في هذه الاشعار التي أنشدتموها ونخبر عن مقاديرها وطبقاتها فاما قوله

فانقض كالدرى من متحدر * لمع الحقيقة جنح ليل مظلم

فخبرني أبو اسحق ان هذا البيت في ابيات اخر لاسامة صاحب روح بن ابي همام وهو الذي كان ولدها فان اهتمت خبر ابي اسحاق فسم الشاعر وهات القصيدة فانه لا يقبل في مثل هذا الا بيتاً صحيحاً صحيح الجوهر من قصيدة صحيحة لشاعر معروف والا فان كل من يقول الشعر يستطيع أن يقول خمسين بيتاً كل بيت منها أجود من هذا البيت وأسامه هذا هو الذي قال له روح

اسقني يا أسامة * من رحيق مدامه

اسقنيها فاني * كافر بالقيامه

وهذا الشعر هو الذي قتله وأما ما أنشدتم من قول أوس بن حجر

فانقض كالدرى يتبعه * نفع يثور تحله طنبا

يخفي وأحيانا يلوح كما * رفع المشير بكفه لهما

وروا قوله

فانقض كالدرى من متحدر * لمع العقيقة جنح ليل مظلم

وقال عوف بن الجذع

يرد علينا العير من دون انفه * أو الثور كالدرى يتبعه الدم

﴿ وقال الأفوه الاودي ﴾

كشهاب القذف يرميكم به * فارس فى كفه للحرب نار

﴿ وقال امية بن أبى الصلت ﴾

وترى شياطينا تروع مصاعبا * ورواعها شتى اذا ماتطرد

ياق عليها فى السماء مذلّة * وكواكب ترى بها فتقدد

قلنا لهؤلاء القوم ان قدرتم على شعر جاهلى لم يدرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم

ولا مولده فهو بعض ما يتعلق به مثلكم وان كان الجواب فى ذلك سياآتكم ان شاء

الله تعالى فأما أعمار المخضرمين والاسلاميين فليس لكم فى ذلك حجة والجاهلى

مالم يكن أدرك المولد فان ذلك مما ليس ينبغى لكم أن تتعلقوا به وبشر بن أبى خازم

فقد أدرك الفجار والنبى صلى الله عليه وسلم شهد الفجار وقال شهدت الفجار فكنت

أنبل على عمومى وأنا غلام ، والاعلام ضروب فمنها ما يكون كالبشارات فى الكتب

لكون الصفة اذا وافقت الصفة التى لا يقع مثلها اتفاقاً وعرضاً ألزمت فيه الحجة

وضروب آخر كالارهاص للامر والتأسيس له وكان بعيد والترشيح فانه قل نبى الا

وقد حدثت عند مولده أو قبيل مولده أو بعد مولده أشياء لم يكن يحدث مثلها وعند

ذلك يقول الناس ان هذا الامر وان هذا ليراد به أمر وقع أو سيكون لهذا نبأ كما تراهم

يقولون عند الذوائب التى تحدث لبعض الكواكب فى بعض الزمان فن الترشيح والتأسيس

والتنخيم شأن عبد المطلب عند الفرعة وحين خروج الماء من تحت ركبة جملة وما كان

من شأن الفيل والطير والأبائل وغير ذلك مما اذا تقدم للرجل زاد فى نبهه وفى فخامة

أصمه والمتوقع أبداً معظم فان كانت هذه الشهب فى هذه الايام أبداً سرئية فانما كانت

مضيفة حتى حصنت بعد فقد وصفتم الله تعالى بالتضيق والاستدراك فلنا ليس في هذا الكلام دليل أن أنهم سمعوا سراقط أو هجموا على خبر أن أشاعوه فسد به من شيء الدين وللملائكة في السماء تسبيح وتهليل وتكبير وتلاوة فكان لا يبالغ الموضع الذي يسمع ذلك منه إلا عفا ربهم وقد يستقيم أن يكون العفريت يكذب ويقول سمعت ما لم أسمع ومتى لم يكن على قوله برهان يدل على صدقه فأنما هو في كذبه من جنس كل متنبئ وكاهن فإن صدقه مصدق بلا حجة فليس ذلك بحجة على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وذهب بعضهم في الطعن إلى غير هذه الحجة قالوا وزعمتم أن الله تعالى جعل هذه الرجوم للخوافي خجة للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون ذلك رجما وقد كان قبل الإسلام ظاهراً مرئياً وذلك موجود في الأشعار وقد قال ابن أبي خازم في ذلك

جأجأها من أقرب الري غدوة * ولما يسكنه من الأرض مرتع
بأكلبة زرق ضوار كأنها * خطاطيف من طول الشريعة تلعب
بخال على نفر كما انقض كوكب * وقد حال دون النقع والنقع يسطم
فوصف شوط الثور هاربا من الكلاب بانقضاض الكوكب في سرعته وحسنه وبريق
جلده ولذلك قال الطرماح

يبعدو وتضمه البلاد كأنه * سيف على شرف يسل وينعمد
وأنشد أيضاً قول بشر بن أبي خازم
وتشيع بالعرير الفلاة كأنها * فتخاء كاسرة هوت من مرعب
والعرير يرهقها الحمار وجحشها * ينقض خلفها انقضاض الكوكب
قالوا وقال الضبي

ينالها منك أشجارها * بندي غروب فيه تحريب
كأنه حين لحا كوكب * أو قدس بالكف مشبوب

وقال أوس بن حجر

فانقض كالدرى يلبه * نفع يثور نخاله طنبا

الا من جهة الحزر وكذلك نقول ونزعم أن أوهام هذه المغاريت تصرف عن الذكر
 لتمع المحنة وكذلك نقول في النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كان في جميع تلك الهزاهزية
 من يذكر قوله تعالى والله يصمكم من الناس لسقط عنه من المحنة أغلظها وإذا سقطت
 المحنة لم تكن الطاعة والمعصية وكذلك عظيم الطاعة مقرون بعظيم الثواب وما يصنع
 الدهري وغير الدهري بهذه المسألة وبهذا التسطير، ونحن نقول لو كان ابليس يذكر
 في كل حال قوله تعالى وإن عليك لعنة إلى يوم الدين وعلم في كل حال أنه لا يسلم أن المحنة
 كانت تسقط عنه لأن من علم يقينا أنه لا يمضي غدا إلى السوق ولا يقبض دراهمه
 من فلان لم يطمع فيه ومن لم يطمع في الشيء انقطعت عنه أسباب الدواعي إليه ومن
 كان كذلك فحال أن يأتي السوق فنقول في ابليس أنه ينسى ليكون مختبراً فليعلموا
 أن قولنا في مسترق السمع كقولنا في ابليس وفي جميع هذه الأمور التي أوجب علينا
 الدين أن نقول فيها بهذا القول وليس له أن يدفع هذا القول على أصل ديننا فإن أحب
 أن يسأل عن الدين الذي أوجب هذا القول علينا فليفعل والله تعالى المعين والموفق
 وأما قولهم من يخاطر بذهاب نفسه لخبر يستفيده فقد علمنا أن أصحاب الرياسات
 وإن كان متبيناً كيف كان اعتراضهم على أن أيسر ما يهتملون في جنب تلك الرياسات
 القتل ولعل بعض الشياطين أن يكون معه من النفخ وحب الرياسة ما يهون عليه أن
 يبلغ دوين المواضع التي أن دنا منها أصابه الرجم والرجم إنما ضمن أنه مانع من الوصول
 ويعلم أنه إذا كان شهاباً أنه يحرقه ولم يضمن أنه يتلف عنه فما أكثر من تحترقه الرماح
 في الحرب ثم يعاود ذلك المكان ورزقه ثمانون ديناراً ولا يأخذ الانصفه ولا يأخذه
 الا قحاً فلولا أن مع قدم هذا الجندي ضرباً بما يهزه وينجده ويدعو إليه ويفريه ما كان
 يعود إلى موضع قد قطعت فيه إحدى يديه أو فقتت إحدى عينيه ولم وقع عليه إذا
 اسم شيطان ومارد وعفريت وأشباه ذلك ولم صار الانسان يسمى بهذه الاسماء
 ويوصف بهذه الصفات إذا كان فيه الجزء الواحد من كل ما هم عليه ، وقالوا في باب
 آخر من الطعن غير هذا قالوا في قوله تعالى وإنا كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع
 الآن يجد له شهاباً رصداً فقالوا قد دل هذا الكلام على أن الاخبار هناك كانت

مارء لا يسمعون الى الملاء الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب
 فى آى غير هذا كثير فكيف يمدون الى استراق السمع مع نيقنهم بأنه قد حصن
 بالشهب ولولم يكونوا موقنين من جهة حقائق الكتاب ولا من جهة أنهم بعددودهم
 مقاعد للمسح لمسوا السماء فوجدوا الامر قد تغير لكان فى طول التجربة والعيان
 الظاهر فى إخبار بعضهم لبعض ما يكون حائلا دون الطمع وقاطعا دون التماس الصمود
 وبعد فأى عاقل يسر بان يسمع خبرا وتقطع يده فضلا عن أن تحرقه النار وبعد فأى خبر
 فى ذلك اليوم وهل يصلون الى الناس حتى يجملوا ذلك الخبر سببا الى صرف
 الدعوى قيل لهم فاناقول بالصرفة فى عامة هذه الاصول وفى هذه الأبواب كنحو
 ما أتى على قلوب بني اسرائيل وهم يجولون فى التيه وهم فى العدد وكثرة الادلاء والتجار
 وأصحاب الاسفار والحارين والمكاريين من الكثرة على ما قد سمعتم به وعرفتوه وهم مع
 هذا يمشون حتى يصبحون مع شدة الاجتهاد فى الدهر الطويل ومع قرب ما بين
 طرفى التيه وقد كان طريقا مسلوكا وانما سموه التيه حين تاهوا فيه لان الله تعالى حين
 أراد أن يمتحنهم ويبتليهم صرف أوهامهم ومثل ذلك صنيعه فى أوهام الامة التى كان
 سليمان ملكها ونبياهم تسخير الرياح والاعاجيب التى أعطىها وليس بينهم وبين ملكهم
 ومملكته وبين ملك سببا ومملكة بلقيس ملكتهم بحار لا تركب وجبال لا ترام ولم
 يتسامع أهل المملكةين ولا كان فى ذكرهم مكان هذه المائة وقد قلنا فى باب القول
 فى الهدى ما قلنا حين ذكرنا الصرفة وذكرنا حال يعقوب ويوسف وحال سليمان وهو
 معتمد على عصاه وهو ميت والجن مطيفة به وهم لا يشعرون بموته وذكرنا من صرف
 أوهام العرب عن محاولة معارضة القرآن ولم يأتوا به مضطربا ولا متفقا ولا مستكرها
 اذ كان فى ذلك لاهل الشغب متعاق مع غير ذلك مما يخالف فيه طريق الدهرية لان
 الدهري لا يقر الا بالحسوسات والعادات على خلاف هذا المذهب ولعمري لا يستطيع
 الدهري أن يقول بهذا القول ويجتمع بهذه الحجة مادام لا يقول بالتوحيد ومادام
 لا يعرف الا الفلك وعمله ومادام يرى أن إرسال الرسل يستحيل وأن الامر والنهي
 والثواب والعقاب على غير ما نقول وأن الله تعالى لا يجوز أن يأمر من جهة الاختيار

باب كل بلاء وينصب كل حباله وخدعة ولم يكن ليعرف أصناف جميع الشر والمعاصي حتى يعرف جميع أصناف الخير والطاعات ونحن قد نجد الرجل إذا كان معه أدنى عقل ثم علم أنه إذا نقب حائطاً قطعت يده أو أسمع انساناً كلاماً قطع لسانه أو يكون متى رام ذلك حيل دونه ودون ما رام منه أنه لا يتكاف ذلك ولا يرومه ولا يحاول أمراً قد أيقن أنه لا يبلغه وأنتم تزعمون أن الشياطين الذين هم على هذه الصفة كلما صعد منهم شيطان ليسترق السمع قذف بشهاب نار وليس له غواطي فاما أن يكون يصيبه واما أن يكون نذيراً صادقاً أو وعيداً أن يقدم عليه رمى به وهذه الرجوم لا تكون الا لهذه الامور ومتى كانت فقد ظهر للشيطان احراق المستمع والمسترق أو الموانع دون الوصول ثم لا نزي الا اول ينهى الثاني ولا الثاني ينهى الثالث ولا الثالث ينهى الرابع في هذا الدهر الطويل فان كان المحرق المصاب هو الذي يمود فهذا عجب وان كان الذي يمود غيره فكيف خفي عليه شأنهم وهو ظاهر مكشوف وعلى انهم لم يكونوا أعلم منا حتى ميزوا جميع المعاصي من جميع الطاعات ولولا ذلك لدعوا الى الطاعة بحساب المعاصي وزبنوا لها الصلاح وهم يريدون العناد فاذا كانوا ليس كذلك فاذنى حالاتهم ان يكونوا قد عرفوا اخبار القرآن وصدقوا وان الله تعالى محقق ما وعد كما ينجز ما وعد وقد قال الله عز وجل ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناس الذين يحفظونها من كل شيطان رجيم وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد وقال تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون مع قول الجن انا لاندرى أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً وقولهم انا لمعنا السماء فوجدناها مئت حرساً شديداً وشهباً وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً فكيف يسترق السمع الذين شاهدوا الحالتين جميعاً وأظهروا اليقين بصحة الخبر بأن للمستمع بعد ذلك القذف بالشهب والاحراق بالنار وقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون وقوله تعالى وحفظنا من كل شيطان

وظرف بقطع ثيابه وتغنى أصواتا وحفظ أحاديث من أحاديث العشاق من الأحاديث التي تشتمها النساء وتفهم معانيها وكان أقبح خلق الله تعالى أنفاجي كان أقبح من الأخنس ومن الإفطس والاجدع فلما أن يكون صادق ظريفة وأما أن يكون تزوجها فلما جاء معها في بيت وأرادها على ما يريد الرجل من المرأة فامتنعت فوهب لها ومناها وأظهر تعشقها وأراعيها بكل حيلة فلما لم يحب قال لها خبريني ما الذي يمنعك قالت فبح أنفك وهو يستقبل عيني فلو كان أنفك في فمك لكان أهون عليّ قال لها جعلت فداك الذي بأنني ليس هو خلقه وإنما هو ضربة ضربتها في سبيل الله تعالى فقالت واستغربت ضحكاً أنا ما أبالي في سبيل الله كانت أو في سبيل الشيطان إنما هو قبحة فخذ ثوابك على هذه الضربة من الله تعالى أما أنا فلا

باب الجدد من أمر الجن

ليس هذا حفظك الله تعالى من الباب الذي كنا فيه ولكنه كان مستراحاً وجاماً وسنقول في باب من ذكر الجن لننتفع في دينك أشد الانتفاع وهو جدد كله والكلام الأول وما يتلوه من ذكر الحشرات ليس فيه جدد إلا وفيه خلط من هزل وليس فيه كلام صحيح إلا إلى جنبه خرافة لأن هذا الباب هكذا يقع وقد ظعن قوم في استراق الشياطين السمع بوجوه من الطعن فاذا قد جرى لها من الذكر في باب الهزل ما قد جرى فالواجب علينا أن نقول في باب الجدد وفيما يرد على أهل الدين بجملة وإن كان هذا الكتاب لم يقصد به إلى هذا الباب حيث ابتدئ وإن نحن استقصيناه كنا قد خرجنا من حدد القول في الحيوان ولكننا نقول بجملة كافية والله تعالى المعين على ذلك

قال قوم قد علمنا أن الشياطين ألطف لطافة وأقل آفة وأحد أذهانا وأقل فضولا وأخف أبدانا وأكثر معرفة وأدق فطنة منا والدليل على ذلك اجتماعهم على أنه ليس في الأرض بدعة بديعة دقيقة ولا جليلة ولا في الأرض معصية من طريق الهوى والشهوة خفية كانت أَوْ ظاهرة إلا والشيطان هو الداعي لها والمزين لها والذي يفتح

يكون مولي هذه الجارية ينيكها قالت كما يكون فلم أسمع بكلمة عامية اشنع ولا أدل على ما
أرادت ولا أقصر من كلمتها هذه وقد قالت جعشوية في شعر شبها بهذا القول حيث تقول
تواعدني لتنيكحني ثلاثا * ولكن يامشوم بأي أير

فلو خطبت في صفة أيره خطبة أطول من خطبة قيس بن خازجة بن سنان في شأن
الحمالة لما بلغ مبلغ جعشوية وليكن يامشوم بأي أير وقول الخادم وكما يكون، وزعموا
أن فتى جالس إلى أعرابية وعلمت أنه إنما جالس لينظر إلى محاسن ابنتها فضربت يدها
على جنبها ثم قالت

عنداء ينط الأير فيها * أطيط الغرز في الرخل الجديد

ثم أقبلت على الفتى فقالت

ومالك منها غير أنك نا كج * بعينيك عينيها فهل ذاك نافع

ودخل قاسم منزل الخوارزمي النخاس فرأى عنده جارية كأنها جان وكأنها خوط بان
وكانها جدل عنان وكانها الياسمين نعمة وبياضا فقال لها اشتريك يا جارية فقالت افتح
كيسك تسر نفسك ودخلت الجارية منزل النخاس فاشتراها وهي لا تعلم ومضى إلى
المنزل ودفعا الخوارزمي إلى غلامه فلم تشعر الجارية إلا وهي معه في جوف بيت فلما
نظرت إليه وعرفت ما وقعت فيه قالت له ويلك أنك والله لن تصل إلى إلا بعد أن
أموت فإن كنت تجسر على نيك من قد أدرجوه في إلا كفان فدونك والله إن زلت
منذ رأيتك ودخلت إلى الجوارى أصف ببحك وبلية امرأتك بك فأقبل عليها يكامها
بكلام المتكلمين فلم تقبل منه فقال فلم قلت لي افتح كيسك تسر نفسك ففتحت كيسي
فدعيني أسر نفسي وهو يكامها وعين الجارية إلى الباب ونفسها في توهم الطريق إلى
منزل النخاس فلم يشعر قاسم حتى وثبت وثبة إلى الباب كالغزال ولم يشعر الخوارزمي إلا
والجارية بين يديه مغشي عليها فذكر قاسم إليه راجعا وقال ادفعها إلى أشفي نفسي منها
فطلبوا إليه فصفح عنها واشتراها في ذلك المجلس غلام أُمّاح منها فقامت إليه فقالت فاه
وقاسم ينظر والقوم يتعجبون مما تهايا عليه لها وتهايا لها، وأمّاعيسي بن مروان كاتب أبي
مروان عبد الملك بن أبي حمزة فإنه كان شديد التفضل بالتصنيد حتى شرب لذلك النبيذ

* مزاحف هزلى بينها متباعد * ﴿وكما قال الآخر﴾

كأن مزاحف الهزلى عليها * خدود رواضع خذلت تؤاما

﴿وأما قوله﴾

* ولم أرأوى حيث أسمع ذكره *

فان ابن آوى لا ينزل الفغار وانما يكون حيث يكون الريف وينبني ان يكون احيث
قال هذا الشعر توهم أنه بدياض نجد

﴿وأما قوله﴾ * ولا الدب ان الدب لا يتسب *

فان الدب عندهم عجبي والمعجمى لا يقيم نسبه ورووا في الملح ان فتي قال لجارية له أو
لصديقة له ليس في الأرض أحسن منى ولا أماج منى فصارت عنده كذلك فبينما هو
غندما على هذه الصفة اذ قرع عليها الباب إنسان يريد فاطلمت عليه من خرق
الباب فرأت فتي أحسن الناس وأملحهم وأنبليهم وأتمهم فلما عاد صاحبها الى المنزل
قالت له أو ما أخبرتني انك أماج الخلق وأحسنهم قال بلى وكذلك انا فقالت فقد
أرادك اليوم فلان ورأيت من خرق الباب فرأيت أحسن منك وأماج قال لعمري انه
لحسن مليح ولكن له جنية تصرعه في كل شهر مرتين وهو يريد بذلك ان يستقطه
من عينها قالت أو ما تصرعه في الشهر الامرتين أما والله لو أتى جنية لصرعه في
اليوم الفين وهذا يدل على ان صرع الشيطان للانسان ليس هو عند الصوام الا على
جهة ما يعرفون من الجماع، ومن هذا الضرب من الحديث ما حدثنا به المازني قال ابتاع
فتى صلف مداخ جارية حسناء بديعة ظريفة فلما وقع عليها قال لها مراراً ويلاك ما أوسع
حرك فلما أكثر عليها قالت أنت الفداء لمن كان يملأه فقد سمع هذا كما ترى من
المكروه مثل ما سمع الاول، وزعموا ان رجلاً نظر الى امرأة حسناء ظريفة فألح عليها
فقالت ما تنظر قرة عينك وشئ غيرك، وزعم أبو الحسين المدائني ان رجلاً تبع جارية
لقوم فراوغته فلم ينقطع عنها حتى في المشى فلم ينقطع عنها فلما جازت بمجاس قوم
قالت يا هؤلاء لي طريق ولهذا طريق ومولى ينيكني فسلوا هذا ما يريد منى، وزعم
لنا ان سيارا البرقي قال صرت بنا جارية فرأينا فيها الكبر والتجبر فقال بعضهمنا ينبني ان

لعرش لا أنه سمع صوتاً ومن هذا الباب قول تأبط شراً أو قول القائل في كلمة له
 يظلل بمومة ويمسي بقفرة * جعيشاً ويعرورى ظهور المهالك
 ويسبق وفد الریح من حيث ينتحي * بمنخرق من شدة المتدارك
 اذا خاط عينه كرى النوم لم يزل * له كالى من قلب شبحان فالك
 ويجعل عينه ربيثة قلبه * الى سلة من حد أخضر باتك
 اذا هزه في عظم لمرن تذلت * نواجذ أفواه المنايا الضواحيك
 يري الانس وحشى الفلاة ويهتدي * بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك
 ويدل على ما قال أبو اسحاق من نزولهم في بلاد الوحش وبين الحشرات والسباع
 ما رواه لنا أبو مسهر عن اعرابي من بني تميم نزل ناحية الشام فكان لا يعدمه في كل
 ليلة أن يعضه أو يلدّه أو يعض حاشيته سبع من السباع أو دابة من دواب
 الارض فقال

تداورنى دين وذل وغربة * ومزق جلدي ناب سبع ومخلب
 وفي الارض أجناس وسبع وحارب * ونحن أسارى وسطها ثقلاب
 وتيلا وطبوع وشبتان ظلمة * وأرقط حرقوص وصمغ وعقرب
 ونمل كاشخاص الخنافس قطب * وأرسال جمالان وهزل تسرب
 وعت وحفات وضب وعربد * وذو ودحاس وفار وعقرب
 وهمر وطاربان وسمع وذوبل * وتزملة تجري وسيد وثعلب
 ويئر وفهد ثم ضبع وحنبل * وليت يحوس الالف لا يتهيب
 ولم أرأوى حيث أسمع ذكره * ولا الدب ان الدب لا يتنسب
 فأما الرتيلا والطبوع والشبت والحرقوص وذو الصمغ والعنكبوت والخنافس والجمل
 والعت والجفات والدحاس والطاربان والذب والثعلب والنمر والفهد والضبع والاسد
 وسنقول في ذلك اذا صرنا الى ذكر هذه الابواب وقبل ذلك عند ذي الحشرات
 فأما الضب والورل والمقرب والجمل والخنافس والسمع فقد ذكرناها في أول الكتاب
 وأما قوله وهزل تسرب فالهزلى هي الحيات كما قال جرير

صار بعضهم يدعى رؤبة الغول أو قنلها أو صرافقتها أو تزويجها وآخر يزعم أنه رافق في
مفازة نمر فكان يطاعمه ويؤاكله فن هؤلاء خاصة القتال الكلابي فإنه الذي يقول

أيرسل مروان الأمير رسالة * لآتيه اني اذ المضال *

ومابى عصيان ولا بد منهل * ولكننى من خوف مروان أو جل

وفى ساحة العنقاء أوفى عماية * أو الاود ما من رهبة الموت موئل

ولى صاحب فى الفارهدك صاحباً * هو الجون الا أنه لا يعمل

اذا ما التقينا كان جل حديثنا * صمانا وطرف كالمقابل أكل

تضنت الأروى لنا بطعامنا * كلانا له منها نصيب وما كل

فأغلبه فى صنعة الزاد انى * أميط الأذى عنه ولا يتأمل

وكانت لنا طب بأرض مضلة * شريعتنا لاى من جاء أول

كلانا عدو لويرى فى عدوه * محزا وكل فى العداوة محمل

﴿ وأنشد الاصمعى ﴾

ظللنا معا جارين نحترس الثأى * يشار بنى من فضلى وأشار به

ذكر سبعا ورجلا قد تواقفا فصار كل واحد منهما يدع فضلا من سؤره ليشرب

صاحبه والثأى الفساد وخبر ان كل واحد منهما يحترس من صاحبه وقيل يستقيم

ان يكون شعر النابغة فى الحية وفى القتل صاحب القبر وفى أخيه المصالح للحية أن

يكون انما جعل ذلك مثلاً وقد أثبتناه فى باب الحيات فلذلك كرهننا إعادته فى هذا

الموضع ، فأما جميع ما ذكرناه عنهم فانما يخبرون عنه من جهة المعاينة والتحقيق وانما

المثل فى هذا مثل قوله

قد كان شيطانك من خطاها * وكان شيطائى من طلابها

حينما فلما اعتركا ألوي بها

والانسان مجوع فيسمع فى أذنه كالدوي وقال الشاعر

دوي الفيا فى رابه فكانه * أميم وسارى الليل للضوء يعود

يعود أي يضجر وربما قال الغلام لمولاه دعوتني فيقول لا وانما اعترى مسامعه ذلك

البلاد والخلأ، والبعد من الانس استوحش ولا سيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين
والوحدة لا تقطع أيامهم الا بالمنى أو بالتفكير والفكر ربما كان من أسباب الوسوسة
وقد ابتلى بذلك غير حاسب كأبي ياسر ومثنى ولد الفنار، وخبرني الاعمش أنه فكر في
مسئلة فأنكر أهله عقله حتى حموه وداووه وقد عرض ذلك لكثير من الهند واذا
استوحش الانسان مثل له الشئ الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت
أخلاقه فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع ويتوهم على الشئ الصغير الحقير أنه عظيم
جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه وأحاديث توارثوها فازدادوا
بذلك إيماناً ونشأ عليه الناثي وربى به الطفل فصار أحدهم خين يتوسط الفيافي
وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الخنادس فعند أول وحشة أو فزعة وعند صياح بوم
ومجاوبة صيدا وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس وأصل الطبيعة
نفاها كذابا وصاحب تشنيع وهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة
فعند ذلك يقول رأيت الفيلان وكلت السملاة ثم يتجاوز ذلك الى أن يقول قتلنا ثم
يتجاوز ذلك الى أن يقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك الى أن يقول تزوجتها قال عبيد بن أبوب
فله در الغول اى رفيقة * لصاحب قفر خائف متنفر

﴿وقال﴾

أهذا رفيق الغول والذئب والذى * يهيم بربات الحجال الهوا كل

﴿وقال آخر﴾

أخوف فرات حالف الجن واتقى * من الانس حتى قد تقضت وسائله

له نسب الانسى يعرف نجمله * وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب وأغراهم به ومدلهم فيه أنهم ليس يلقون بهذه الاشعار
وبهذه الاخبار الا اعرابيا مثلهم والاعبياء لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب
والتصديق أو الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط وام
أن يلقوا رواية شعر أو صاحب خبر فالرواية عندهم كلما كان الاعرابي أكذب في
شعره كان أظرف عندهم وصارت روايته أغلب ومضاحيك حديثه أكثر فلذلك

احذر مفاظ أنوام ذوي حسب * ان المغيظ جهول السيف مجنون
وأنشدني أبو تمام الطائي

من كل أصلم قد مالت عمامته * كانه من حذار الضيم مجنون

وقال القطامي

يتبعن سامية العينين تحسبها * مجنونة أوتري مالا ترى الابل

وقال في المعنى الاول الرقيان العوافي

انا العوافي فن عادائي * اذيقه بوادر الهوان

* حتى تراه مطرق الشيطان *

وقال مروان بن محمد

واذا تجنن شاعر أو مقغم * اسعطته بمرارة الشيطان

وقال ابن مقبل

وعندي الذهب لو أحل عقابها * فتصعد لم تعد من الجن خازنا

وقد صغر الذهب ليس على التحقير ولكن هذا مثل قولهم

دبت اليهم دويهة الدهر قال أبو اسحاق وأما قول ذي الرمة

إذا حثن الركب في مدهمة * أحاديثها مثل اصطخاب الضرائر

قال أبو اسحاق يكون في النهار ساعات ترى الشخص الصغير في تلك المهامة عظيما

ويوجد الصوت الخافض رفيعا وتسمع الصوت الذي ليس بالرفيع رفيعا من انبساط

الشمس غدوة من المكان البعيد ويوجد لا وسط الفياض والقفار والرمال والحرار

في أنصاف النهار مثل الدوى من طبع ذلك الوقت وذلك المكان عند ما يعرض له

ولذلك قال ذو الرمة

إذا قال حادينا لتشبيه نبأة * صدى لم يكن الا دوي المسامع

قالوا وبالدى سميت دوية ودواية وبه سمي الدوّ دواً وكان أبو اسحاق يقول في

الذى تذكر الاعراب من عزيز الجنان وتقول الفيضان أصل هذا الامر وابتدأه

أن القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ومن انفرد وطال مقامه في

جنونك مجنون ولست بواجد * طيبا يداوى من جنون جنون
وأنشدني يومئذ

أتوني بمجنون يسـيل لعابه * وما صاحبي الا الصحيح المسلم
ومما يشبه الاول قول ابن ميادة

فلما أتاني ماتـقول محارب * تغنت شياطين وجن جنونها
وحكت لها مما أقول قصائدا * ترامت بها صهب المهارى وجونها
وقال في التمثيل

ان شرخ الشباب والشعر الاسود * ما لم يـماض كان جنونا
وقال الآخر

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر
وما أحسن ما قال الشاعر حيث يقول
دنت وجات واسبطرت وأكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت
وما أحسن ما قال الشاعر حيث يقول

جادت بها عند الغداة يمينه * كلتا يدي عمرو الغداة يمين
ما أن يجود بثلها في مثله * الا كريم الخليم أو مجنون
وقال الجهمي

ولو أتى لم أنزل منكم معاقبة * الا السنان بذات الموت مطعون
أولا خطبت فأنى قد هممت به * بالسيف ان خطيب السيف مجنون
﴿وأنشد﴾

هم أحواحي الرقي بضرب * يؤلف بين أشتات المنون
فنكب عنهم درء الاعادى * وداووا بالجنون من الجنون
وأنشد جعفر بن سعيد

ان الجنون سهام بين أربعة * الريح والبحر والانسان والجل
وأنشدني أيضا

فما يدجب الجنان منك عدمتهم * وفي الاسد أفراس لهم ونجائب
 أنسرج يربوعا وتلجم قنفذا * لقد أعوزتهم ما علمت المراكب
 فان كانت الجنان جنت فبالحرى * ولا ذنب للافئدار والله غالب
 وما الناس الا خادع ونخدع * وصاحب إسهاب وآخر كاذب
 قال فقلت له قد كان يذنبني ان يكون بين البيت الثالث والرابع بيتا آخر قال كانت
 والله أربعين بيتا ولكن الحطمة احتطمتنيها قال فقلت هل قلت في غير هذا الباب قال
 نعم شيء قلت لزوجتي وهو والله عندها أصدق شيء فأنه لها
 أراه سميعا للسرار لقنفذ * لقد ضاع سر الله يأثم معبد
 فلم أصبر ان ضحكت فغضب وذهب ويكتب مع شعرا بى البلاد الطهورى
 فما لا تثنى فيها بواجدها مثلها * على غرة القت عطاها ومئزرا
 لها ساعدا غول ورجلا نعامة * ورأس كسحاة اليهودي ازعرا
 وبطن كاشار المزايدة رفعت * جوائبه أغماسه وتكسرا
 ونديان كالخرجين نيطت عراهما * الى جوجو نائى الترائب أزورا
 وقال كان أبو شيطان واسمه اسحاق بن رزين أحد بني الشميظ شميظ جمعة بن كعب
 فأنام أمير فجعل ينكب عليهم جورا وجعل آخر من أهل بلده ينقب عليهم اى
 يكون عليهم نقيباً فجعل يقول
 يا ذا الذى نكبتنا ونقبا * زوجه الرحمن غولا عقربا
 جمع فيها ماله ولببسا * لبلبة التيس اذا تهيمسا
 حتى إذا ما استطربت واستطربا * عاين منها خلق ربى ربا
 * ذات نواتين وسلع أسقبا *
 يعنى فرجها ونواتها يقول لم تحتن وأما قوله * فان كانت الجنان جنت فبالحرى * فأنهم
 قد يقولون فى مثل هذا وقد قال دعلج بن الحكم
 وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب * وشيطانه عند الاهلة يصرع
 وأنشدنى عبد الرحمن بن منصور الاسدي قبل ان يمجن

وبها كنت راكبا حشرات * ملجأ فننفذنا ومسرح وبر
 وأجوب البلاد تحت ظبي * ضاحك سنه كثير النمرى
 موج دبره خزنة مكر * وهو بالليل في المغاريت يسري
 فقد أخبرنا في صدر هذا الكتاب بقول الاعراب في مطايا الجن من الحشرات
 والوحش وأنشد ابن الاعرابي لبعض الاعراب

كل المطايا قد ركبت فلم أجده * الذ وأشهى من مطايا الثعالب
 ومن عنظوان صيفة شمريه * تحب برجليها امام الركائب
 ومن جرد سرح اليدى مرج * يقوم برحلى بين أبدي المواكب
 ومن فارة زرداد عتقا وجدة * تبرح بالخصوص العتاق النجائب
 ومن كل قتلاء الذراعين حرة * مدربة من عافيات الارانب
 ومن ورل يعتام فضل زمانه * أضربه طول السري في السبابس
 وقال ابن الاعرابي فقلت له أترى الجن كانت تركبها فقال أحلف بالله لقد كنت
 أجده بالطباء التوقيع في ظهورها والسمة في الآذان وأنشد

كل المطايا قد ركبت فلم أجده * الذ وأشهى من ركوب الجنادب
 ومن عضر فوط حط من فائمة * يبادر ورداً من قطار فوارب
 وشر مطايا الجن أرنب خلة * وذئب الغضا أرنب على كل صاحب
 ولم أرفيها مثل قنفذ برقة * يقود قطاراً من عظيم العناكب
 وقد فسرنا قولهم في الأرنب لم لا تركب وفي أرنب الخلة وقنفذ برقة، وحديثي أبو
 نواس قال بكرت الى المربد ومضى الوالى أطلب اعراباً فصيحاً فاذا في ظل دار جعفر
 أعرابي لم أسمع بشيطان أبج منه وجها ولا بانسان أحسن منه عقلا وذلك في يوم
 لم أر كبرده برداً فقلت له هلا قعدت في الشمس فقال الخلة أجب إلى فقلت له
 ما زحاً أرايت القنفذ اذا امتطاه الجنى وعلا به في الهواء هل القنفذ يحمل الجنى أم الجنى
 يحمل القنفذ قال هذا من تكاذيب الاعراب وقد قلت في ذلك شعراً قلت فأنشدني
 لقد ان كان قال لي قلت هذا الشعر وقد رأيت ليلة قنفذاً ويربوعاً يلتمسان الرزق

شدت عقابها وحططت عنها * لأنظر غدوة ماذا دهاني
إذا عينان في وجهه قبيح * كوجه الهرمشقوق اللسان
ورجلا مخدج ولسان كلب * وجلد من قراب أو شنان
وأبو البلاد الطهوي هذا كان من شهابين الاعراب وهو كما ترى يكذب وهو يعلم
ويطيل الكذب ويجيزة وقد قال كما ترى

فقلت زد فقلت رويد اني * على أمثالها ثبت الجنان
لأنهم هكذا يقولون يزعمون أن الغول تستزيد بعد الضربة الأولى لأنها تموت من
ضربة وتعيش من ألف ضربة وأما قوله

غلبتني على النجابة عرسي * بعد أن طال في النجابة ذكرى
وأرى فيهم شمائل انس * غير أن النجار صورة عفر
فانه يقول لما تركب الولد منها ومنى كان شبهها فيه أكثر وقد قال بجير بن أيوب
اخو قفرات حالف الجن وانتي * من الانس حتى قد تقضت رسائله
له نسب الانسي يعرف نجمه * ولالجن منه خلقه وشمائله
﴿ وقال الآخر ﴾

وصار خليل الغول بعد عداوة * صفيا وربته القفار البساس
فليس بجني فيعرف نجمه * ولا هو انس تحتويه المجالس
يظل ولا يبدى لشيء نهاره * ولكنه ينتاع والليل دامس
قال وقال القمعاق بن معبد بن زرارة في ابنة عوف بن القمعاق والله لما أرى في عوف
من شمائل الجن أكثر مما أرى فيه من شمائل الانس وقال مسلمة بن مجاز حدثني
رجل من أصحابنا قال خرجنا في سفر ومعنا رجل فأنتمينا إلى واد فدعونا بالفداء فهد
رجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه وهو قبل ذلك يأكل معنا في كل منزل فاشتد
اغتمامنا لذلك فخرجنا نسأل عنه وعن حاله فتلقاني أعرابي فقال مالكم فأخبرناه خبر
الرجل فقال ما اسم صاحبكم قلنا أسد قال هذا واد قد أجذبت سباعه فأرحلوا فلو
قد جاؤزتم الراوى استمرى وأكل وأما قوله

قال وأصحاب الرقي والاخت والعزائم والسحر والشعبة يزعمون أن العدد والقوة في
الجن والشياطين لنزلة الشام والهند وان عظيم شياطين الهند يقال له سكويرك وعظيم
شياطين الشام يقال له دركاراب وقد ذكرهما أبو اسحاق في هجائه محمد بن بشير حين
ادعي هذه الصناعة فقال

قد لعمرى جمعت من اصعياب * ثم من شعر ادم والخراب
وتفردت بالطواق والهيك * والدهمات من كل باب
وغلت الاسماء كي ما تلاقي * زحلا والمريخ فوق السحاب
واستثرت الارواح بالبحريتين * لصرح الصحيح بعد المصاب
جامعا من لطائف الدهمسيا * ت كنوسا نعتها في كتاب
ثم أحكمت متقن الكرويا * ت وفعل الناريس والنجاب
ثم لم تفتك السعاية واخذ * مة والاحتفاء بالطلاب
بالخواتيم والمناديل والسعي * بسكويرك ودركاراب

وأما قوله

ضربت فردة فصارت هباء * في محاق القمير آخر شهر
فان الاعراب والعامة تزعم أن الغول اذا ضربت ضربة ماتت الا أن يمد عليه الضارب
قبل أن تقضى ضربة أخرى فانه ان فعل ذلك لم تمت وقد قال شاعرهم
فنيت والمقدار يحرس أهله * فليت يميني قبل ذلك شات
وأشدوا لأبي البلاد الطهوي

لهان علي جهينة ما ألقى * من الروعات يوم رحابطان
لقيت الغول تسري في ظلام * بسهم كالعيابة صحصحان
لقات لها كلانا نشو أرض * أخو سفر فصدي عن مكاني
لصدت وأنتحيت لها بمضب * حسام غير مؤتشب يمانى
فقد سراتها والبرد منها * خفرت لليدين وللجران
فقلت زد فقات رويد إني * علي أمثالها ثبت الجنان

وأما قول عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الجن منا * وشذبنا قنادة من يلينا

فإنهم يزعمون أن كلاب الجن هم الشعراء وأما قوله

لأرض حوش وجامل عكنان * وعروج من المؤبل دثر

فأرض الحوش هي أرض وبار وقد فسرنا تأويل الحوش والمكنان الكثير الذي لا يكون فوقه عدد وقوله عروج جمع عرج والعرج ألف من الأبل نقص شيئاً وزاد شيئاً والمؤبل من الأبل يقال ابل مؤبلة ودراهم مدرهمة وبدر مبدرة مثل قوله تعالى والقناطر المقنطرة وأما قوله دثر فإنهم يقولون مال دثر ومال جرم إذا كان كثيراً وأما قوله

ونفوا عن حريمها كل عفر * يسرق السمع كل ليلة بدر

فالعفر هو العفريت وجمله لا يسرق السمع إلا جهازاً في أضواء ما يكون البدر من شدة معاندته وقوته وأما قوله

في فتو من الشنقنان غر * ونساء من الزوابع زهر

الزوابع بنو زوبعة الجني وهم أصحاب الرهج والقتام قال راجزهم

إن الشياطين أتوني أربعة * في غبش الليل وفيهم زوبعة

فما شنقنان وشيصبان فقد ذكرهما أبو النجم

* لاني شنقنان وشيصبان *

فهذان رئيسان ومن آباء القبائل وقد قال شاعرهم

إذا ما ترعرع فينا الغلا * م فليس يقال له من هو

إذا لم يسد قبل شد الأزا * رفذلك فينا الذي لا هو

ولي صاحب من بني الشيصبا * ن فطوراً أقول وطوراً هو

وهذا البيت يصلح أن يلحق في الدليل على أنهم يقولون أن مع كل شاعر شيطاناً

ومن ذلك قول بشار الاعمى

دعاني شنقنان إلى خلف بكرة * فقلت أتركني فالتفرد أحمد

وقال الفرزدق في مديح أسد بن عبد الله
 لتبلغن أبا الاشبال مـدحتنا * من كان بالفور أو طودى خراسانا
 كأنها الذهب العقيان حـبرها * لسان أشعر خلق الله شيطانا
 ﴿ وقال ﴾

فلو كنت عندي يوم قرء عذرتني * بيوم دعتني جنة وخبائله
 فمن أجل هذا البيت ومن أجل قول الآخر
 اذا ما زاع جارية فـلاقى * خبال الله من انس وجن
 زعموا ان الخبال الناس ولما قال بشار بن برد

دعاني شقناني الى خلف بكرة * فقلت اتركني فالفرزدق أحمد
 يقول أحمد لي في الشعر من ان يكون لي عليه من معين فقال أعشي سليم برد عليه
 اذا الف الجني قرداً مشـنفأ * فقولوا لخنزير الجزيرة أبشر
 فزع بشار عند ذلك جزعا شديداً لانه كان يعلم مع تغزله ان وجهه وجه قرد وكان
 أول ما عرف من جزعه من ذكر القرد الذي رأوا منه حتى أنشد قول حماد عجرد
 ويا أقمح من قرد * اذا ما عمي القرد

﴿ وأما قوله ﴾

ولها خطة بأرض وبار * مسحوها فكان لي نصف شطر
 فانما ادعى الربع من ميراثها لانه قد قال
 تركت عبداً ثمال اليتامى * وأخوه مزاحم كان بكري
 وضعت تسعة وكانت نذوراً * من نساء في أهلنا غير نزر
 وفي ان مع كل شاعر شيطانا يقول معه قول أبي النجم
 اني وكل شاعر من البشر * شيطانه أتى وشيطاني ذكر
 ﴿ وقال آخر ﴾

اني وان كنت صغير السن * وكان في العين نبوءة عني
 * فان شيطاني كبير الجن *

فمن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهى الطلوم ولا تقعد على ضمد
وجاء في قتل الاسود البهيم من الكلاب وفي ذى النكتتين وفي الحية ذات الطفتين
فانها جان وجاء لا تشربوا من ثلثة الاناء فانه كفيل الشيطان وفي العاقد شعره في
الصلاة انها كفيل الشيطان وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال تراصوا بينكم في
الصلاة لا تتخلاكم الشياطين كانها بنات خذف وأنه نهى عن ذبائح الجن ورووا أن
امراة أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابني هذا به جنون يصيبه عند
الغداء والعشاء قال فمسح النبي صلى الله عليه وسلم صدره فثب ثمة فخرج من جوفه
جر ويسمى قالوا وقد قضى ابن علاثة القاضى بين الجن في دم كان بينهم بحكم أنفهم
ثم رجع بنا القول الى تفسير قصيدة البهراني فزعم أنه جعل صداقها غزالا وزق خر
فالخر لطيب الرائحة والغزال لتجمله مر كبا فان الظباء من مرا كب الجن وأما قوله
ثيب أن هـويت ذلك منها * ومتي شئت لم أجد غير بكر
كانه قال هي تتصور في أى صورة شاءت وأما قوله

بنت عمرو وخالها مسعر الخية * ر وخالى هميم صاحب عمرو
فانهم يزعمون ان مع كل خل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر
فزعم البهراني ان هذه الجنية بنت عمرو شيطان الخبل وأن خالها مسحل شيطان
الاعشى وذ كر ان خاله هميم وهو همام وهمام الفرزدق وكان غالب بن صعصعة اذا دعا
الفرزدق قال يا هميم وأما قوله صاحب عمرو فكذلك أيضا يقال ان اسم شيطان
الفرزدق عمرو وقد ذ كر الأعشى مسحل حين هجاه جهنم فقال

دعوت خليلي مسحلا ودعواله * بجهنم يدعي للجهنم المذمم

﴿ وذ كره الاعشى فقال ﴾

حباني أخي الجني نفسى فداؤه * بأقبح جياش العشيات مرحم

﴿ وقال اعشى سليم ﴾

وما كان جنى الفرزدق إسوة * وما كان فيهم مثل خل الخبل

وما فى الخوا في مثل عمرو وشيخة * ولا يمد عمرو شاعر مثل مسحل

منه في هذه الشمام وبانغ ذلك ابن جبل فانكر عليه وتزعم العامة ان الله تعالى قد ملك الجن والشياطين والعمار والغيلان أن يتحولوا في أى صورة شاؤا الا الغول فانها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها الارجلها فلا بد أن يكونا رجلى حمار وانما قاسوا تصور الجن على تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية بن خليفة الكلبي وعلى تصور الملائكة الذين أتوا مريم وابراهيم ولوطاوداود في صورة المؤمنين وعلى ما جاء في الاثر من تصور ابليس في صورة سرافة بن مالك وعلى تصوره في صورة الشيخ النجدي وقاسوه على تصور ملك الموت اذا حضر لقبض ارواح بنى آدم فانه عند ذلك يتصور على قدر الأعمال الصالحة والطالحة قالوا وقد جاء في الخبر أن من الملائكة من هو في صورة الرجال ومنهم من هو في صورة الثيران ومنهم من هو في صورة النسور ويدل على ذلك تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لامية بن أبي الصلت حين أنشد

رجل ونور تحت رجل يمينه * والنسر للآخرى وليث مرصده

قالوا فاذا استقام أن تختلف صورهم واخلاط أبدانهم وتتفق عقولهم ونياتهم واستطاعتهم جاز أيضاً أن يكون ابليس لعنة الله عليه والشيطان والغول أن يتبدلوا في الصور من غير أن يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة قالوا وقد حول الله تعالى جعفر بن أبي طالب طائراً حتى سماه المسلمون الطييار ولم يخرج ذلك من أن نراه غداً في الجنة وله مثل عقل أخيه على ومثل عقل عمه حمزة رضى الله تعالى عنهم مع المساواة بالبيان والخلق قالوا وقد جاء في الاثر النهي عن الصلاة في اعطان الابل لانها خلقت من اعناق الشياطين وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى يتم طلوعها فانها تطلع بين قرني شيطان وجاء ان الشيطان يفل في رمضان فكيف تنكر ذلك مع قوله تعالى والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد شهرة ذلك في العرب في بقايا ما ثبتوا عليه من دين ابراهيم قال النابغة الذبياني
الا سليمان اذ قال الاله له * تم في البرية فاحدد دها عن الفند
وخيس الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفايح والعمد

رهقا ان جماعة من العرب كانوا اذا صاروا في تيه من الارض ونوسطوا بلاد الحوش
خافوا عبث الجنان والسمالى والفيلان والشياطين فيقوم أحدهم فيرفع صوته انا عائذون
بسيد هذا الوادى فلا يؤذيهم أحد وتصير لهم بذلك خفارة وهم يزعمون أن المجنون
اذا صرعه الجنية وان المجنونة اذا صرعها الجنى ان ذلك انما هو على طريق العشق
والهوى وشهوة النكاح وان الشيطان يعشق المرأة منا وان نظره اليها من طريق
العجب بها أشد عليها من حمى أيام وان عين الجن أشد من عين الانسان قال وسمع
عمرو بن عبيد ناسا من المتكلمين ينكرون صرع الشيطان من المس فقال لو كان الشيطان
لم يخطب أحدا لما ذكر الله تعالى به أكلة الربا فليل له ولعل ذلك كان مرة فذهب
قال ولعله قد كثر فازداد اضعافا قال وما تنكرون من الاستهواء بعد قوله تعالى كالذى
استهوته الشياطين والعرب تزعم أن الطاعون طعن من الشيطان ويسمى الطاعون
رماح الجن قال الاسدى للحارث النسائي ملك غسان

لعمرك ما خشيت على أبى * رماح بني مقيدة الحمار

ولكنى خشيت على أبى * رماح الجن أو اياك حار

يقول لم أكن أخاف على أبى مع منعه وصرامته أن تقتله الانذال ومن يرتبط العير
دون الفرس ولكنى انما كنت أخافك عليه فتكون أنت الذى تطعنه أو يطعنه طاعون
الشام وقال العماني يذكر دولة بنى العباس

قد دفع الله رماح الجن * واذهب المذاب والتجنى

وقال زيد بن جندب الأيادي

ولولا رماح الجن ما كان هزمهم * رماح الاعادى من فصيح وأعجم

ذهب الى قول أبى دؤاد

سلط الموت والمنون عليهم * فلمهم فى صدا المقابر هام

بني الطاعون الذى أصاب إبادة وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
ذكر الطاعون فقال هو وخز من عدوكم وأن عمر وبن العاصى قام فى الناس فى
طاعون غموا فقال ان هذا الطاعون قد ظهر وانما هو وخز من الشيطان ففروا

يكون للمؤمن على مثال ولد الكفار على مثال ونحن نزع أن الكفار يزعمون أنهم لا يتوهمون الكلام والحاجة من انسان التي في جام تنور فكيف بأن يلقى في نار جهنم فالحجة على جميع هؤلاء في جميع هذه الابواب من جهة واحدة وهذا الجواب قريب والحمد لله، وشق في العنكبوت بالطول ولها ثمانية أرجل وتزعم الاعراب أن الله تعالى حين أهلك الأمة التي كانت تسمى وباركاً أهلك طسماً وجديساً وعملاقاً ونموداً وعاداً ان الجن سكنت في منازلهم وحمتها من كل من أرادها وانها أخصب بلاد الله وأكثرها شجراً وأطيبها ثمراً وأكثرها حبا وعنباً وأكثرها نخلاً وموزاً فان دنا اليوم إنسان من تلك البلاد متممداً أو غالطاً حثوا في وجهه التراب فان أبي الرجوع خبلوه وربما قتلوه والموضع نفسه باطل فان قيل لهم دلونا على جهته وأوقفونا على حده وخلصكم ذم زعموا ان من أرادته التي على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه وقال الشاعر

وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يامسلم بن حمار

دعى جملاً لا يهتدي لمقيله * من اللؤم حتى يهتدي لوبار

فهذا الشاعر الاعرابي جعل أرض وبار مثلاً في الضلال والاعراب يتحدثون عنها كما يتحدثون عما يحدونه بالدو والصمان والدهناء ورمل يبرين وما أكثر ما يذكرون أرض وبار في الشعر على معنى هذا الشاعر، قالوا فليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل الحوشية والحوش من الابل عندهم هي التي قد ضربت فيها خول ابل الجن فالحوشية من نسل ابل الجن والعبدية والمهرية والمسجدية والعمانية قد ضربت فيها الحوش وقال رؤبة

* حوت رجلاً من بلاد الحوش *

وقال ابن هرمة

كأني على حوشية أو نعامة * لها نسب في الطير وهو ظليم

وانما سمو اصاحبة يزيد بن الطثيرة حوشية على هذا المعنى، وقال بعض أهل اصحاب التفسير في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم

شياطين معروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم فقال أهل الطمن والخلاف كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فتوهمه ولا وصف لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة والتفريع منها وعلى أنه لو كان شيء أبغ في الزجر من ذلك لذكره فكيف يكون إنسان كذلك والناس لا يفزعون إلا من شيء هائل شنيع قد عاينوه أو صورته لهم واصف صدوق اللسان بليغ في الوصف ونحن لم نعاينها ولا صورها لنا صادق وعلى أن أكثر الناس من هذه الأمم لم يعاين أهل الكنائس وحمة القرآن من المسلمين ولم تسمع الاختلاف ولا يتوهمون ذلك لا يقفون عليه ولا يفزعون منه فكيف يكون ذلك وعيداً عاماً قلنا وإن كنا نحن لم نر شيطانا ولا صور رؤسها لنا صادق بيده في أجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يصفون ذلك في مكانين أحدهما أن يقولوا لهو أتبع من الشيطان والوجه الآخر أن يسمى الجليل شيطانا على جهة التطير به كما تسمى الفرس الكريمة شوهاً والمرأة الجميلة صماء وقرناء وخنساء وحرباء وأشباه ذلك على جهة التطير به ففي أجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح والكتاب إنما نزل على هؤلاء الذين ثبت في طبائهم بغاية التثبت وكما يقولون لهو أفصح من السحر الحلال وكذلك يقولون كما قال عمر ابن عبد العزيز لبعض من أحسن الكلام في طلب حاجته هذا والله السحر الحلال وكذلك أيضاً قالوا ما فلان إلا شيطان على معنى الشهامة والنفاذ وما أشبه ذلك والعامّة تزعم أن الفول يتصور في أحسن الصورة إلا أنه لا بد أن تكون رجلها رجلي حمار وخبروا عن الخليل بن أحمد أن أعرابياً أنشده

وحافر العير في ساق خدلجة * وجفن عين خلاف الانس في الطول

وذكروا أن العامّة تزعم أن شق عين الشيطان بالطول وما أظنهم أخذوا هذين المعنيين إلا عن الأعراب، وأما أخبارهم عن هذه الأمم عن جعلنا بهذا الأجماع والاطباق فما القول في ذلك إلا كالفول في الزبالية وخزنة جهنم وصور الملائكة الذين يتصورون في أقبح الصور إذا حضروا لقبض أرواح الكفار وكذلك في صور منكرونا ونكرونا

* فاصبر لما قد حم لك *

فضرب كل واحد منهما صاحبه فخراميتين فمن قتل الجن عاقمة بن صفوان هذا وجرب بن أمية قالوا وقالت الجن

وقهر حرب بمكان قهر * وليس قرب قبر خرب قبر

قالوا ومن الدليل أن هذين البيتين من أشعار الجن أن أحداً لا يستطيع أن يشدهما ثلاث مرات متصلة لا يتنعق فيها وهو يستطيع أن يشده أثقل شمر في الأرض وأشقة عشر مرات ولا يتنعق، قال وقتل مرداس بن أبي عامر أبا عباس بن مرداس وقتل الغريص خنقا بهد أن غنى بالغناء الذي كانوا يهوه عنه وقتل الجن سعد بن عبادة بن ديلم وسموا الهاتف يقول

نحن قتلنا سيد الخز * رج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين * فلم نخط فؤاده

واستهوا سنان بن أبي حارثة ليستفحلوه فأت فيهم واستهوا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر إلى يومنا هذا واستهوا عمرو بن عدي اللخمي الملك الذي يقال فيه مشب عمر وعن الطوق ثم ردوه على جذيمة الأبرش بهد سنين واستهوا عمارة بن المغيرة ونفخوا في إحليله فصار مع الوحش ويروون عن عبد الله بن قتادة بأسناد له يرفعه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين وأنه تحدث يوماً بحديث فقالت امرأة من نسائه هذا من حديث خرافة قال لا وخرافة بحق ورووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سأل المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم قال الروث قال فما كان شربهم قال البول ورووا أن طعامهم الرمة وما لم يذكر اسم الله عليه ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم والحديث صحيح أنه قال خمروا أنفسكم وأوكوا أسقيتكم وأغلقوا الأبواب وأطفؤا المصابيح وكفوا صبيانكم فإن للشياطين انتشاراً وخطفة وقد قال الناس في قوله تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجعيم طلوعها كأنه رؤس الشياطين فزعم ناس أن رؤس الشياطين ثمر شجرة تكون بلاد اليمن لها منظر كربه والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير وقالوا ما عني الرأس

أقام هوي صفية في فؤادي * وقد سبرت كل هوي حبيب
لك الخيرات كيف منحت ودي * وما أنا من هواك بذى نصيب
أقول وعروة الاسدي يرقى * أنك برقية الملق المكدوب
أعمرك ما التناوب يا بن زيد * بشاف من رقاك ولا محيب
لسير الناعجات أظن أشفي * لما بي من طيب بني الذهب
الباب الذي يدعيه هؤلاء من جنس العيافة والزجر والخطوط والنظر في أسرار
وفي مواضع فرض الفار وفي الخيلان في الجسد وفي النظر في الاكتاف
والنساء بالنجوم والمعالج بالفكر وقد كان مسيلة بدعي أن معه رثا في أول زمانه
ولك قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخدعه

بيضة قارور وراية شادن * وخلة جني وتوصيل طائر
أراه ذكر خلة الجني ويقولون ومن الجن جنس صورة الواحد منهم على نصف
ة الانسان واسمه شق وانه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده فربما
هك فزعا وربما أهلكه ضربا وقتلا قالوا فمن ذلك حديث علقمة بن صفوان بن أمية
بحرب الكنانى جدمروان بن الحكم في الجاهلية خرج وهو يريد مالا له بمكة وهو
مارأه عليه ازار ورداء ومعه مفرعة في ليلة أضيائية حتى انتهى الى موضع يقال
له نط جرمان فاذا هو بشق له يد ورجل وعين ومعه سيف وهو يقول
علقم انى مقتول * وان لحي ما كول
أضربهم بالهذلول * ضرب غلام شملول
* رجب الذراع بهلول *

لقمة علقمة

يا شقها مالى ولك * اعمد عني منملاك
* تقتل من لا يقتلك *

لق

عنيت لك عنيت لك * كما أبيع مقتلك

حيل والطاف لمكان التكسب ولو سمعت أو رأيت بعض ما قد أعد الهند من هذه
 المخاريق في بيوت عباداتهم لامت أن الله تعالى قدم على جملة الناس بالمتكلمين
 الذين قد نشوا فيهم وقد تعرف ما فيه عجز النصاري وأغمارهم من الافتتان بمصايير
 كنيسة قامة فأما علمهم وعقلاؤهم فليسوا بمتحاشين من الكذب الصرف والجور
 على البهتان البحت وقد تودوا المكابرة حتى دربوا به الدرب ولا يفتن له إلا ذو
 الفراسة الثابتة والمعرفة الثابتة والاعراب وأشباه الاعراب لا يتحاشون من الإيما
 بالهاتف بل يتعجبون ممن رد ذلك فن ذلك حديث الأعشى بن ماس بن زرار
 الأسدي أنه سمع هاتفا يقول

لقد هلك الفياض غيث بني فهر * وذو الباع والمجد الرفيع وذو القدر
 قال فقلت محبباً له

الأيها الناعي أخا الجود والندي * من المرء تنعاه لنا من بني فهر

﴿ فقال ﴾

نعت ابن جعدان بن عمرو أخا الندي * وذا الحسب القدموس والمنصب القصر
 وهذا الباب كثير قالوا ولنقل الجنب الأخبار علم الناس وفاة الملوك والأمور المهمة
 كما تسامعوا بموت المنصور في اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة وهذا الباب أيضاً كثير
 وكانوا يقولون إذا ألف الجني إنساناً وتعطف عليه وخبره ببعض الأخبار وجد حبه
 ورأى خياله وإذا كان عندهم كذلك قالوا مع فلان رأي من الجن وممن يقولون ذلك
 فيه عمرو بن لحيان بن قعة والمأمون الحارثي وعنتيبة بن الحارث بن شهاب في ناس معروفين
 من ذوى الأقدار من بين فارس رئيس وسيد مطاع ، فأما الكهان فمثل حارثة بن جندبة
 وكاهنة باهلة وعنز سلمة ومثل شق وسطيح وأشباهم وأما العراف وهو دون الكهان
 فمثل الأبلق الأسدي والجاحح الزهرى وعروة بن زيد الأسدي وعراف الجندبة
 رباح بن كحلة وهو صاحب المستنير البلتمي وقد قال الشاعر
 فقلت لعراف اليمامة ذاوطني * فأنك أن أبرأني لطبيب
 وقال جبهها الإشجعي

يربرع وبلقيس ملكة سبا وتناولوا قول الشاعر

لاهم ان جرهما عباد كا * الناس طرف وهم تلادكا

فزعوا ان ابا جرهم من الملائكة الذين كانوا اذا عصوا في السماء انزلوا الى الارض كما قيل في هاروت وماروت فخلوا سهيلا عشرا مسح نجما وجهه لولا الزهرة امرأة بغيا مسخت نجما وكان اسمها انا هيد وتقول الهند في الكوكب الذي يسمى عطارد شبيها بهذا ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون الى انه اذا عزم على الشياطين والارواح والعمار اجابوه وأطاعوه فمنهم عبد الله بن هلال الحميري الذي كان يقال له صديق ابليس ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي وقد كان عبيد يقول ان العامري حريص على اجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح ان يكون هيكل لم يستطع دخوله والجملة في ذلك ان يتبخر باللبان الذكر ويراعى سير المشتري ويفتسل بالماء القراح ويدع الجماع واكل الزهومات ويتوحش في الفيا في ويكثر دخول الخرابات حتى يرق ويلطف ويصير فيه مشابهة من الجن فان عزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودن لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه هيكل لها ومتى عاد خبطه فربما جن وربما مات قال فلو كنت ممن يصلح ان يكون لهم هيكل اكننت فوق عبد الله بن هلال قال الاعراب وربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياما وقبابا وناسا ثم فقدناهم من ساعتنا والعوام تروي ان ابن مسعود رضى الله عنه رأى رجلا من الزط فقال هولاء شبه من رأيت من الجن ليلة الجن قال وقد روى عنه خلاف ذلك وتناولوا قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ولم يهلك الناس شيئا كالنأويل ومما يدل على ما قلنا قول أبي النجم حيث يقول * بحيث تستن مع الجن الغول *

فأخرج الجن من الغول الذي بات به الجن وهذا عادتهم ان يخرجوا الشيء من الجملة بعد ان دخل ذلك الشيء في الجملة فيظهر لامر خاص وفي بعض الرواية أنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الاوتان همهمة وأن خالد بن الوليد حين هدم المزى رمته بالشر حتى احترق عامة فخذه حتى عوذه النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليمتحن بها الاعراب من العوام وما أشك أنه كان للسنة

شيطانا قد وكل بهم يقال له المذهب يسرج لهم النيران ويضي لهم الظلمة ليفتنهم وليبريهم
 العجب اذا ظنوا أن ذلك من قبل الله تعالى وفي الحديث ان الشيطان الذي قد تفرد
 بحفظ القرآن ينسبهم القرآن يسمى حثوب وهو صاحب عثمان بن أبي العاص قال
 وأما الخابل والخبيل فانما ذلك اسم للجن الذين يخبلون ويتعرضون ممن ليس عنده الا
 العزيز والنوح وفصل أيضا ليبد بينهم فقال

أعاذل لو كان البذاذ لقوتلوا * ولكن أنا كل جن وخابل

وزعم ناس ان الخبل والخابل ناس قالوا فاذا كان ذلك كذلك فكيف يقول ذلك أوس
 ابن حجر * تناوح جنان بهن وخابل * قالوا واذا تعرضت الجنية وتلونت وعبدت
 فهي شيطانة ثم غول والغول في كلام العرب الداهية ويقال لقد غالته غول وذلك الشاعر
 تقول بيتي في عز وفي سعة * فقد صدقت ولكن أنت مدخول
 لا بأس بالبيت الا مافات به * تبني وتهدمه هدمالك الغول

﴿ وقال الراجز ﴾

والحرب غول أو كسبه الغول * تزف بالرايات والطبول
 تغلب للاتوار والدحول * حملاق عين ليس بالمكحول
 ومن قول الاعراب إنهم يظهرون لهم ويكلمونهم ويناكحونهم ولذلك قال شمر بن
 الحارث الضبي

ونار قد خطأت بعيد وهن * بدار لا أريد بها مقاما
 سوى تجليل راحلة وعين * اكائها مخافة ان تناما
 أتوا ناري فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
 فقلت الى الطعام فقال منهم * زعيم نحسد الانس الطعاما
 وذكر أبو زيد عنهم أن رجلا منهم تزوج السملاة وانها كانت عنده زمانا وولدت منه
 حتى رأت ذات ليلة برقاً على بلاد السمالى فطارت اليهن فقال
 رأي برقاً فوضع فوق بكر * فلا ياما أسال وما أعاما
 فمن هذا التناج المشترك وهذا الخلق المركب عندهم بنو السملاة من بني عمرو بن

ولا يحس سوي الخافي بها أثر

فاذا ظهر الجنى ونطق واتى وصار خيرا كله فهو ملك في قول من تأول قوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه على أن الجن في هذا الموضع الملائكة وقال آخرون كان منهم على الاضافة الى الدار والديانة لا على أنه كان من جنسهم وانما ذلك على قولهم سليمان بن يزيد العدوي وسليمان بن طوحان التيمي وأبو علي العبدري وعمرو بن قائد الاسواري أضافوهم الى المحال وتركوا أنسابهم في الحقيقة وقال آخرون كل مستجن فهو جنى وجان وجنين وكذلك الولد قيل له جنين لكونه في البطن واستجنانه وقال للميت الذى فى القبر جنين وقال عمرو بن كلثوم

ولا شطاء لم تدع المنايا * لها من تسعة الا جنينا

يخبر أنها قد دفنتهم كلهم قالوا وكذلك الملائكة من الحفظة والحمة والكرويين فلا بد من طبقات وربما فرق بينهم بالاعمال واشتق لهم الاسماء من السبب كما قالوا الواحد من الانبياء خليل الله وقالوا لا آخر كلهم الله وقالوا لا آخر روح الله والعرب تنزل الشجعان فى المراتب والاسم العام شجاع ثم بهمة أليس هذا قول أبى عبيدة فأما قولهم شيطان الحماطة فانهم يعنون الحية وأنشد الأصمعي

تلاعب مثنى حضرمى كأنه * تلعج شيطان بذى خروج ففر

وقد يسمعون الكبر والظفان والخزوانة والغضب الشديد شيطانا على التشبيه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والله لا تزعن نمرته ولا ضربنه حتى أنزع شيطانه من نحرته والاعراب تجعل الخوافى والمستجنات من قبل أن ترتب المراتب جنين تقول حن وجان بالجيم والحاء وأنشدوا

أبيت أهوى فى شياطين ترن * مختلف نجارها حن وجن

ويجملون الحن فوق الجن وقال أعشى سابع

فما أنا من جن اذا كنت خافيا * ولست من النمناس فى عنصر البشر

ذهب الى قول من قال البشر ناس ونمناس والخوافى حن وجن ويقول أنا من أكرم العميين حيث ما كانت، وضعفة النساءك وأغبياء العباد يزعمون أن لهم خاصة

﴿ وقال أبو النجم ﴾

أدرك عقلا والزمان عمله * كان برد القاع حين تسحله
ضئ شياطين زفته شماله

وقال الأعشى في هذا المعنى الأول من بناء الشياطين لسليمان بن داود عليهما السلام
أرى عاديا لم يمنع الموت ربه * وورد بتياء اليهودي أبلق
بناء سليمان بن داود حقبة * له جندل صم وطى موثق
وكما يقولون قنفذ برفة وضب سحبا وأرب الخلة وذئب خمر فيفرون بينها وبين
ما ينسب لذلك اما في السممن واما في الخبث واما في القوة كذلك أيضا يفرون
بين مواضع الجن فاذا نسبوا الشكل منها الى موضع معروف فقد خصوه من الخبث
والقوة والعرامة بما ليس لجلتهم وجمهورهم وقال لبيد
غلب تشدر بالدحول كأنها * جن البدى رواسيا أقدامها

﴿ وقال النابغة ﴾

سهكين من صدى الحديد كأنهم * تحت السنور جنة البقار

﴿ وقال زهير ﴾

عليهن فتیان كجنة عبقر * جد يرون يوما أن يذيعوا فيستعملوا

وقال حاتم

عليهن فتیان كجنة عبقرا * يهزون بالأيدي الوشيح المقوما

ولذلك قيل لكل شيء فائق أو شديد عبقرى وفي الحديث في صفة عمر رضي الله
عنه فلم أر عبقريا يفري فربه وقال امرأى ظلمي والله ظالما عبقريا، ثم ينزلون الجن في
مراتب فاذا ذكروا الجنى سالما قالوا جني فاذا أرادوا أنه ممن سكن مع الناس قالوا
عامر والجميع عامر وان كان ممن يعرض للصبيان فهم أرواح فان خبت أحدهم وتدرم
فهو شيطان فان زاد على ذلك في القوة فهو عفريت والجمع عفاريت قال الله تعالى
قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وهم في الجملة جن
وخوافي قال الشاعر

أتانى وأهلى بالرماح وغمرة * مسب عريف الاثوم حتى بنى بدر
فلما أتانى ما تقول تقلصت * شياطين رأسى وانتشين من الخمر
ومن المثل والتشبيه قول أبى النجم

وقام جنى السنم الأميل * وامتهد الغارب فعل الدمل

﴿ وقال ابن أحرر ﴾

بهجل من فسا زفر الخزامي * تهادى الجرياء به الحنينا
تكسر فوقه القلع السوارى * وجن الخازباز به جنونا

﴿ وقال الأعشى ﴾

واذا الغيث صوبه وضع القد * ح وجن التلاع والآفاق
لم يزد هم سفاهة شرب الخمر * ر ولا اللهو بينهم والسباق

﴿ وقال النابغة ﴾

وخيس الجن انى قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمه
وأهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام باكثر مما بيننا اليوم
وبين سليمان بن داود عليهما السلام قالوا وليكنكم اذا رأيتم بنيانا عجيباً وجهاتم موضع
الجليلة فيه اضفتموه الى الجن ولم تمانوه بالفكر وقال الدرجي

سدت مسامعها لقرع مراحل * من نسج جن مثله لا يفسح
وقال الأصمعي السيوف الماثورة هي التى يقال انها من عمل الجن لسليمان بن داود
عليهما السلام فاما القوارير والحمامات فذلك مالا شك فيه وقال البعيث

بنى زياد لذكر الله مصنة * من الحجارة لم تعمل من الطين
كانها غير أن الانس ترفعها * مما بنت لسليمان الشياطين

﴿ وقال المقنع الكندي ﴾

وفى الظمائن والأحداج أملح من * حل العراق وخل الشام واليمن
جنية من نساء الأانس أملح من * شمس النهار وبدر الليل قد قرنا
مكتومة الذكر عندي ما حيت لها * وقد لعمري ملأت الصرم والخزنا

بدنا وجوفاني جدور راضيه * تربت في عقد فالما ريه
 بقلا نصيدا في تلّاع خاليه * حتى اذا ما الشمس مرت ماضيه
 قام اليها فتية ثمانية * فبرزوا كل ربيا ماجيه
 أخلافا للذي الاكف ماليه

وقال ابن الاعرابي قال لي اعرابي مرة وقد نزلت قال وهو أخف ما نزلت به وأطيبه
 فقات ما أطيب ماءكم هذا وأعدى منزل لكم قال نعم وهو بعيد من الخير كله بعيد من
 العراق واليمامة والحجاز كثير الحيات كثير الجنان فقلت أترون الجن قال نعم مكانهم
 في هذا الجبل وأشار بيده الى جبل يقال له سواخ قال ثم حدثني بأشياء وقال عبيد بن
 أوس الطائي في أخت عدي بن أوس

هل جاء أوسا ليلتي ونعيمها * ومقام أوس في الخباء المشرح
 مازلت أطوى الجن أسمع حسهم * حتى دفعت الى رواق المروج
 فوضعت كفي عند مقطع خصرها * فتنفست بهم راء ولما تنهج
 فتناول رأسي لتعرف مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
 قالت بعيش أخي وحرمة والدي * لأنبهرت الحى ان لم تخرج
 فخرجت خيفة قومها فتبسمت * فقلت أن يمينها لم تلجج
 فثمت فاهها قابضا بقرونها * شرب النزيف يبردماء الحشرح
 ﴿ وأنشدني آخر ﴾

ذهبت وعدتم بالامير ولتم * تركنا أحاديثا ولحما موضعا
 فما زادني الاسناء ورفعة * ولا زادكم في القوم الاتخشا
 فما نقرت جنى ولا فل مبردى * وما أصبحت طيري من الخوف وقعا
 وقال حسان بن ثابت في معني قوله والله لأضربنه حتى أنزع من رأسه شيطانه فقال
 ودأوية سبب سملق * من البيد تعرف جناتها
 قطعت بعيرانة كالغنيق * يمرح في الآل شيطانها
 وأبين منه قول منظور بن رواحة

ويقال لمن به لقوة أو شتر إذا سب لطيم الشيطان وكذلك قال عبيد الله بن زياد لعمر بن
 ابن سعيد حين أهوى بسيفه ليطعن في خاصرة عبد الله بن معاوية وكان مستضعفا
 وكان مع الضجاء فلما أسر أهوى إليه بالسيف وقد استردفه عبيد الله استغاث بعبيد
 الله قال عبيد الله لعمر ويدك يا لطيم الشيطان ويقال للرجل المفرط الطول يا ظل النعامة
 وللمتكبر الضخم يا ظل الشيطان كما قال الجعاج لمحمد بن سعد بن أبي وقاص بينات
 يا ظل الشيطان أشد الناس كبرا إذ صرت مؤدبا لفلان وقال جرير في هجائه شبة
 ابن عقيل وكان مفرط الطول

فضح المنابر يوم يساج قائما * ظل النعامة شبة بن عقيل
 فاما قولهم منينا بيوم كظل الرمح فانه ليس يريدون به الطول فقط ولكنهم يريدون
 مع الطول انه ضيق غير واسع وقال ابن الطثرية

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر
 قال وليس يوجد لظل الشخص نهاية مع طلوع الشمس قال وكان عمر بن عبد العزيز
 أول من نهى الناس عن حمل الصبيان على ظهور الخيل يوم الجلبة وقال يحملون
 الصبيان على الجنان وأنشد في تشبيه الأتس بالجن لأبي الجوزية العبدي
 أنس اذا آمنوا جن إذا فزعوا * مرزؤن بهاليل اذا حشدوا
 وأنشدوا

وقلت والله لنرحلنا * فلا نصا نحسبهن جنا

وقال ابن الزوائد ﴿

وعولى الشول رجا شئبا * بطية الدرخين تهتصر
 ولا ذبي الكلب لانباح له * يهر مخربجا وينعجر
 بمحور خفض لمن ألم بهم * جن بارماهم اذا خطروا
 وأنشدوا ﴿

أنى امرئ تابعى شيطانيه * آخيتيه عمرى وقد آخانيه
 يشرب في نعي وقد سقانيه ه فالحمد لله الذى أعطانيه

لكائنور والجني يضرب ظهره * وما ذنبه ان عافت الماء مشربا
وقال الرقياني الدوافي واسمه عطاء بن أسيد أحد بني عواف بن سعد
بين الامي منه اذا ما مدا * مثل عزيز الجن هدت هذا
وقال ذو الرمة

قد أعسف النازح المجهول معسفه * في ظل أخضر يدعو هامه البوم
للجن بالليل في أرجائها زجل * كما تناوح بين الريخ عيسوم
دوبة ودجى ليل كأنهما * بم تراطف في حافته الروم

وقال

وكم عرست بعد السري من معرس * بهام نصداء الجن أصوات سامر

وقال

كم جبت ذونك من بهماء مظلمة * تيه اذا ما مغمى جني جنه سمرا

وقال

ورمل لعزف الجن في عقداته * هرير كتضراب المغنين بالطبل

﴿ وقال ﴾

وتيه خبطنا غولها وارتمى بنا * أبو البعد من أرجائه المتطاوح
فلاة لصوت الجن في منكراتها * هرير وللأبوام فيها نوائح
وطول اغمامي في الدجى كلما رعت * من الليل أصداء المثاني الصوائح

﴿ وقال ذو الرمة ﴾

بلاذ يبيت البوم يدعو بناته * بها ومن الأصداء والجن سامر

﴿ وقال أيضا ﴾

وللوحش والجنان كل عشية * بها خلفه من عازف وبعام

﴿ وقال الراعي ﴾

وداوية غبراء أكثر أهلها * عزيز وبوم آخر الليل صائح
أقر بها جأشاً بأول آية * وماضي الحسام غمده متطايع

❦ باب من ادعى من الاعراب والشعراء أنهم يرون
الفيلان ويسمعون عزيف الجان ❦

وما يشبهونه بالجن والشياطين وبأعضائهم وبأخلاقهم وأعمالهم وأنشد
كانه لما تدانى مقربه * وانقطعت أودامه وكربه
وجاءت الخيل جميعا تذنبه * شيطان جن في هواء يرقبه
* أذنب فانقض عليه كوكبه *

وأنشد

ان العقيلي لا تاقى له ش بها * ولو صبرت لتلقاه على العيس
بيننا تراه عليه الخز متكثرا * اذا صر يهدج في حش الكرايس
وقد تكنفه عرامه زمنا * أشباه جن عكوف حول ابليس
اذا المفايس يوما حاربوا ما كا * ترى العقيلي منهم في كرايس

وهو الذي يقول

أضحت ثيابك غير جلدك تابس * قطر السماء وأنت عار مفاس
وقال أبو الخطفي

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا * أعناق جنان وهما مارحفا
* وعنقا بعد الرسيم خيطفا *

وأنشد ابن الاعرابي

غناء كليبي يري الجن يبتني * صدها اذا ما آب للجن آيب
وقال الجارث بن حازة

ملك مقسط وأفضل من ي * شى ومن دونه ما لديه الشاء
إرمى بمثله جالت الجن * فأبت خلصهما الاجلاء

وقال الاعشى

فاني وما كلفتموني اتباعه * ليعلم ربي من أعق وأحوبا

الزوج فرأى شبحا في العشرة فقال يا هناء ان انسانا ليطالعنا من العشرة قالت مه يا شيخ
 ذاك جان العشرة اليك عني وعن ولدي قال الشيخ وعني برحمتك الله قالت وعن
 أبيهم فما هو الا ان غطى رأسه فرقد ونام الشيخ وجاء الاعرابي ورفع رجلها ثم أعطاها
 حتى رضيت، وروى عن محمد بن الحسن عن مجالد أو غيره قال كنا عند الشعبي جلوسا
 فرحمال على ظهره دن خل فلما رأي الشعبي وضع الدن وقال للشعبي ما كان اسم
 امرأة ابليس قال ذاك نكاح ما شهدناه وأبو الحسن عن أبي اسحاق المالكي قال قال
 الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاصي أخبرني عبد الله بن هلال صديق ابليس انك تشبه
 ابليس قال وما ينكر الامير ان يكون سيد الانس يشبه سيد الجن وروى الهيثم عن داود بن
 أبي هند قال سئل الشعبي عن لحم الفيل فتلا قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى الى محرما
 على طاعم يطعمه الى آخر الآية وسئل عن لحم الشيطان فقال نحن نرضى منه بالكفاف
 فقال له قائل ما تقول في الذبان قال ان أشتهيته فكله وأنشدوا قول أعرابي لامرأته

الانتموتين إنا نبغني بدلا * ان الاواني يموتن الميامين

وقال أبو الحسن وغيره كان سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد تصيبه موة نصف
 سنة ونصف سنة يصح فيحبو ويعطي ويكسو ويحمل فأراد أهله أن يعالجوه
 فتكلمت امرأة على لسانه انارقية بنت ملحان سيد الجن والله ان لو علمت مكان رجل
 أشرف منه لعاقته والله لئن عالجتموه لاقتلنه فتركوا علاجه وتقول العرب شيطان
 الحماطة وغول الففرة وجان العشرة وأنشد

فانصلت لي مثل سماعة الشر * تروح بالليل تغدو بالغير

وأنشد

يا أيها الصاحب الغملول * انك غول ولدك غول

الغملول الخمر من الارض يختبي فيه الرجل ويضغب ضغبة الارنب ليفزعه ويوهمه أنا
 عامر لذلك الخمر

فأجفان نقرأ ثم قلن ابن بلدة * قليل الاذي أمسى لكن مصافيا
 ألا يا طباء الوحش لا تشهرني * وأخفيني ان كنت فيكن خافيا
 أكلت عروق الشرى ممكن والتوى * بحلق نور القفر حتى روانيا *
 ومنهن قد لا لقيت ذلك فلم أكن * جباناً اذا هول الجبان اعترانيا
 أذمت المنايا بمضهن بأسهمى * وقددن لحي وامتشن رداً
 ابيت ضجيع الاسود الجون في الهوى * كثيراً وأبناء الحشيش وساديا
 اذا هجن بي في جحرهن اكتشفني * فليت سليمان بن وبر يرانيا
 فمازلت مذ كنت ابن عشرين حجة * أخا الحرب مجنيا على وجانيا
 ومما ذكر فيه الغيلان قوله

تقول وقد ألمت بالانس لمة * مخضبة الاطراف خرس الخلاخل
 أهذا خليل الفول والذئب والذي * يهيم بربات الجبال الكواهل
 رأيت خلق الادراس أشعث شاحباً * على الجذب بساما كريم الشمايل
 تعود من آباءه فتككاهم * واطعامهم في كل غبراء شامل
 اذا صاد صيداً لفه بطرامة * وشيكا ولم ينكر لنصب المراجل
 ونهسا كنهس الصقر تم طراسه * بكفيه رأس الشبيخة المتمايل
 فلم يسحب المنديل بين جماعة * ولا فاردأ مذ ضاع بين القوابل
 ومما قال في هذا المعنى

علام ترى ليلى تمذب بالمني * اخا فقرات كان بالذئب يأنس
 وصار خليل الفول بعد عداوة * صفيا وربته القفار البساس
 وقال في هذا المعنى

فلو لا رجال يامنيع رأيتهم * لهم خلق عند الجوار حميد
 أنالكم مني نكال وغارة * لها ذنب لم تدركوه بعيد
 أقل بنو الاحسان حتى أغرتم * على من يثير الجن وهي هجود
 وقال ابن الاعرابي وعدت اعرابية اعرابيا أن يأتيها فكن في عشرة كانت بقرها فنظر

شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ثم قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وكيف لا أستعيز بالله منه وأنا أسمع الله تعالى يقول قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين وكيف لأقول ذلك وأنا أسمع الله عز وجل يقول رب اغفرلى وهب لى ملكا لا يذنبنى لأحد من بىدى انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد، والأعراب يتزيدون فى هذا الباب وأشباه الأعراب يغلطون فيه وبعض أصحاب التأويل يجوز فيه مالا يجوز وقد قلنا فى كتاب النبوات بما هو كاف ان شاء الله تعالى وسيقع فى هذا الباب الجواب فيه تاماً اذا صرنا الى القول فى الملائكة وفى فرق ما بين الجن والانس وأما هذا الموضع فانما مغزانا فيه الاخبار عن مذاهب الأعراب وشعراء العرب ولولا العلم بالكلام وبما يجوز مما لا يجوز لكان فى دون إطباقهم على هذه الاحاديث ما يغلط فيه العاقل ، قال عبيد بن أيوب وكان جوالا فى مجهول الارض لما اشتد خوفه وطال ترده وأبعد فى الهرب

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقلت عدو أو طليمة معشر
فان قيل أمن قلت هذى خديعة * وان قيل خوف قلت حقاً فشمّر
وخفت خليلي ذا الصفاء وراى * وقيل فلان أو فلانة فاحذر
فله ذر الفول أي رفيقة * لصاحب قفر خائف متفر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت * حوالى نيرانا تلوح وترهر
وأصبحت كالوحشى يتبع ما خلا * ويطلب مانوس البلاد المبعثر

وفى هذا الباب فى كلمة له وهذا أولها

اذننى طم الامن أوصل حقيقة * محلى فان قامت ففصل بنايا
خامت فؤادى فاستطير فأصبحت * ترامي به البيد القفار تراميا
كأنى وآجال الأطباء بقفرة * لنا كشب نرعاه أصبىج رابيا
وأين ضئيل الشخص يظهر مرة * وبخني مراراً ضامر الجسم عاريا

وهم اذا رأوا الفناة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة ممشوقة محضة قالوا سمعلاة
وقال الأعشي

ورجال قنلى بجنبي أربك * ونساء كأنهن السمعلاة

ويقولون تزوج عمرو بن يربوع السمعلاة وقال الراجز

* يا قاتل الله بنى السمعلاة *

وفي تلون السمعلاة يقول عباس بن مرداس السلمى

أصابت القوم غول جل قومهم * وسط البيوت ولون الغول ألوان

وهم يتأولون قوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد وقوله عز وجل لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان فلو كان الجان لم يصب فيهن قط ولم تأتهن ولا كان ذلك مما يجوز
بين الجن وبين النساء الآدميات لم يقل ذلك وتأولوا قوله وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن فجهل منهم النساء اذ جهل منهم الرجال وقوله
أخذونه وذريته ، وزعم ابن الاعرابي قال دعا اعرابي ربه فقال اللهم انى أعوذ بك من
عفاريت الجن اللهم لا تشركهم فى ولدى ولا جسدي ولادمي ولا مالى ولا تدخلهم
بيتى ولا تجعلهم لى شركاء فى أمر الدنيا والآخرة قالوا ودعا زهير بن هنيذ فقال اللهم
لا تسلطهم على نطفى ولا على جسدى قال أبو عبيدة فقيل له لم تدعو بهذا الدعاء قال
وكيف لا أدعوه وأنا أسمع أيوب النبى والله تعالى يخبر عنه ويقول واذا ذكر عبدنا
أيوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب حتى قيل له اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب وكيف لا أستعين بالله منه وأنا أسمع الله يقول الذين يأكلون
الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وأسمعه يقول واذا زين
لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان
نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون وقد جاءهم فى صورة الشيخ
النجدى وكيف لا أستعين بالله منه وأنا أسمع الله يقول ولقد جعلنا فى السماء بروجا
وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب
مبين وكيف لا أستعين بالله منه وأنا أسمع الله تعالى يقول واسلمان الريح غدها

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لغيلان بن سلمة حين أعتق عبده وجعل ماله في رتاج الكعبة لئن لم ترجع في مالك ثم مت لأرجن قبرك كما رجم قبر أبى رغال وكلاما غير هذا قد كله به وأما قوله

منكب كافر وأشرط سوء * وعريف جزاؤه حر جر

فانه ذهب الى أحكام الاسلام كأنه كان قد لقي من المنكب والعريف جهدا وهم ثلاثة منكب ونقيب وعريف وقال جيبها الاشجى
رعاع عاونت بكرأ عليه * كما جعل العريف على النقيب
وأما قوله

وتزوجت في الشبيبة غولا * كغزال وصدقتى زق خمر

فالقول اسم لكل شئ من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والنياب ذكر آ كان أو أنثى إلا أن أكثر على أنه أنثى وقد قال أبو المضراب عبيد بن أيوب الغنبري

وحالفت الوحوش وحالفتنى * بقرب عهدهن وبالبعاد

وأسمى الذئب يرصدنى محشأ * خلفه ضربتى والضعف آدى

وغولا فقرة ذكر وأنثى * كان عليهما قطع البجاد

فجعل في الغيلان الذكر والأنثى وقد قال الشاعر في تلونها

وما تزال على حال تكون بها * كما تلون في أنوابها الغول

فالقول ما كان كذلك والسعلة اسم لواحدة من نساء الجن تنقول لتفتن السفار قالوا وإنما هذا منها على العبث أو لعلها أن تفرع انسانا فيتغير عقله من أجله عند ذلك لانهم لم يسلطوا على الصحيح العقل ولو كان ذلك لبدؤا بمل بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وأبى بكر وعمر في زمانهما وغيلان والحسن في دهرهما وبواصل وعمر وفي أيامهما وقد فرق بين الغول والسعلة عبيد بن أيوب حيث يقول

وساخرة منى ولو أن عينها * رأت ما ألقىه من الهول جنت

أزل وسعلة وغول بفترة * اذ الليل واري الجن فيه أرت

وأما قوله

مسخ الضب في الجدالة قدما * وسهيل السماء عمداً بصفر
فأنهم يزعمون أن الضب وسهلاً كانا ما كسين عشارين فمسخ الله أحدهما في الأرض
والآخر في السماء والجدالة الأرض ولذلك يقال ضربه جُذله أي الزقه بالأرض أي
بالجدالة وكذلك قول عنتره

وخليل غانية تركت مجدلاً * تمكوفريصته كشدق العلم
وأنشد أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري
قد أركب الجالة بعد الجاله * وأترك العاجز بالجـداله

وأما قوله

والذي كان يكتني برغال * جعل الله قبره شر قبر
وكذا كل ذي سفين وخرج * ومكوس وكل صاحب عشر
وانما ذكر أبارغال وهو الذي يرحم الناس قبره إذا أتوا مكة وكان وجهه فيما يزعمون
النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات الأموال يخالف أمره وأساء السيرة فوثب
عليه ثقيف وهو قسي بن منبه فقتله قتلاً شنيعاً وانما ذلك لسوء سيرته في أهل الحرم
فقال غيلان بن سامة وذكر قسوة أبيه على أبي رغال
* نحن قسي وقسا أبونا *

وقال أمية بن أبي الصلت

نفوا عن أرضهم عدنان طراً * وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبارغال * بنحلة اذ يسوق بها الظمينا
وقال عمرو بن درك العبدي وذكر لجور أبي رغال وخبثه فقال
وأني أن قطعت جبال فيس * وحالفت المـزون على تميم
لأعظم جفرة من أبي رغال * وأجور في الحكومة من سدوم
وقال مسكين

وأرحم قبره في كل عام * كرحم الناس قبر أبي رغال

المهدي وهو ساكت فقال له المهدي ومالك لا تقول قال وما أقول لقوم ليس فيهم
الا دابغ جلد وناسج برد وسائس فرد وراكب عرد غرقتم فارة وملكتم امراة
ودل عليهم هدهد وأما قوله

فجرته وكان جيلان عنه * عاجزاً لو يزومه بعد دهر
فان جيلان فعلة الملوك وكانوا من أهل الجبل وأنشد الاصمعي
أرسل جيلان ينجون له * سائيد ما بالحديد فانصدعا
﴿ وأنشد ﴾

وتبني له جيلان من تحتها الصفا * قصوراً تعالي بالصفيح وتركس
وأنشد لامرئ القيس
أتيح له جيلان عند جذاده * وردد فيه الطرف حتى تحيراً
يقول فجرته فارة ولو أن جيلان أرادت ذلك لامتنع عليها لان الفارة انما خرقتها لما
سخر الله تعالى لها من ذلك العزم وأنشدوا
من سببا الحاضرين مأرب اذ * يننون من دون سيله العرما
ومارب اسم لقصر ذلك الملك ثم صار اسماً لذلك البلد ويدل على ذلك قول أبي الطمخانة القيني
ألا تري ماربا ما كان أحصنه * وما حواله من سور وبنيان
ظل العبادي يسقي فوق قلته * ولم يهب ريب دهر عرق خوان
حتى تناوله من بعد ما هجموا * يرمى اليه على أسباب كتان
وقال الاعشي

ففي ذاك للمؤتسي اسوة * ومأرب عفا عليه العرم
رخاء بنته له حمير * اذا جاء مأوهم لم يرم
فأودى الحدوث وأعنانها * على ساقه مأوهم ذو قسم
فطار الفيول وفيالها * بتياء فيها شراب لطم
فكانوا فداء لكم خفية * فقال بهم جارف منهمدم
فطاروا سراعا وما يقدرو * ن منه لشرب صبي فطم

أكلبن المعلى خلطنا أم حسبتنا * صواري تعطى الماكسين مكوسا
وقال الاصمعي في ذكر المكس والسفن التي كانت تعشر في قصيدته التي ذكر فيها
من أهلك الله تعالى من الملوك وقصم من الجبابرة وأباد من الأمم الخالية فقال
أعلقت تبعاً حبال المنون * وأنسحت بعده على ذي جدون
وأصاب من بعدهم آل هوما * س وعادت من بعد للساطرون
ملك الحضرة والفرات فنادجلة * شرقاً فالطود من عابرين
كل حمل يمر فوق بعير * فله مكسه ومكس السفين
والاعراب تزعم أن الله تعالى لم يدع ما كسا إلا أنزل به بلية وأنه مسح منهم اثنين
ضبعاً وذباً فلهذه القرابة تسافدا وتاجلا وان اختلفا في سوى ذلك ومن ولدهما السمع
والعسبار واتما اختلفتا لان الام ربما كانت ضبعاً والاب ذباً وربما كانت الام ذبّة
والاب ذيحاً والذبح ذكر الضباع وأما قوله

بعث الذر والجراد وقفي * بنجيع الرعاف في حي بكر
فان العرب تزعم ان الله تعالى قد أهلك بالذرائع ما وقد قال أمية بن أبي الصلت
أرسل الذر والجراد عليهم * وسنيننا فاهلكهم ومورا
ذكر الذرانه يفعل الله * مروان الجرادراد كان ثبورا

وأما قوله وقفي بنجيع الرعاف في حي بكر فانه يريد بكر بن عبد مناة لان كنانة بنزولها
مكة كانوا لا يزالون يصيبهم من الرعاف ما يصير شبيها بالموتان وبجوارف الطاعون
وكان آخر من مات بالرعاف من سادة قريش هشام بن المغيرة وكان الرعاف
من مناي جرهم أيام جرهم فأما قوله

خرقت فأرة بأنف ضئيل * عرما محكم الاساس بصخر

قال الله عز وجل فأرسلنا عليهم سليل العرم والعرم المسناة التي كانوا أحكموا عملها
ليكون حجازاً بين ضيعهم وبين السيل ففجرت فارة فكان ذلك أعجب وأظهر في
الاعجوبة كما أفا الله تعالى عز وجل ماء الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت
في العبرة وأعجب في الآية ولذلك قال خالد بن صفوان لليمان الذي نغر عليه عند

إلى الصيف عن غب ربيع مخصب ولعبة الضب أن يصوروا الضب في الأرض ثم يحول واحد من الفريقين وجهه ثم يضع بعضهم يده على شيء من الضب فيقول الذي يحول وجهه أنف الضب أو عين الضب أو ذنب الضب أو كذا وكذا من الضب على الولاء حتى يفرغ فإن أخطأ ما وضع عليه يده ركب وركب أصحابه وإن أصاب حول وجهه الذي كان وضع يده على الضب ثم يصير هو السائل ، ويقول الأطباء إن خرم الضب صالح للبياض الذي يصير في العين والاعراب ربما تداوا به من وجع الظهر وناس يزعمون أن كل لحم الحيوانات المذكور يطول العمر ويزيد في العمر فصدق بذلك ابن الحارثي وقال هذا كما تزعمون إن كل الكلية جيد للكلية وكذلك الكبد والطحال والرئة واللحم ينبت اللحم والشحم ينبت الشحم فغير بذلك سننه وليس يأكل الاقديد حمر الوحش والورشان والضباب وكل شيء قدر عليه مما يقضى له بطول العمر فاتقض بذلك وكاد يموت فعاد بعد إلى غذائه الاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

— القول في تفسير قصيدة البهراني —

فاذا فرغنا منها ذكرنا ما في الحشرات من المنافع والاعاجيب والروايات ثم ذكرنا قصيدة أبي سهل بشر بن المعتز في ذلك وفسرنا ما فيها من أعاجيب ما أودع الله تعالى هذا الخلق وركبه فيهم إن شاء الله تعالى وبالله تبارك وتعالى أستعين أما قوله
مسح الماكسين ضبعاً وذباً * فلهذا تناجلاً أم عمرو
فإن ملوك العرب كانت تأخذ من التجار في البر والبحر وفي أسواقهم المكس وهي ضريبة كانت تؤخذ منهم وكانوا يضمنونها في ذلك ولذلك قال التغلبي وهو يشكو ذلك في الجاهلية ويتوعد وهو قوله

الاتسحي مناملك وتتي * محارمنا لا يبرأ الدم بالدم

وفي كل أسواق العراق إتاوة * وفي كل ماباع أمرؤ مكس درهم

والإتاوة الخراج والأرحان كله شيء واحد وقال الآخر

وقال مهمل

كل قتيل في كليب حلام * حتي ينال القتل آل همام
وقال الاصمعي قال أعرابي يهزأ بصاحبه اشترى شاة فلما كأنها تضحك مندلفة
خاصرتهاا كأنها في محمل لها ضرع أرقط كأنها ضبة قال وكيف المضل قال أو لهذه
عضل قال وسأل مدني أعرابياً قال أتأكلون الضب قال نعم قال فاليربوع قال نعم
قال فالقنفذ قال نعم قال أفأكلون أم حنين قال لا قال فليهن أم حنين العافية قال
فراس بن عبد الله الكلبي

لما خشيت الجوع والارملا * ولم اجد بشو لها أيا لا *
أبصرت ضباً دخنا مختالا * أوقد فوق حجره وزالا
فدب لي يختاني اختيالا * حتى رأيت دوني القذالا
وميلة مامات حنين مالا * فدهشت كفاي فاستظالا
مني فلا نزع ولا ارسالا * فجاحد وبرأ الأوصالا
مني ولم أرفع بذاك بالا * لما رأت عيني كساجدالا
متى ترسيت لها الاقبالا * ورحت منه دخنا ذالا
(أسماء لعب الأعراب)

النقير عظيم وضاح والخطوة والدارة والشحمة الحلق ولعبة الضب فالنقير أن يجمع
بيده على التراب في الأرض الى أسفله ثم يقول لصاحبه اشته في نفسك فيصيب
ويخطي عظيم وضاح أن تأخذ بالليل عظماً أبيض ثم يرمي به واحد من الفريقين فان
وجده واحد من الفريقين ركب أصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه
الى الموضع الذي رموا به والخطوة أن يعملوا خرافاً ثم يرمي واحد منهم من خلفه الى
الفريق الآخر فان عجزوا عن أخذه رموا به اليهم فان أخذوه ركبوهم والدارة هي
التي يقال لها الخراج والشحمة أن يعضى واحد من أحد الفريقين بغلام فيتحنون ناحية
ثم يقبلون ويستقبلهم الآخرون فان منعوا الغلام حتى يصيروا الى الموضع الآخر
فقد غلبوه عليه ويدفع الغلام اليهم وان لم يمنعوه ركبوهم وهذا كله يكون في

* ويوم كلبهم القطة قطعته *

ومن أمثالهم لا آتيك سن الحسل وقال المجاج * ثمة لا آتيه سن الحسل *
كأنه قال حتي يكون مالا يكون لان الحسل لا يستبدل بأسنانه اسنانا وزعم أن اسنان
الذئب ممطولة في فكيه وأنشد

أنيابه ممطولة في فكين

وليس هذا الشعر دليلا على ما قال لان الشاعر يشنع الصفة اذا مدح أو هجا وقد
يجوز أن يكون ما قال حقا فأما ما قال عبد الصمد بن علي فانه لم يشفر ودخل القبر
باسنان الصبا وقد يقال للضب والحية والورل وما أشبه ذلك فح يفح خبيحا والفحيح
صوت الحية من جوفها والكشيش والقشيش صوت جلدها اذا حكته بعضه ببعض
وليس كما قال ليس يسمع صوت احتكاك الجلد بالجلد الا للأفمى فقط وقد قال رؤبة
فخي فلا أفرق أن تفخي * وأن ترخي كرخي المرحي

ويكتب في باب حب الضب للتمر حديث ابن عمرو الانصاري روي عنه من كل وجه
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل من أهل الطائف الحيلة أفضل أم النخلة
قال بل الحيلة أتربها وأشمسها واستظل في ظلها واطبخ برمتي منها قال عمر يأبي ذلك على
الانصاري دخل أبو حمزة عبد الرحمن بن محصن الانصاري فقال له عمر الحيلة أفضل
أم النخلة قال الزبيب ان آكله أضرس وان أتركه أغرت قال ليس كالبسر في رؤس
الدقل والراسخات في الوحل المطاعم في المحل خرمة الصائم ونجمة الكبير وصمة
الصغير وخرسة مريم ويحترس به الضباب من الصلحاء يعني الصحراء قال ويقال في
الضب حلام وفي اليربوع جفرة والجفرة التي قد انتفخ جنباتها وشربت والحلا
فوق الجدى وقد صلح أن يذبح للنسك والحلان بالنون الجدى الصغير الذي لا يصاح
لنسك وقال ابن أحر

تهدى اليه ذراع الجدى تكرمة * اما ذبيحاً واما كان حلاناً

والحلوان والحلان جميعاً رشوة الكاهن وقد نهى عن زيد المشركين وحلوان الكاهن

ولو أنهم جاؤا بشئ مقارب * لشيئ وبالشكل المقارب للشكل
ولكنهم جاؤا بحيتان لجة * قوامس والمكبي فينا أبا حنبل
﴿ وقال الكميت ﴾

وما خلت الضباب معطفات * على الحيتان من شبه الحسول

وقال آخر

* حتي يؤلف بين الضب والنون *

قال ويقال أضبت ارض بنى فلان اذا كثرت ضبابها وهذه ارض مضبة وارض بنى
فلان مضبة مثل فئرة من الفأر وجردة من الجرذان ومحواة من الحيات وجردة من
الجراد وسرفة من السرفة ومأسدة من الاسود ومثعلة من الثعالب لأن الثعلب يسمى
ثعالة والذئب ذوالة ويقال ارض مذبة من الذباب وذئبة من الذئب ، ويقال في الضب
وقعنا في مضاب منكورة وهي قطع من الارض تكثر ضبابها قال ويقال ارض مربعة كما
يقال مضبة اذا كانت ذات يرايع وضباب واسم بيضها المكن والواحدة مكنة ويقال
لفرخه اذا خرج حسل والجميع حسلة وأحسول وحسول وهو حسل ثم مطبخ ثم
غيداق ثم حجل والحسل السهل ماعظم منها وهو في ذلك كله ضب وبعضهم يقول
غيداقا ثم يقول مطبخا ثم يكون ضبا ثم يكون حجلا وهو العظيم ثم هو حصرم ثم
يكون ضبا وهذا خطأ وهو ضب قبل ذلك وقال الراجز

ينفي الغياديق عن الطريق * يلص عنه بيضه في نيق

ويقال أضل من ضب والضلال سوء الهداية يكون في الضب والورل والديك واذا
غير الحرلون جلد الضب فذلك أشد ما يكون من الحر وقال الشاعر

وهاجرة تنهي علي الضب جلده * فطمت حشاها بالعيريرة الصهب

وفي المثل درج الضب وفي المثل يعلمني بضب أنا حرشته وهذا أجل من الحرش
وأضل من ضب وأخب من ضب وأردى من ضب وأعق من ضب وأحيامن ضب
وأطول ذماء من ضب وكل ضب عند مرداته ويقال أقصر من ابهام الضب كما يقال
أقصر من ابهام القطاة وقال ابن الطثرية

فأزلقوه به وأنشد أبو عبيدة

يزلق الضب ويخفيه كما * تزلق السيل يرايع النفر

يخفيه مفتوحة الياء ، وتزلقه حوافر الخيل ولذلك قال امرؤ القيس

خفاهن من انفاقن كأنما * خفاهن ودق من سحاب مركب

تقول خفيته أخفيه خفيا إذا أظهرته وأخفيته اخفاء إذا سترته وقال ابن أحرر

فان تدفنوا الداء لا تخفه * وان تبعثوا الحرب لا تنقعد

ولا بد من أن يكون وقع الحوافر هدم عليها أو يكون أفزعها فخرجت وأهل الحجاز

يسمون النباش المخفي لانه يستخرج الكفن من القبر ويظهره وحكوا عن بعض

الاعراب أنه قال ان بني عامر قد جعلوني على حيدرة أعينها تريد أن تخني دمي أي

تظهره وتستخرجه كأنها إذا سفحته وأراقته فقد أظهرته وأنشد أبو عبيدة

ديمة هطلاء فيها وطف * طبق الارض تحرى وتدر

تخرج الضب اذا ما أسجرت * وتواريه اذا ما تمسكر

وترى الضب دفيفا ماهرا * نائيا برئنه ما ينقر

وكان أبو عبيدة يقدم هذه القصيدة في الضب على قصيدة عبيد بن الأبرص وأوس

ابن حجر قال أحدهما فيها

دان مسف فويق الارض هيدبه * يكاد يدفعه من قام بالراح

فن بنجوته كمن بمقوته * والمستكن كمن يمشى بقرواح

وانا أتعجب من هذا الحكم ، ومما يضيفون الى هذه الضباب من الكلام مارواه

الأصمعي في تفسير المثل وهو قولهم هذا أجل من الحرش لان الضب قال لابنه اذا

سمعت صوت الحرش فلا تخرجن قال والحرش تحريك اليد عند جمع الضب ليخرج

ويرى أنه حية قال فسمع الحسل صوت الحفر فقال للضب يأبث هذا الحرش قال

يا بني هذا أجل من الحرش فارسلها مثلا وقال الكمي

يؤلف بين ضفدعة وضب * ويمجب ان نهر بني أبينا

وقال في الضب والنون ﴿

على أرجائها النـر * يهديها بمـصـبـاح
 فقال الضب للضفد * ع في بيداء قرواح
 تأمل كيف تنجو اليوم * من كرب وتطراح
 * فاني ساج ناج * وما أنت بسـباح
 فلما رق أنف المـز * ن أبدى خير إرواح
 وسبح الماء من مستح * لب بالماء سـحاح
 رأي الضب من الضفد * ع عوما غير منجاح
 وحط العظم يهويها * نجوح غير نساح
 نقال المشي كالسكران * ن يمشي خلفه الصاحي

ثم قال في شأن الضفد والضب الكمية بن ثعلبة

على أخذها يوم غب الورو * د ويوم الحكومة أذناها
 وقال عبيد بن أيوب

ظلت ونافتي نضوى فلاة * كفرخ الضب لا يبنى ورودا
 أبو زياد قال الضب لصاحبه

اهدموا بيتك لا أبالكا * وزعموا أنك لا أخالكا
 وأنا أمشي الحبكا حوالكا

وقول العرب أروى من الضب لان الضب عندهم لا يحتاج الى شرب الماء واذا
 هزم اكتفى ببرد النسيم وعند ذلك تفي رطوبته فلا يبقى فيه من الدم ولا مما يشبه
 الدم شيء وكذا الحية فاذا صارت كذلك لم تقبل بلعاب ولا بمجاج ولا بمخالطة ريق
 وليس الا بمخالطة عظم السن لدماء الحيوانات وأنشد

لمهيمة من حنش أعمي أصم * قد عاش حتى هو لا يمشي بدم
 * فكل ما أفضل منه الجوع شم *

وأما صاحب المنطق فانه قال باضطرار انه لا يمشي حيوان الا وفيه دم أو شيء يشاكاه
 الدم والضب تزلفه من جحره أمور منها السيل وربما صبوا في جحره قربة من ماء

سرّاً حين تلقى بيضها وهي حينئذ ثقة وتقول رزت الجرادة ذنبها في الارض فهي
ترز رزاً وضربت بذنبها الارض ضرباً وذلك اذا أرادت أن تلقى بيضها ويقولون ذنبه
السخبر وشيطان الحماطة وأرب الخلة ونيس الريل وضب السحبا والسحبا بقلة يحسن
حاله عنها ويقال هو قنفذ برقة اذا أراد ان يصفه بالخبط وما أكثر ما يذكرون الضب
اذا ذكروا الصيف مثل قول الشاعر

* سار أبو مسلم عنها بصرمته * والضب في الجحر والمصفور مجتمع
وكما قال أبو زيد

أي سباع ساع ليقطع شربي * حين لاحت للصباح الجوزاء
وأستكن المصفور كرها مع الضب * وأوفى في عوده الحرباء *

وأشد الأصمى

تجاوزت والمصفور في الجحر لاجئ * مع الضب والشقذان يسمو وصدورها
قال والشقذان الحرابي قوله يسمو أي يرتفع والشقذان جمع شقذ بكسر الشين واسكان
القاف والجمع شقذان بتخريك القاف وتقول الاعراب خاصم الضب الضفدع في الماء
أيهما أصبر وكان للضفدع ذنب وكان الضب ممسوح الذنب فلما غلبها الضب أخذ
ذنبها فخرج في الكلاء فصبرت الضفدع يومان فتادت ياضب ورداً ورداً فقال
الضب

اصبح قاي صردا * لا يشتهي أن يردا

الاعرارا غردا * وصليانا لبدا

فلما كان اليوم الثالث نادت ياضب وردا وردا فلما لم يحبها بادرت الى الماء واتبعها الضب فأخذ
ذنبها فقال في تصدق ذلك ابن هرمة

ألم تارق لضوء البر * ق في أسحهم للاح *

كأعناق نساء الهند * قد شيت بأوضح

يؤم البرق كالراجف * يزجي خلف اطلاق

كان العازف الجني * أو أصوات أنواح

طول عمره حقا ويدل على أن أسنانه على ما ذكره قول الفزاري

وجدنا كم رأيا بنى أم فرقة * كاسنان حسل لا وفاء ولا غدر

يقولون لازيادة ولا نقصان وقال زيد بن كثرية المزي قال العنبري وهو أبو يحيى مكثت في عنفوان شببتي وربمان من ذلك أربع ضبا وكان ببعض بلادنا في وشاز من الارض وكان عظيما منها منكرأ مارأت مثله فكثت دهرأ أربعه فما أقدر عليه ثم انى هبطت الى البصرة فأثت بها ثلاثين سنة ثم انى والله كررت راجعا الى بلادى فرزت في طريقى بموضع الضب معتمدا لذلك فقلت والله لأعلمن اليوم علمه ومادهري الا أن أجعل من جلده عكة للذى كان عليه من افراط العظم فوجهت الرواحل نحوه فاذا به محترشا على تلمة فلما سمع حس الرواحل ورأى سوادا مقبلا نحوه مر مسرعا نحو جحره وفاتى والله الذى لا اله الا هو وقال ابن الاعرابي أخبرني ابن فارس بن ضبعان الكلابي أن الضبة يكون بيضا في بطنها وهو مكنها ويكون بيضا متسقا فاذا أرادت أن تبيضه حفرت في الارض أدحيا مثل أدحى النعامة ثم ترمي بيضا في ذلك الأدحى وتدفنه بالتراب وتدعه أربعين يوما ثم تخرج بعد الأربعين فتبحث عن مكنها فاذا حملته يتعادين فتأكل ما قدرت عليه ولو قدرت على جميعهن لأكلتهن قال ومكنها جلد لين فاذا دبست فهي جلد فاذا شويتها أو طبختها وجدت لها محامح بيض الدجاج قال والضبة تقاتل الحية وتضربها بذنبها وهي أخشن من السفر وهو سلاحها وقد أعطيت فيه من القوة مثل ما أعطيت العقارب في ابرتها فربما قطعتها بضربة أو قتلها أو قتلها وذلك اذا كان الضب ذبالا مذنبا واذا كان مرأسا قتلته الحية والتدنيب ان الضب اذا أرادت الحية الدخول عليه في جحره أخرج الضب ذنبه الي ثم جحره ثم يضرب به كالخراق يمينا وشمالا فاذا أصاب الحية قطعها والحية عند ذلك تهرب منه والمرأسة أن تخرج الرأس وتدع الذنب وتكون غمزاً فتعضه الحية فتقتله قال أمكنت الجرادة فهي تمكن امكانا اذا جمعت البيض في جوفها واسم البيض المكن والضبة مكنون فاذا باضت الضبة والجرادة قيل قد سرات والمكن والسراء والبيض كان في بطنها أم بعد ان تبيضه وضبة سرو وكذلك الجرادة تسرا

أو عمر نوح زمن الفطحل * والصخر مبتل كطين الوحل

صرت رهين هرم أو قتل

وهذا الشعر يدل على طول عمر الحسل لأنه لم يكن ليقول

أو عمر نوح زمن الفطحل * والصخر مبتل كطين الوحل

ألا وعمر الحسل عنده أطول الأعمار وروى ابن الأعرابي عن بعض الأعراب أن سن الضب واحدة أبدا وعلى حال أبدا فكانه قال لا أفعلها مادام سنها كذلك لا ينقص ولا يزيد وقال زيد بن كثيره سن الحسل ثلاثة أعوام وزعم أن قوله مثلا لا أفعله سن الحسل غلط ولكن الضب طويل العمر إذا لم يمرض له أمر وسن الحسل مثل سن القلوص ثلاث سنين حتي يلقح ، ولو كانت سن الحسل على حالة واحدة لعرف الأعراب الفتى من الذكى وقد يكون الضب أعظم من الضب وليس بأكبر منه سنا قال ولقد نظرت يوما الى شيخ لنا بقر ضبا حجلًا سجلا قد اصطاده فقالت له لم تفعل ذلك فقال أرجو أن يكون هرما قال وزعم عمرو بن مسافر أن الضبة تبيض ستين بيضة فاذا كان ذلك سدت عليهن باب الحجر ثم تدعن أربعين يوما فيتفقص البيض ويظهر ما فيه فتحفر عنهن عنه ذلك فاذا كشفت عنهن أحضرن وأحضرت في أثرهن تأكلهن فيحفر المنفلت منها لنفسه حجرا ويرعى من البقل ، قال ويبض الضب شبيهه ببيض الحمام قال وفرخه حين يخرج يخرج كيسا خبيثا مطيقا للكسب وكذلك ولد العقرب وفراخ البط وفراريج الدجاج وولد العناكب وقال زيد بن كثيره مرة بعد ذلك ان الضب ينبت سنه معه ويكبر مع كبر بدنه فلا يزال أبدا كذلك الى أن ينتمى بدنه منتهاه قال فلا يدعى حسلا الا ثلاث ليال فقط وهذا القول يخالف القول الاول وأنشد

مهرتها بعد المطال ضبين * من الضباب سخيلين سبطين

نعم لعمر الله مهر العرسين

أنشدني ابن فضال أمهرتها وزعم أنه كذلك سمعها من أعرابي ، وقد يمكن أن يكون الحسل لا يبنى ولا يرفع فتكون أسنانه أبدا على أمر واحد ويكون قول الحجاج في

انا وجدنا بني جـلان كاهـم * كساعـد الضـب لا طـول ولا عـظم
وقال ابن ميادة

واني لقيس من بغيض تناصر * اذا أسد كشت لفخر ضبابها
وفي هذه القصيدة يقول
ولو أن قيسا نيس عيلان أقسمت * على الشمس لم تطلع عليك حجابها
وهذا من شكل بشار
اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو فطرت دما
وأنشد لأبي الطمحان

مهلا عمير فانكم أمسيتم * منا بشفر ثنية لم تستر
سودا كأنكم ضباب حطيطة * مطر البلاد وحرمها لم يطر
يحبون بين أجا وبرفة عاج * حبوا الضباب إلى أصول السخبر
وتركتم نصب الشريف طواميا * تهوى ثنيته كمين الأعور
وقال العث واسمه زيد بن معروف للضب غلام زنبيل علام وقد رأيت من يسمي
غيراً وثوراً وكلباً ويربوعاً فلم نر منهم أحداً شبه العير ولا الثور ولا السكب ولا
الربوع وأنت قد تغليت الضب حتى لم تغادر منه شيئاً فاحتمل ذلك عنه فلما قال
ومن دعوه باسم لا يناسبه * فأنت والاسم شر فوفه طبق
فقال ضب لث

ان كنت ضبا فان الضب محتبل * والضب ذو ثمن في السوق معلوم
وليس لث صياد يراوغه * ولست شيئاً سوي قرض وتقام

— القول في سن الضب وعمره —

أنشد الاصمعي وغيره

تعلقت واتصت يـمـكـل * حصي وهزت رأسها تشبلي
تسئني من السنين كم لي * فقلت لو عمرت عمر الحسل

قبحت من سالفه ومن صدع * كأنما كشة ضب في صقع
أراد صمق بالعين فقلب وقال الآخر
* أعق من ضب وأفسي من ظرب *

وأنشد

جذات نهاب الدم ليست بضبة * ولا صلفع يلقى مراسا زميلها
يقول لا تخدع الضب في جعره وأنشد ابن الأعرابي لجبار بن عبيد الله الدثلي جد أبي محضه
ياسهل لو رأيت يوم الجفر * اذ هو يسمى بستجير للسور
بري عن الصفو وبرى بالكدر * لازددت منه قدرا على قدر
يضحك عن نفر ذميم المكتشر * ولثة كأنها سير حور
* وعارض كعارض الضب الذكر *

وأنشد السدري

هو القربا ومشى الضب تعرفه * وخصيتا صرصراني من الابل
والخال ذو نخم في الجري صادقة * وعائق يتعني مأبض الرجل
واعلم حفظك الله تعالى قد اكتفت بالشاهد وتبقى في الشعر فضلة مما يصلح للمذاكرة
ولبعض ما بك الى معرفته حاجة فاصله به ولا أقطعه عنه وأنشد لابن لجأ
وعنوى يرتنى بأسهم * تلاق بالصخر لزوق الارقم
* لوسأم الضب بها لم يسأم *

وقال اعرابي من بني تميم

تسخر مني ان رأيتني أحترش * ولو حرشت لكشفت عن حرش
يربد عن حرك قال وقال أبو شعبة

فلزمان جمدة لحاما * عاداهما الله وقد عاداهما

* ضبا كذا قد عظمت كشاهما *

وقال أبو شعبة وأنشدنا الأصمعي

اني وجدتك يا جرثوم من نفر * جرثومة الاثوم لا جرثومة الكرم

وقتنا هاربين معا جميعاً * نحاذر ان نزن بقتل نفس
وقالت عائشة بنت عثمان في أبان بن سعد بن العاصي خـين خطبها وكان نزل أيلة
وترك المدينة

نزلت بيت الضب لأنت ضائر * عدواً ولا مستنفع أنت نافع
وقال جرير

وجدنا بيت ضبة في تميم * كبيت الضب ليس له سوارى
وقال آخر وهذا الشعر أيضاً في الضباب

يا ضبع الكهاف ذات الشعب * والوئب للعتر وغير الوئب
غثنى ولا تحشين إلا سبي * فاست بالطب ولا ابن الطب
ان لم أدع بينك بيت الضب * يضيق عن ذي العرك المنكب
وقال الفرزدق

لحي الله ما حصل غير أهله * ففاضبة عند الصفاة مكون
فلو علم الحجاج علمك لم تبع * يمينك ماءً مسلماً بينين
وأنشد زعمت بأن الضب أعمى ولم يفت * بأعمى ولكن فات وهو بصير
بل الضب أعمى يوم يخنس بـاسته * اليك بصحناء البياض غريو
وقالت امرأة في ولدها وتهجو أباه

وهبته من ذى ثقال خب * يقاب عينا مثل عين الضب
* ليس لمعشوق ولا محب *

وقال رجل من فزارة

وجدنا كم رأبا بنى أم قرفة * كاسنان حسل لا وفاء ولا غدر
وأنشد ثلاثون رأبا أو تزيد ثلاثة * يقاتلنا بالقرن ألف مقنع
الرأب السواء والمعني الاول يشبه قوله

سواس كاسنان الحمار فلا تري * لذى شبية منهم على ناشئ فضلا
وأنشد ابن الاعرابي

﴿ وقال أبو نواس ﴾

إذا ماتممي أنك مفاخر * فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب
تفاخر أبناء الملوك سفاهة * وبولك يجري فوق سافل الكعب

﴿ وقال الآخر ﴾

خبذاهم وروى الله أرضهم * من كل منهمم الاحشاء ذى برد
ولا سقى الله أياماً عنت بها * ببطن فليج على الببوع فالعقد
مواطن من تميم غير معجزة * أهل الجفاء وعيش البؤس والصرد
هم الكرام كريم الامر فمله * وهم سعد بما ياتي الى المهد
أصحاب ضب ويربوع وحنظلة * وعيشة سكنوا منها على ضمد
ان يأكلوا الضب بأنوا مخضبين به * وزادها الجوع ان باتت ولم تصد
لو أن سعد الهاريف لقد دفعت * عنه كما دفعت عن صلاح البلد
من ذاق قارع سعداً عن مفازها * ومن ينافسها في عيشها النكد

﴿ وقال في مثل ذلك عمرو بن الاثم ﴾

وتركنا عميرهم رهن ضبيع * مسلحاً ورهن طلس الذئاب
نزلوا منزل الضيافة منها * فقري القوم غلة الاعراب
* ورددناهم الى حرثهم * حيث لا يأكلون غير الضباب

﴿ وقالت المرية ﴾

جاؤا بحارشة الضباب كأنما * جاؤا بدنت الحارث بن عباد
وقائلة هذا الشعر امرأة من بني مرة بن عباد وقال الخريم الكندي
لعمري ما الى حسن أنحنا * ولا جئنا حميداً يا بن أنس
ولكن ضب جندلة أنينا * مضباً في مضابيه بعس
فلما انت أنيناه وقلنا * بحاجتنا تلون لون ورس
وآض بكفه يحنك ضرساً * يرينا انه وجمع بضرس
فقلت لصاحبي أبه كزاز * وقت اسره أتواه يسمي

زر وادي القصر نعم القصر والوادي * لابد من زورة عن غير ميعاد
تري به السفن كالظمان واقفة * والضب والنون والملاح والحادى
﴿ وقال في مثل ذلك ابن أبي عيينة ﴾

ياجنة فأت الجنان فما * يبلغها قيمة ولائمن
الفها فاتخذتها وطنا * ان فؤادي لأهلها وطن
زوج حيتانها الضباب بها * فهذه كنة وذا ختن
فانظر وفكر فيما يطيف به * ان الأريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة * ومن نعام كأنها سفن
﴿ وقال عقبة بن مكرم في صفة الفرس ﴾

* ولها منخر اذا رفعته * في المجارة مثل وجر الضباب

وأنشد

وأنت لو ذقت الكشا بالا كباد * لما تركت الضب يسمى بالواد
﴿ وقال أبو حية النميري ﴾

وقربوا كل نبقاس قراسية * ابد ليس بها ضب ولا شرر

وقال كثير

ومحترش ضب المدادة بيننا * بحلو الرقا حوش الضباب الخوادم

وقال كثير أيضاً

وما زالت رقاك تسلم ضفني * وتخرج من مكانها ضبابي

أما الذين ذموا الضب وأكاه وضربوا المثل به وبأعضائه وأخلافه وأعماله فكان كما

التميمي

لكسري كان أعقل من تميم * ليالي فر من أرض الضباب
فأنزل أهله ببيلاد ريف * وأشجار وأنهار عذاب
وصار بنو بنيهم بها ملوكا * وصرنا نحن أمثال الكلاب
فلارحم الاله صدي تميم * فقد أزرى بنا في كل باب

أرقت فلم تخدع لعيني نعمة * والله ما دهري بعسر ولا سقم
 ويدل على كثرة تصفهم لهذا ما أنشدنا أبو الرديني
 لا يقر القليل إلا زبي * ولا يدأوى من صميم الحب
 إلا احتضان ركب أرب * ينزع فيه الأبر نزع الضب
 والضب في صوانه مخب
 وأنشدنا أبو الرديني المكي لطارق وكنيته أبو سماك
 أبو سماك أو لما تدرى * أنى على مياسرى وعسرى
 يكفيك رفدي رجلاً ذا وفر * ضخم المثلث صغير الأير
 إذا تدمى قال تمرى تمرى * كأنه بين الذرى والكسر
 ضب يضحى بمكان قفر

وقال اعرابي

قد اصطدت بإقظان ضبا ولم يكن * ليصطاد ضب قبله بالحبال
 يظل رعاء الشاء يرتضونه * حنيذاً ويجني بهضه للحبال
 عظيم الكشاة مثل العبي إذا عدا * يفوت الضباب حسله في السحائل

وقال الدماي

أنى لا رجو من عطايا ربى * ومن ولى العهد بهمد الغب
 رومية أوج فيها ضبي * لها حر مستهف كالعقب
 مستحصف نعم قران الرب

وقال الآخر

إذا اصطلحوا على أمر تولوا * وفي أجوافهم منه ضباب
 ﴿وقال الزبرقان بن بدر﴾

ومن الموالي ضب جندلة * زمر المروءة نافع الشبر
 فالأول جمل أبره ضبا والثاني جمل الحقد ضباً وقال الخليل بن أحمد في ظهر البصرة
 مما يلي مصر أنسى

وأثقت ضباباً في الصدور جرائها * فيالك من دعوى تصم المناديا
وناديت أعمامى وهم شر جيرة * بدىرون شطر الليل عندى الافاعيا
وقد كان في عقب وقوس وان أشأ * من الاقط ما بلغن في المهر حاجيا

فقال أبوها

فلو كان تعبارضّ فعبك بتدل * ولو كان قوسا كان للنبل أذكرا

فقال عمها دعوني والعبد وأنشد لازيرى

أعاصر عبد الله انى وجدتكم * كمرجة الضب الذي يتدل

وقال هي لينة وعودها لين فهو يملوها اذا حضر بالقيظ ويتشوف عليها واست ترى
الضبة الا وهي سامية برأسها تنظر وترقب وأنشد

بلاد يكون الخيم أطلال أهلها * اذا حضروا بالقيظ والضب نونها

وقال عمر بن خويلد

ركيات حسل أشهر الصيف بدن * وناقة عمرو ما يحل لها رحل

* اذا ما أبنتينا بيتنا لمعيشة * يعود لمناجى فيهدمه حسل

ويزعم حسل أنه فرع قومـه * وما أنت فرع يا حسيل ولا أصل

ولدت بحول النجم تسمي اسميه * كما ولدت بالنحس رباتها عكل

وهم الحسل وحسيل وضب وضبة فمنهم ضبة بن أد وضبة بن محض وزيد بن ضب ويقال

حضره ضب وفي فريش بنو حسل ومن ذلك ضبة الباب ويسمى حلب الناقة بخمسة أصابع

ضباً يقال ضبها يضبها ضباً اذا حلبها كذلك وضب الجرح وبض اذا سال دما مثل

ما تقول جبذ وجذب وانه حلب ضب وأنه لا خدع من ضب والضب الحقد اذا

تمكن وسرت عقاربـه وأخذ مكانه والضب ورم في خف البعير وقال الراجز

ليس بذى عرك ولا ذى ضب

ويقال ضب خدع أى مراوغ ولذلك سمو الخزانة المخدع وقال ذو الرمة

مناسمها صم صلاب كأنها * رؤس الضباب استخرجتها الظهائر

وقال راشد بن شهاب

وما في البيوض كبيض الدجا * ج وبيض الجراد شفاء القرم

و. مكن الضباب طعام العريب * ولا تشتهيه نفوس المعجم

والى هذا المعنى ذهب جرّان المود حين أطعم ضيفه ضباً فوجاه ابن عم له كان يغمز في نسبه فلما قال كلمة له

وتطعم ضيفك الجوعان ضباً * وتأكّل دونه تمرّاً بزبد

وقال في كلمة له أخرى

وتطعم ضيفك الجوعان ضباً * كأن الضب عندهم غريب

قال جرّان المود

فلولا أنّ أصلك فارسي * لما عفت الضباب ومن قراها

قريت الضب من حر كشها * وأى لوبة الاكسها

واللوبة الطم الطيب اللطيف يرفع للشيخ والصبي وقال الاخطل

فقات لهم هاتوا لوبة مالك * وان كان قد لاقى لبوسا ومطعما

حدثني يونس بن عمران قال كان بشر بن المَعْتَمِر خاصا بالفضل بن يحيى فقدم عليه

رجل من مواليه وهو أحد بني هلال بن عامر فضي به الى الفضل ليكرمه بذلك

وحضرت المائدة فذكروا الضب ومن يأكله فافترط الفضل في ذمه وتابعه القوم

بذلك ونظر الهلالي فلم ير على المائدة عربيا غيره وغازله كلامهم فلم يلبث الا أن أتى

الفضل بصحفة ملاءنة من فراخ الزنابير ليتخذله منها بزما ورد والدبر والنحل عند

العرب أجناس من الزبان فلم يشك الهلالي أن الذي رأى من ذباب البيوت والحشوش

وكان الفضل حين ولى خراسان استظرف بزما ورد الزنابير فلما قدم العراق كان يشتهيا

فتطاب له من كل مكان فشمت الهلالي به وباصحابه وخرج وهو يقول

وعاج يماف الضب أو ما وبطنة * وبيض إدام العاج هام ذباب

واوان ملاك في الوري ناك أمه * لافالو القد أوتيت فصل خطاب

ولما قال أبو طروق الضبي

يقولون أصدقها جرّاداً وضبة * فقد جردت بيتي وبيت عيالها

حتى اذا ما ناضل البهيمى ارتقى * وأجفأت فى الارض أعراف السفا
 وظل يلوى هبصا وسط الملا * وهو بعينى قانص بالمرتبأ
 كان اذا أخفق من غير الرعا * رازم بالا كبار منها والكشا
 فان عفتهوه لأكل الدبا فلا تأكلوا الجراد ولا تستطيخوا بيضه وقد قال أبو حجين المنقرى
 ألا ليت شعرى هل أبين ليلة * بأسفل واد ليس فيه أذان
 وهل آكلن ضبا بأسفل تلمة * وعريج أكلع المديد خوان
 أقوم الى وقت الصلاة وربحه * بكى لم أغسل ما بشنان
 وهل أشربن من ماء لينة شربة * على عطش من سوم ران أبان
 ﴿وقال آخر﴾

لعمري لضب بالعنيزة ضائف * يضخى عرارا فهو ينفع بالقرم
 أحب الينا أن يجاور أرضنا * من السمك البني والساجم الرخم
 وقال آخر فى تفضيل أكل الضب

أقول له يوما وقد راح صحبتى * وبالله أبنى صيده وأخاتله
 فلما التقت كفى على فضل ذيله * وشالت شمالي زابل الضب باطله
 فأصبح مجنونا نضيجا وأصبحت * تمشى على القيزان حولا حلاله
 شديد اصفرار الكشتين كأنما * يظل بورس بطنه وشوا كله
 فلذلك أسمى عندنا من نتاجكم * لحي الله شاريه وقبح آكله

وقال أبو الهندي من ولد سيب بن ريمي

أكلت الضباب فما عفتها * وانى لأهوى قديد النعم
 وركبت زبداء على تمرة * فدم الطعام ودم الأدم
 وسمن السلا وكاء القصيص * وزين السديف كبرد النعم
 ولحم الخروف حنيذا وقد * أتيت به جامدا فى الشعم
 فاما النبط وحياتكم * فما زلت منها كثير السقم
 وقد نلت ذاك كما نلتم * فلم أرفيها كضب هرم

وبها كنت راكبا حشرات * ملجأ قنفذا وسرج وبر
 كنت لا أركب الارانب للحي * ض ولا الضبع أنها ذات نكر
 تركب المقمص المجيف ذا النف * ط وتدعو الضباع من كل جحر
 جاثيا للبحار أهدي لعربي * فلفلا مجتنا وهضبة عطر
 وأحلي هريز من صدف البه * ر وأسقى العيال من نيل مصر
 وبني المقود نفثي وحلي * ثم يخني على السواحر سعري
 وأجوب البلاد تحت ظبي * ضاحك سنه كثير التمرى
 مولج دبره جمانة مكر * وهو بالليل في الغفارىت يسرى
 بحسب الناظرون اني ابن ماء * ذاكر عشه بضفة نهر
 رب يوم أكلت من كبد الليث * وأعقت بين ذئب ونمر
 ليس ذا كم كن بيت بطينا * من شواء ومن قلية جزر
 ثم لاحظت خاتي في غـدو * بين عيني وعينها السم يجرى
 ثم أصبحت بعد خفض ولهو * مدفا مفردا محالف عسر
 أتراني مقت من ذبحي الدي * لك وعاديت من أهاب بصقر
 وسمعت النقيق في ظلم الليل * فجأوبته بسر وجهر *
 ثم يري بي الجحيم جهاراً * في خمير وفي دراهم قر
 * فلعل الاله يرحم ضيفي * ويرى كبرتي ويقبل عذري

وسنقول في الذين استحلوه واستطابوه وقدموه، قالوا الشيء لا يحرم الا من جهة
 كتاب أو اجماع أو حجة عقل أو من جهة القياس على أصل في كتاب أو اجماع ولم
 نجد في تحريمه شيئاً من هذه الخصال وان كان انما يترك من قبل التفرز فقد أكل
 الناس الدجاج والشبائط ولحوم الجلالة وأكلوا السراطين وبراخ الزنابير والصحناء
 والدشا فكان التفرز مما يتغذى المذرة رطبة وباسة أولى وأحق من كل شيء يأكل
 الضروب التي قد ذكرناها وذكرها الراجز حيث يقول

يارب ضب بين أكناف اللوى * رعى المرار والكببات والدبا

ان ربي لما يشاء قدير * ما لشيء اراده من مفر
 مسخ الماكسين ضبما وذباً * فلهذا تناجي لام عمرو
 بعث النمل والجراد وقفي * بنجيع الرعاف في حي بكر
 خرقت قارة بأنف ضئيل * عرما يحكم الاساس وصخر
 فجرته وكان غيلان عنه * عاجزالو يرومه بعد دهر
 مسخ الضب في الحباله قدما * وسهيل السماء عمداً بصقر
 والذي كان يكتني برغال * جعل الله قبره شر قبر
 وكذا كل ذي سفين وخرج * ومكوس وكان صاحب عشر
 منكب كافر وأشرط سوء * وعريف جزاؤه حر جهر
 ونزوجت في الشبيبة غولا * كغزال وصدقتي زق خمر
 ثيب ان هويت ذلك منها * ومتي شئت لم أجد غير بكر
 بنت عمرو وخالها مستحل الخ * ير وخالى حميم صاحب عمرو
 ولها خطبة بأرض وبار * مسجوها كان لي نصف شطر
 أرض حوش وكامن عكفان * وعروج من المؤمل ذو
 سادة الجن ايس فيها من الج * ن سوي تاجر وآخر مكر
 ونفوا عن حريمها كل عفر * يسرق السمع كل ليلة بدر
 في فتومن الشنقيات غر * ونساء من الروائع زهر
 تأكل الفول ذا السياطة مسياً * بعدروث الحمار في كل فجر
 جعل الله ذلك الروث بيضاً * من أنوق ومن طروقة نسر
 ضربت قردة فصارت حصبا * في محاق القمير آخر شهر
 تركت عبداً ثمال اليتامى * وأخوه مزاحم كابن بكر
 وضعت تسعة وكانت نذوراً * من نساء في أهله غير نذر
 غلبتني على النجابة عرسي * بعدما طار في النجابة ذكري
 وأرى فيهم شمائل أنس * غير أن النجار صورة عفر

القول فيمن استطاب له لحم الضب ومن عافه

روي أنه أتى على خوان النبي صلى الله عليه وسلم فلم يأكله وقال ليس من طعام قومي وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر عليه ورووا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخله ولا أحرمة وأذكر ذلك ابن عباس وقال ما بعثه الله تعالى إلا ليحل ويحرم وحرمة قوم ورأوا أن أمتين مستختا أحدهما في البر وهي الضباب وأخذت الأخرى في طريق البحر فهي الجري ورووا عن بعض الفقهاء أنه رأي رجلاً أكل لحم ضب فقال اءلم أنك قد أكلت شيئاً من مشيخة بني إسرائيل وقال بعض من يعافه الذي يدل على أنه مسخ شبه كفنه بكف الانسان، وقال العوام الأبرص نديم أيوب بن جعفر وكان أيوب لا يعيب أكل الكلاب في زمانه ولها في المبرد سوق يقوم في ظل دار جعفر ولذلك قال أبو فرعون في كلمة له طويلة

سوق الضباب خير سوق في العرب

وكان هو و إبراهيم النظام إذا كانا عند أيوب قاما عن خوانه إذا وضع عليه ضب ومما قال فيها العرار قوله

له كف انسان وخاق عظاية * وكالفر دواخنيز في المسخ والعصب

والعوام تقول وناس يزعمون أن الحية مسخ والضب مسخ والكلاب مسخ والارياك مسخ والفار مسخ ولم أر أهل الكتاب بقرون أن الله تعالى قط مسخ انساناً خنزيراً ولا فرداً إلا أنهم أجمعوا أن الله تعالى قد مسخ امرأة لوط حجراً حين التفت وتقول الاعراب أن الله قد مسخ كل صاحب مكس وجابي خراج وأاوة إذا كان ظالماً وأنه مسخ ما كسين أحدهما ذنباً والآخر ضبعاً وأنشد محمد بن السكن المعلم النحوي للحكم بن عمرو البهراني في ذلك وفي غيره شعراً عجيباً وقد ذكر فيه ضروباً كلها ظريف غريب وكلها باطل والاعراب تؤمن بها أجمع وكان الحكم هذا أتى بني العنبر بالبادية على أن العنبر من بهراء فنفوه من البادية إلى الحاضرة وكان يتفق ويبنى فيها الاعراب وكان مكفوفاً دهر يابلياً وهو الذي يقول

تفرقتم لازلم قرن واحد * تفرق اير الضب والاصل واحد
فهذا يؤكده ما رواه ابو خلة النيرى عن ابي حية النيرى قال ابو خلة سئل ابو حية
عن ذلك فزعم ان اير الضب كلسان الحية الاصل واحد والفرع انسان وبعض اهل
التفسير يزعم ان الله تعالى عاقب الحية حين ادخلت ابليس في جوفها حتى كلم آدم
على لسانها بمشر خصال منها شق اللسان قالوا فلذلك ترى الحية أبداً اذا طابت لنقتل
كيف تخرج لسانها تلويه كما يصنع المسترحم من الناس باصبعه اذا ترحم أو دعا تري
الظالم عقوبة الله تعالى لها ، قال ابو خالد قال أبو حية الاصل واحد والفرع انسان
والاثنى مدخلان وأنشد لحبي المدنية

وددت بانه ضب وانى * كضبة كدية وجدت خلا

قال قالت هذا البيت لابنها حين عذلهما لانها تزوجت ابن أم كلاب وهو حدث
وكانت هي قد زادت على النصف فتمنت ان يكون لها حران ولزوجها ايران ، وقال
ابن الاعرابي الاثنى سبيلان ولرحمها قرنتان وهما زاويتا الرحم فاذا امتلأت الزاويتان
أتأمت واذا لم تمتلئ أفردت وقال غيره من العلماء هذا لا يكون لذوات البيض والفراخ
وانما هذا من صفة ارحام اللواتي يحببان بالاولاد ويضعن خلةً كخلةهن ويرضعن
وكيف تفرد الضبة وهي لم تنتم قط وهي تبيض سبعين بيضة في كل بيضة حمل
قال ولهذا الخشرات أيور معروفة الا ان بعضها أحقر من بعض فأما الخصى فشئ
ظاهر لمن شق عنها وجسر أبو خالد فزعم أنه قد أبصر أير ذباب وهو يكوم ذبابة
وزعم ان اسم أيره المتك وأنشد لعبد الله بن همام السلولى

لما رأيت القصر أغلق بابه * وتعلقت همدان بالأسباب

أيقنت ان اماراة ابن مضارب * لم يبق منها قيس أير ذباب

وهذا شعر لا يدل على ما قال وقال أصحابنا انما المتك البظر ولذلك يقال للعلاج يابن
المتكاه كما يقال له يابن البظراء

من الفرس فكانوا لا يمدون الناس الا عبيداً وأنفسهم الا أرباباً ولسنا نخبر الا عن
دهاء الناس وجمهورهم وكيف كانوا من ملوك وسوقة، والكبر في الاجناس الذليلة
من الناس أرسخ وأعم ولكن الذلة والقلة مانعتان من ظهور كبرهم فصار لا يعرف
ذلك الا أهل المعرفة كعبيدنا من السند وذمتنا من اليهود، والجملة أن كل من قدر من
السفلة والوضعاء والمحقرين أدنى قدرة ظهر من كبره على من تحت قدرته على مراتب
القدرة ما لا خفاء به فان كان ذمياً وأحس بماله في صدور الناس تزيد في ذلك
واستظهرت به طبيعته بما يظن أن فيه رقع ذلك الخرق وحياض ذلك الفتن وسد تلك
الثمة فتفقد ما أقول لك فانك ستجده فاشياً وعلى هذا الحساب من هذه الجهة صار
المملوك أسوأ ملكاً من الحر، وشيء قد قتلته علماً وهو اني لم أر ذا كبر قط على من
دونه الا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه فأما بنو مخزوم وبنو أمية وبنو جعفر بن
كلاب وبنو زرارة بن عدس فابطرتهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة ولو كان في
قوى عقولهم وديانتهم فضل على قوى دواعي الحمية فيهم لكانوا كبنى هاشم في
تواضعهم وفي انصافهم لمن دونهم وقد قال في شبيه بهذا المعنى عبدة بن الطبيب
حيث يقول

ان الذين ترونهم خلانكم * يشفي صداع رؤسهم ان تصدعوا
فضلت عداوتهم على أحلامهم * وأبت ضباب صدورهم لا تنزع
فأما ماذكروا ان للضب ايرين وللضبة حرين فهذا من العجب ولم نجد لهم يشكون
وقد يختلفون ثم يرجعون الى هذا العموم وقال الفزاري

جبا المال عمال الخراج وجبوتى * محذفة الاذنان صفر الشوا كل
رعين الدبا والبقيل حتى كأنما * كساهن ساطان ثياب المراحل
سجل له نر كأن كان فضله * علي كل حاف في البلاد وناعل
ترى كل ذبال اذا الشمس عارضت * سما بين عرسية سمو المختال
واسم ايره النرك معجمة الزاي والنون من فوق بواحدة وساكنة الزاي فهذا قول
الفزاري وانشد الكسائي

يكفي الوليدة ذا الرعيان مؤتزراً * فاحلب فانك حلاب وصرار
ما كنت أول ضب صاب تلعته * غيث فامرغ واسترخت به الدار

وقال ابن ميادة

تري الضب ان لم يرهب الضب غيره * يكش له مستكثراً ويطاوله
وقال دعلج بن عبد المجاب

اذا كان بيت الضب وسط مضبة * تطاول للشخص الذي هو جاهله
المضبة مكان ذا ضباب كثيرة ولا تكثر الا وبقرها حية أو ورن أو ظربان ولا يكون
ذلك الا في موضع بعيد من الناس فاذا أمن وخلاله جوة وأخصب نفخ وكش نحو
كل شيء يزيد وما يوصف بالكبر الثور في حال تشرقه وفي حال مشيته الخيلاء
في الرياض عند غب ديمة ولذلك قال الهميت

كشبوب ذى كبرياء من الوحـدة لا يتنى عليها ظهـيرا
وهذا كثير وسيقع في موضعه من القول في البقر، وما يوصف بالكبر الجمل الفحل
اذا أطافت به نوق الهجمة ومر نحو ماء وكلاء فتبعته وقال الراجز

فان تشرّدن حواليه وقف * قالب حملافيه في مثل الجرف
يورد لحد عينه لما طرف * كبراً وأعجاباً وعزاً وترف
والناقة يشتد كبرها اذا لقحت وتزم بأنفها وتزم على صحبتها وأنشد الاصمعي
وهو اذا أراد منها عرسا * دهاء مربع اللقاح جلسا
عائنها بهـد السـيان أنسا * حتى تلافيه مخاضا فقسا
حتى احتشت في كل نفس نفسا * على الدوامى ضامرات خرسا
جوط مسرات لقاحا ملسا

وأما قول الشماخ

جمالية لو يجعل السيف عرسها * على حدة لاستكبرت أن تصونها
فليس من الاول في شيء والمذكورن من الناس بالكبر ثم من قريش بنو مخزوم وبنو
أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدس خاصة، فأما الاكاسرة

ولقد شهدت الخليل بحمل شكى * متلظ خذم العثار بهيم *
 باقى الذماء اذا ملكت مناقل * واذا جمعت به أجش مریم
 والضب اذا خدع فى حجره وصف عند ذلك بالخبت والمكر ولذلك قال الشاعر
 وان لنا شيخين لا ينفعاننا * غنيين لا يجدى علينا غناهما
 كأنهما ضبان ضبا مغارة * كبيران غيدا قان صفر كشاهما
 فان يختلا لا يؤخذان فى حباله * وان يرصدا يوما يحب راصداهما
 ولذلك شبهوا الحقد الكامن فى القلب الذى يسري ضرره وتدب عقارب بالضب
 فسموا ذلك الحقد ضبا قال معن بن أوس

* ألا من لمولى لا يزال كأنه * صفا فيه صدع لا يدانيه شاعب
 تدب ضباب الفس تحت ضلوعه * لاهل الندى من قومه بالعقارب
 ﴿وقال أبو دهل الجهنى﴾

واعلم بانى لمن عاديت مضطغن * ضبا وانى عليه اليوم مجسود
 وأنشد ابن الاعرابى

يارب مولى جاهد مباحض * على ذى ضغن وضب فارض
 له قروء كقروء الحائض

كانه ذهب الى ان جفده يخبو تارة ثم يستعر ثم يخبو ثم يستعر وقال ابن ميادة
 وضرب المثل بنفخ الضب وثبته
 فان لقيس من بغيض أقاصيا * اذا أسد كشت لعجز ضبابها
 وقال الآخر

فلا يقطع الله اليمين التى طشت * حجاجى منيع بالغانم دم سحلا
 ولو كنت أعلى ذى رميث حبلىها * إذا ظل يعطو من حبالكم حبلا
 والضب يوصف بشدة الكبر ولا سيما إذا اخصب وأمن وصار كما قال عبيدة بن
 الطبيب فانه ضرب به المثل حيث يقول ليحيى بن هزال :
 لا أعرفك يوم الورد ذالقط * ضخم الجزارة بالسدين وكار

وما كنت ممن يخرج النمر ضفته * ولا أنا ممن يزدهيه وعيد
وقال بشر بن المعتز في قصيدته التي ذكر فيها آيات الله تعالى في صنوف خلقه مع
ذكر الأباضية والرفضة والحشوية والناطقة فقال فيها

وهقلة ترتاع من ظلمها * لها عرار ولها زمر
وضبة تأكل أولادها * وعتران بطنه صفر
فلوترى الضب وتأذينه * منجم ليس له فكر
وظيبة تخضم في حنظل * وعقرب يعجبها النمر
﴿ وقال أيضا بشر في قصيدة له أخرى ﴾

أما ترى الهقل وامعاه * يجمع بين الصخر والجمر
وفارة البيش على بيشها * احرص من ضب علي تمر
﴿ وقال أبو دارة وقد رأيته أنا وكان صاحب فنص ﴾

وما النمر إلا آفة وبلية * على جل هذا الخلق من ساكني البحر *

وفي البر من ذئب وسمع وعقرب * وتدملة تسمى وخنفسة تسري
وقد قيل في الأمثال إن كنت راعيا * عذيرك إن الضب يختل بالنمر

وسنفسر معاني هذه الآيات إذا كتبنا القصيدتين على وجوههما بما يشتملان عليه
من ذكر الغرائب والحكم والتدبير والاعاجيب التي أودع الله تعالى أصناف هذا
الخلق ليعتبر معتبر ويفكر مفكر فيصير بذلك عافلا عالما وموحدا مخلصا والدليل
على ما ذكرنا من تفسير قولهم الضب أطول شيء ذمًا، قولهم أنه لأحيا من ضب لأن
حارثه ربما ذبحه فاستقصى فرى الاوداج ثم يدعه فربما تحرك بعد ثلاثة أيام وقال
أبو ذؤيب الهذلي

ذكر الورد بها وأجمع أمره * شوقا وأقبل حيه يتبع

فأبرهن حتوفهن فهارب * بذمائه أو ساقط متجمجم

وكان الناس يرون فهارب بذمائه يزيدون من الدم وكانوا يكسرون الدال حتى قال
الاصمعي بذمائه معجمة الذال مفتوحة وقال كثير

بينه وبين الارض يحبسها بعجب الذنب فاذا قبض الجاهل على أصل ذنبه لسمته
فيشتغل بنفسه ، فأما اهل المعرفة فان معه عويداً يحركه هناك فاذا زالت العقرب
قبض عليه ، وقال أبو الوجيه كذب والله من زعم ان الضبة تستنفر عقرباً ولكن
العقارب مسالمة للضباب لانها لا تعرض لبيضاها وفراخها والضب يأكل الجراد ولا
يأكل العقارب وأنشد قول النيمي الذي كان ينزل به الازدي أنه ليس الى الطعام
تقصد وايش به الا أنه قد صار به إلغا وأنيسا فقال

أتانس بي ونجرك غير نجري * كما بين العقارب والضباب

﴿ وأنشد ﴾

تجمعن عند الضب حتى كأنه * على كل حال اسود الجلد خففس
لان العقارب تألف الخنافس وأنشدوا للحكم بن عمرو البهراني

والوزغ الرقط على ذلها * تطاعم الحيات في الجحر

والخنفس الاسود من نجره * مودة العقرب في السر

لأنك لا تراهما أبداً الا ظاهرتين يطاعمان أو يتسايران ومتى رأيت مكنة أو اطلمت
على جحر فرأيت احدهما رأيت الاخرى قال ومما يؤكد القول الاول قوله

ومستنفر دون الثوبية عقرباً * لقد جئت مجرياً من الدهر اعوجا

ويقول حين لم يرض من الدهر أعوجا والمذكر الابداء تخالف عند الناس وتجاوزهم
وأنشدني ابن داحية ابن جزيمة بن دادعم عيسى بن زيد الذي يقال له ابن داد في
حديث طويل من احاديث العشاق

لئن خدعت حبا بسب مزعفر * فقد يخدع الضب المخادع بالتمر

لان الضب شديد العجب بالتمر فضرب مثلاً في الخبث والخديعة والذي يدل على ان
الضب والعقرب يعجبان بالتمر عجباً شديداً ما جاء في الأشعار من ذلك وأنشدني ابن
الاعرابي لابن دعي العجلي

سوى أنكم دربتم جفريتكم * على دربة والضب يختل بالتمر

فجعل صيده بالتمر كصيده بالحباله وأنشدني القشيري

القول في الحيات والخصلة الثالثة تكسب الحوائث بصيدها وهي تموت عندهم
سريماً والضب يشاركها في طول العمر ثم بالا كنفاء بالنسيم والتعيش ببرد الهواء
وذلك عند الهرم وفناء الرطوبات وتقصير الحرارة وهذه كلها عجب ثم اتخاذ الجحر
في الصلابة وفي بعض الارتفاع خوفاً من الانهدام وسيل المياه ثم لا يكون ذلك
الا عند علم يرجع اليه ان هو أضل جحره ولو رأى بالقرب تراباً متراكباً بقدر تلك
المزادة والصخرة لم يحفل بذلك فهذا كله كيس وحزم وقال الشاعر

سقى الله أرضاً يعلم الله أنها * غذية بطن القاع طيبة البقل
يذود بها بيتاً على رأس كدية * وكل امرئ في حرفة العيش ذوقه

وقال البطين

وكل شيء مصيب في تميمه * الضب كالنور والانسان كالسبع
ومن أعاجيبه ان له ايرين وللضبة حرين وهذا شيء لا يعرف الا لها فهذا قول
الأعراب وأما قول كثير من العلماء ومن نقب في البلاد وقرأ الكتب فانهم يزعمون
ان للسقنتور ايرين وهو الذي يتداوي به العاجز عن النكاح ليورثه تلك القوة ، قال
والحردون أيضاً ايرين وانهم عاينوا ذلك معاينة وآخر من زعم لي ذلك موسى بن
ابراهيم والحردون ذوية تشبه الحرباء تكون بناحية مصر وما والاها وهي ذوية
مليحة موشاة بالوان ونقط وقال جالينوس الضب الذي له لسانان يصلح لحمه لكذا
وكذا فهذه أيضاً أعجوبة أخرى في الضب وان يكون بمضه ذا لسانان وذا ايرين
ومن أعاجيب الضبة أنها تأكل أولادها وتجاوز في ذلك خلق الهرة حتى قالت
الأعراب أعق من ضب، وزعمت العرب انه يعد العقرب في جحره فاذا سمع صوت
الحرش استنهفها فالصقها بأصل عجب الذنب من تحت وضم عليها فاذا أدخل الحارث
يده ليقبض على أصل ذنبه لسمته العقرب وقال علماءهم بل هي تهى العقارب في
جحرها لتسمع الحارث اذا أدخل يده ، وقال أبو المنجد بن رويشد رأيت الضب احرز
دابة في الارض على الحر تراه أبداً في شهر ناجر بباب جحره متداخلاً يخاف ان
يقبض قابض بذنبه فربما أتاه الجاهل ليستخرجه وقد أتى بعقرب فوضه تحت ذنبه

أبو سليمان ولكن الضب يأكل بعره وهو طيب عنده وأنشد

يمود في تبعه حدثان مولده * فان أسن تغذى نجوه كلفا

قال وقال ابان بن لقيط التبع التي، ولكا ماروينا هكذا انما قال يمود في رجمه وكذلك الضب يأكل رجمه وزعم أصحابنا أن أبا المنجوف السدوسي زوى عن أبي الوجيه المكنى قوله

وأفطن من ضب اذا خاف حارشا * أعذله عند التلبس عقربا

— جملة القول في نصيب الضباب من الاعاجيب والغرائب —

أول ذلك طول الدماء وهو بقية النفس وشدة انغماد الحياة والروح بعد الذبح وهشم الرأس والظمن الجائف النافذ حتى يكون في ذلك أعجب من الخنزير ومن الكلب ومن الخنفساء وهذه الاشياء التي قد تفردت بطول الدماء ثم شارك الضب الوزغة والحية فان الحية تقطع من ثلث جسمها فتعيش ان سلت من الذر فجمع الضب الخصلتين جميعاً الا ما رأيت في دخال الاذن من هذه الخصلة الواحدة فاني كنت اقطعه بنصفين فيمضي أحد نصفيه يمناً والآخر يسرة الا اني لا أعرف مقدار بقائهما بعد ان قاتا بصري، ومن أعاجيبه طول العمر وذلك مشهور في الاشعار والأخبار ومضروب به المثل فشارك الحيات في هذه الفضيلة وشارك الافعى الرملية والصخرية في أنها لا تموت خنق أنفها وليس الا أن تقتل أو تصطاد فتبقى في جون الحوائثين تذليها الا يبدى وتكره على الطعم في غير أرضها وهوائها حتى تموت أو تحملها السيول في الشتاء وزمان الزمهرير فما أسرع موتها حينئذ لأنها صردة وتقول العرب أصرد من حية كما تقول أعدى من حية وقال القشيري والله امي أصرد من حية حرباء وحتونها التي تسرع اليها ثلاثة أشياء أحدها سرور أقاطيع الأبل والشاء وهي منبسطة على وجه الارض املا تشرق نهراً في أوائل البرد وأما لتبرد ليلاً في ليالي الصيف وإما لخروجها في طلب الطعم والخصلة الثانية ما سلط عليها من الغنائد والأوعال والورل فانها تطالبها مطالبة شديدة وتقوى عليها قوة ظاهرة والخنازير تأكلها وقد ذكرنا ذلك في باب

ينشب في المسلك عند سلته * تزام الضب عصافي كديته
قال والدليل على أن الضب يأكل ولده قول عمار بن عقيل لابي
أكلت بذك أكل الضب حتي * وجدت مرارة الكلاء الويل
فلو أن الأولى كانوا شهوذاً * منعت فناء بيتك من بحيل
﴿وانشد غيره﴾

أكلت بذك أكل الضب حتي * تركت بذك ليس لهم عديد
وقال عمرو بن مسافر عبت على أبي يوما في بعض الامر فقلت
كيف ألوم أبي طيشا ليرحمي * وجده الضب لم يترك له ولدا
﴿وقال خدش بن زهير﴾

فان ستمم بحيش سالك اشرفا * أوبطن قوتا خفوا الحس واكتموا
ثم ارجعوا فاكبوا في بيوتكم * كما أكب على ذى بطنه الهرم
جملة هرما لطول عمره وذى بطنه ولده وقال أبو بكر بن أبي خافة رضي الله تعالى
عنه اني كنت نحاك سبعين وسقاً من مالى بالعالية وانك لم تحوزيه وانما هو مال
الوارث وانما هو أخوك وأختك قالت ما أعرف لى أختا غير أسماء قال انه قد أتى
في روعي أن ذا بطن خارجة جارية قال آخرون ولم يمن بذي بطنه ولده ولكن الضب
يرمي ما أكل أي بقي، ثم يرجع فيأكله فذلك هو ذو بطنه فشهروه في ذلك بالكاب
والسبور، وقال عمرو بن مسافر ما عني الأولاده فكان خدشا قال ارجعوا عن
الحرب التي لا تستطيعونها الى أكل الذرية والعيال قال وقال أبو سليمان الفروي ابرأ
الى الله تعالى من أن تكون الضبة تأكل أولادها ولكنها تدفونهم وتضم عليهم التراب
وتعدهم في كل يوم حتى يخرجون وذلك في ثلاثة أسابيع غير ان الثعالب والظربان
والطير تحفر عنهم فناكلهم ولو أفلت منهم كل فراخ الضباب لما لأن الارض جميعا
، ولو أن انسانا نحل أم الدرداء أو معاذة العدوية أو رابعة القيسية أنهم يأكلن أولادهم
لما كان عند أحد من الناس من انكار ذلك ومن التكذيب عنهم ومن استعظام هذا القول
أكثر مما قاله أبو سليمان في التكذيب على الضباب أن تكون تأكل أولادها، قال

اتخاذ البيوت لان اتخاذها لا يكون الا بالحفر والورل يبق برائته ويعلم انها سلاحه الى
 بها يقوى على ما هو اشد بدنا منه وله ذنب يؤكل ويستطاب كثير الشحم والاعراب لا
 يصيدون يربوعا ولا قنفذاً ولا ورلا من أول الليل وكذلك كل شئ يكون عندهم من
 مطايا الجن كالنعام والظباء ، ولا تكون الارنب والضبع من مراكب الجن لان الارنب
 تحيض ولا تغتسل من الحيض والضباع تركب أبور الفتلى والموتى اذا جيفت أبدانهم
 وانفخوا وانفخوا ثم لا تغتسل عندهم من الجنابة ولا جنابة الا ما كان للانسان فيه
 شرك ولا تمتطي القرد لان القرد زان ولا يغتسل من جنابة فان قتل الاعرابي قنفذاً
 أو ورلا من أول الليل أو بعض هذه المراكب لم يأمن على خُل ابله و حتى اعتراه
 شئ يحكم بأنه عقوبة من قبلهم ، قالوا ويسمعون الهاتف عند ذلك بالنى وبضروب
 الوعيد وكذلك يقولون في الجن من الحيات وقتل الجن عندهم عظيم ولذلك رأى
 رجل منهم جانا في قعر بئر لا يستطيع الخروج منها فنزل على خطر عظيم حتى
 أخرجهما ثم أرسلها من يده فانسابت وغمض عينيه لكي لا يرى مدخلها كأنه يريد
 الاخلاص في التقرب الى الجن قال المازنى فأقبل عليه رجل فقال له كيف يقدر على
 اذاك من لم ينقذه من الاذى غيرك ، وقال ثلاثة أشياء لا يتم بها التدبير اذا دخلت
 الاسراب والأنفاق والمكالم والواج حتى يغص بها الخرق فمن ذلك أن الظرباء اذا
 أراد أن يأكل حسل الضب أو الضب نفسه اقتحم جحر الضب مستدبراً ثم التمس
 أضيق موضع فيه فاذا وجده قد غص به وأيقن أنه قد حال بينه وبين النسيم فسا
 عليه فليس يجاوز ثلاث فسيات حتى يغشى على الضب فيأكله والاخر الرجل اذا دخل
 وجار الضبع ومعه حبل فاذا لم يسد ببدنه وبشوبه جميع المخارق والمنافذ ثم وصل الى الضبع
 بمقدار سم الابرة وثبت عليه فقطعته ولو كان اشد من الاسد والثالث أن الضب اذا
 أراد أن يأكل حسوله وقف لها من جحرها في أضيق موضع من منفذه الى خارج
 فاذا أحكم ذلك بدأ فأكل منها فاذا امتلأ جوفه انحط عن ذلك المكان شيئاً قليلاً فلا
 يفلت منه شئ من ولده الا بعد أن يشبع ويحول عن موضعه فيجد منفذاً ، وقد قال
 بعض الأعراب

وقد اكلت اظفاره الصخر كلما * تعايا عليه طول مرقا توصلا
وقد وصفوا الضب كما ترى بأنه لا يحفر الا في كدية وبطيل الحفر حتى تفني برائه
ويتوخي به الارتفاع عن مجارى المياه وعن مدق الحوافر لكيلا ينهار عليه بيته ولما
علم أنه نساء سبي الهداية لم يحفر وجاره الا عند أكمة أو صخرة أو شجرة ليكون متى
تباعد من جحره لطلب الطم أو لبعض الخوف رآه فأحسن الاهتمام الى جحره ولأنه
إذا لم يتم علما فله أن يلبح عليه ظربان أو ورل فلا يكون دوناً كله له شيء فقالت العرب
خب ضب وأخب من ضب وأخدع من ضب وكل ضب عند مرداته وإذا خدع في
زوايا حفيرته فقد توثق لنفسه عند نفسه ولهذا العلة اتخذ اليربوع القاصعاء والناقعاء
والدماة والراطاء وهي أبواب قد اتخذها الحفيرة فتى أحس يشئ خالف تلك
الجهة الى الباب ولهذا وشبهه من الحذر كان التوير من الارانب وأشباهاها والتوير
أن تطأ على زمعاتها فيعرف الكلب والغائف من أصحاب القنص آثار قوائمها ولما أشبه
هذا التدبير صار هذا الظبي لا يدخل كناسه الا وهو مستدير يستقبل بعينه ما يخافه
على نفسه وخشفه وقد جمع يحيى بن منصور الذهلي أبواباً من حزم الضب وخشفه
وتدبيره الا أنه لم يرد تفضيل الضب في ذلك ولكنه بعد ان قدمه على حمقاء الرجال
قال فكيف لو فكرتم في حزم اليربوع والذئب وأنشدنى فضال

وبعض الناس أقص رأى حزم * من اليربوع والضب المكون
يرى مرداته من رأس ميل * ويأمن سليل بارقة هتون
ويحفر في الكدى خوف انهيار * ويجهل مكره رأس الوجين
وبخدع ان أردت له احتيالا * رواغ الفهد من أسد كمين
ويدخل عقرباً تحت الذنابي * ويعمل كيد ذى خدع طين
فهذا الضب ليس بذي حريم * مع اليربوع والذئب اللعين
وقد ذكر يحيى جميع ما ذكرنا الا احتياله باعداد المقارب لكف المحترش وانه لم يذكر
هذه الحيلة من عمله وسند ذكر ذلك في موضعه والشعر الذى يكتب له ذلك كثير فهذا
شأن الضب في الحفر واحكام شأن منزله، ومن كلام العرب أن الورل انما يمنع من

ذلك أبلغ في تزكية الشاهد وأنور للبرهان وأسلاً للنفس وأتمها بحسن الوصف
وأحمد له لان جملة الكتاب على حال مشتملة على جميع المحجج ومحيطه بجميع تلك
البرهانات وان وقع بمضه في مكان بمض وتأخر متقدم وتقدم متأخر، قالوا من كس
الضرب أن لا يتخذ جهره الا في كدية وهو الموضع الصاب أو في الارتفاع عن المسيل
والبسيط ولذلك توجد برائته ناقصة كلية لانه يحفر في الصلابة ويعمق الحفر ولذلك
قال خالد بن الصيفان

وولي كولي الزبرقان حملته * كجحات ساق تهاض بها كسر
اذا ما أحالت والجبائر فوقها * مضى الحول لبرء مبين ولا جبر
تراه كأن الله يجمع أنفه * وأذنيه ان مولاه ناب له وفر
ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه * كضرب القرى أفنى برائته الحفر
﴿ وقال كثير ﴾

فان شئت قلت له صادقاً * وجدتك بالف ضبا حجولا
من اللأني يحفرن تحت الكدي * ولا يتغين الدماث السهولا
﴿ وقال دريد بن الصمة ﴾

وجدنا أبا الجبار ضبا مورشاً * له في الصفاة برثن ومعاول
له كدية أعيت على كل قانص * ولو كان منهم حارشان وحابل
ظلمات أراعى الشمس لولا ملائتي * تزلع جلدى عنده وهو قائل
وأنشد أيضا لدريد بن الصمة

وعوراء من قيل امرئ قد رددتها * بسالمة العيين طالبة عذرا
ولو اتى اذ قالها قلت مثلها * وأكثر منها اورث بيننا غمرا
فأعرضت عنها وانتظرت به غداً * لعل غداً يبدى لمنتظر أمرا
لأخرج ضبا كان تحت ضلوعه * وأقلم أظفاراً أطال بها الحفرا
وقال أوس بن حجر في كل الصخر للأظفار

فأشرك فيها نفسه وهو معصم * وألقى بأسباب له وتوكلا

أشك قال المكي وأنا لا أكاد أوقن ففخر عليه المكي بالشك في مواضع الشك كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين وقال أبو اسحاق نازعت الملحدين والشكاك فوجدت الشكاك أبصر بجوهر الكلام من أصحاب الجحود وقال أبو اسحاق الشاك أقرب إليك من الجاحد ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ولم ينتقل أحد عن اعتقاد الي اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك وقال أبو الجهم ما أطمعني في أوبة المنحير لأن كل من اقتطعته عن اليقين الحيرة فضالته اليقين ومن وجد ضالته فرح بها وقال عمرو بن عبيد تقرير لسان الجاحد أشد من تعريف قلب الجاهل وقال أبو اسحاق إذا أردت أن تعرف مقدار الرجل المالم وفي أي طبقة هو وأردت أن تدخله الكبير وتنفخ عليه ليظهر لك فيه الصحة من الفساد أو مقداره من الصحة والفساد فكُن عالماً في صورة متعلم ثم أسأله سؤال من يطعم في بلوغ حاجته منه والعوام أقل شكوكاً من الخواص لأنهم لا يتوقفون في التصديق ولا يربطون بأنفسهم فليس عندهم إلا الاقدام على التصديق المجرد أو على التكذيب المجرد وأنفوا الحال الثالثة من حال الشك التي تشتمل على طبقات الشك وذلك على قدر سوء الظن وحسن الظن بأسباب ذلك وعلى مقادير الاغلب وسمع رجل ممن قد نظر بعض النظر تصويب العلماء لبعض الشكاك بأجراء ذلك في جميع الامور حتى زعم أن الامور كلها يعرف حقا وباطلها بالاغلب وقدمات ولم يخلف عقبا ولا واحداً يدين بدينه فلو ذكرت اسمه مع هذه الحال لم أكن أسأت ولكني على حال أكره التنويه بذكر من تحرم بحرمة الكلام وشارك المتكلمين في أسماء الصناعة ولا سيما ان كان ممن ينتحل تقديم الاستطاعة فأما الفول في الاوعال والتبائل والايائل وأشبهه ذلك فلم يحضرنا فيها ما نجعل لذكرها باباً مبوباً ولكننا سنذكرها في مواضع ذكرها من تضاعيف هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

❦ الضب ❦

وأنا مبتدئ على اسم الله تعالى في القول في الضب على أني اذم هذا الكتاب في الجملة لأن الشواهد على كل شيء وقعت متفرقة غير مجمعة ولو قدرت على جمعها لكان

الحاجة وطول المداومة رقة الاذهان وجودة الحفظ ولذلك قال مجنون من الاعراب
لما قال له أبو الاصبع بن ربي أما تعرف النجوم قال ومالي لا أعرف من لا يعرفني فلو
كان لهذا الاعرابي المجنون مثل عقول أصحابه لعرف مثل ما عرفوا ولو كان
عندي في أبدان السمور والفنك والقيام ماعندي في أبدان الارانب والثعالب دون
فرائها لذكرتها بما قل أو أكثر لكنه لا ينبغي لمن قل علمه أن يدع تعليم من هو أقل منه
علما ولو كانت الدساس من أصناف الحيات لم نخصها من بينها بالذكور ولكنها وان
كانت على قالب الحيات وخرطها وأفرغت كافراغها وعلى عمود صورها درت
خصائصها كما يناسبها في ذلك الخفات والعربد وليس من الحيات كما ان هذا ليس من
الحيات لان الدساس ممسوحة الاذن وهي مع ذلك مما يلد ولا يبيض والمعروف في
ذلك ان الولادة هي في الاشراف والبيض في الممسوح وقد زعم ناس ان الولادة
لا تخرج الدساس من اسم الحية كما ان الولادة لا تخرج الخفاش من اسم الطير وكل
ولد يخرج من بيضه فهو فرخ الاولد يبيض الدجاج فانه فروج والاصناف التي
ذكرناها مع ذكر الضب تبيض كلها أو يسمى ولدها بالاعم فرخا وزعم لي ابن أبي
اليجوز ان الدساس تلد وكذلك خبرني به محمد بن أيوب بن جعفر عن أبيه وخبرني به
الفضل عن اسحاق بن سليمان فان كان خبرهما عن اسحاق فقد كان اسحاق في معادن
العلم وقد زعموا بهذا الاسناد ان الاروية تضع مع كل ولد وضعته أنثى في مشيمة
واحدة وقال الآخرون الاروية لا تعرف بهذا المعنى ولكنه ليس في الارض غمرة
الاوهي تضع ولدها وفي عنقها أنثى في مكان الطوق وذكروا أنها تنش وتعض
ولا تقتل ولم اكتب هذه للتقوية ولكنها آية أحبيت أن تسمعها ولا يمجيني الافرار
بهذا الخبر وكذلك لا يمجني الانكار له ولكن ليكن قلبك الى انكاره أميل وبعد
هذا فاعرف موضح الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بهامواضع اليقين والحالات
الموجبة له وتعلم الشك في المشكوك فيه تماما فلو لم يكن ذلك إلا لتعرف التوقف ثم
التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج اليه ثم أعلم ان الشك في طبقات عند جميعهم ولم
يجمعوا على أن اليقين طبقات في القوة والضعف ولما قال أبو الجهم للمكي أنا لا أكاد

مقلّاس وكلاس وسلططير وحلفطير وأشباه ذلك حين لم يكن من السباع الاصلية المشهورة النسب والمعروفة بالنفع والضرر وقد ذكرنا منها ما كان مثل الضبع والسبع والمسبار اذ كانت معروفة عند الاعراب مشهورة في الاخبار منوها بها في الاشعار وانما اعتمد في مثل هذا على ما عند الاعراب وان كانوا لم يعرفوا شكل ما احتيج اليه منها من جهة العلابة والغلابة ولا من جهة التذاكر والتكسب ولكن هذه الاجناس الكثيرة ما كان منها سبعا أو بهيمة أو مشترك الخلق فانما هي مبثوثة في بلاد الوحش من صحراء أو واد أو غائط أو غيضة أو رملة أو رأس جبل وهي في منازلهم وماشيتهم فقد نزلوا كما ترى بينها وأقاموا معها وهم أيضا من بين الناس وحش وأشباه الوحش وربما بل كثيرا ما يبتلون بالناب والمخاب والدغ واللسع والعض والأكل فخرجت بهم الحاجة الى تعرف حال الجاني والجارج والقاتل وحال المجني عليه والمجروح والمقتول وكيف الطاب والحرب وكيف الداء والدواء لطول الحاجة ولطول وقوع البصر مع ما توارثون من المعرفة بالداء والدواء ومن هذه الجهة عرفوا الآثار في الارض والرمل وعرفوا الانواء ونجوم الاهتداء لان كل من كان بالصحرى صاح الاماكن حيث لا أمانة ولا هادي مع حاجته الى بمد المشقة مضطرا الى التماس ما ينجي ويؤديه وحاجته الى الغيث وفراره من الجذب وضنه بالحياة اضطرته الحال الى تعرف شأن الغيث ولانه في كل حال يري السماء وما يجري فيها من كوكب وبري النعاقب بينها والنجوم الثوابت فيها وما يصير منها مجتمعا وما يصير مفترقا وما يصير منها باردا وما يكون منها راجما ومستقيما ، وسئلت اعرابية فقيل لها أتعرفين النجوم قالت سبحان الله اما أعرف أشباحا وقوفا على كل ليلة وقال اليعقوبي وصفت اعرابية لبعض أهل الحاضرة نجوم الانواء ونجوم الاهتداء ونجوم ساءات الليل والسود والنحوس فقال قائل لشيخ عبادي كان حاضرا أما ترى هذا الاعرابي يعرف من النجوم مالا يعرف قال ويل أمك من لا يعرف أجزاء بيته قال وقلت لشيخ من الاعراب قد خرف وكان من دهاتهم اني لا اراك عارفا بالنجوم قال أما انها لو كانت أكثر لكنت بشأنها أبصر ولو كانت أقل لكنت لها أذكروا أكثر سبب ذلك كله بمد فرط

شب وظن أنه يكون أغنى غناء من الكلب وأقوى على الذب عن الماشية فلما قوى شيئا وثب على شاة فذبحها وكذلك يصنع الذئب ثم أكل منها فلما أبصر الرجل أمره قال أكلت شويهي وربيت فينا * فمن أنباك أن أباك ذيب

وقد أنكر ناس من أصحابنا هذا الحديث وقال لم يكن ليألفه ويقيم معه بعد أن اشتد عظمه ولم يذهب مع الذئب والضباع ولم تكن البادية أحب إليه من الحاضرة والفغار أحب إليه من المواضع المأنوسة وليس يصبر السبع من هذه الاجناس أو الوحشى من البهائم أهليا بالمقام فيهم وهو لا يقدر على الصحارى وإنما يصير أهليا اذا ترك منازل الوحوش وهي له معرصة وقد تتسافد وتتوالد فى الدور وهي بعد وحشية وليس ذلك فيها بامام ، ومن الوحش ما اذا صار الى الناس وفى دورهم ترك السفاد ومنها ما لا يطعم ولا يشرب البتة بوجه من الوجوه ، ومنها ما يكره على الطعم ويدخل فى حلقه ومنها ما لا يسفد ولا يدجن ولا يطعم ولا يشرب ولا يصبح حتى يموت وهذا المعنى فى وحشى الطير أكثر ، والذي يحكى عن السوراني القناص الجبلي ليس بناقض لما قلنا لان الشئ الغريب والنادر الخارجى لا يقاس عليه وقد زعموا أنه بلغ من حذقه بتدريب الجوارح وتضريتها أنه ضرى ذئبا حتى اصطاد به الظباء وما دونها صيدا ذريما وأنه ألفه حتى رجع اليه من ثلاثين فرسخا وقد كان بعض المال سرقه منه وقد ذكروا أن هذا الذئب صار الى العسكر وأن هذا السوراني ضرى أسدا حتى اصطاد له الحمير فما دونها صيدا ذريما وأنه ضرى الزناير فاصطاد بها الذبان وكل هذا عجب وهو غريب نادر بديع خارجى وذكر أنه من قيس عيلان وأن حليلة طائر النبي صلى الله عليه وسلم قد ولدته وليس عندى فى الحمار الهندى شئ وقد ذكره صاحب المتطق ، فأما الذئب وفارة المسك والقمام والسنجاب والسمور وهذه الدواب دواب الفراء والوبر الكثيف الناعم والمرغوب فيه والمتنفع به فهي عجيبه وإنما يذكر ما يرفه أصحابنا وعداؤنا وأهل باديئتنا ألا ترى أنى لم أذكر الجربش والرجس ولا هذه السباع المشتركة الخلق المتولدة فيما بين السباع المختلفة الاعضاء المتشابهة الارحام النبي اذا صار بعضها فى أبدى القرادين والمكتسبين الطوافين وضموها لها أسما فقالوا

في بطن شبوطة قط بيضا وأنا أخبرك أني قد وجدته فيها مراراً ولكني وجدتها
أصغر جثة وأبعد من الطيب ولم أجده عالماً كما أجده في بطون جميع السمك فهذا قول
أبي وإثالة إياس بن معاوية المزني الفقيه القاضي وصاحب الأزكان وأفوق من كور بن
علقمة وداهية مضر في زمانه ومفخر من مفاخر العرب فكيف أسكن بعد هذا إلى
أخبار البحريين وأحاديث السماكين وإلى ما في كتاب رجل لعله أن لو وجد هذا
المترجم أن يقيمه على المصطبة ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه ومن أفساد معانيه
بسوء ترجمته والذي حضرني من أسماء الحشرات مما يرجع عمود صورها إلى قالب
واحد وإن اختلفت بعد ذلك في أمور فأول ما يذكر من ذلك الضب والاجناس
التي ترجع إلى صورة الضب والورل والحرباء والوحوة والحللكة وشحمة الأرض والفيلم
والتمساح وما أشبه ذلك ونحن قائلون في شأنه من الخضرات الطربان والعت
والخففات والعرقند والمطرفوط والوبر وأم حنين والجمل والقربا والدساس والخنفساء
والحية والعقرب والشيت والترنيل والطبوع والحرقوص والدلم وقلة الذسر والمثل
والضمخ والقنفذ والنمل والذر والدساس تتشاكل في وجوه وتختلف من وجوه
كالقارة والجردان والرمك والخلد واليربوع وابن عرس وابن مقرص والذبر وهو
دوبة إذا دب على جلد البعير تورم ولذلك يقول الشاعر وهو يصف ابله بالسمن

كأنها من بدن واستيشار * دب عليها ذربات الأنبار

ومنها العقور الذي يقال له متونه وهي شرمق الجرادة والسمخ وسنقول في الاجناس
التي يكون في الجنس منها الوحشي والاهلي كالفيلة والخنزير والتمر والحير والسنانير
والظباء قد تدجن وتولد على صهوة فيها وليس في أجناس الابل جنس وحشي الا في
قول الاعراب ومما يكون أهلياً ولا يكون وحشياً فهي كالكلاب ولا يتوحش منها الا
الكلاب وأما الضباع والذئب والاسد والنمور والبيور والثعالب وبنات آوي فوحشية
كلها وقد يعلم الاسد وينزع نابه ويطول نواؤه مع الناس حتى يهرم مع ذلك ويحس
بمجزه عن الصيد ثم هو في ذلك لا يؤمن عرامه ولا شروده ان انفرد عن سواه
وأبصر غيضة قد امها صخر صار فيها وقد كان بعض الاعراب يجر وذئب حتى

من قال في تقديم الآخر فأما الابواب الآخر كفضل الملك على الانسان وفضل الانسان على الجان وهي جملة القول في اختلاف جواهرهم وفي أي موضع يتشاكلون وفي أي موضع يختلفون فإن هذه الابواب من الابواب المعتدلة في القصر والطول وليس من هذه الابواب باب الا وقد يدخله تنف من ابواب آخر على قدر ما يتعلق به من الاسباب ويعرض فيها من التضمير ولعلك ان تكون بها أشد انتفاعا، وعلى أنى ربما وشحت وفصلت فيه بين الجزء والجزء بنوادر كلام وطرف أخبار وخرر أشعار مع طرف مضاحك ولولا الذي نحاول من استعطافك على استمتاع انتفاعكم لقد كنا سجعنا وسجعنا شأن كتابنا، هذا اذا علم الله تعالى موقع النية وجهة القصد أعان على السلامة من كل مخوف ولم نجعل لما يسكن الملح والعذوبة والانهار والادوية والمنافع والمياه الجارية من السمك ومما يخالف السمك مما يعيش مع السمك بابا مجرد لاننى لم أجده في أكثره شعرا يجمع الشاهد ويوثق منه بحسن الوصف وينشطه بما فيه من غير ذلك للقراءة ولم يكن الشاهد عليه الا أخبار البحرين وهم قوم لا يعدون القول في باب العمل وكلما كان الخبر أغرب كانوا به أشد عجباً مع عبارة غثة وخارج سمجة وفيه عيب آخر وهو ان معه من الطول والكثرة مالا يتحملونه ولو غناكم بجميعه مخارق وضرب عليه زلزل وزمر عليه برصوما فلذلك لم أترض له وقد أكثر في هذا الباب أرسطاطاليس ولم أجده في كتابه وقد قلت لرجل من البحرين زعم أرسطاطاليس ان السمكة لا تبلى الطم أبداً الا ومعه شئ من ماء مع سعة المدخل وشره النفس فكان من جوابه ان قال لي ما علم هذا الا من كان سمكة أو أخبرته به سمكة أو حدثه بذلك الحواريون أصحاب عيسى فانهم كانوا صيادين وكانوا تلامذة المسيح وهذا البحري صاحب كلام وهو يتكلف معرفة العلم وهذا كله جوابه ولكنى لم أقنع بذلك بعض ما وجدته في الأشعار والاخبار اذا كان مشهوراً عند من ينزل الاسياق وشطوط الادوية والانهار ويعرفه السماكون ويقربه الاطباء بقدر ما يمكن من القول وقد روى لنا غير واحد من أصحاب الاخبار أن اياس بن معاوية زعم ان الشبوط كالغفل وأن أمهارة وأباهها بحري وأن من الدليل على ذلك أن الناس لم يجدوا

العمل في أنفس السباع وسند كرم علة التسالم وعلّة التعادي ولم طبع رؤساء السباع على الففلة وبعض ما يدخل في باب الكرم دون صفات السباع وسفلتها وحاشيتها وحشوها وكذلك أوساطها والمعدلة الآلة والاسر ولم نذكر بحمد الله تعالى شيئاً من هذه الغرائب وطريفة من هذه الطرائف الا ومعها شاهد من كتاب منزل أو حديث مأثور أو خبر مستفيض أو شعر معروف أو مثل مضروب أو يكون ذلك مما يستشهد عليه الطبيب أو من أكثر من قراءة الكتب أو بعض من قد دارس الاسفار وركب البحار وسكن الصحاري واستدري المضارب ودخل في الفياض ومشى في بطون الاودية وقد رأينا أنوما يدعون في كتبهم الغرائب الكثيرة والامور البديعة ويخاطرون من أجل ذلك بمررتهم ويعرضون بأقذارهم ويسلطون السفهاء على أعراضهم ويجرون سوء الظن الي أخبارهم ويحكمون حساد النعم في كتبهم ويمكنون لهم من مقاليدهم وبعضهم ينظر على حسن الظن بهم أو على التسليم لهم والتقليد لدعواهم وأحسنهم حالاً من يجب أن يتفضل عليه ببسط العذر له ويتكلف الاحتجاج عنه ولا ينافي أن يمن بذلك على عقبه أو من دان بذنيه أو اقتبس ذلك العلم من قبل كتبه ونحن حفظك الله تعالى اذا استنطقنا الشاهد وأحلنا على المثل فالخصوصة معينة انما هي بينهم وبينها اذ كنا نحن لم نستشهد الا بما ذكرنا وفيما ذكرنا مقنع عند علمائنا الا أن يكون شيء يثبت بالقياس أو يبطل بالقياس فواضع الكتاب ضامن لتخليصه وتلخيصه وتبينه واظهار خفيه فأما الابواب الكبار فمثل القول في الابل والقول في فضيلة الانسان على جميع الحيوان كفضل الحيوان على جميع النامي وفضل النامي على جميع الجماد وليس يدخل في هذا الباب القول فيما قسم الله لبعض البقاع من التعظيم دون بعض ولا لما قسم من الساعة والايالي والايام والشهور وأشياء ذلك لانه معني يرجع الى المخبرين بذلك من الملائكة والجن والآدميين فمن الابواب الكبار القول في فضل ما بين الذكورة والاناث وفي فضل ما بين الرجل والمرأة خاصة وقد يدخل في القول في الانسان ذكر اختلاف الناس في الاعمار وفي طول الاجسام وفي مقادير العقول وفي تفاضل الصناعات وكيف قال من قال في تقديم الاول وكيف قال

الصادقة والتدابير الحسنة ومن الروبة والنظر في العاقبة والاختيار لكل ما فيه صلاح
 المباشرة ومع ما فيها من البرهانات النيرة والحجج الظاهرة وكذلك خلق السرفة
 وعجيب تركيبها وصنعة كنفها ونظرها في عواقب أمرها وكذلك خلق النحلة مع ما فيها
 من غرائب الحكم وعجائب التدبير ومن التقدم فيما يعيشها والادخار ليوم العجز عن
 كسبها وشمها مالا يشم ورؤيتها لمالا يرى وحسن هدايتها والتدبير في التأخير عليها
 وطاعة ساداتها وتقسيط أجناس الاعمال بينها على اقدار معارفها وقوة أبدانها فهذه
 النحلة وان كانت ذبابة فانظر قبل كل شيء في ضروب انتفاع ضروب الناس فيها فانك
 تجدها أكبر من الجبل الشاخ والفضاء الواسع وكل شيء وان كان فيه من العجب
 العاجب ومن البرهان الناصع ما يوسع فكر العاقل ويملأ صدر المفكر فان بعض
 الأمور أكثر أعجوبة وأظهر علامة وكما تختلف برهاناتها في الغموض والظهور فكذلك
 تختلف في طبقات الكثرة وان شملت الكثرة ووقع عليها اسم البرهان ولعل هذا
 الجزء الذي يتبدى فيه بذكرها في الحشرات والهمج أن يفضل من ورقه شيء فرفعه
 ونتمه بجملة القول في الطياء والذئاب فانهما بابان يقصران عن الطوال ويزيدان على القصار
 وقد بقي من الابواب المتوسطة المقتصدة المعتدلة التي قد أخذت من القصر لمن طلب
 القصر بحظ ومن الطول لمن طلب الطول بحظ وهو القول في البقر والقول في الحمير
 والقول في كبار السباع وأشرافها ورؤسائها وذوى النباهة منها كالأسد والنمر والببر
 وأشباه ذلك مما يجمع قوة أصل الباب والذرب وشجر الفم والسمة وحدة البرثن وتمكنه في
 العصب وشدة القلب وصرامته عند الحاجة ووثاقه خلق البدن وقوته على الوثب وسننك
 تسالم المتسائلة منها وتعادي المتعادية منها وما الذي أصاح منها على السبعية الصرغ
 واستواء حالها في اقتيات اللحمان حتى ربما استوت فريستها في الجنس وقد شاهدنا غير
 هذه الاجناس يكون تماذيبها من قبل هذه الامور التي ذكرناها وليس فيما بين هذه
 السباع بأعيانها تفاوت في الشدة فتكون كالأسد الذي يطلب الفهد ليأكله والفهد
 لا يطعم فيه ولا يأكله فوجدنا التكافؤ في القوة والآلة من أسباب التفاضل وان ذلك
 يعمل في طباع عقلاء الانس حتى يخرجوا الى تهارش السباع فما بالهالم تعمل هذا

المضمر بما فيها ما أوجب ذكرها والأخبار عن جملة القول فيها وقد ذكرنا بقية القول في الفار ثم جملة القول في المصاير ثم جملة القول في الجرذان والسنانير والعقارب وجميع هذه الأجناس في باب اسبب سيمرفه من قرأه ويتبينه من رآه ثم القول في القمل والبراغيث والبعوض ثم القول في العنكبوت والنحل ثم القول في الجباري ثم القول في الضأن والمعز ثم القول في الضفادع والجراد ثم القول في القطا وقد بقيت إبقاك الله تعالى أبواب توجب الاطالة وتخرج الى الاطناب وليست باطالة مالم تجاوز مقدار الحاجة ووقف عند منتهى البغية وانما الالفاظ على اقدار المعاني فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها والمعاني المفردة الباشئة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ الى أقل مما تحتاج اليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة ولو جهد جميع أهل البلاغة ان يخبروا من دونهم عن هذه المعاني بكلام وجيز يفنى عن التفسير باللسان والاشارة باليد والرأس لما قدروا عليه ، وقد قال الأول اذا لم يكن ما تريد فرد ما يكون وليس ينبغي ان يسوم اللغات مما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في جبلتها ولذلك صار يحتاج صاحب كتاب المنطق الى ان يفسره ممن طاب من قبله علم المنطق وان كان المتعلم رقيق اللسان حسن البيان الا اني لا أشك على حال ان النفوس اذا كانت الى الطرائف أحن وبالنوادر أشغف والي قصار الاحاديث أميل وبها أصب أنها خليفة لاستعمال الكثير وان استعقت تلك المعاني الكثيرة وان كان ذلك الطويل أنفع وذلك الكثير أود ، وسنبدأ بعون الله تعالى وتأيد به بالقول في الحشرات والهمج وصغار السباع والمججولات الخالصة الذكر من البهائم ونجعل ذلك كله بابا واحداً ونشكل به صانع الله تعالى على ان ذلك الباب اذا كان أبوابا كثيرة باسماء مختلفة ان القارئ لها لا يعمل بابا حتى يخرج به الثاني الى خلافه وكذلك يكون مقام الثالث من الرابع والرابع من الخامس والخامس من السادس وليس الذي يعتمد عليه من شأن الحيوان عظم الجنة ولا كثرة العدد ولا ثقل الوزن والغاية التي يجري اليها والفرض الذي يوصي اليه غير ذلك لان خالق البعوضة وما فيها من عجيب التركيب ومن غريب العمل بخلق الذرة وما فيها من عجيب التركيب ومن الاحساس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب ❧ ❧ ❧

بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا فَضُولَ الْقَوْلِ وَالثِّقَةَ بِمَا عَنَدْنَا وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُسْكَفِينَ ، قَدْ قَلْنَا فِي الْخَطُوطِ وَمُرَافِقِهَا فِي غَمُومٍ مَنَافِعِهَا وَكَيْفَ كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَكَيْفَ اخْتَلَفَتْ صُورُهَا عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِ طِبَائِعِ أَهْلِهَا وَكَيْفَ صَارَ ضُرُوزُهُمْ إِلَى وَضْعِهَا وَكَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ الْخَلَّةُ عِنْدَ فَقْدِهَا وَقَلْنَا فِي الْعَقْدِ وَلَمْ تَكْافُوهَا فِي الْإِشَارَةِ وَلَمْ اجْتَلِبُوهَا وَلَمْ شَبِّهُوهَا جَمِيعَ ذَلِكَ بَيَانُ اللِّسَانِ حَتَّى سَمَوْهُ بِالْبَيَانِ وَلَمْ قَالُوا الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ وَالْعَيْنُ أَثَمٌ مِنَ اللِّسَانِ وَقَلْنَا فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْمُنَاطِقِ وَكَيْفَ صَارَ أَعْمَقُ نَفْعًا وَصَاوُ هُوَ الْأَصْلُ الْمَشْتَقُّ مِنْهُ وَالْمَحْتَمَلُ عَلَيْهِ وَكَيْفَ جَعَلْنَا دَلَالَةَ الْأَجْسَامِ الصَّامِتَةِ نَظْقًا وَالْبَرَهَانَ الَّذِي فِي الْأَجْرَامِ الْجَامِدَةِ بَيَانًا وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ الْقَوْلِ فِي الْكَلْبِ وَالْدِيكِ فِي الْجَزْءِ الْأَوَّلِينَ وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ الْقَوْلِ فِي الْحَمَامِ وَفِي الذَّبَابِ وَالْفَرَبَانِ وَالْخَنَافَسِ وَالْجُمَلَانِ إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ فَضُولِ الْقَوْلِ فِيهَا فَانَا قَدْ أَخْرَجْنَا ذَلِكَ لِدُخُولِهِ فِي بَابِ الْحَشَرَاتِ وَصَوَابِ مَوَاقِعِهَا فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْمَهْمِجِ فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ وَإِذَا سَمِعْتَ مَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَظِيمِ الصَّنْعَةِ وَمَا فُطِرَها اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ غَرِيبِ الْمَعْرِفَةِ وَمَا أُجْرِيَ بِأَسْبَابِهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْكَثِيرَةِ وَالْحَنَنِ الْعَظِيمَةِ وَمَا جُمِلَ فِيهَا مِنَ الدَّاءِ وَالِدَوَاءِ أَجْلَلْتُهُنَّ أَنْ تَسْمِيَهُنَّ أَهْمَجًا وَأَكْبَرْتَ الصَّنْفَ الْآخَرَ أَنْ تَسْمِيَهُ حَشْرَةً وَعَلِمْتَ أَنَّ أَقْدَارَ الْحَيَوَانِ لَيْسَتْ عَلَى قَدْرِ الْإِسْتِحْسَانِ وَلَا عَلَى أَقْدَارِ الْأَثْمَانِ وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ الْقَوْلِ فِي الدَّرَةِ وَالْمَلَّةِ وَفِي الْقِرَادِ وَالْخَنَزِيرِ وَفِي الْحَيَاتِ وَالنَّعَامِ وَبَعْضَ الْقَوْلِ فِي السَّارِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ وَالزَّارِ حَفَظَكَ اللَّهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْحَيَوَانِ فَقَدْ كَانَ جَرَى مِنَ السَّبَبِ الْمُتَّصِلِ بِذِكْرِهَا وَمِنْ الْقَوْلِ

— الجزء السادس من كتاب —

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصري المتوفى سنة ٢٥٥ هـ جريه

وهذا الكتاب هو

البارع في الأدب والجامع في حكم العرب

عني يحيى محمد بن الدين عثمان كلبى

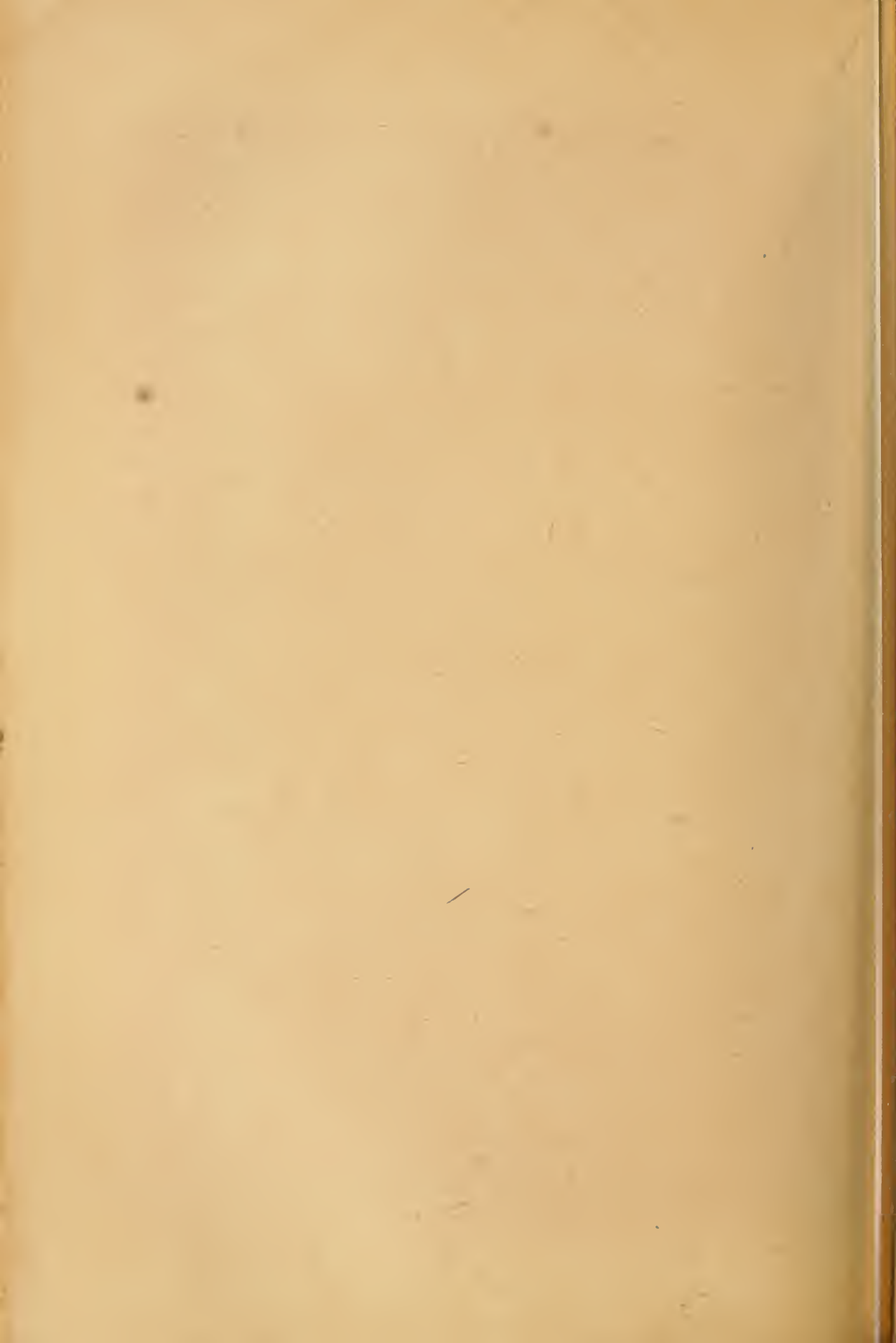
حقوق الطبع محفوظة لمتنم طبعه

الحاج محمد أفندي ساسي المغربي البوسني

سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م

(مطبعة السادة بجوار محافظة مصر)

لصاحبها محمد اسمعيل



- ١١٦ رجع الى القول في الارانب
 ١٢٣ الكلام في الظربان
 ١٢٦ اشعار فيها اخلاط من السباع والوحش والحشرات
 ١٣٦ شرح قصيدة بشر بن المعتمر الثانية
 ١٤٢ باب من نذر في حمية المقتول نذرا فبلغ في طاب ناره الشفاء
 ١٨٦ باب في ذكر الجبن ووهل الجبان
 ١٦٢ قول الجوس ان سومين المنتظر يخرج على بكرة
 ١٦٤ باب نوادر وأشعار وأحاديث
 ١٦٦ أحاديث في أعاجيب الممالك
 ١٦٩ قول في الشهب واستراق السمع

فهرس

﴿ الجزء السادس من كتاب الحيوان ﴾

بمفقه

- باب قد قلنا في الخطوط ومرافقها
الكلام على الضب
- ١ جملة القول في نصيب الضباب من الاعاجيب والغرائب
٢ القول فيمن استطاب لحم الضب ومن عافه
٢ قصيدة الحكم بن عمرو البهراني في الحيوانات
٢ حجة الذين استحلوا لحم الضب وقدموه
٣ القول في سن الضب وعمره
٤ أسماء لعب الاعراب
٤ القول في تفسير قصيدة البهراني
٤ الكلام على الغول
- ٥ باب من ادعى من الاعراب والشعراء أنهم يرون الفيلان ويسمعون غريف الجان
٨ باب الجلد من أمر الجن
٩ قصيدة بشر بن المعتمر الراية المرفوعة
٩ قصيدته الراية المكسورة
٩ شرح القصيدة الأولى
- ١٠ قول في أن الهدهد يبصر الماء تحت التراب
١٠ في شيء من أعاجيب الظبي
١١ في شيء من عجيب خلق النمساح



لعمرك ما حشاك الله نفسا * بها جشمع ولا نفسا شريره
ولكن أنت لا شرس غليظ * ولا هس تنازعه خؤوره
كأنا اذ أتيناها نزلنا * بجانب روضة ريا مطيره

— تم الجزء الخامس من كتاب الحيوان —

* ويليه الجزء السادس أوله باب *

وبات أبو عباد مع أبي بكر الفغاري في ليالي رمضان في المسجد الاعظم فدب اليه
وانشأ يقول

يا ليلة لي بت الهوبها * مع الفغاري أبي بكر
تت اليه بعدما قد مضى * ثلث من الليل على قدر
ما قام حمدان أبو بكر * الا وقد أفرغه نحري
وقال في فلان صديقه

ان فلان قد بغت * لشقائي وقد صفت
واذا لم تنك باير * عظيم القوي بكت

وقال مسكين الدارمي

اليك أمير المؤمنين رحلتها * تثير القطار ليلا وهن هجود
لدي كل قرموص كان فرائحه * كلي غير ان كانت لهن جلود
وقال أبو الاسود الدؤلي وهو ظالم بن عمرو بن سفيان

أمنت على السر أمراً حازم * وليكن في النصيح غير مرئيب
اذاع به في الناس حتى كانه * بملياء نار أو قدت لثقوب
وكنت متى لم ترع سر كينته * قوارعه من غطى ومصيب
وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بليب
وليكن اذا ما استجهم عند واحد * خق له من ساعة بنصيب

وقال أيضاً

اذا كنت مظلوما فلا تاف راضيا * عن القوم حتى تأخذ النصف وأغضب
فان كنت أنت الظالم القوم فاطرح * مقالهم واشغب على كل مشغب
وقارب بذى جهل وباعد بعالم * جلوب عليك الحق من كل محاب
فان حذبوا فاقم وان هم تقاعسوا * ليستمسكوا مما وراءك فاحذب
ولا تذعن للحق وأصبر على التي * بها كنت أنضي للبيد على أبي

وقال أبو الاسود لزياد

وقال الآخر

وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يامسلم بن حمار

دعا جميل لا يهتدي لمبته * من اللوم حتي يهتدي ابن وبار

وقال الحسن بن هاني

أضمرت للنيل هجرانا ومقايه * اذ قيل لي انما التمساح في النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كشب * فما أرى النيل الا في البواويل

وقال ابن أحر

أتيت ابن حمراء العجان فلم أجد * لدى بابه اذني يسيرا ولا نزلا

فان الذي ولاء أمر جماعة * لانقص من يمشي على قدم عقلا

ومن هذا الباب قوله

اني رأيت ابا العوراء مرتفعاً * بشط دجلة يشري التمر والسمكا

كشرة الخيل تبني عند مذودها * والموت أعلم من يدني بمن تركا

هذي مساعيك في آثار سادتنا * ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

ومن هذا الباب قوله

ورثنا المجد عن آباء صدق * أسأنا في ديارهم الصنيعا

اذ المجد الرفيع تماورته * بنات السوء يوشك ان يضيعا

وقال جران العوذ

ولم أجد الموفور يرجي جنابه * اذالم يرعه الماء ساعة ينضح

وكان أبو عباد النخري أتى باب بعض العمال يسئله شيئاً من غمل السلطان فتبعه أسفار

فسرقوا كل شيء في البيدر وهو لا يشمر فعاتبه في ذلك فكتب اليه أبو عباد

كنت بازا أضرب الكركي والطير العظاما * فتقنصت بني الصقر فأوهنت القداما

* واذا ما أرسل البازي على الصقر تعامى *

أراد قول أبي النجم في الراعي

يمر بين القانيات الجهل * كالصقر تجفو عن طراد الدحل

الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً فأما أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله عنا خيراً فإنا لم
نؤت قط الا منهم وأنشدنا النمشي لأعرابي يصف حلاً

ومن يرى حلوبته وينكل * عن الاعداء يعنقه القراح
رأيت معاشرا يثني عليهم * اذا شبعوا وأوجههم قباح
يظل المصريون لهم سجودا * وان لم يسق عندهم صباح

وقال الشاعر

النائمون قريبا من بيوتهم * ولو يشاؤون أي الحلي اذ طرفوا
يقول لرغبته في القرى واطعام الناس بيت عندي ويدع أهله ولو شاء ان يبيت
عندهم لفعل وقال آخر يمدح ضد هؤلاء

تقري قدودهم مرءاء ليلهم * ولا يبيتون دون الحلي أضغافا

وقال جرير

واني لاستحي أخى أن أرى له * على من الحق الذي لا يرى ليا
قال استحي ان تكون له عندي يدولا يرى لى عنده مثلاً وقال امرؤ القيس
* وهل يعمن الاخلى منهم * قليل الهموم ما يبيت بأوجال
قال وهو كقوله استراح من لا عقل له وأنشد مع هذا البيت
وأعجبها من عيشها كل غرفة * وريان ملتف الحقائق أخضر
ووال كفاها كل شيء يهملها * فليست لشيء آخر الدهم تسهر

وأنشد

اذا ابتدر الناس المعالي رأيتهم * وقفا بأيديهم مسوك الارانب
هجاهم بأنهم انما يعيشون من الصيد وأنشد

اذا ابتدر الناس المكارم والعلی * أقاموا وقفا في النهج اللهاجم
يخبر أنهم يسألون الناس والنهج والهجم الطريق الواسع وقال الشاعر
لنا ابل يروين يوما عيالنا * ثلاث وان يكثرن يوما فاربع
عندهم بالماء لا من هواهم * ولكن اذا ما قل شيء يوسع

الحجاج ليكتب الى بقتل فثام من الناس فما أحفل بذلك، قالوا ومات يونس النحوي سنة اثنتين وثمانين وهو ابن ثمان وثمانين سنة قال يونس ما أكلت شيئاً قط في الشتاء الا وقد برد ولا في الصيف الا وقد سخن، وحدثني محمد بن بشير قال قال أبو عمرو المدائني لو كانت البسلايا بالحصص ما نالني كل ما نالني اختلفت جارتني بالشاة الى التياس فرجعت الشاة حائلا والجارية حاملا، محمد بن القاسم قال قال جرير أنا لا أبتدي ولكن أعتدي وقال العتيبي أنا مثل العقرب أضرب ولا أنفع وقال الحجاج أنا حديد حقود حسود، وخبرني نفع قال قال لي العتيبي أنا لا أصدق ما دام كذبي يخني قال وذكر شبيب بن شيبه عن خالد بن صفوان فقال خله ايس له صديق في السر ولا عدو في العلانية وقال أبو بجيلة في شبيب بن شيبه

إذا غدت سمعت على شبيبها * على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس الى مغيبها * عجت من كثرتها وطيبها

وقال يحيى بن أبي علي الكرخي أنا انسان ما أبالي ما استقبلت به الاحرار وقال عمرو

ابن القاسم انما خصموني لاني لم أستر قط بشئ من القبيح وقال الفرزدق

وكان يحير الناس من سيف مالك * فأصبح يبغى نفسه من يحيرها

ومن هذا الباب قول الهماني

على أي باب أطلب الاذن بعد ما * حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

ومن هذا الشكل قول عدي بن زيد

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالفصان بالماء اعتصاري

وقال زهير

فلما وردن الماء زرقا جامه * وضمن عصي الحاضر المتخيم

وكتب سويد بن منجوف الى مصعب بن الزبير

فأبلغ مصعبا عني رسولا * وهل ياني النصيح بكل واد

تعلم ان أكثر من تواخي * وان ضحكوا اليك هم الاعادي

حدثني ابراهيم بن عبد الوهاب قال كتب شيخ من أهل الري على باب داره جزي

إذا شئت أن يسمعن والليل واضح * هدي ليلة والريح تجري فنونها
تناوم سرب في أفاحيصه السفا * ومنبته الحرشاء حن حنينها
بروين زغبانا قطاة سقاؤها * فلا تمكمن إلا^(١) ولا تستعينها

ذكر نوادر من أشعار وأحاديث وكلام تم به هذا الجزء

قالوا خرف النمر بن تواب فكان هجيراً أصبجوا الراكب أغبقوا الراكب وخرفت
امرأة من العرب فكان هجيراً زوجها فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما
لهج به أخو عكل خير مما لهجت به صاحبتيكم، وحدثني عبد الله بن إبراهيم بن قدامة
الجبلي قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأي أحدًا يضرب في كلامه قال
أشهد أن الذي خلقتك وخلق عمرو بن العاص واحد وقال علي بن أبي طالب رضي
الله عنه لصمصمة بن صوحان في المنذر بن الجارود ما وجدنا عند صاحبك قال إن قلت
ذاك أنه لنظار في عطفه مغال في شرا كيه يعجبه حمرة برديه، قال وحدثنا جرير بن حازم
العطفي قال قال الحسن لو كان الرجل كلما أصاب وكلما تجمل أحسن أو شك أن يتزيد من
العجب، قال سمعت أبا بلال في جنازة وهو يقول في كل ميتة ظنون الامة السجا
قالوا وما ميتة السجا قال أخذها زياد فقطع بديها ورجليها فقبل لها كيف ترين ياسجا
فقات قد شغاني هول المطلاع عن برد حديثكم هذا، قال وقيل لرابعة القيسية لو أذنت
لنا كلنا قومك فجمعوا لك ثمن خادم وكان لك فيه امرئ وكفتك المؤنة وتفرغت للعبادة
فقات والله اني لاستحي ان أسأل الدنيا ممن يملك الدنيا فكيف أسأل الدنيا ممن لا
يملكها، والناسكات المنزهات من النساء المذكورات في الزهد والرياسة من نساء الجماء
أم الدرداء ومعاذة العدوية ورابعة القيسية ومن نساء الخوارج السجا وحمادة الصفور
وغزاة الشيبانية قتان جميعاً وصابت السجا وحمادة وقتل خالد بن عتاب غزاة وكانت
امرأة صالح بن نوح ومن نساء الغالية الميلاء وحميدة وابلي الناعظية، محمد بن سلا
عن أبي جعدة قال ما أبرم عمر بن الخطاب أمراً قط الا تمهل به بيت شعر، وع
أبان بن عثمان قال عبد الملك لقد كنت أمشي في الزرع فألقى الجندب أن أقتله وا

وقال النعابي وهي أجود قصيدة قيلت في القطا

ثلاث مرورات يجاذبها القطا * ترى الفرخ في حافاتها تحرق
يظل بها - فرخ القطاة كأنه * يتم بناجيه مواليه مطرق
بديومة قد بات فيها وعينه * على موته تغضى مراراً وترمق
شبيه بلاشيء هنالك شخصه * يواريه فذلك حوله متفلق
له محجرات وعين مريضة * وشدق بمنزل الزعفران مخلق
تناجيه كحلأ المدامع حرة * لها ذنب ساج وجيد مطوق
مما كية - كدريه عرعرية * شكالية عفراء سمراء سملق
إذا غادرته تبغني ما يعيشه * كيفاها رزاياها النجاء الهببق
عدت تستقي من منهل ليس دونه * مسيرة شهر للقطا متعلق
لازغب مطروح بجوز تنوفة * تلظى سمو ما يظه فهو أورق
تراه إذا أمسى وقد كاد جلده * من الحر عن أوصاله يتمزق
غدت فاستقلت ثم ولت مغيرة * بها حين تزاها الجناحان أولق
تيمم ضحاحاً من الماء قد بدت * دعا ميصه في الماء أطحل أطرق
فلما أنه مقدرراً تقربت * تقرب مجنون فتطفو وتفرق
تجمر وتلقى في سقاء كأنه * من الحنظل العامي جزء مفلق
فلما ارتوت من مائها لم يكن لها * أناة وقد كادت من الرى تبصق
طمت طموة صعداً ومدت جرائها * وطارت كما طار السحاب المحلق

قال البعيث

تحت طوالات كان نجاءها * هوى القطا يعلو المناهل جونها
ظوين سقاء الخمس ثمة فاصت * لورد المياه واستنبت قرونها
إذا ما وردن الماء في رونق الضحى * بلان ادوى لبس خرز يشينها
ادوي خفيفات الجمال أسقمت * الى ثغر اللبات منها حصينها
تعملن حباب الماء حين حملنه * الى غصص قد ضاق عنها وتينها

الأسفل وقال ذو الرمة

طراق الخوافي واقع فوق ريمة * لدى ليلة في ريشه يترقرق
ويقال أطرفت الأرض اذا ركب التراب بعضه بعضاً فصار كطراق النعال طبقاً طبقاً
وقال العجاج

فاطرت الاثلاثا دخسا

والطرق باسكان الرء الضرب بالحصا وهو من عمل أهل الزجر وقال البميث
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع
قال ويقال طرقت القطة ببضها اذا حان خروجه وتمطت به شيئاً قال ويقال طرقت
القطة ونحوه وقال العبدى

وقد تخذت رجلى الى جنب غرزها * نسيفاً كالخوص القطة المطرق
وهذا الشاعر لم يقل ان الطريق لا يكون الا للقطة بل يكون لكل رياضة ولكل
ذات ولد وكيف يقول ذلك وهم يروون عن قابلة البادية انها قالت لعجارية تسمى
صحابة وقد ضربها الخاض وهى تطلق على يدها

ايا سحاب طرقى بخير * وطرقى بخصية وأبر

* ولا ترينى طرف البظير *

وقال أوس بن حجر

بكل مكان ترى شطبة * مولبة ربه مسبطر
وأحمر جمعد عليه الذسو * وروى صلبه ثعلب منكسر
وفى صدره مثل جنب القنا * يشفق حيناً وحيناً
وأنى واخوتنا عاصرا * على مثل ما بيننا نأتمر
لها صرخة نهم اسكانة * كما طرقت بنفاس بكر

فهذا كما ترى يزد عليه وإنما ذكر أوس بن حجر البكر دون غيرها لان الولادة على
البكر أشد وخروج الولد أعسر والمخرج أكرز وأضيق ولولا أن البكر أكثر ما تلد
أضيق جثة والطف جسمها الى أن يتسع الرحم بتطر الاولاد فيها لكان أعسر وأضيق

وقال الكميت

يمشين مشى فطا البطاح تأودا * فب البطون رواجح الا كفال
وقال الآخر في غير هذا المعنى

كان القاب ليلة قيل يفدي * بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد عاق الجناح
وقال آخر

وكنا كزوج من قطا بمفازة * لدى خفض عيش موق حسن رغد
نخافهما ريب الزمان فأفردا * ولم ترعيني قط أقبح من فرد
وفي صدق القطا يقول الشاعر

وصادفة ما أخبرت بعد بعثها * طروقا وباقي الليل في الارض مشرف
ولو تركت نامت ولكن أعشها * أذى من فلاص كالحنى المظف
وتقول العرب لو ترك القطا لنام ويقول أعششت النجوم إعشاشا إذا نزلت بهم وهم
كارهون فتحولوا عن منزلهم وقال الكميت

لا تكذب القول ان قالت وان صدقت * اذ كل ذى نسبة لا بد متحل
وقال مزاحم العقيلي في تجاوب القطاة وفرخها

فنادت وناداهما عوج صدرها * بمثل الذي قالت له لم يبدل
والقطاة لم ترد اسم نفسها ولكن الناس سموها بالحروف التي خرجت من فمها وزاد في
ذلك أنها علي أبذية كلام العرب فجعلوها صادفة ومخبرة ومربدة ويقال سرب نساء
وسرب ظباء كل ذلك بكسر السين واسكان الراء فاذا كان من الطريق والمذهب فهو
بفتح السين وهذا عن يونس بن حبيب وقال الشاعر

اما القطاة فاني شوف انتمها * نعتا يوافق نعتي بمض ما فيها
وقال مزاحم العقيلي

شكاه مخطومة في ريشها طرق * سود فوادها صهب خوافها
يقال في ريشها فتح زهر اللين ويقال في جناحه طراق اذا غطي الريش الأعلى

— القول في القطا —

تقول العرب أصدق من قطا وأهدى من قطة وفي القطة عجوبة وذلك أنها لا تضع
بيضها أبدا إلا أفرادا ولا يكون بيضها أزواجا أبداً وقال أبو وجزة
ما زلن ينسبن وهنا كل صادقة * باتت تباسر عرما غير أزواج
والعرم بيض القطا لأنها منقطة وقال الاخطل
شفي النفس في قتل سليم وعامر * ولم يشفها قتل غنى ولا جسر
ولا جشم شر القبائل لهم * كبيض القطاليسو ابسو دولا حمر
وقال مقبل بن خويلد

أبا معقل لا توطئكم بغاضتي * رؤس الافاعي في مراصدها العرم
يريد الافاعي العرم في مراصدها وهي منقطة الظهور وأن أكثر ما تبيض العقاب
ثلاث بيضات إلا أن واحدة تفسد لا محالة وقال الآخر في صفة البيض
وبيضاء لا ينحاش منها وانها * اذا ما رأنا زال منها زويلها
تزوج ولم تقرب لما تمتنى له * اذا أنتجت مات وعاش نتيجه
يعنى البيضة تتزوج ولم تقرب أى لم تمتن للضراب والامتناء انتظارك الناقة اذا ضربت
الافح هي أم لا وقال ابن أحرر

فبتنا بقفر والمطى كأنها * قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها
وذلك أنها كانت قبل ذلك تشرب من الغدر وكلما أفرخت صافت فاحتاجت الى
طاب الماء من مكان بعيد فذلك أسرع لها ويشبه مشى المرأة اذا كانت سميكة غير
خرابة طوافة بمشى القطة في القرمطة والدل وقال ابن ميادة
اذا الطوال شررن المشى في خطل * قامت تربك قواما غير ذى أود
تمشى ككدرية في الجو واردة * تهدي سرور قطا يشرب بالثمد
وقال جرير العود

فلما رأين الصبح بادرن ضوءه * رسيم قطا البطحاء أو هن أنطف

وقال الافوه

بمناب بيض كان وجوها * زهر قبيل ترجل الشمس
رفوا كمتشر الجراد هوت * للبطن في درغ وفي برس
* وكأنها ابل غادية * حطت الى حل من الحبس

وروى الاصمعي وأبو الحسن عن بعض المشايخ قال ثلاثة أشياء ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم أكل الجراد ولحوم الابل والفطر من السمكة وقال غيرهما وأما الفطر الذي يتخلق في ظل شجر الزيتون فربما قتل وان كان مما اجتتوه من أوسط الصحارى ، قالوا ومما يقتل الحمام على الملية والجماع على البطنة والقديد اليابس ، وقال الآخر شرب الماء البارد على الريق قالوا وثلاث نورت الهزال شرب الماء على الريق والنوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت قالوا وأربعة أشياء تقصد الى العقل بالافساد الا كثار من أكل البصل والباقلا والجماع والحار ، وأما ما يذكرون في هذا الباب من الهم والوحدة والفكرة فجميع الناس يعرفون ذلك واما الذي لا يعرفه الا الخاصة بالكفاية النامة والتمظيم الدائم وإهمال الفكر والأثف من التعلم هذا قول أبي اسحاق ثلاثة أشياء تخلق العقل وتفسد الذهن طول النظر في المرأة والاستغراب في الضحك وطول النظر الى البحر ، وقال معمر قطعت في ثلاثة مجالس لم أجده لذلك علة الا أنني أكرت في تلك الايام من أكل الباذنجان وفي يوم آخر من الزيتون وفي يوم آخر من الباقلاء وزعم أنه كلم رجلا من الملحدين في بعض العشايا وأنه علاه علواً ظاهراً قاهراً وأنه بكر على بقية ما في مسئلته من التخريج فاجبل وأصفي فقال له خصمه ما أحدثت بعدى قال قلت ما أنتمم الا اكشاري البارحة من الباذنجان فقال وما خالف الى التهمة وما أشك انك لم تؤت الامنه وقال لي من أثق به ما أخذت قط شيئاً من البلاد فنازعت فيه أحدا الا ظهرت عليه ، وقال أبو ناظرة ما أعرف وجه انتفاع الناس بالبلاد الا أن يؤخذ للعصب قلت فأى شيء بقي بعد صلاح العصب وأنتم باجمعكم تزعمون ان الحس للعصب خاصة

حسنا وملحا وجسما منها ورأيت في مشيها تأودا ورأيتها تتلفت فلم أثبت أن طلعت
أخرى فلا أدري أيتها أقدم اذ قالت التي رأيتها بدءا للآخرى مالك لا تلحقين
قالت أنا منذ أيام أكثر أكل هذا الجراد فقد أضعفني فقالت وانك لتحببته حبا
تحتملين له مثل ما أرى بك من الضعف قالت والله انه لأحب الي من الحبل ، وقال
الاسمعي قال رجل من أهل المدينة لامرأته لا جزاك الله خيرا فانك غير مرعية ولا
مبعية قالت والله اني لأرعى وأبقى من التي كانت قبلي قال فانت طالق ان لم أكن
كنت آتيها بجرادة فتطبخ منها أربعة ألوان وتشوى جنبها فرفعت الى القاضي فجعل
القاضي يفكر ويطلب له المخرج فقال للقاضي أصلحك الله أشككت عليك فهي
طالق عشرين ، ووصف الراجز حربا فوصف دنو الرجالة من الرجالة فقال

* أتوا كالديبادب ضحى الى الدبا *

وقرأ بعض أصحابنا بحضرة أبي اسحاق وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن
لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
فقال رجل لأبي اسحاق انظر كيف قرن الضفادع مع ضعفها الى الطوفان مع قوة
الطوفان وغلبته ، قال أبو اسحاق الضفادع أعجب في هذا الموضع من الطوفان فاذا أراد
الله تعالى أن يصير الضفادع أضر من الطوفان فعل وقال أبو الهندي

لما سمعت الديك صاح بسحرة * وتوسط النسران بطن العقرب
وتبادلت عصب النجوم كأنها * عفر الطباء على فروع المرقب
وبدا سهيل في السماء كأنه * ثور وعارضه هجان الربرب
نبت ندماني فقات له اصطبح * يابن الكرام مع الشراب الا صعب
صفراء تنزو في الاناء كأنها * عين الجراداة أو لعاب الجندب
نزو الدبا من حر كل ظهيرة * وقادة حرباؤها تتقلب *

وقال أبو الهندي أيضا

فان هذا الوطب لي ضائر * في ظاهر الامر وفي العارض
ان كنت سافينا فن قهوة * صفراء مثل المهرة الناهض

استقام فأما ان يكون الزحف الاول مهد للثاني له وآثره بالكفاية فهذا ما لا يعرف
ولو ان الزحفين جميعاً أشرفا على النهر وأمسك أحدهما عن تكلف العبور الى ان يهد
له الآخر كان ذلك تولا ، ويقال في الجراد هذه خرقة من جراد والجمع خرق
وقال الشاعر

وكانها خرق الجرا * د يشور يوم غبار

ويقال للقطعة الكثيرة منها رجل جراد ورجلة من جراد والنور القطعة من النحل
وتوصف كثرة السهام ومرورها وسرعة ذلك بالجراد وقال المفضل البكري
كان الذبل بينهم جراد * تهيج شامية خرق
والمرتجل الذي أصاب رجل جراد فهو يشويه وقال بهض الرجاز وهو يصف خيلا
مقبلة الى الحى

حتى رأينا كمدخان المرتجل * أو شبه الحفان في سفح الجبل

والحفان أنما أبدانا وقال ابن الزبيري

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

* حين ألت بفناء بركها * واستجر القتل في عبد الاسل

* ساعة ثم استخفوا رقصا * رقص الحفان في سفح الجبل

وقلنا الصعب من ساداتهم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل *

والجراد الاعرابي لا يتقدمه في الطيب شيء وما أحصى كم سمت من الاعراب من
يقول ماشبت منه قط وما أدعه الا خوفا من عاقبه أولاني أعيا فأتركه ، والجراد
يطيب حاراً وبارداً ومشوياً ومطبوخاً ومنظوماً في خيط ومجمولاً في أكلة والبيض
الذي يتقدم في الطيب ثلاثة أجناس وبيض الاشبور فوق بيض الدجاج ، وجاء في الاثر
ان الجراد ذكر عند عمر فقال ليت لنا منه فقعة أو فقعتين وهو يوكل يابساً وغير
يابس ويجعل أدماً ونقلاً ، والجراد المأكول ضروب منه الا هوازي وهو المذنب
وأطيه الاعرابي وأهل خراسان لا يأكلونه ، وحدثني زبيل بن عمرو بن عمرو بن
زبيل قال والله اني جالس على باب داري في بني صبير اذا قبلت امرأة لم أر قط أنهم

ولم يرض بشر بن أبي خازم بأن شبهه بالجرادة حتى جعله ذكراً حيث يقول
 فكل قياد مسـبقة عتود * أضر بها المسالـح والعـرار
 مـهـارشة العنان كان فيها * جرادة هبوة فيها اصفرار
 فوصفها بالصفرة لان الصفر الذكورة أخف أبداناً وتكون خلفه الأبدان أشد طيراناً
 ويوصف قنير الدرع ومساميرها بحديق الجراد وقال قيس بن الخطيم
 ولما رأيت الحرب حرباً تحدرت * لبست من البردين ثوب المحارب
 مضاعفة يفتش الأنامل فضلها * كان قنيرها عيون الجنادب
 وقال المقنع الكندي

ولى نثرة ما أبصرت عين ناظر * كصنع لها صنعا ولا سردها سردا
 تلاحم منها سردها فكأنما * عيون الدباب في الأرض تجرهما جرذا
 وقال عمرو بن معدي كرب

* تمناني ليلقاني أبي * وددت وأينما منى ودادي

تمناني وسابغني دلاص * خروس الحس بحكمة السراد

مضاعفة تخيرها سليم * كان قنيرها حديق الجراد

ويوصف حباب الشراب بحديق الجراد قال المتنبي

كأنني شارب يوم استبدوا * وحثهم وراء البيد حادي

عقاراً عتقت في الدن حتي * كان حبابها حديق الجراد

وإذا صفا الشراب وراق شبهوه بلعاب الجنـدب ولذا قال

صفراء من حب الكروم كأنها * ماء المفاضل أو لعاب الجنـدب

ولعاب الجنـدب يتم على الأشجار لا يقع على شيء إلا أحرقه ولا يزال بغض من يدعي
 العلم يزعم أن الدباب يريد الخضرة ودونها النهر الجاري فيصير بغضه جسراً لبعض حتي
 يعبر إلى الخضرة وإن تلك حيلة منها وليس كما قال ولكن الزحف الأول من الدباب
 يريد الخضرة فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافية
 صارت تلك لعمري أرضاً للزحف الثاني الذي يريد الخضرة فإذا سموا ذلك جسراً

قال ويقال انشرت الارض انشاراً اذا بذرت فخرج منها بذرها فبذلك يقال ما احسن
 بشرة الارض وقال الكميت وكنية الجراد عندهم ام عوف وجناحاها برداها ولذا قال
 تنفض بردي ام عمرو ولم تطر * لنا نار ويح للوعيد المذهب
 وانشدني ابو زيد

كان رجليه رجلا مقطف عجل * اذا تجاوب من برديه ترنيم
 يقول كان رجلى الجندب حين يضرب بهما الارض من شدة الحر والرمضاء رجلا
 رجل مقطف والمقطف الذي تحته دابة قطوف فهو يمزها برجليه وقال ابو زيد
 الطائي يصف الحر

أى ساع سعى ليقطع شربي * حين لاحت للصباح الجوزاء
 واستكن العصفور كرها مع الض * ب وأوفي في عوه الحرباء *
 ونفى الجندب الحصى بكراعيه وأذكت نيرانها المعزاء
 وأنشد أبو زيد اموف بن ذروة في صفة الجراد

قد خفت أن يحدث لي بالمصرين * وتترك الدين على والدين
 زحف من الخيفين بعد الزحفين * من كل سفعاء الفقا والخدين
 ملفونة تساخ لونا لونين * كأنها متلفة في بردين
 تنحي على الشمراخ مثل الفاسين * أو مثل منشار غليظ الحرفين
 * أنصبه منصبة في قحفين *

على معنى قوله

تنحي على الشمراخ مثل الفاسين * أو مثل منشار غليظ الحرفين
 آل حماد لابي المطاء

فما صفراء تنكي أم عوف * كان رجليتها منجلا

يوصف الفرس فيشبه بالجرادة ولذا قال الشاعر

فاذا رفعت عنانها فجـ رادة * واذا وضعت عنانها لا تنفل

فاذا أبيت الردف فاسترسلتها * ان الردف عن الاحبة يشغل

* سير الجراد السد برتاد الخضر *

وتقول العرب أصرد من جرادة وانما تصاد الجراد بالسحر اذا وقع عليها النداء تطلب مكانا أرفع من موضعها فان كان مع النداء برد لبد في موضعه ولذلك قال الشاعر
وكتيبة لبستها بكتيبة * كالنائر الحيران أشرف للندي

النائر الجراد أشرف أتى على شرف للندي أى من أجل الندي ويقال سبغت تسبح تسبيحا ورزت وادزت وجراد راز ومرز اذا غمرت ذنبها في الارض واذا ألقت بيضها قيل سرأت تسرا سرا ويقال قد بشر الجراد الارض فهو يبشرها بشرا اذا خلفها فأكل ما عليها وأنشد ابن لا عرابي

كما جرد الجارود بكر بن وائل

ولهذا البيت سمي الجارود ومنه قيل ثوب جرد باسكان الراء اذا كان قد انجرد واخلاق وقالت سمدي بنت الشمردل

سما عالية وهاد مشرف * ومقاتل بطل وليت يلسع

اجعلت سمدي للرماح دريئة * هبلك امك اي جرد ترفع

ويدخل في هذا الباب ما حدثنا به الاصمعي قال تجهز النابغة الذبياني مع زبان بن سيار الفزاري للغزو فلما اراد الرحيل نظر الى جرادة قد سقطت عليه فقال جرادة تجرد وذات لونين غيرى من خرج في هذا الوجه ولم يلتفت زبان الى طيرته وزجره ونفذ لوجهه فلما رجع الى موضعه الذى كان النابغة فارقه فيه وذكر ما نال من السلامة والغنيمة أنشأ يذكر شأن النابغة فقال

تخبر طيرة فيها زياد * لتخبره وما فيها خبير

أقام كأن لقمان بن عاد * اشار له بحكمته مشير

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور

بلى شئ يوافق بعض شئ * احايينا وباطله كثير

واسم النابغة زياد بن عمرو وأنشد أبو عبيدة

وقائلة من امها واهتمدي لها * زياد بن عمرو امها واهتمدي لها

قال وأول ما يبذ والجراد اذا باض يكون سرواً وسروه بيضه يقال سرات تسراً سراً
فانظر الآن كم في الجرادة من أعجوبة فأول ذلك التماسها لبيضها الموضع الصاب والصخور
الملس ثقة بانها اذا ضربت بأذنانها فيها انفجرت لها ومعلوم أن ذنب الجرادة ليس
في خلقة المسام ولا طرف ذنبه كحد السنان ولا لها من قوة الاسود ولا لذنبها من
الصلابة ما اذا اعتمدت به في الكدية والكداية خرق فيها وكيف وهي تتمدى الى
ما هو أصلب من ذلك وليس في طرف ذنبها كبرة العقرب وعلى أن العقرب ليست
تخرق اللحم من جهة الايد في قوة البدن بل انما ينفرج بطبع مجمول هناك وكذلك
انفراج الصخور لاذناب الجراد ولو ان عقاباً أرادت أن تخرق في جلدة الجاموس
لما انخرق لها الا بالتسكاف الشديد والعتاب هي التي تنحدر على الذئب فتقد بدائرتها
مابين صلاه الى موضع السكاهل فاذا غرزت الجرادة والفت بيضها وانضمت عليها
تلك الاخاذيد التي هي أحدثها وصارت كالافاحيص لها وصارت حافظة لها ومربية
وصائفة وواقية حتى اذا كان وقت ديب الروح فيها حدث عجب آخر وقال الاصمعي
فاذا خرج من بيضه فهو دبا والواحدة دبة ويخرج أصهب الى البياض فاذا اصفر
وتلوت فيه خطوط فأسود فهو برقان يقال رأيت دبارقانا والواحدة برقانة فاذا صار
فيه خطوط صفر وبيض وسود فهو السلاج فاذا بدأ حجم جناحه فذلك الكتفان لانه
حينئذ يكتف المشي والواحدة كتفانة قال ابن كناسة

يكتف المشي كالذي يتخطى * طنباً أو يشتد للمتباري

بصف فرسا فاذا ظهرت أجنحته وصار أحمر الى الغبرة فهو الغوغاء ولذلك يستقل
ويعوج بدمه في بدمه ولا يتوجه جهة ولذلك يقال لرعاغ الناس غوغاء فاذا بدت في
لونه الحمرة والصفرة وبقي بدم الحمرة واختلف في ألوانه فهو الخيفان والواحدة
خيفانة ومن ثمة قيل للفرس خيفانة فاذا أصفرت الذكورة واسودت الاناث ذهب
منه أسماء الجراد فاذا باض قيل قد غرز الجراد وقد رز فاذا كثر الجراد في السماء
يكتنف فذلك السد ويقال رأيت سداً من جراد ورأيت رجلاً من جراد للكثير

منه وقال العجاج

والعتود بالشیاطین ثم بالمردة والمفاریت ثم بالملائكة الذین وکلهم الله تعالى بسوق
السحاب وبالماء والجزر وقبض ارواح الخلق وتقلب الارضین والماء والريح وبالكواكب
والنیران وبالاَسَد والنمور والفيلة والابل والافاعي والثعابين والعقبان والجرذان
والتماسیح والرخم فلم عذبهم بالجراد والقمل والضفادع وهل تانی عقلتك قبل التفکیر
الا انه اراد ان یمرفهم عجزهم ویدکرهم صغر اقدارهم ویدلهم على ذلك بأدل خلقه
ویمرفهم أن له فی کل شیء جهدا وأن القوى من قواء والضعیف من ضعفه والمنصور
من نصره والمقتول من خلاله وخذله وانه متی شاء أن یقتل بالمثل المأذی والماء
الزلال قتل ولم کان النبی صلی الله علیه وسلم اذا رأى على جسده البثرة ابتهل فی الدعاء
وقال ان الله تعالى اذا اراد ان یعظم صغیرا عظمه ولم قال لنا فأرسلنا علیهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم آیات مفصلات فهل وقفت على هذه الآیات وهل
توهمت قوله هذا وهل وقفت على فضل ما بین الآیة و غیر الآیة واذا كانت
مفصلات کان ماذا واذا لم تكن مفصلات کان ماذا فافهم قوله فأرسلنا علیهم وما فی
الارض أنقص معرفة وعلم ولا أضعف قوة وبطشا ولا أوهن رکنا وعظما من ضمدع
وقد قال الله عز وجل ولما جاء أمرنا وفارالتنور فاظهر الماء من أبعد المواضع من ظنونهم
وخبّرنا بذلك کیلا نخلی أنفسنا من الحذر والاشفاق وکان السیل الذی سلطه الله
تعالى على العرم وهو مسناة جنئی بلاد سبا جرذا وهو الذی خرقة وبذل نعمتهم بؤسا
ولیکم ان عادوا فقراء وقال الله عز وجل وبدلناهم بختیهم جنتین ذواتی ا کل
خبط. وأثل وشئ من سدر لیل هذا بعد أن قال لقد کان لسبا فی مسکنهم آیة جنتان
عن عین وشمال کلوا من رزق ربکم واشکروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا
فأرسلنا علیهم سیل العرم وبدلناهم بختیهم وقال الاعشى

فنی ذاك للامو تسی أسوة * وما رب أعنی علیه العرم

رجام بنته له حمیر * اذا جاء ماؤهم لم یرم

وأشده أبو عمرو بن الدلاء

من سبا الحاضرين مارب اذ * یبنون من دون سیله العرما

لان الصوت لا يجيئها حتى يكون في فيها ماء فقد قال ذلك ووافقه عليه ناس من العلماء وادعوا في ذلك اليان وانما زعمه بان السمكة لا ابتلع شيئاً من الطعم الا بيمض الماء فأى عيان دل على هذا وهذا عسير

❦ الفرق بين الانسان والبهيمة والانسان والسبع ❦

والذي صير الانسان الى استحقاق قول الله عز وجل وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ليس هو الصورة وانه خلق من نطفة وان أباه خلق من تراب وأنه يعيش على رجليه ويتناول حوائجه ببديه لان هذه الخصال كلها مجموعة في البه والحيوان والاطفال والمنقوصين ، والفرق الذي هو الفرق انما هو الاستطاعة والتمكين في وجود الاستطاعة وجودة العقل والمعرفة وليس يوجب وجودهما وجود الاستطاعة وقد شرف الله تعالى الجن وفضله على السبع والبهيمة من الذي أعطاهم من الاستطاعة الدالة على الوجود والمعرفة وقد شرف الملائكة وفضلهم على الجن وقدمهم على الانسان وألزمهم من التكليف على قدر ما خولهم من النعمة وليست لهما صورة الانسان ولم يخلقا من النطف ولا خلق أبوه من التراب فأشبهها الانسان في العقل والمعرفة والاستطاعة ، أفنظن أن الله عز وجل يخص بهذه الخصال بعض خلقه دون بعض ثم لا يطالبهم الا كما يطالب بعض من أعدمه ذلك وأعراه منه فلم أعطاه العقل الا للاعتبار والفكر ولم أعطاه المعرفة الا ليؤثر الحق على هواه ولم أعطاه الاستطاعة الا لالزام الحجة فهل فكرت قط في فضل ما بينك وبين المسخر لك وهل فكرت قط في فضل ما بين ما جعل عليك عاديا وما جعل لك عاديا وبين ما أنسه لك وبين ما أوحشه منك وبين ما صغره في عينك وما عظمه في عينك وصغره في نفسك وكيف لم تفكر في النحلة والعنكبوت والتملة وأنت ترى الله تبارك وتعالى كيف نوّه بذكرها وجعل الاخبار عنها قرآنا وكيف اضاف اليها السور الطوال وكيف عظمها في عقلك بعد ان صغرها في عينك وخبرني عن الله تعالى أما كان يقدر أن يعذب الكنعانيين والجبارة والفراعنة وأبناء المماقة من نسل عاد وثمود وأهل العتو

مطراً أو سقطت لطاب مالا بد لها منه من طم أو هجم عليها الليل أو مسكت عن الصياح وضمت إليها أجنحتها فان رأت النوم أدخل كل واحد منهم رأسه تحت جناحه لانه يرى أن الجناح تحمل لما يرد عليه من المكره أو بعض ما في رأسه من العين وغير ذلك ويعلم أنه ليس بعد ذهاب الرأس حياة لانه ينام كل واحد منها قائماً على احدى رجله لانه يظن أنه ان مكنه ما نام وان كان لا يحب النوم أو نام نوماً ثقيلاً وان كان يحب أن يكون نومه غراراً فأما قائدها وسائقها وحارسه فانه لا ينام الا يكشف الرأس وان نام فان نومه يكون أقل من العماش وينظر في جميع النواحي فان أحس شيئاً صاح بأعلى صوته، وسألت بعض من اصطاد في يوم واحد مائة طير من طير الماء فقلت له كيف تصنعون قال ان هذا الذي ترى ليس من صيد يوم واحد وان كاه صيد ساعة واحدة وذلك أنا نأى منافع الماء ومواضع الطير فنأخذ قرعة يابسة صحيحة فنرمي بها في ذلك الماء فاذا أبصرها الطائر ندنو منه يدفع الريح لها في جهته مرة ومرتين فزع فاذا كثر ذلك عليها أنس وانما ذلك الطير طير الماء والسمك فهي أبدأ على وجه الماء فلا تزال الريح تقربها وتبعدها وتزداد بها أنسا حتى ربما سقط الطائر عليها والقرعة في ذلك اما واقفة في مكان واما ذاهبة وجائئة فاذا لم ترها تنفر منها أخذنا قرعة أخرى أو أخذناها بعينها وقطعنا موضع الأبريق منها وخرقنا فيها موضع عينين ثم أخذناها فأدخل رأسه فيها ثم دخل الماء ومشى فيها بينها مشياً رويداً وكلمنا أتى الى طائر قبض على رجله ثم غمسه في الماء ودق جناحه وخلاه فبقى طافياً بين الماء يسبح برجليه ولا يطبق الطير ان وسائر الطير لا ينكر انهما ولا يزال كذلك حتى يأتى على آخر الطير فاذا لم يبق منها شيء رمى بالقرعة عن رأسه ثم لفظها وجمعها وحملها، قال ومن جيد ما يعالج به الماسوع ان يشق بطن الضفدع ثم يرفد به موضع اللسمة ولسنا نرى لسمة الحية وانما نرى لسمة العقرب قال ويقال للضفادع ينق ويهدر وقال الراعى

فأوردته من قبيل الصباح * عينا ضفادعها تهدر *

وأما قول صاحب المنطق في ان الضفادع لا تنق حتى تدخل فكها الاسفل في الماء

إذا دنا منهم انقاض النطق * في الماء والساحل ضحناح اليقن
وقد زعم ناس أن أبا الاخرز الجمانى حيث يقول تستمع النطق فانما أراد الضفدع قالوا
وكذلك الطرماح حيث يقول

تجافين بعض المضغ من خشية الردى * وينصبين للصوت انتصاب النفاق
قالوا لان الضفدع جيد السمع اذا ترك النطق وكان خارجا من الماء وهو في ذلك
الوقت أحذر من الغراب والعصفور والمعقوق وأسمع من عقاب وبكل هذا جاء الشعر
— ذكر ما جاء في الضفادع من الآثار —

ابراهيم بن يحيى عن سعيد بن أبي خالد بن فارض عن سعيد بن المسيب عن عبد
الرحمن بن عثمان التيمي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفادع قال وحدثنا
سعيد عن قتادة قال سمعت زرارة يحدث أنه سمع عبد الله بن محمد يقول لا تسبوا
الضفادع فان أصواتها تسبيح ، قال وحدثنا هشام صاحب الدستواثي عن قتادة عن
زرارة بن أوفى عن عبد الله بن عمر انه قال لا تقتلوا الضفادع فان نقيقهن تسبيح
وقال لا تقتلوا الخفافش فانه اذا خرب بيت المقدس قال يارب سلطني على البحر حتى
أغرقهم وعن حماد بن سلمة عن قتادة عن زرارة قال قال عبد الله بن عمر لا تقتلوا
الخفافش فانه استأذن البحر أن يأخذ من مائه فيطفيء بيت المقدس حيث احترق ولا
تقتلوا الضفادع فان نقيقها تسبيح وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب في اسناد
له أن طيبيا ذكر الضفدع عند النبي صلى الله عليه وسلم ليجمع في الدواء فنهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفادع * العرب تصف هذه الاصناف التي ذكرنا
بجودة الحراسة وشدة الحذر وأعطوا الثعلب والذئب أموراً لا يبلغها كثير من
الناس ، وقال صاحب المنطق في الغرائق فولا عجبيا فزعم أن الغرائق من الطيور والقواطع
وليست من الأوابد وأنها اذا أحست بتغير الزمان اعترضت على الرجوع الى بلادها
وأوكارها وذكروا أنها بعيدة سحيقة قال فعند ذلك تتخذ قائداً وتصعد في الهواء جرداً
حتى لا يعرض لها شيء من سباع الطير أو يبلغها سهم أو بندق وان عاينت غيماً خافت

ذكرها ولم ساء رأيه فيها حتى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه يا ضفدع كم تنقين
نصفك في الماء ونصفك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين والضفادع من
الخلق الذي يعيش مع السمك في الماء وليس كل شيء يعيش في الماء فهو سمك وقد
قال الصلتان العبدي في الفرق بينهما

فان يك بحر الحنظليين زاخرا * فما تستوي حيتانه والضفادع
والحيات في منافع الماء تطالب الضفادع والفار يكون بقرب المياه كثيراً فلذلك تأتي
الحيات تلك المواضع ولان صيدها من أسهل الصيد وهي تعرف صيدها الا تراها
تحيد عن ابن عرس وان رأى جرذاً كبيراً لم تسنهه دون أن تبغله وترى الورل فتفر
منه وترى الوكرة فتشده عليها وترى القنفذ وان صفر فلا تجترى ان تمر به خاطفة
وترى الوبرة وهي مثل ذلك القنفذ مرتين فتأكلها ولطلبها الضفادع في الليل في
الشرايع يقول الاخطل

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وقال زهير

وقائل يتغني كلما قدرت * على العراقي يداه قائماً دفقا
يظل في جدول تحبو ضفادعه * حبوا الجواري تري في مائه نطقا
يخرجن من شربات ماؤها كل * على الجدوع بخفن الغم والفرقا

وقال أوس بن حجر

فباكرن جوبا للعلاجيم فوّه * مجالس غرقى لا يحلأ ناهله

جوب يريد غديراً كثير الماء ولكثرة عمقه اسود في العين والعلاجيم الضفادع السود
وجعلها غرقى يقول هي فيما شاءت من الماء كقولك فلان في غم غامر من قبل فلان
وجعل لها مجالس حول الماء وفوّه لان هذه الاجناس التي تعيش مع السمك في الماء
وليس بسمك أكثر حالاتهن اذا لم يكن سمكاً خالصاً ان تظهر على شطوط المياه
وفي المواضع التي تبيض فيها من الدغل وذلك كالامرطان والسلحفاة والزق والضفادع
وكلب الماء وأشباه ذلك وقال نقي الضفدع ينق نقيماً وانقض ينقض انقاضاً وقال رؤبة

المستفيض الذي لا ممرض له وفيها أعجوبة أخرى وذلك أنا نجد من كبارها وصفها
الذي لا يحصى في غب المطر اذا كان المطر ديمة ولم نجد لها في المواضع التي ليس بقربها
بحر ولا نهر ولا حوض ولا غدير ولا واد ولا يبر وتجد لها في الضعاضع الامالس
وفوق ظهور مساجد الجماعة حتى زعم كثير من المتكافين ومن أهل الجسارة ومن
لا يحتفل بسوء الحال عند الدماء ولا يكثرث للشك انها كانت في السحاب ولذلك طمع
أكثر الكذابين ممن نكره اسمه فذكر ان أهل أيدخ مطروا أكبر شبائط في
الارض وأسمنها وأعظمها وانما تلك الضفادع شيء يخلق في تلك الحال بمزاوجة الزمان
وتلك المطرة وتلك الارض وذلك الهواء والضفادع من الخلق الذي لا عظام له ويزعم
أصحاب الغرائب ان العلاجيم منها الذكورة السود ويقال أرشح من ضفدع وتزعم
الاعراب ان الضفدع كان ذا ذنب وان الضب سلبه اياه وذلك في خرافة من خرافات
الاعراب ، ولا يكون ذلك حتى يجمع بين الاروي والنعام وحتى يجمع بين الماء والنار
وحتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى تقع السماء على الارض ، ومن حديث
الامثال حتى يجي ، نسيط من مرد وهو لاهل البصرة وحتى يجي ، مصقلة من
سجستان وهو لاهل الكوفة وقال الله عز وجل لا يدخلون الجنة حتي يابج الجمل في
سم الخياط وتقول العرب لا يكون ذلك حتى يجمع بين الضب والنون وحتى يجمع
بين الضفدع والضب وقال الكيميت

يؤلف بين ضفدعة وضب * ويمجب أن نبرني أبينا

وقال في النون والضب

ولو أنهم جاؤا بشيء مقارب * لشيء وبالشكل الموافق للشكل

ولكنهم جاؤا بحيتان لجة * أو امس والمكنى فينا أبو حسل

وهو من الخلق الذي لا يصاب له عظام والضفدع أجحظ الخلق عينا والاسد تنابها في
الشرائع وفي منافع المياه والآجام والغياض فتأكلها أكلا شديدا وهي من الخلق
المائي الذي يصبر عن الماء أياما صالحة والضفادع تعظم ولا تسمن كالدرج والارنب
فأنهما لا يحملان لحما وفي سواحل فارس يأكلونها ، ولا أدري ما هيح مسيلة علي

وقال الراعى

أما الفقير الذي كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك له سبد
وهو لو قال لم يترك له لبد وقال ما ينبغي له لبد لقام الوزن ولكن له معنى فدل على أنه
انما أراد تقديم المقدم، قال صاحب الضأن فخرتم على الضأن بأن الانسان ذو شعر وانه
بالماعز أشبه فالانسان ذو ألية وليس بذى ذنب فهو من هذا الوجه بالضأن أشبه

❦ القول فى الضفادع ❦

اعلم رحمك الله تعالى ان الله عز وجل قد اضاف ست سور من كتابه الى اشكال من
أجناس الحيوان الثلاثة منها مما يسمونها باسم البهيمة وهى سورة البقرة وسورة
الانعام وسورة الفيل وثلاثة مما يمدون اثنتين منها من الهميح وواحدة من الحشرات
فلو كان موقع ذكر هذه البهائم وهذه الحشرات والهميح من الحكمة والتدبير موقعها
من قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون ولا يميزون ولا يحصلون الامور ولا
يفهمون الاقدار لما اُضيف هذه السور العظام الخطيرة الشريفة الجليلة الى هذه الامور
المحقرة السخيفة والمغمورة المقهورة ولا أمر ما وضعها فى هذا المكان ونوّه بأسمائها هذا
التنويه وانا ذاكر من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلى وهو قليل فى جنب ما
عند علمائنا والذي عند علمائنا لا يحسن فى جنب ما عند الله تبارك وتعالى، من ذلك
الضفدع لا يصيح ولا يمك، الصياح حتى يدخل حنكه الاسفل الماء فاذا صار فيه بعض
الماء صاح ولذلك لا تسمع للضفادع نقيقا اذا كن خارجات الماء، والضفادع من الحيوان
الذى يمشى فى الماء ويستوطن فى الشط مثل الزق والسلحفاة وأشباه ذلك، والضفادع
تبقى فاذا أبصرت النار أمسكت والضفادع من الحيوان الذى يخلق فى أرحام الحيوان
وفى أرحام الارضين اذا ألقها المياه لان البع بخراسان يكبس فى الأبراج ويحال بينه
وبين الريح والهواء والشمس بأحكام ما يقدرون عليه وأوثق ومتى أتخرق فى الخزانة
خرق فى مقدار منخر الثور حتى تدخله الريح استحبال ذلك البع كله ضفادع ولم نعرف
حتى هذا وصدقه من حديث الرجل والرجلين بل نجد الخبر عنه كالأطباق وكالخبر

الامغال يقال أمغل بنو فلان فهم ممغلون والشاة ممغل واذا ولدت الشاة ومضى لها أربعة أشهر فهي لحبة والجميع اللحاب واللحبات وذلك حين يأخذ لبنها في النقصان قال والايرمن البعير المقلم ومن الحافر الجردان ومن الظلف كله القضيبي ومن الفرس العتيق المضأ، وزعم أبو عبيد وما أراد من الحافر فهو الوداق وهو من الابل الضبعة ومن الضأن الحنو وقال حنت تحنو وهي نعمة حان كما ترى وما كان من الدز فهو الحزمة وقال عنز حزبي وأنكر بعضهم قولهم شاء صارف وزعم أنه مولد قال وهو من السباع الاجمال يقال كلبة مجمل واذا عظم بطنها قيل أحجت فهي عجج وما كان من الخلف فهو مثفر وما كان من الفم فهو صرمة وما كان من الحافر فهو جحفلة واذا قلت لكل ذات حمل وضعت جاز فاذا ميزت قلت للخف تجبت وللظلف ولدت والبقرة تجرى هذا المجري وقلت للحافر تجبت ويقال للحافر من بين هذا كله اذا كان في بطنها ولدنتوج واذا عظم بطن الحافر قيل قد أعقت فهي عقوق والجمع عقق وبعضهم يقول عقائق ويقال للبقرة الوحشية نعمة والبقرة تجري مجري الضأن في حالها وما كان من الخلف فصوته بغام فاذا ضجبت فهو الرغاء فاذا طربت في أثر ولدها قيل حنت فاذا مدت الحنين قيل شجرت قال والاماع من السباع ومن الخيل دون البهايم وهو أن تشرق ضروعها ويقال للطير قد قطها يقطها ويقال للئيس والكتاب قد مفد يسفد سفادا ويقال في الخيل كامها يكومها كوما وكذلك في الحافر كله والحافر وحده نا كها ينيكها نيسكا وتقول العرب ماله عندي سبد ولا لبد ومنها ذا المعنى قدموا الشعر على الصوف فان قال قائل فقدموا في مواضع كثيرة ذكر ما هو احسن فقالوا ماله عندي كثير ولا قليل وقالوا ربيعة ومضر وسليم وعامر والاوز والخزرج والعيير والنفير والذي يدل على ان ذلك الذي قلنا كما قلنا قول الراعي

حتى اذا هبط الفيطان وانقطعت * عنه سلاسل رمل بينها عقه

لاقي أطلس مشاء بأكلته * أمر الأوابد ما ينني له سبد

لقد السبد ثم قال

يشلي سلوفية ولي جواعرها * مثل اليعاسيب في اصلاها اوده

ثم قال

وأبرز كالشمس مري وضوحا وثقة * يداعس من حر الصريمة معظما
قال ولعلم العرب بأن طباع الانسان داعية الى الحرب من شق الشمال يحبون أن يأتوا
أعداءهم من شق اليمن قال ولذا قال شتيم بن خويلد

بجنتناهم من أيمن الشق غدوة * ويأتي الشق الحين من حيث لا يدري
وأما رواية أصحابنا بجنتناهم من أيمن الشق عدهم، وإذا كان أكثر عمل الرجل يساره
كان أعسر وهو عندهم إذا كان كذلك فليس يميمون الخلق ويشنعون من اليد العسرى
العسر والعسرة فلما سموها بالشمال أجروها في الشؤم والمشؤم على ذلك المدي وسموها
اليد اليسار واليد اليسرى على نفي العسر والنكد ومما قالوا في الشمال قول أبي ذؤيب
أبا الصرم من أسماء حدثك الذي * جرى بيننا يوم استقلت ركبها
زحرت لها طير الشمال فان يكن * هو الك الذي تهوي يصبك اجتنابها
وقال شتيم بن خويلد

وقلت لسيدنا يا حليم * انك لم تأس أمرا رفيقا
اعنت عديا على شأوها * تعادى فريقا وتبقي فريقا
أطمت غريب ابط الشمال * تنحى بحمد المواسي الخلوفا

وقال آخر

وهون وجدي اني لم أكن لهم * غراب الشمال ينفض الريش جانبا
وإذا مال شقه قالوا حول شقه وقال الاشر بن عماره
عشية يدعو معسر يال جعفر * جريح صريع أحول الشق مائله
وقال آخر أي أخ كان لي وكنت له * أشفق من والد على ولد
حتى إذا قارب الحوادث من * خطوى وشدة الزمان من عقدي
حول عني وكان ينظر من * عيني ويرى بساعدي ويدي
قال الأصمعي الوقت الجيد في الحمل على النساء ان تحلي سبعة أشهر بعد ولادتها ويكون
حملها خمسة أشهر فتلد في كل سنة مرة فان حمل عليها في كل سنة مرتين فذلك

ومنها العدوى قال الفرزدق

ومهور نسوتهم اذا ما أنكحوا * عدوى بكل هبتع متقال
قال أبو عتاب ليس في الارض شاة ولا بعير ولا أسد ولا كلب يريد الربوض الا
مال على شقه الايسر ابقاء على ناحية كبده قال ومتى تفقدتم الصفايا التي في البيت
والنماج والجداء والحملان وجدتموهما كذلك ، قال والعقاب تستعمل كفها اليمنى اذا
أصدمت بالارانب والشعاب في الهواء واذا ضربت بمخالبها في بطون الطباء والذئاب
واشتهكت كبدها وأحست بذلك فلا تزال اذا اصطادت شيئاً تأكل من كبده ، قال
وليس في الارض هارب من حرب أو غيرها فاستعمل الحضر الا أخذ عن يساره
اذا ترك عزمه وسوم طبيعته وأنشد

تحامص عن وحشيه وهو ذاهل * وفي الجوف نار ليس يخبو ضرامها
وأنشد الأصمعي للأعشي

وابس سهما ذا عذار يسوقه * أمين القوي في حالة المترنم
فر بني السهم تحت عذاره * وحال على وحشيه لم يعيم
قال ووضع على موضع عن ، وفي باب آخر يقول أوس بن حجر وذلك انه ليس في
الارض جبل هاج فأخرج شقشقه الاعدل بها الى أحد شقي حنكه والثور اذا عدل
عدل بلسانه عن شق شماله قال عبدة بن الطبيب

مستقبل الريح يهفو وهو مبترك * لسانه عن شمال الشرق معدول

وقال أوس بن حجر

أو سر كم في اجادى ان نصالحكم * اذا الشقاش معدول بها الجنب
قال واذا كرك الكلاب أو الثور صنع خلاف صنيعه عند العدوى قال الأعشي
* فلما أضاء الصبح قام مبادراً * وحان انطلاق الشاء من حيث يما
فصبحه عند الشروق غدية * كلاب الفتى البكري عوف بن أرقا
فأطرق عن جنوبها فاتبعه * كما هيج السامى المعسل حشرما *
فأضحى على شؤي يديه فزادها * بأضواء من فرع الذؤابة أسحما

طلحة عن عمرو الحضرمي عن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغنم بركة موضوعة والابل جمال لاهلها والخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة، وحفظه ابن أبي سفيان المدني قال سمعت طاروسا يقول من هاهنا اطلع الشيطان قرنيه من مطلع الشمس والجفاء والكبر في اهل الخيل والابل والفداد في اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم، وحدثنا بكر بن جيش عن يحيى بن عبد الله عن وهب عن ابيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر قبل المشرق والفخر والخيلاء في اهل الابل والخيل والفداد في اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم والايمان يمان والحكمة يمانية، وعوف بن أبي جميلة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفخر في اهل الخيل والجفاء في اهل الابل والسكينة في اهل الغنم والفداد الجافي الصوت والكلام وأنشدنا أبو الرديني العمكلي

* جاءت سبابم ولها فديد *

وكان من الانبياء عليهم السلام من رعى الغنم ولم يرع أحد منهم الابل وكان منهم شعيب وداود وموسى قال الله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها ما رب أخرى وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غنيمات خديجة والمغزبون بنزولهم البعد من الناس في طباع الوحش، وجاء في الحديث من بدا جفا ورعاه الغنم وأربابها أرق قلوبا وأبعد من الغلظ والجفا ورعى الغنم انما يرعاها بقرب الناس لا يعزب ولا يبيد ولا يذبح وقلوا في الغنم اذا أقيمت أقيمت واذا أدبرت أقيمت وكان لأصحاب الابل مما يحرمون على أنفسهم الحامى والسائبة ولأصحاب الشاة الوصيلة والعتيرة أيضاً كان أحدهم اذا نذر أن يذبح من العتائر والرجيبة كذا وكذا شاة فبلغ الذى كان يتمنى في قدره وشح على الشاة قال الأطباء أيضا شاء وهي تجزى اذا كانت شاء فيجعل عتائره من صيد الأطباء وقال الحارث بن حلزة

عتسا باطلا وظلما كما ته * تر عن حجرة الربيض الأطباء

وقال الرماح

كان الفوى الفرد أجسد رأسه * عتار مظلوم الهدى المذبح

قد هلكت جارتنا من البذخ * فان تجمع تأكل عتوداً أو بدخ
والجمع بدخان وقال اعرابي اللهم ميتة كميته أبي خارجة قالوا وما ميتة أبي خارجة قال
أكل بدخا وشرب عملاً ونام في الشمس فأنته الميتة شبعان ريان وفي المثل
أغلم من تيس بن حمان وحمان زعم أنه ففط سبعين عنزاً وقد فريت أوداجه فهذا
من الكذب الذي يدخل في باب الخرافة، وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر نوراً
وثب بعد ان خصى فنزا على بقرة فأحبها ولم نجد هذا من معانة والصدور تضيق
بالرد على أصحاب النظر وتضيق بتصديق هذا الشكل، قال وحدثني سعيد بن طريف
عن الاصبع بن ثبابة قال سمعت عائلاً يقول ما من أهل بيت لهم شاة الا يقدسون كل
ليلة، وعنيسة القطان قال حدثني عبد الله بن عبد الأعلى القرشي عن رجل من الانصار
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوصيكم بالشاء خيراً فنفقوا مرابضها من الحجارة
والشوك فأنها في الجنة، حدثني محمد بن عجلان عن وهب بن كيسان عن عمرو بن عطاء
من بني عامر بن لؤي ان رجلاً مر على أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وهو بالعقيق
فقال أين تريد قال أريد غنيمة قال أمسح رعاها واطيب مرايحها واصل في جانب
مرايحها فأنها من دواب الجنة، وفرح بن فضالة عن معاوية بن صالح عن رجل من
أصحاب أبي الدرداء أنه جعل طعاماً اجتهد فيه ثم دعاه فأكل فلما أكل قال الحمد لله
الذي أطعمنا الخبز وألبسنا الخبز بعد الاسودين الماء والتمر وعزة ضائفة له قال هذه
لك قال نعم أطيع مرايحها وأغسل رعاها فأنها من دواب الله وهي صفوة الله من
البهائم، ابراهيم بن يحيى عن رجل عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال ان الله عز وجل خلق الجنة بيضاء قال وبعت الى الرعيان من
كانت له غنم سود فليخلطها بمفر فان دم عفراء أرجى من دم سوداوين، وحدثنا أبو
المقدام قال حدثنا عبد الرحمن بن حبيب عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا بالراح فجاءوا فقال من كان منكم يرعى غنماً سوداً فليخلط فيها
بيضاء قال وجاءت امرأة فقالت يا رسول الله اني اتخذت عنزة رجوت رسلها ونسلها
واني لا أراها سواء قال فما ألوانها قالت سود قال عفري أي اخلط فيها، قال وحدثنا

حين قضي في الارنب يصيبها المحرم بجفرا فاذا رعى وقوى واتى عليه حول فهو عرض
وجمها عرضان والعتود نحو منه وجمه اعتد وعتدان وقال يونس جمه اعتد وعتد
وهو في ذلك جدي والاثني عناق وقال الاخطل

واذ كر عتاده عتاداً ريمة * من العناق ساء حولها الصبر

ويقال اذا تبع أمه وفطم تلو والاثني تلو لانه يتلو أمه ويقال للجدي أمرو والاثني
أمرة وقالوا هلع وهامة والبدة العناق أيضا والمطمط الجدي فاذا أتى عليه الحول
فالذ كر تيس والاثني عنزة ثم يكون جذعا في السنة الثانية والاثني جذعة ثم ثنيا في
الثالثة والاثني ثنية ثم يكون رباعيا في الرابعة والاثني رباعية ثم يكون سديسا والاثني
سدس أيضا مثل الذ كر بغير هاء ثم ضالعا والاثني كذلك والضالع بمنزلة البازل من
الابل والفارح من الخيل ويقال قد ضلع بضلع ضلوعا والجمع الضلع وايس بعد الضالع
ثني، وقال الاصمعي الجلام والحلاق من أولاد المعز خاصة وجاء في الحديث في الارنب
يصيبها المحرم جلام قال ابن أحر

تهدي اليه ذراع الجدي تكرمه * اما ذكيا واما كان جلاما

ويروى ذبيحا والذبيح هو الذي أدرك أن يضحي به وقال مهمل

كل قنيل في كليب جلام * حتي ينال القتل آل همام

وقالوا في الضأن كما قالوا في المعزى الا في مواضع قال الكسائي هو خروف في الارض
والاثني خروفة ويقال له حمل والاثني من الحملان رخل والجمع رخال كما يقال ظئر
وظؤار وتؤم وتؤام والبهمة الضأن والمعز جميعا فلا يزال كذلك حتي يصيف فاذا أكل
واجتر فهو قرقر وقرقار وقرقرور وعمارس وهذا كله حين يسمن ويحتر والجلام
بكسر الجيم وتعجيم نقطة من تحت الجيم قال الاعشى

سواهم جذعائها كالجلام * أقزع منها العتاد السيوزا

واليمر الجدي باسكان العين وقال البريق الهذلي

* مقيا بام-لاح كما ربط اليعر *

والبدخ من أولاد الضأن خاصة وقال الراجز

ويزعم المنجمون ان الليل ظل الارض وانما اشتد جدا لانه ظل كرة الارض وبقدر ما زاد جرمها في العظم ازداد سواد ظلمها وقال حميد بن ثور

الى شجر ألبى الظلال كلها * رواهب أجري السراب غروب
والشفة الحسناء يقول لها لمياء يصفون بذلك الائمة فجعل ظل الاشجار المتلفة المي وقال
امرؤ القيس بن حجر

* لنا غم نسوقها غزارا * كان قرون جلتها المصى
قوله يصف القرون انها كانت ما عزة فقال

فتملاً بيتنا أقطا وسمننا * وحسبك من غنى شبع وري
فدل ان الاقط منها يكون قال ويقال لذوات الاظلاف قد ولدت السيلة والبقرة
مضمومة الواو مكسورة اللام مشدودة يقال هذه شاة تحاب قفيزاً ولا تحاب والصواب
ضم التاء وفتح اللام ويقال أيضاً وضعت في موضع ولدت وهي شاة ربي من حين
تضع الى خمسة عشر يوماً وقال أبو زيد الى شيرين من غم رباب مضمومة الراء على
فقال كما قالوا رخل ورخال وظئرو وظؤار وهي ربي بيته الرباب والربة بكسر الراء ويقال هي
في ربابها وأنشد

* حين أم البرق في ربابها *

والرباب مصدر وفي الربي حديث عمر دعي الربي والمباحض والا كولة وقال أبو زيد ومثل
الربي من الضأن الرغوث قال طرفة

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوئا حول قبتنا نخور

وقال اذا وضعت العنز ما في بطنها قيل سليل ومليط وقال أبو زيد هي مائضه من
الضأن والمعنز جميعاً ذكر أكرأ كان أو سخله وجمعها سخل وسخال فلا يزال كذلك اسمه
مارضع اللبن ثم هي البهمة لأنه ذكر والاتي وجمعها بهم وقال الشاعر

وليس يزجر كم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعي فتزجر

واذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمهاتها وأكلت من البقل واجتزت فما كان من
أولاد المعز فهو جفر والاتي جفرة والجمع جفار ومنه حديث عمر رضي الله عنه

تري ضيفها فيها بيت بقطعة * وضيف ابن قيس جائع يتحوب
قال فوفد ابن قيس هذا على النعمان فقال له كيف المخارق عندكم قال سيد شريف
بمدح نفسه ويهجو ابن عمه وقال الراجز

* أنعت ضانا أنجرت عيانا *

والجبران تشرب فلا تروى وذلك من مثالبها ، وقال رجل لبعض ولد سليمان بن عبد الملك
مات أمك مجراً وأبوك بشما وقال اعرابي

أمولى بنى تيم ألسنت مؤديا * منيحتنا ككيا تؤدي المنايح
فانك لو أديت صعدة لم تزل * بعلياء عندي ما لبتي الريح راجح
لها شعر داج وجيد مقلص * وخالق رخاوي وضرع مجال
ولو أشليت في ليلة رجبية * لاروى بها هطل من الماء سافح
لجأت امام الحالبين وضرعها * امام صفافيا وجيد مطارح
وما أمها كانت منيحة واحد * تراي بهاتيك الا كام القوادح

ليس صبيلا أصناف الظلف في التشابه سبيل أصناف الحافر ، والخلف تشتمل على الابل
والبقر والحواميس والظباء والخنائير وبقر الوحش وليس بين هذه الاجناس من
تسافد ولا تلافح ولا النعم من الضان والماعز ولا النعم في سائر الظفر ولا شئ من
صائر تلك الاجناس من تسافد غيرها وتلافحها فهي تختلف في الصوف والشعر وفي
الانس والوحشة وفي عدم التلافح والتسافد وليس كذلك الحافر والخلف وقال الراجز
لحنى على عنزي لا أنساها * كان ظل حجر صفراهما

* وضالع معطرة كبراهما *

قوله ضالع يريد انشاء السن والمطرحة الحراء مأخوذة من المطرة وقوله كان ظل حجر
صفراهما يريد انها كانت سوداء لان ظل الحجر يكون أسود وكل ما كان القاتم أشد
اكتنازا كان الظل أشد سوادا وتقول العرب ليس شئ أظل من حجر ولا أدفا من
شجر وليس يكون ظل أبرد ولا أشد سوادا من ظل جبل وكل ما كان أرفع سما
وكان مسقط الشمس أبعد وكان أكثر عرضا وأشد اكتنازا كان أشد لسواد محله

ومن جلودها تكون القرب والزقاق والمنا كل وكل خرج وتفر ووطب وشكية
وسقاء ومزادة مسطوحة كانت أو مثلثة ومنها ما يكون الخوان ولحم السلف
والبطائن والجرب ومن الماعزة يكون انطاع البسط وجلال الانتقال في الاسفار
وجلل قباب الملوك وبقباب الادم يتفاخر العرب وللقباب الحمر قيل مضر الحمراء
وقال عبيد بن الابرص

فاذهب اليك فاني من بني أسد * أهل القباب وأهل الجود والنادي
قال وفخرتم بكبشة وكبشة وأبي كبشة فمنا عز اليمامة وعز وائل ومنا ما عز بن مالك
صاحب التوبة النصوح وقالوا والنعجة حزب واتخاذها خسران الا أن تكون في
نماج سائمة لانها لا ترفع رأسها من الاكل والنعجة آكل من الكبش والحجر آكل من
الفجل والرمكة آكل من البرذون والنعجة لا يقوم نفعها بمؤنتها والعنز تمنع الحلي الخلا
فان العرب تقول ان العلوم تمنع الحلي الخلا والصفية من العرب أغزر من نجبية
أو يقال أحق من راعي ضأن ثمانين وأصناف أجناس الاظلاف وكرامها بالمعز أشبه
لان الظباء والبقر من ذوات الاوبار والشعر وليست من ذوات الاوبار والصوف
والشمل والتعاويد والفلائد انما تتخذ للصفايا ولا تتخذ للنماج ولا يخاف علي ضرعه
المين والنفس والاشعار التي قيلت في الشاء اذا تأملت ما وجدت أكثرها في المعز في
صفاياها وفي حورها وفي ثيوسها وفي عنوقها وفي جدها وقال مخارق بن شهاب المازني
وكان سيداً كريماً وكان شاعراً فقال يصف تيس غنمه

وراحت أصيلاً كأن ضروعها * دلاء وفيها واتد القرن لبلب
له رغبات كالشئوف وغرة * شديخ ولون كالوديلة مذهب
وعينا أحم المقلتين وعصمة * بواصلها دان من الظاف أهدب
اذا دوحة في محذف الضال أرجلت * عضاها كما يطوذري الضال قرحب
تلاد رفيق الخلدان عد نجره * فصر دان سمي النجر منه وأسفب
أبو القز الحو المواتي كأنها * من الحسن في الاعناق جزع مثقب
اذا طاف فيها الخالبات تقاذفت * عقائل في الاعناق منها تحلب

هم تقاذفت الموم بها * فنزعت من بلد الى بلد
 ياروح من حسنت قناعته * سب المطامع من غد وغد
 * من لم يكن لله منهما * لم يس محتاجا الى أحد

وهذا الشعر رويته على وجه الدهر وزعم لي حسن بن الضحاك انه له وما كان يدعي
 ما ليس له وقال لي سعد ان المكفوف لا يكون فنزعت من بلد الى بلد بل كان ينبغي
 ان يقول فنازعت، وقال والممازة قد تدمرتين الا ما أتي منها في الرماس ويقع موقعه
 كبير وربما باعوا عندنا بطن المماز بثمان شاة من الضان، قال والا فط للمعز وهو المنتفع
 بها قال والجدي أطيب من الحمل وأكرم وربما قدموا على المائدة الحمل مقطوع الالية
 من أصل الذنب ليومهموا انه جدي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعقول الخلفاء
 فوق عقول الرعية وهم أبصر بالعيش استعملوا ذلك أو تركوه أترون اني لا أعرف
 الطيبات لباب البر وصغار المزمى وملوكنا تحمل معهم في أسفارهم البعيدة الصفايا
 الحوامل المعروفات ازمان الحمل والوضع ليكون لها في كل منزل جداء معدة وهم
 يقدرون على الحملان السمان بلا مؤنة، والعنق والجداء هي المثل في المعز والطيب ويقولون
 جداء البصرة وجداء كسكر وساخ المماز على القصاب أهون والنجار يركز في خصال
 الساج سلسلة تحت القدوم والمنقب والمنشار وقيل لاعرابي بأى شيء تعرف حمل شائك
 قال اذا تورم حياها وخرجت واستفاضت خاصرتها، والداجي يقال قد كان ذلك وثوب
 الاسلام قد دجا وكان ذلك وثوب الاسلام داج قال وللمماز المرعز وليس الصوف
 للناعاج والكساء كلها صوف ووبر وريش وشعر وليس الصوف الا للضان وذوات
 الوبر كالابل والثعالب والخز والارانب وكلاب الماء والسمور والفنك والغمام والسنجاب
 والذي كلها شعر كالبقرة والجواميس والمماز والظباء والاسد والثور والذئب والبيور
 والكلاب والفهود والضباع والعنق والبراكين والبغال والخيول وما أشبه ذلك والانسان
 الذي جعله الله تعالى فوق جميع الحيوان في الجمال والاعتدال والعقل والكرم ذو شعر
 والممازة لقربتها من الناس بهذا المعنى أخفوا كرم، وزعم الاصمعي أن لبني عقيل
 ماعز لا ترد فأحسب وادبهم أخصب وادوارطبه أليس هذا من أعجب العجب

باب في الماعز

قال صاحب الماعز في أسماء الماعز وصفاتها ومنافعها وأعمالها دليل على فضلها فن ذلك أن الصفة أفضل من النعمة وفي أسمائها دليل على فضلها فلينبها أكثر أضعاها وزبدها أكثر وأطيب وزعم أبو عبد الله العتيبي أن التيس السراطي قرع في يوم واحد نيفاً وثمانين قرعة وكان قاطع الشهادة وقد يباع من نسل السراطي وغيره الجدي ثمانين درهما والشاة بنحو من ذلك وتحب خمسة مكاي وأكثر وربما يبع جلد الماعز ثمانين درهما وأكثر والشاة إذا كانت كذلك فلها غلة نافعة تقوم بأهل البيت والتعال البقرية من السبت وغير السبت مقسوم نفعها بين الماعز والبقر لأن للشرط من جلودها خطراً وبذلك القبال والشسع ووصف حميد بن ثور جلوداً من جلودها فقال تتابع أعوام علينا لطيبها * وأقبل عام أصالح الناس واحد وجاءت بذى لونين مازال شاته * تمر حتى قيل قد مات خالد وقال وأنشد ابن شهاب

تري زائرات الخيل حول بيوتها * كمزى الفجار أعوزتها الزرائب
ومن منافعها الانتفاع بشحم الأثرى والكلية وهما فوق شحم الالية وإذا مذحوا اللحم قالوا لحم الماعز الخصى الشني وقال الشاعر

كان القوم عشوا لحم ضأن * فهم يعجبون قد مالت طلاهم
والمرورون الذين يصرعون إذا أكلوا لحم الضأن اشتد ما بهم حتى يصرعهم ذلك في أوان الصرع وأوان الصرع الالهة وانتصاف الشهور وهذان الوقتان وقت مد البحر وزيادة الماء وزيادة القمر حتى يصير بديراً أثر بين في زيادة الدماء والادمنعة وجميع الرطوبات ويقال هو والله ماعز من الرجال وفلان أمعز من فلان والعناق معز الخيل والبراكين ضأنها وإذا وصفوا الرجل بالضعف والموق قالوا ما هو الا نعمة من النعاج ويقولون في التقديم والتأخير ماله سبد ولا ليد وقال الشاعر

نشبي وما جمعت من صيد * وحويت من سبد ومن ليد

والعز لا تمش هناك وأصواف الكباش أمتع للكباش من غلظ جلود المزم ولولا أن
أجواف الماعز أبرد وكذلك كلاهما لما احتشت من الشمع كما تحتشى وذكرورة كل
جنس أتم حسناً من أنثاه وربما لم يكن للأنثى شيء من الحسن وتكون الذكرورة في
غاية الحسن كالطواويس والتدريج وأنثاه وربما كن دون الذكرورة ولهن من الحسن
مقدار كانت الدراريج والقبيج والدجاج والحمام والوراشين وأشباه ذلك والنيوس قبيجة
جداً وزاد في قبيحها حسن الصفايا وإذا وصفوا أعناق النخل العظيم قالوا كأنها كباش
وقال الشاعر

كان الكباش الساجسية علفت * دوين أجير أوغـ سـدائر تاجر
وما ذموا فيه العنز دون النعجة قول أبي الاسود الدؤلي

ولست بمعارض إذا ما لقيته * يعبس كالغضبان حين يقول
ولا يسبش كالغز أطول رسلاً * ورثانها يومان ثم يزول
وقال أبو الاسود أيضاً

ومن خير ما يتعاطى الرجال * نصيحة ذي الرأي للمجتليها
فلاتك مثل الذي استخرجت * بأظلافها مديّة أو بفيها
* فقام إليها ذابح * ومن يدع يوماً شعوباً يحجها
فظلت بأوصالها قدرها * يخش الوليدة أن تحتوبها

وقال مسكين الدارمي

إذا صبحتني من أناس ثعالب * ليرفع ما قالوا منحتهم حقـ رآ
فكانوا كمنز السوء تبني لحينها * وتحفر بالاظلاف عن حنقها حفرآ

وقال رمضان لأبي شعيب الغلال وأبو الهذيل حاضر أي شيء تشتهي وذلك في يوم
من الصيف بالبصرة قال أبو شعيب أشتهي أن أجيء إلى باب صاحب سقط وله على
باب حانوته ألية معلقة من تلك المبرزة المشرحة وقد اصفرت وودكها يقطر من جانبي
السمن فأخذ بخصيها ثم أفتح في فلا أزال كدماً ونهشاً وودكها يسيل علي شدي حتى
أبلغ عجب الذنب قال أبو الهذيل ويلك فتنتني فتنتني يعني من الشهوة

حتى كان يستوي عنده ما يضر وما ينفع قال كان عندنا رجل يشتم ربح الكرياس لا يشفيه دونه شيء وكان قد اتخذ وتداً أوسكة من حديد في صورة المبرذ فيأتي الكرياس التي تكون في الازنة القليلة المارة فيخرق الكرياس كان من خزف أو من خشب ثم يضع منخريه عليه حتى يقضي وطره قال فأتى الناس من سيلان كرايسهم شراً حتى عثروا عليه فما منعهم من حبسه إلا الرحمة من تلك البلية مع الذي رأوا من حسن هيئته، قالوا وهذا شأن النيس وهو أبو المنز وهل تلد الحية الاحية ولا بد لذلك الذين عن ميراث أوباطن وأنشد لابن أحر

اني وجدت بني اهبان حاملهم * كالمنز تعطف روقها فترضع
وهذا عيب لا يكون في النعاج والعنز هي التي ترضع من خلفها وهي مخلفة حتى تأتي على لبنها وهي التي تنزع الود وتقلب المعاف وتير ما فيه واذا ارتمت الضائنة والماعزة فهي في فضل نبت ماناً كله الضائنة ولا ينبت ماناً كله الماعزة لان الضائنة تقرض بأسنانها وتقطع والماعزة تقبض عليه فتثيرة وتجذبه وهي في ذلك تأكله وقال الفرزدق
وكانت كمنز السوء قامت بظلفها * الى مدية تحت التراب تثيرها

﴿ وقال الشاعر ﴾

لعمرك ما تدري فوارس منقرا * أفي الأست أم في الرأس تلي الشكائم
والهي بنى حمان عسب عتودهم * عن المجيد حتى أحرزته الأكارم
وذلك أن حمان تزعم أن تيسهم قرع شاة بعد ما ذبح وانه ألقحها، وقالوا في الضأن أعجوبة وذلك أن النعجة ربما عظمت أليتها حتى تسقط على الأرض ويمنعها ذلك المشي فعند الكباش رفق في السفاد وحنق لم يسمع بأعجب منه وذلك أنه يدنو منها ويقف موقفاً ثم يصد إحدى ناحيتي الالية بصدره بمقدار من الصدف يعرفه فينفرج عن جانبها المقدار الذي لا يراه غيره ثم يسفدها في أسرع من الملح، قالوا والضأن أحمل للبرد والريح والمطر ومن مفاخر الضأن على المعز أن التمثيل الذي كان عند كسري والتخبير إنما كان بين النعجة والنعلة ولم يكن هناك للمنز ذكر وعلى ذلك الناس إلى اليوم والموت إلى المعزى أسرع وأمر اضها أكثر وانما معادن الغنم الكثير الذي عليه يعتمد الناس الجبال

﴿ وقال آخر ﴾

أعثنان بن حيان بن آدم * عتود في مفارقة يبول
ولو أني أشافه لسانه * نعماته ويعلم ما أقول

﴿ وقال الشاعر ﴾

تسمي يزيد كي يزيد فلم يزد * ففألك المسمى فسماك بالفجر
وما إلى الا التيس يمبر بوله * عليه ويهذي في لبان وفي نحر

فالتيس كالكتاب يفرح ببوله فيرد حاق خيشومه وبول التيس أخثر البول وأنته وريح
أبدان التيوس إليها ينتهي المثل ولو كان هذا في الكباش كان أعذر له لان الخوم والعفن
والنتن لو عرض لجلد ذي الصوف المتراكم الصفيق الدقيق والممتن المستكثف لأن
الريح لا تخلله والنسيم لا تحرقه لكان ذلك أشبه فقد علمنا الآن أن للتيس مع تحال
شمره وبروق جلده وجفوف عرقه وتقطع بخار بدنه فضلا في النتن ولعل ذلك أن
يحمده من وضع أنفه على جلودها، وجلود آباط الزنج منتنة العرق وسائر ذلك سليم
والتيس يبط كاه ونبته في الشتاء كنبته في الصيف وإنا لندخل السكة وفي أفصاها
تيوس فنجد نتنها من أدناها حتي لا يكاد أحدها يقطع تلك السكة الا وهو نخر الأنف
الاما كان مما طبع الله عز وجل عليه البلوي وعليها الاسوارى^(١) فان بعضهم مصادق
بعضاً على استطابة ريح التيوس وكانا ربما جالسا على باب النياس ليستنشقا تلك الرائحة
واذا مر بهما من يشكرهما وأنكر مكانهما اذعوا انهما منتظران بعض من يخرج
اليهما من بعض تلك الدور، فأما المكي فانه تعشق جارية يقال لها سندوة ثم تزوجها
نهارية وقد دعاني الى منزلها غير مرة وخبرني أنها كانت ذاصنان وأنه كان معجبا
بذلك منها وانها كانت تعالجه بالمرتك وأنه تهاها مراراً حتي غضب عليها في ذلك قال
فلما عرفت شهوتي كانت اذا سألتني حاجة ولم أقضها قالت والله لا تمر تكن ثم والله
لا تمر تكن ثم والله لا تمر تكن فلا أجد بداً من قضاء حاجتها، وحدثني موسى بن عمران
وكان هو والكذب لا يأخذان في طريق ولم يكن عليه في الصدق مؤنة لا يشاره له

وتقول العرب لهو أصرده من عين حرباء وتقول العرب العنز تهدم ولا تبني لان العنز
تصعد على ظهور الاخبية فتقطعها بأظلافها والنعجة لا تفعل ذلك ، هذا ويوت
الاعراب انما تعمل من الصوف والوبر فليس للماعز فيها مغونة وهي تحرقها وقال الاول
لو نزل الغيث لأبني امرأ * كانت له قبة سحق بجاد

انما أراد لجعل له بناء وأبنية العرب خيامهم ولذلك يقولون بني فلان على امرأته
البارحة ، وقال جشمون الطيب يا أبا عثمان اياك ولحم الماعز فانه يورث الهم ويحرك
السوداء ويورث النسيان وينسد الدم وهو والله ينجب الاولاد ، وقال الكلاني العنوق
بعد النوق ولم يقل الحمل بعد الجمل وقال عمرو بن العاصي لاشيخ الجهنمي المعترض عليه
في شأن الحكمين وما أنت والحكمين ياتيس جهمينة لان الكبش مدح والتيس ذم
وأما قوله ان الظلف لا يرى مع الخف فالبقر والجواميس والضأن والمعز في ذلك
سواء ، وأتي عبد الملك بن مروان في دخوله الكوفة على موائد بالجداء فقال أين أنتم
عن العماريس ف قيل له عماريس الشام أطيب وفي المثل لهو أذل من النقد والنقد هي
المعز وقال الكذاب الحرمازي

لو كنتم قولا لكنتم فندا * أو كنتم ماء لكنتم زبدا
أو كنتم شاء لكنتم نقدا

قال والمرأة تسمى كبشة وكبشة والرجل يكنى أبا كبشة وقال أبو فردودة
كبشة اذ حاولت تسبق * بين يستبق الدمع مني استبقا
وقامت تريك غداة الفراق * كشحا لطيفا وفذاً وساقا
ومنسدا لا كشاني الحب * ال ترشفه زنبقا أو حلاقا

وقال بمض القصاص ومما فضل الله عز وجل به الكبش أن جملة مستور العورة من قبل
ومن دبر ومما أهان الله تعالى به النيس أن جملة مهتوك الستر مكشوف الدبر والقبيل
وقال حسان بن ثابت الانصاري

سألت قريشا كلها فشرارها * بنوعائد شامت وجوه الأعايد
اذا جلسوا وسط الندي تجاوبوا * تجاوب عتدان الربيع السوافد

والسنة تلد الضأن مرة في السنة وتفر دولا تتم والماعزة تلد مرتين وقد تضع الثلاث
وأكثر وأقل والبركة والنماء والمدد في الضأن، والخنزيرة كثيرة الخناييص يقال انها
تلد عشرين خنوصاً ولا نماء لها، قال وفضل الضأن على المعزان الصوف أغلي وأثمن
وأكثر قدراً من الشعر والمثل السائر انما فلان كبش من الكباش واذا هجوه قالوا انما
هو تيس اذا أرادوا الغباوة واذا أرادوا اللبن فاذا أرادوا الغباوة في الغباوة قالوا ماهو
الانيس في سفينة، والحملان يلعب بها الصبيان والجداء لا يلعب بها ولبن الضأن أطيب
وأختر وأدسم وزبد أكثر ورؤس الضأن المشوية هي الطيبة المفضلة ورؤس المعز ليس
عندها طائل ويقال رؤس الحملان ولا يقال رؤس المعز والضأن يقال لازح على الذي يارب بالحرب
من أولاد الناس هو يارب كل رؤس الحملان لمكان آلية الحمل ولأنه أجزل وأرطب ولم
يقولوا في الكناية والتعريض هو يارب كل لحوم المعز والضأن والشواء المنعوت شواء الضأن
وشحمه يصير كله اهالة واحدة أوله وآخره والعنز يبق شحمه على حاله وكذلك لحمه
ولذلك صار الخبازون الخذاق قد تركوا الضأن لان المعز يبق شحمه ولحمه فيصلح ان
يسمن مرات فيكون أربح لاصحاب العرس والكباش للهدايا والنكاح فذلك فضيلة في
النجدة والثقافة، ومن الملوك من براهن عليها ويضع السبق عليها كما براهن على
الخيول والكباش الكزاز يحمل الراعي وأداة الراعي وهو له كالحمار في الرفق ويعيش
عشرين سنة فاذا سبق الراعي واغتلم اختار النعجة على العنز واذا نعتوا شكلان من
أشكال مشي البرازين قالوا هو يمشي مشى النعاج وقال الله عز وجل ومن أصوافها
وأوبارها فقدم الصوف، والبخت هي ضأن الابل منها الجميزات والجواميس هي
ضأن البقر يقال للجواموس بالفارسية كاوماش ولا يذكر الماعز بفضيلة الا بانتفاخ
ثمن جلده وغزارة لبنه فاذا صرت الى عدد كثيرة النعاج وجلود النعاج والضأن
كلها أربى ذلك على ما يفضل به الماعز الضأن في ثمن الجلد والغزير في اللبن، وقيل
لابنة الخلس ما تقولين في مائة من المعز قالت فثنا قيل فمائة من الابل قالت غني
قيل فمائة من الضأن قالت منى وسئل عيل بن حنظلة عن بني مخزوم فقالوا معزى
مطيرة عليها مشربة الا بني المغيرة فان فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام

النوا ان كان صادقا فانه للذى كان يسمع من الغالية من الافراط والعلو والفحش
فكانه انما أراد كسرهم وان يحطهم عن العلو الى القصد فان دين الله عز وجل بين
القصد والافعل بن الحسين افقه في الدين وأعلم بمواضع الامامة من أن يخفى عليه ما
بين علي وطلحة والزبير وقال الكمي

وعيد الحباري من بعيد تنفست * لازرق معلول الاظافر بالخضب

والحباري طائر حسن وقد يتخذ في الدور وناس كثير من العرب وقريش يستطيعون
محشو الحباري جدا قال والحباري أشد الطير طيرانا وأبدها سقطا وأطولها شوطا
وأقلها عرجة وذلك أنها تصاد بظهر البصرة عندنا فيشق عن حواصلها فيوجد فيها
الحبة الخضراء غضة لم تغير ولم تفسد وأشجار البطم وهي حبة الخضراء بعيدة المنابت
وهي علوية أو عودية أو جبلية قال الشاعر

ترتمي الشرى من براش أو هिला * ن أو تابعا من الغم *

والشرى شجرة البطم وهي حبة الخضراء بالجبال شجرتها وقال الكوذن المعجلى البطم
لا يعرفه أهل الجلس وبلاد نجد والجلس هو ما ارتفع والنور هو ما انخفض وبراش
وادبالين كان لغوم عاد وبراش كلبة كانت تشاءم بها العرب وقال حمدة بن بيض
هل جناها أخ على كريم * وعلى أهلها براش تجنى

القول في الضأن والمعز

قال صاحب الضأن قال الله تبارك وتعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز
ثنين فقدم ذكر الضأن وقال عز وجل وفديناه بذبح عظيم وقد أجمعوا على أنه كبش
ولا شيء أعظم مما عظم الله عز وجل وقال تعالى ان أخي له تسع وتسعون نعجة ولي
نعجة واحدة ولم يقل ان أخي له تسع وتسعون عنزا ولي عنز واحد لان الناس يقولون
كيف النعجة يريدون الزوجة وتسمى المهامن بقر الوحش نعجة ونعاجا ولم تسم بعنوز
وجعل الله عز وجل السنة في الاضاحي الكبش وللعقيقة وهدية العرس وجعل الجنع
من الضأن كالثني من المعز في الاضحية فهذا ما فضل الله عز وجل به الضأن في الكتاب

وكلا رنب في ايثارها الصعداء لفصر يديها وكاستعمال الارنب للتوين والوطء على
الزعمات واتخاذ اليرابيع انقاصماء والناقفاء والراهطاء والداماء وقال الشاعر
وهم تركوك اسلح من حبارى * وهم تركوك أشرد من نعم
يريد نعمة وقال قيس بن زهير

متى يتحرك للمناطق ظالما * ويجري الى شأو بعيد ومسمع
يكن كالحبارى ان أصيبت فمثلها * أصيب فان تفلت من الصقر نسلح
وقال ابن قيس يصف ناسا من الكتاب في قصيدة ذكر فيها خيانتهم فقال
رأوا مال الامام لهم حلالا * فقالوا الدين دين بنى صهاري
ولو حتي يحاسنهم أمير * لقد سلحوا كما سلح الحبارى
والحرب ذكر الحبارى والنهار فرخ الحبارى وفرخها حارف سائط لاخير فيه وقال
متعم بن نويرة

وضيف اذا نادى طروقا بقرة * وعان نعماء لقد حتى تكنا
وأرملة تمشى باشعث محتل * كفرخ الحبارى ريشه قد تصدعا

وقال أبو الحسن المدائني قال سمعت النواقدمت المدينة فليت علي بن الحسين فقلت
يا بن رسول الله متى يبعث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال اذا بعث الناس قال
ثم تذا كرنا أيام الجمل فقال ليته كان ممتوعا قبل ذلك بعشرين سنة أو كلمة غير هذه
قال فأتيت حسن بن حسين فذكرت له ما قال فقال لو ددت والله انه كان يقاتلهم
الى اليوم قال فخرجت من فوري ذلك الى علي بن الحسين فأخبرته بما قال فقال انه
لقليل الابقاء على أبيه قال وبلغ الخبر المختار فقال أيضا بين ابني رسول الله صلي
الله عليه وسلم لا قتلته فتواري ما شاء الله ثم لم أشعر الا وانا بين يديه فقال الحمد
لله الذي أمكنني منك فقلت أنت استمكنك مني أما والله لولا رؤيا رأيته لما قدرت
على قال وما رأيته فقلت رأيت عثمان بن عفان فقلت انت عثمان بن عفان فقال أنا
حباري تركت أصحابي حباري لا يهود ولا نصاري فقال يا أهل الكوفة انظروا الى
ما أرى الله عدوكم ثم خلى سبيلي ووجه كلام علي بن الحسين الذي رواه عنه سعيد

وقال الطرماح

لم تأكل القت والرعا ولم * تنقف هبيداً مجنب مهتبد
وقال الاصمعي قال رجل من أهل البادية لرجل أيسرك أن تعيش حتى تجي من
افريقية مشياً قال فأت يسرك ذلك قال أخاف أن يقول انسان انها نخيص فيفشي
على ونخيص على رأس بريد من المدينة

❦ باب في الحباري ❦

ونقول في الحباري بقول موجزان شاء الله تعالى قال ابن الاعرابي قال اعرابي أنه
ليقتل الحباري ظلم الناس بعضهم لبعض يقول اذا كثرت الخطايا منع الله عز وجل
در السحاب وانما تصيب الطير من الحب ومن النمر على قدر المطر وقال الشاعر
يسقط الطير حيث ينتثر الحب * وتفشي منازل الكرماء

وهذا مثل قوله

اما رأيت الألسن الملاط * والاذرع الواسعة السباطا

* ان الندي حيث ترى الضفاط *

وقالوا في المثل مات فلان كمد الحباري اذا انتفت أو تحسرت أبطأ نبات ريشها فاذا
طار صواحباتها ماتت كمدا واما قوله أو لم يقول يقارب ان تطمن وقال عثمان بن
عفان رضي الله عنه كل يحب ولده حتي الحباري يضرب بها المثل في الموق ، قال
ولاحباري خزانة بين دبره وأمعانه له أبدأ فيها سلاح رقيق فمتي ألح عليها الصقر وقد
علمت ان سلاحه أجود من سلاحها وأنه اذا زرقة به بقي كالملكوف أو الربوق فعند
ذلك تجتمع الحباريات على الصقر فينتفن ريشه كله كافة وفي ذلك هلاك الصقر ، قال
وانما الحباري في سلاحها كالظرابي في فساتنها وكالثعلب في بوله وكالعقرب في ابرتها
والزنبور في شعرتها والثور في قرنيه والديك في صئصئته والافني في نابها والتمساح في
ذنبه وكل شيء معه سلاح فهو أعلم بمكانه واذا عدم سلاحه صار يهرب بوجوه الهرب

قال القرداء أول ما يكون وهو الذي لا يكاد يرى من صغر ققامه ثم يصير حمالة ثم يصير قرداً ثم يصير حمة ، قال ويقال للقرداء القمل والطلح والقتير والبؤام والقرشام قال والقمل قملة وهي من جنس القردان وهي أصغر منها قال والقردان يخلق من عرق البعير ومن الوسخ والتناطح بالثلوط والابوال كما يتخلق القمل من درن الانسان ووسخه اذا انطبق عليه ثوب أو شعر أو ريش ، والحلم يعرض لأذى الكلب أكثر من ذلك قال ويقال أقطف من حمة وألق من بؤام وأذل من قرداء وقال الشاعر

يكاد خليلي من تقارب شخصه * بعض القرداء بأسنه وهو قائم
وقال أبو الحسن لقيس بن زهير والله لانت بها أذل من قرداء فقدمه وضرب عنقه
وقال الراجز

قردانه في العطن الحول * يبض عب الحنظل المقل

* من الحلاء ومن الحول *

ويقال لحمة الثدي القرداء وقال ابن الرقاع

كان قرداء صدره طبعتهما * بطين من الجولان كتاب أعجم

والقرداء يعرض لآفة الجمل والقمل يعرض للخصي وقال الشاعر

رأيت مكانك من وائل * مكان القرداء من أسة الجمل

وقال المذوق

تناحي طايحي ما تراح من الشذا * ولو ظل في أوطانها القمل يرتقي

يصف شدة جزعها من القرداء وقال بشار بن برد

أعاد الهم منفرداً بشوق * على كبدي كما لاق القرداء

وكانوا إذا خافوا الجذب والازمة تقدموا في عمل العلهز والعلهرز قردان تعالج بدم الفصد

مع شيء من وبر فيدخرون ذلك كما يدخرون حافر الحمار والأكارع والجوارس ،

والشعوبية تهجو العرب يأكل العلهز والعب والزعاع والهبيد والبربر وأشياء ذلك

وقال حسان بن ثابت

لم يعلن بالمغافير والصم * غ ولا شرى حنظل الخطبان

وهجاءم الاعشى فقال

فلمسنا بناعى المهملات بعرفة * اذا ما طما بالليل منتشراتها
أبامسمع أقصر فان قصيدة * متى تأتكم تلحق بها أخواتها

وهجاءم حصين بن المنذر فقال

تنازعنى ضبيعة أمر رومي * وما كانت ضبيعة للامور
وهل كانت ضبيعة غير عبد * ضممناه الى نسب شكير
وأوصانى أبى خفمظت عنه * بفك الغل عن عنق الاسير
وأوصى جحدر فوفى بنيه * بارسال القراد على البير
قال وفي القراد يقول الآخر قال بمضهم يحملها فى البراغيث وهذا باطل
ألا يا عباد الله من لقييلة * اذا ظهرت فى الارض شد مغيرها
فلا الدين ينهاها ولا هي تنهى * ولا ذو سلاح من معد يضيرها
فمن أصناف القردان الحمان والحلم والفرمان والقمل والطلح وقال الطرماع
لماوردت الطوى والحوض كالا * صرم دفين الاذاء ملتئده
وقد لوى انفه بمشفرها * طلع قراشيم شاحب جسده
سابت قليلا على نصائبه * ثم استمرت فى طامس تجده
على طويل الطوى كصالية الشفة * مع مع العلوئين تصطعده
وفى لزوق القراد يقول الراعى

نبتت مرافقهن فوق مزلة * لا يستطيع بها القراد مقيلا
والعرب تقول ألزم من البؤام كما تقول ألزق من القراد وهما واحد وذو كرامة
ابن أبى الصلت خلق السماء وأنه ذ كر من ملاستها أن القراد لا يعلق بها فقال
والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها معاقلنا وفيها نولد *
فيها تلامذة على قدمائنا * حسرا قياما فالفرائص ترعد
فبني الاله عليهم محصوفة * خلفا فلا تبلي ولا تتأود
فلو أنه يحدو البؤام بمتمها * لبني وألفاها التي لا تقرد

يضرّبون انثى في الامور المرتفعة فيقولون ماء كأنه العسل ويصفون كل شيء حلو
فيقولون كأنه العسل ويقال هو معسول اللسان وقال الشاعر

لسانك معسول ونفسك شحة * ودون الثريا من صديقك مالكا

وقال الله عز وجل في كتابه وذكّر انهار الجنة فقال مثل الجنة التي وعد المتقون فيها
أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين
وأنهار من عسل مصفى واستفتح الكلام بذكر الماء وختمه بذكر العسل وذكّر
الماء واللبن فلم يذكّرهما في نعتهما ووصفهما الا بالسلامة من الاسن والتغير وذكّر
الخمر والعسل فقال من خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فكان هذا ضرب من
التفضيل وذكّرهما في مواضع آخر فنفي عنهما عيوب خمر الدنيا فقال عز وجل اسمه
لا يصدعون عنها ولا ينزفون فكان هذا القول الاول أظهر دليل على التفضيل

❦ باب القول في القرد ❦

يقال أسمع من قرد وأثرق من قرد وما هو الا قرد وقال الشاعر

هم السمن بالسنوت لا ألس فيهم * وهم يمنعون الجار أن يتقردا

❦ وقال الخطيئة ❦

لمعرك ما قرد بنى كلاب * اذا نزع القرد بمسطاع

قال وذلك أن الفحل يمنع أن يخطم فاذا نزع من قرداته شيئاً لذلك وسكن اليه
ولان لصاحبه حتى يلتقى الخطام في رأسه، قال وأخبرني فراس بن خندف وأبو
بزرة قال كان يعمل اذا نزلت رفقة قريباً منه أخذ شنة فجعل فيها قردانا فنشرها
بقرب الابل فاذا وجدت الابل مسها نهضت وشد الشنة في ذنب بعض الابل فاذا
سمعت صوت الشنة وعمت فيها القردان نفرت ثم تبیت في ذروة وما ند منها ويقول
أرحم العالة الضعاف يعنى القردان قال أبو قردة لم تكن همته تجاوز بميراً قال أسيد
ابن رميص

لنا عز ومأوانا قريب * ومولى لا يدب مع القرد

فزعموا أنهم يرفعون السماء وإن السماء تسقط ومتى خرج العسل من جهة بطونها
 وأجوافها ومتى خمل اللثة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا وهذا
 الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه قال وبأسبابه اتسمت وقد خاطب بهذا الكلام
 أهل تهامة وهذيل وضواحي نجد هؤلاء أصحاب العسل والأعراب أعرف بكل
 صفة سائلة وعسل سافطة فهل سمعتم بأحد أنكر هذا البيان أو طعن عليه من هذه
 الحجة ، سفيان الثوري قال حدثني أبو طعمة عن بكر بن ماعز عن ربيع بن خثيم قال
 ليس للمريض عندي دواء إلا العسل وهشام بن حسان أنه كان يمجبه إذا استمشى
 الرجل أن يشرب اللبن والعسل ، إبراهيم بن أبي يحيى قال بلغني عن ابن عباس أن
 النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الشراب أفضل قال الحلو البارد ، والثوري عن
 أبي اسحاق عن أبي الاحوص قال مضى رجل إلى ابن مسعود قال إن أخي
 يشتهي بطنه وقد نعت له الخمر قال سبحانه الله ما كان الله ليجعل شفاء في
 رجس وإنما جعل الشفاء في اثنين في القرآن والعسل ، سعيد بن أبي عروبة عن أبي
 المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن
 أخي يشتهي بطنه فقال اسقه عسلا ثم أتاه فقال قد فعلت فقال اسقه عسلا ثم أتاه
 فقال قد فعلت فقال اسقه عسلا ثم أتاه الرابعة فقال صدق الله وكذب بطن أخيك
 اسقه عسلا فسقاه فبرئ الرجل ، قال والذي يدل على صحة تأويلنا لقول الله عز وجل
 يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أن المعجونات كلها إنما تكون
 بالعسل وكذلك الانبجات ومتى ألتى في العسل اللحم الغريض فاحتاج صاحبه إليه
 أخرجه بعد شهر ظريما لم يتغير وأينما قطرت منه قطرة على وجه الأرض فإن استدار
 كما يستدير الزئبق ولم يتفش ولم يختلط بالأرض فهو الصحيح وأجوده الذهبي ، وبزعم
 أصحاب الشراب أنهم لم يروا شرابا قط ألد ولا أحسن ولا أجمع لما يريدون من شراب
 لعسل الذي ينتبذ بمصر وليس في الأرض تجار شراب ولا غير ذلك أيسر منهم وفيه
 عجوبة وذلك أنهم لا يعملونه إلا بماء النيل أكر ما يكون وكلما كان أكر كان أصفي
 إن عملوه بالصافي فسد وقد ياتي العسل على الزبيب وعلى عصير الخمر فيجودهما وبه

ولو كان اتخذ الرئيس من النحل والكراكي والفرانق والابل والحمر والبقر لكثرة ما معها من المعرفة لكانت القروود والذر والشعالب أولى بذلك فلا بد من معرفة ولا بد من طباع وصنعة والحمام يؤجل من لؤلؤة وهن بصريات وبنداديات وهن جماع من هاهنا ومن هاهنا فلا تتخذ رئيسا، وقد طعن ناس من الملاحدين وبعض من لا علم له بوجوه اللغة وتوسع العرب في لغتها وفهم بعضها عن بعض بالاشارة والوحي فقالوا قد علمنا ان الشمع شيء ينقله النحل مما يسقط على الشجر فيبني بيوت النحل منه ثم ينقل من الأشجار العسل السافط عليها كما يسقط الترنجيبين والمن وغير ذلك الا أن مواضع الشمع وآثاره أخفي وأقل فليس العسل بقي ولا رجميع ولا دخل للنحلة في بطن قط وفي القرآن قول الله عز وجل وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ولو كان انما ذهب الى شيء يلقطه من الأشجار كالصمغ وما يتولد من طباع الانداء والاهواء والاشجار انما تمازجت لما كان في ذلك عجب الا بقدر ما نجد في أمور كثيرة، فلنا فقد زعم ابن حائك وناس من جهال الصوفية ان في النحل أنبياء لقوله عز وجل وأوحى ربك الى النحل وزعموا ان الحواريين كانوا أنبياء لقوله عز وجل واذا أوحيت الى الحواريين وما خالف ان يكون في النحل أنبياء بل يجب ان تكون النحل كلها أنبياء لقوله عز وجل على المخرج العام وأوحى ربك الى النحل ولم يخص الامهات والملوك واليعاسيب بل أطلق القول اطلاقا وبعد فان كنتم مسلمين فليس هذا قول أحد من المسلمين وإلا تكونوا مسلمين فلم تجملوا الحجة على نبوة النحل كلاما هو عندكم باطل، وأما قوله عز وجل يخرج من بطونها شراب فالعسل ليس بشراب وانما يحول بالماء شرابا بالماء نبذا فسماه كما ترى شرابا اذ كان مما يحى منه الشراب وقد جاز في كلام العرب أن يقولوا جاءت السماء اليوم بأمر عظيم وقد قال الشاعر

إذا سقط السماء بأرض قوم * رعيناه وإن كانوا غضابا

الرقباء من الذكور وزعم ناس ان الكراكي لا تري أبداً الا فرادى وكان الذي
يجمعها الذكر ولا يجمعها أزواجاً ولا أدري كيف هذا القول والفعل رئيس يسير
يسير، الابل والبقر والحمر لان الرئيس هو الذي يوردها ويصدرها وتنهض بنهوضه
ويقعن بوقوعه واليعسوب هو خلفا فترى كما ترى جميع الحيوان الذي تتخذ رئيسا انما
هي إناث الاجناس فانهم يعلمون ان صلاحتهم في اتخاذ أمير وسيد ورئيس وزعم
بعضهم ان رياسة اليعسوب وخل الهجمة والثور والعير لاحد أمرين لاقتدار الذكر
على الاناث والاخر لما في طباع الاناث من جب ذكورتها ولو لم تتأمر الفحول
لكانت هي لحبها للفحول تغدو بفدوها وتروح برواحها، قالوا وكذلك الفرايق
والكراكي فاما ما ذكرنا من رؤساء الابل والبقر والجواميس والحمر والنحل فما أبدهم
في ذلك عن الصواب، واما الفرايق والكراكي بهذه المنزلة فليس على ما قالوا وعلى
أننا نجد بداً من أن نعلم ان ذكورتها أقوى على قسر الاناث وجمعها اليه من الاناث
وعلى أنه لا بد من أن يكون بعض طاعة الاناث لها من جهة ما في طباعها من حب
ذكورتها ولو كان اتخاذ الكراكي والفرايق والرقباء الرؤساء انما علمته المعرفة لم يكن
للفرايق والكراكي في المعرفة فضل على الذر والنمل وعلى الذئب والثعلب والحمام
أما الغنم فهي أغر وأموق من أن تجري في باب هذا القول، وقد تخضع الحيات للحية
والكلاب للكلب والديوك للديك حتي لا ترومه ولا تحاول مدافعته، ولقد خرجت
في بعض الاسعار في طاب الحديث فلما صرت في شريفة المحلة نارالي من الدار عدة
كلاب من ضحاهما ومما يختاره الحراس فيبينا أنا في الاحتيا لهن اذ سكتوا سكتة
واحدة معاً ثم أخذ كل واحد في شق كالحائف المستخفي وسمت نفخة انسان
فانتهزت تلك الفرصة من امسا كهن عن النباح اذ أقبل رجلان ومعهما كلب أرب
ضخم وهو في ساجور لم أر قط كلباً أضخم منه فعلت أنهم انما سكتن عن النباح
واسنثن من الهيبة له وهي مع ذلك لا تتخذ رئيساً، وروى عن عباد بن صهيب عن
عوف بن أبي جميلة عن قسامة بن زهير قال قال أبو موسى ان لكل شئ سادة وقال
بعضهم سادة النمل المتقدمات وهذا يخرج ولا يدري ما معنى ما قال أبو موسى في هذا

— باب في النحل —

زعم صاحب المنطق أن خلية من خلايا النحل فيما سلف من الزمان اعتلت ومرض ما كان فيها من النحل وجاء نحل من خلية أخرى يقاتل هذا النحل حتى أخرجت العسل فأقبل القيم على الخلايا يقاتل ذلك النحل الذي جاء الى غير خليته قال فخرج النحل من الخلية يقاتل النحل الغريب والرجل بينهما يطرد الغريب فلم تأسعه نحلة الخلية التي هو حافظها لدفعه المكروه عنها قال فأجود العسل ما كان لونه لون الذهب قال والنحل مجتمع فتقسم الاعمال بينها فبعضها يعمل الشمع وبعضها يعمل العسل وبعضها يبني البيوت وبعضها يسقي الماء ويصبه في الثقب ويلطخه بالعسل ومنه ما يبكر الى العمل ومن النحل ما يكف حتى اذا نهضت واحدة طارت كلها يقال بكر بكور اليسوب يريد أمير النحل لأنها تتبعه غدوة الى عملها ومنها ما ينقل العسل من الأطراف ومنها ما ينقل الشمع الذي تبني به فلا تزال في عملها حتى اذا كان الليل أتت الى مأها قال والاردي عمل العسل يقال أرت تأري أريا والاردي في غير هذا الموضع الفنا وقال أبو ذؤيب

فباتت بجمع ثم تتم الى منى * فأصبح ذاراً يبتغي المرخ بالسخل^(١)

المرخ العسل والسخل المنفرد قال ومن الحيوان ما يكون لكل جماعة منها رأس وأمير ومنها ما لا يكون ذلك له فأما الحيوان الذي لا تجد بداً ولا مصاحبة لشأنه الا باتخاذ رئيس وربيب مثل ما يصنع الناس ومثل ما يتخذ النحل والغرائق والكراكي فأما الابل والحمل والبقر فان الرياسة لفحل الهجمة ولعير العانة ولثور الربرب وذكرتها لاتخذ

(١) في لسان العرب ج ١٣ ص ٣٥٠ في مادة س ح ل والسحل النقد من الدراهم وسحل

الدراهم يسحلها سحلاً انتقدها وسحلها مائة درهم سحلاً نقده قال أبو ذؤيب

فبات بجمع ثم آب الى منى فأصبح راديتني المرخ بالسحل

فجاء بمرخ لم ير الناس مثله هو الضحك الا انه عمل النحل

قوله يبتغي المرخ بالسحل أي النقد اهـ

الاسد ذباب السكاب وكذلك ذباب الكلاء لما يغشى السكلاء من بعد وغير ذلك ولها
عض منكر ولا يبلغ مبلغ ذباب الاسد فمن أعاجيبها سوى شدة عضها وسمها وانها
مقصورة على الاسد وانها متى رأت بالاسد دما من خراج أو جرح ولو في مقدار
الخدش فانها تستجمع عليه ولا تقلع عنه حتى تقتله وهذا شبيه بما يروى ويخبر عن
الذرفان الذرمي رأت بحية خدشا لم تقلع عنه حتى تقتله وحتى تأكله ولقد أردت أن
أغرس في داري اراكة فقالوا لي ان الأراك انما تنبت من حب الأراك يغرس في
جوف طين في قواصر ويسقي الماء أياما فاذا نبت الحب وظهر نباته فوق الطين
وضعت القوصرة كما هي في جوف الارض وتكن الى أن تصير في جوف الارض فان
الذر تطلبه مطالبة شديدة وان لم تحفظ منها بالليل والنهار أفسدتها فعمدت الى منارات
من صفر من هذه المسارح وهي في غاية الملاسة واللين فيكنت أضع القوصرة على
الترس الذي فيه الاملس فأجد فيه الذر الكثير فيكنت أنقل المنارة من مكان الى
مكان فما أفلح ذلك الحب، قال والعناكب ضروب فمنها هذا الذي يقال له الليث وهو
الذي يصيد الذباب صيد الفهود وقد ذكرنا في صدر هذا الكتاب حذقه ورققه
وتأنيه وختله ومنها جنس اذا مشى على جلد الانسان سم ويقال ان العنكبوت الطوال
لا رجل اذا اتخذت بيتا وأعدت فيه المصايد والحبال والخيوط التي تلتف على ما يدخل
بيتها من أصناف الذباب وصغار الزنابير لانها حين علمت أنها لا بد لها من القوت
وعرفت ضعف قوائمها وانما تعجز عما يقوي عليه الليث احتمات بتلك الحيل
والعنكبوت والفأر والنحل والنمل من الاجناس التي تتقدم في احكام شأن الميمنة
واما العناكب هي العوامل والذكري ينقض ولا ينسج وان كان على النسج
على التقدم في احكام شأن المعاش حين يولد، وقالوا وأشياء من أولاد الحيوان
يكون عالمة بصناعتها عارفة بما يمشيها ويصلحها حتى تكون في ذلك كامها وآبائها
حين تخرج الى الدنيا كالفرج من ولد الدجاج والحسل من ولد الضباب وفرخ
عنكبوت وهذه الاجناس مع الفأر والجردان التي من بين جميع الخلق بدخ
فسيه ما يمشيه من الطم.

كان قفا هارون إذ قام مدبراً * قفا عنكبوت سل من دبرها غزل
الآيات هارونا يسافر حافياً * وليس على هارون خف ولا نعل

وقال مزرد بن ضرار

ولو ان شيخا ذا بنين كأنما * على رأسه من شامل الشيب قرنس
ولم يبق من اضراسه غير واحد * اذا مسه يدي مراراً ويضرس
تبئت فيه العنكبوت بناتها * نواشئ حتى شبن أو هن غنس
لظل اليها رانيا وكأنه * اذا كش نور من كريس منمس

فذلك من أجناس العناكب جنس رديء التدبير لانه ينسج شركه في الارض
والصخور ويجعله خارجا وتكون الاطراف داخلة فاذا وقع عليه شيء مما يقتذيه من
شكل الذباب وما أشبه ذلك أكله ، وأما الدقيق الصنعة فانه يصعد بيته ويمد الشعر
ناحية المروق والاولاد ثم يسدي من الوسط ثم يهيئ اللحمه ويهيئ مصيده في
الوسط فاذا وقع عليها ذباب وتحرك ما هناك ارتبط وتنشب فيه فيتركه على حاله حتى
اذا وثق بوهنه وضعفه غلله وأدخله الى خزائنه وان كان جائعا مص من رطوبته
ورمي به فاذا فرغ رم ما تشمت من نسجه وأكثر ما يقع على تلك المصيدة من الصيد
عند غيوبة الشمس وانما تنسج الاشي فأما الذكر فانه ينقض ويفسد وولد العنكبوت
أعجب من الفروج الذي يظهر الى الدنيا كاسيا محتالا مكفيا ، قال وولد العنكبوت
يقوم على النسيج ساعة يولد قال والذي ينسج به لا يخرج من جوفه بل من خارج
جسده وقال الجندامي

كان قفا هارون اذ قام مدبراً * قفا عنكبوت سل من دبرها غزل

فالنحل والعنكبوت ودود القز تختلف في جهاتها يقال انها تخرج منها ومن العناكب
جنس يصيد الذباب يصيد الفهود وهو الذي يسمى الليث وليست بعيون واذا رأى
الذباب اطلق بالارض وسكن اطرافه واذا وثب لم بخطئ وهو من آفات الذباب ولا
يصيد الا ذباب الناس وذباب الاسد على حدة وليس يقوم لها شيء وهي أشد من
الزنابير وأضر من العقارب الكبار وفيها من الاعاجيب انها تمض الاسد كما تمض

من البعوض ومن التقطى * اذا تغنين غناء الزط *
 ومن منى بـمكان القرط * توقع منى مثل وقع الشرط

وقال أيضاً

أرى البعوض زجرات أصواتها * وأخذ اللحن مغنياها
 * كل زجول تتق حداثها * صغيرة عظيمة أذاتها
 * تنقص عن تنعيمها نعاتها * ولا تصاب أبدأر ماتها
 * راحة خرطومها قناتها *

وانشدني جعفر بن سعيد

ظالت في البصرة في هراش * وفي براغيث اذها فاشي
 من نافر منها وذوي احتماش * يرفع جنبي عن الفراش
 فاناني جسد وفي تحراش * تترك في جنبي كالخداش
 وزوجة دئمة المهراش * تغلي كغلي الرجل النشاش
 تأكل ما جمعت من تهشاش * بأمر معروف فغوش ناش

وقال رجل من حمان وقع في جند الثغور

أنصر أهل الشام ممن يكيدهم * وأهلي بنجد ذاك حرص على النصر
 براغيث تؤذيني اذا الناس نوموا * وبق افساسيه على جانب البحر
 فان يك قرصاً بعده لانهده * وان بذلوا حمر الدنانير كالجمر

— باب في العنكبوت —

قال الله عز وجل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان
 أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ثم قال على أثر ذلك وتلك الامثال
 نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون يريد ذكره بالوهن وكذلك هو لم يرد احكام
 الصنعة في الرقة والصفاقة واستواء الرفعة وطول البقاء اذ كان لا يعمل فيه الا تعاور
 الايام وسلم من جنات الأيدي وقال الجذامى

يزهدني في ود هارون انه * غلته بأطباء ملعنة عكل

كان وغى الحنوش بجانيه * وغى ركب أميم ذى هباط
والحنوش أصناف البعوضة والغوي الاصوات الملتفة التى لا يبين واحدها عن معنى
صاحبه وهو كما تسمع من أصوات الجيوشين اذا التقيا على الحرب وكما تسمع من ضجة
السوق ، وقال الحكيم يذكّر قانصاً وصاحب فترة لانه لا يبنى بيته الا عند شريعة
يفنى بها الوحش فقال ووصف البعوض

به حاضر من كل جن يروعه * ولا انس الا ذوزبان وذوزجل
فالحاضر لا يبرحه البعوض لان البعوض من الماء يخلق وكيف يفارقه والماء الراكد
لا يزال يولده فان صار نطافاً أو ضحضحا استحال دعاميص وانساخت الدعاميص
فصارت حواساً وبعوضاً وقال ذو الرمة

وأيقن أن النقع صارت نطافه * فراشا وأن البقل ذاو ويابس
وصف الصيف وقال أبو جزة وهو يصف القانص والشريمة والبعوض
بيت جارته الافى وسامر * ربدبه غادر منهن كالحرب
ربد فى لونها يعني البعوض وهي التى تنبه القانص وتسهره والغادر الاثر يقول هي
لغادر وآثار كآثار الحرب من لسع البعوض وهو مع ذلك وسط الافاعى وقال الراجز
يصف البعوض

* وليلة لم أدر ما طواها * أمارس البعوض فى دجاها
كل زمول خفق حشاها * بست أيد هاها سواها
لا يطرب السامع من غناها * جناه أعظمها أذاها *
وكذلك فوائم الجرادة هي ست يدان ورجلان والحشاون وبهم ما تعتمد اذا تدب
فأما العقرب فلها ثمان أرجل وللنملة ستة أرجل وللسرطان ثمان أرجل وهو فى ذلك
يستعين بأسنانه فكانه يشى على عشر وعيناه فى ظهره وما أكثر من يشويه ويأكله
للشهوة لا للحاجة ولا للملاج وقال الراجز ووصف حاله وحال البعوض
لم أر كالיום ولا مذ قط * أطول من ليلى بنهر لظ
كأنما نجومه فى ربط * أبيت بين خطي مشط

النظام قال ووردنا زقاق الحبة في أجمة البصرة فأردنا النفوذ فنعنا صاحب المسلحة فأردنا
 التأخر الى الجوز الذي خرجنا منه فأبى علينا ووردنا عليه وهو سكران وأصحابه سكارى
 فغضب على ملاح نبطي فشده قساطا ثم رمى به في الاجمة على موضع أرض يتصل
 بموضع اخراج صاحب المسلحة فصاح الملاح افتلاني أي قتلة شئت وأرحني فأبى
 وطرحه فصاح ثم عاد صياحه الى الاثنين ثم سكت وناموا كلهم سكارى فجئت الى
 المقموط وما جاء وقت العتمة واذا هو أشد سوادا من الزنجي وأشد انتفاخا من الزق
 المنفوخ وذلك كله ما بين العشاء والمغرب فقلت انها لسبته واسمعه من كل جانب
 لسما على اسمع ان اجتماع سموها أربت على لسمعة أفنى ، هذا وهي ضر ومحنة ليس فيها
 شئ من المرافق والمقارب يأكلها مشوية من بعينه ريح السبل فيجدها صالحة
 ويرمى بها في الزيت حتى اذا تفسخت وامتص الزيت ما فيها من قواها فطولوا بذلك
 الدهن الخصى الذي فيه النفخ فرق تلك الريح وتمحص الجلدة ويذهب الوجع فاذا
 سممت بدهن المقارب فانما يعنون هذا الدهن

باب في البقي والحر جس والسرار والفراش والأدي

وقال الله عز وجل ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قال يريد
 فما دونها وهو كقول القائل للرجل يقال فلان أسفل الناس وأنزلهم فتقول هو فوق
 ذلك تضع قوله في موضع هو شر من ذلك ، قال وضروب من الظير لا تلتمس
 الا بالليل منها الخفاش والبومة والصددي والضوع وغراب الليل والبعوض بالنها
 تؤذي بقض الاذى وانما سلطانها بالليل وكذلك البراغيث ، وأما القمل فأمره في
 لحالات مستو وليس للذباب بالليل عمل الا أنى متى باتت متى في المنزل ما صار اليه
 يسكن من الذباب ولم أطردها بالعشى بعد الضر فاني لا أجدها فيها بعوضة واحدة
 قال في خرطوم البعوضة

مثل السقاة دائم طينها * ركب في خرطومها سكينها

قال الهذلي

من تلقاء الجيفة فطيرت البعوض الى شقنا وسقطت بعوضة على جبهتي فما هو الا ان
عضتني اذ قد أسود وجهي وتورم رأسي فكنت لا أضرب يدي الى شيء أحكه من
رأسي وحاجبي الا انتثر في يدي خملت الى منزلي في محمل وعولجت بأنواع العلاج
فبرأت بعد دهر طويل على أنه بقي على من الشين أنه تركني أقرع الرأس أمرط
الحاجبين قال والقوم يخوضون معه في ذلك الحديث خوض قوم قد قبلوا تلك القصة
قال فتبسمت ونكس القيدى رأسه فظن الشيخ أنه قد جرى بيننا في ذلك دور من
القول فقال ان هذا القيسي خبيث ولمله ان يكون قد احتال بحيلة قال ابراهيم فلم
أسمع في السموم بأعجب من هذا الحديث، وزعم أهل انطاكية أنهم لا يتعمضون
لطلسم هناك ولو ادعى أهل عقو الدير المتوسطة لاجة ما بين البصرة وكسكر لكان
طلسمهم أعجب ويزعم أهل خص ان فيها طلسما من أجله لا تمش فيها العقارب وان
طرحت فيها عقرب غريبة ماتت من ساعقتها ولعمري إنه ليجوز أن تكون تضاد
ضربا من الحيوان فلا يمش فيها ذلك الجنس فيدعى كذابو أهلها ان ذلك لرقية أو
دعوة أو طلسم والبرغوث اذا عض وكذا القملة فليس هناك من الحرقة والالتم ماله
مدة قصيرة ولا طويلة واما البعوض فاشهد ان بعوضة عضت ظهري قدى وأنا بقرب جادة
العرجاء وذلك بعد ان صلى الناس المغرب فلم أزل منها في أكل وحرقة وأنا أسير في
السفينة الى أن سمعت أذان العشاء وكذلك يقال إن البعوضة لو ألحقت بمقدار حرم
الجرادة فانها أصغر العقارب ثم زادت من تضاعيف مامعها من الدم على حسب ذلك
لكانت شرأ من الدويبة التي تسمى بالفارسية ذروه وهي أكبر من القملة شيئا
وتكون بمهرجان فوق فانها مع صغر جسمها تفسخ الانسان في أسرع من الاشارة
باليد وهي تمض وتلسع وهي من ذوات الافواه وهي التي يزعمهم يقال انها قلة
استحالت هذه الدابة الخبيثة والبعوضة من ذوات الخراطيم، وحدثني محمد بن هاشم
السدرى قال كنت بالزلط فكنت والله أرى البعوضة تطير من على ظهر النور فتسقط
على غصن من الاغصان فتفلس ما في بطنها ثم تمود البعوضة فتفمس خرطومها
في جلد الجاموس كما يفمس الرجل أصابعه في الثريد، وحدثني ابراهيم بن سيار

عقاربا ترقص من مرفضها * ان دام هذا هربت من أرضها
* يارب فاقتل بعضها ببعضها *

(حدثني) ابراهيم السندي قال لما كان أبي بالشام واليا أحب أن يسوي بين
القحطاني والمدناني وقال لسننا تقدمكم الا على الطاعة لله عز وجل وللخلفاء وكلكم
اخوة وليس للزاري شيء ليس لليماني مثله قال وكان يتغدى مع جلة من جلة الغريقيين
ويسوي بينهم في الاذن والمجلس وكان شيخ اليمانية يدخل عليه معتما وقد جذب كور
عمامة حتى غطى بها حاجبه وكان لا ينزعها في حر ولا برد فأراد فتى من قيس وكان أبي
يستخليه ويقربه ان يسقطه من عين أبي ويوحشه منه فقال له ذات يوم ووجه المجلس
خال اني أريد ان أقول شيئا ليس يخرجني الا الشكر والحرية والا المودة والنصيحة
والا ما أعرف من تمزك وتنشطك وأنت متى انتهيت الى ما أنا ملقية اليك لم آمن
ان تستغشني وان لم تظهره لي ان هذا اليماني انما يعم أبدأ ويمد صرة العمامة حتى يغطي
بها حاجبيه لان به داء لو علمت به لم تؤاكله قال فقال أبي فرماني والله بمنى كاد
بنقض جميع ما بيدي وقت والله اني أكلت معه وبه الذي به ان هذا هو البلاء
وان منعت الجميع مؤاكلتي لأوحشهم جميعا بمد المباشطة والملاينة والملابسة والمؤاكلة
ولئن خصصته بالمنع وأقدمته على غير ما يرى ليفضن وان غضب ليفضن معه كل
قطاني بالشام فبت ليلة طويلة فلما كان الغد وجلست ودخلوا للسلام أجرى شيء من
ذكر السموم وغرائب أعمالها فأقبل على الشيخ فقال عندي بالمعانة ما ليس عند
أحد خرجت مع ابن عمي هذا ومع ابني هذا أريد قرى الفلانية فاذا بقرب الجادة
بمير قد نهشته أفني واذا هو وافر اللحم وكل شيء حواليه من الطير والسباع ميت فعدنا
على قاب أرماحنا واذا عليه بموض كثير فبينما أقول لأصحابي هؤلاء انكم لترون
العجب أول ذلك ان بميرا مثل هذا يتفسخ من عضة شيء لعله ان يكون في جسم عرق
من عروقه أو عصبية من عصبه فما هذا الذي مجه فيه وقذفه اليه ثم لم يرض بأن قتله
وفسخته حتى قتل كل طائر ذاق منه وكل سبع عض عليه وأعجب من هذا قتله لا كابر
السباع والطير وتركه قتل البعوضة مع ضعفها ومهانتها فبينما انا كذلك اذا هبت ريح

تطاول بالنسقاط ليلى لم يكن * بحنو الغنى ليل علي يطول
يؤرقني حذب صغار أذلة * وان الذي يؤذنيه لذليل
إذا جال حول الناس فيهن جولة * تعلقن بي أو جان حيث أجول
إذا ما قلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينمي لمن قتيـل
ألا ليت شعري هل أبتن ليلة * وليس لبرغوث علي سبيل
وقال أبو الشمعة

يا طول يومي وطول ليلته * ان البراغيث قد عبثن به
فيهن برغوثه مجوعة * قد عقدت كفها بفقـهـته

﴿ وقال آخر ﴾

هنيئاً لأهل الريف طيب بلادهم * وان أمير الري يحيي بن خالد
بلاد إذا جن الظلام تنارت * براغيثها من بين مثنى وواحد
زيارحة سود الجلود كأنها * بغال يزيد أرسلت في موارد

﴿ وقال آخر ﴾

أرقني الاسيود الأسك * ليلة حلك ليس فيها شك
أحلك حتى ماله محلك * أحلك حتى صرفني منك

﴿ وقال آخر ﴾

يا أم مثواي عدمت وجهك * أنقذني رب العلمان مصرك
ولذع برغوث أرام مهلكي * أبت ليلى دائم التحكك
* تحكك الجرب عند المبرك *

﴿ وقال آخر ﴾

الحمد لله برغوث يؤرقني * أحيلك الجلد لاسمع ولا بصـر

﴿ وقال آخر ﴾

* قبيلة في طولها وعرضها * لم يطعموا عينا لهم بقمضها
خوف البراغيث وخوف عضها * كأن في جلودها من مضها

﴿ وقال آخر ﴾

لقيت من البرغوث جهداً ولا أرى * أميراً على البرغوث يقضى ولا يمدى
* يقابني فوق الفراش وبينه * وتصبح آثار تبين في جلدى

﴿ وقال آخر ﴾

الا يا عباد الله أى قبيلة * اذا ظهرت فى الارض شد مغيرها
فلا الدين ينهاها ولا هي تنهى * ولا ذو سلاح من معد يضيرها

وقال يزيد بن شيبه الكلابي

وأصبحت سألت البراغيث بعدما * مضت ليلة مني قليل رفودها
فيا ليت شعري هل أزورن بلدة * فليل بها أوباشها وسيدها
وهل أسمع من الدهر أصوات ضمير * تطالع بالركبان صمراً خدودها
وهل أرين الدهر ناراً بارضها * بنفسى وأهلى أرضها ووفودها
تراطن حولى كما ذر شارق * ببغداد انباط القرى وعبيدها

﴿ وقال آخر ﴾

لا بارك الله فى البرغوث إن له * لدعا شديداً كاذع البكى بالنار
أقول والنجم قد غارت أوائله * وغاس المدج السارى بأسجار
لبرقة من براق الحزن أعمدها * فيها الظباء تراعى نبت أمطار
أشني لدائي من درب بها نبط * ومنزل بين حجام وجزار
من ينخر الشول لا يخطئ قوائمه * بمدينة كشرار النار بتار

﴿ وقال آخر ﴾

ان هذا المصلوب لا شك فيه * هو من بعد صلبه مبعوث
حل فى حيث ليس يأكله البسق ولا يهتدى له البرغوث
بين حنوى مطية إن يسقها * سائقها فذاك سير حثيث
فعليه الدمار والخزى لما * قلت من ذا فليل لص خبيث

وقال أبو الرياح الاسدي

سقتني سقاء المجد من آل ظالم * بارشية أطرافها في الكواكب
وان بأعلى ذى النخيل أسنة * فعشرين أعياراً شدد المناكب
يشان باستاه عليهن دسمة * كما شال بالاذناب سم العقارب

باب والبرغوث أسود أحذب نزاء من الخلق الذي لا يمشى وربما قال بمضهم ديبها
من تحتي أشد على من عضها وليس ذلك بديب وكيف يمكنه الديب وهو ملزق على
النطع بجنب جلد النائم ولكن البرغوث خبيث فتى أراد الانسان ان يتقلب من
جنب الى جنب انقلب البرغوث واستلقى على ظهره ورفع قوائمه فدغدغه فيظن من
لا علم عنده أنها تمشى تحت جنبه وقد ذكرنا من شأنه في مواضع ولو كان الباب يكبر
حتى يكون لك مجموعا ولم تعرفه تكلفت لك جمعه وقال بمض الاعراب

ليل البراغيث أعياني وأنصبنى * لا بارك الله في ليل البراغيث
كانهن وجلدى اذ خلوت به * قضاة سوء أعاثوا في المواريث

وقال محمد بن أبي القاسم النمشلي

لروضة من رياض الحزن أو طرق * من القرية جود غير محدوث
للنور فيه اذا ميج الزندي أرج * يشفي الصداع ويتقي كل مبعوث
أحلى وأملى لعيني ان مررت به * من كرخ بغداد ذى الرمان والتوث
الليل نصفان نصف للهموم فما * أفضى الرقاد ونصف للبراغيث
أبيت حتى تساميني أوائلها * ارود اخلط تسبيحا بتغوث
سود مداليج في الظلاء مؤذبة * وليس ملتمس منها بمشبوث

وقد جعل التوث بالناء ووجه الكلام بالناء وتجميعها نقطتان

﴿ وقال آخر ﴾

لقد علم البرغوث حين يمضى * ببغداد اني بالبلاد غريب

﴿ وقال آخر ﴾

وان أمر أنؤذى البراغيث جلده * وتخرجه من بيته لذليل
الأرب برغوث تركت مجدلا * بأبيض ماضي الشفرتين صقيل

أوطاسري واثب * لم يخجبه عنه وثابه
أهوى له بمزلق * مابين أصبعه نصابه
لله درك من أبي * فنص أصابعه كلابه

وفي الحديث ان أكل التفاح وسؤر الفارة ونبد القملة يورث النسيان وفي حديث آخر ان الذي ينبد القملة لا يكفي الهم ، والعامّة تزعم أن لبس النعال السود يورث النسيان وتناول اعرابي قلة دبت على عنقه فنزعها ثم قتل باطن ابهامه وسبابته فقليل له ما تصنع وبلك فقال بأبي أنت وأمي وهل بقي منها الاخر شاؤها يعني جلدها وقشرتها وكل وعاء خرشاء ، وحدثني سعيد بن جابر قال لما كادت الاجناد تحيط ببغداد من جوانبها قال لنا الخلع لو خرجنا هكذا الى قطربل على دوابنا ثم رجعنا من فورنا كان لنا في ذلك تنزه قال فلما صرنا هناك هجمنا على موضع خارين فرأينا ناساً قد تظافروا في بعض تلك الخانات فسأل عنهم فاذا هم أصحاب قمار ونرد فبعث في آثارهم وقال لنا أشتمي أن أسمع حديثهم وأرى مجلسهم وقمارهم قال فدخلنا الى موضعهم فاذا تحت النرد قطعة لبد واذا فصوص النرد من طين بمضه مسود وبمضه متروك واذا السكبان من عروة كوز محكمة واذا بمضهم متكي على دن حان وتحتهم بوارى قد نشرت قال فبينما هو يضحك منهم اذ رأيت قلة تدب على ذيله فمعلته فأخذتها فرآني وقد تناولت شيئاً فقال أي شيء تناولت فقلت دويبة دبت على ذيلك من ثياب هؤلاء قال وأي دابة هي قلت قلة قال أرنيها فقد والله سمعت بها قال فتمجبت يومئذ من الأيام كيف ترفع رجلا في السماء وتحط آخر في الثرى ، قال والقرديتلى واذا أصاب قملة رمى بها في فيه ونساء العوام يعجبهن وضع القمل على الاظفار ورأيت مرة انا وجعفر بن سعيد بقالا في العتيقة واذا امرأته جالسة بين يديه وزوجها يحديثها وهي تفلّي ثوبها وقد جمعت بين باطن ابهامها وسبابتها عدة قمل فوضعتها على ظهر ابهامها الايسر ثم قلبت لها ظفرها الايمن فشدختها به فسمعت لها فرقة فقلت لجعفر فامنعها أن تضعها بين حجرين قال لها لذة في هذه الفرقة والمباشرة أبلغ عندها في اللذة قالت فما تذكره مكان زوجها قال لولا ان زوجها يوجب بذلك لنهاها وقال ابن ميادة

والعترت النسيك يخفر بالبد * ن مجلى الاحزان والنصب

وقال أمية بن أبي الصلت

ساحى أياطلهم لم ينزعوا تفثا * ولم يسلموا لهم ثيلا وصديانا
وبروى لم يقربوا تفثا قال الله عز وجل ثم ليقضوا نفثهم وما أقل ما ذكروا التفث في
الاشعار والتبديد ان تأخذ شيئا من خطمي وآس وسرو وشيئا من صمغ فتجمله في
أصول شجرة وعلى رأسه كي يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويحجم فيعمل ، وكانوا
يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل وكان ذلك القتل يقل معه القمل وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم لكمب بن عجرة هل آذاك هوام رأسك وقال ابن الكلابي
عبرت هوازن وأسد بأكل الهرة وهو سويق القمل وذلك ان أهل اليمن كانوا اذا
حلقوا رؤسهم سيط ذلك الشعر بدمك الدقيق ويحملون الدقيق صدقة فكان ناس
من الصوكة وفيهم ناس من قيس وأسد يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون بالشعر
ويذفعون بالدقيق وأنشد معاوية بن أبي معاوية الجرمي في هجائهم

ألم تر جرما أجدت وابن بجرة * مع الشعر في قص الملبد شارع
اذا امرأة جاءت لقول أصب بها * سوي القمل انى من هوازن ضارع
وقال بمض العقيل بن مصر بأبي العلاء وهو يثفل فقال

واذا مررت به مررت بقائص * متصيد في شرقه مغرور
للقمل حول أبي العلاء مصارع * ما بين مقتول وبين عقير
وكانهن لدى جيوب قميصه * فذوتوأم سسم مقشور
صرح الانامل من دماء قتيلا * حنق على أخرى بعدو مغير
وقال الحسن بن هاني في أيوب وقد ذهب عنى نسبه وطالما رأته في المسجد

من أينأ عنه مصاده * فصاد أيوب ثيابه
تكفيه فيها نظرة * فتعل من علق حرابه
يارب محترز بحبيب * الردن تكنفه صؤابه
فاشي النكايه غير معلو * م اذا دب انسياه

استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في لباس الحرير فأذن لهما فيه ولولا أنهما كانا في حد ضرورة لما أذن لهما فيه مع ما قد جاء في ذلك من التشديد فلما كان في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه رأى عمر على بدمض بنى المغيرة من أخواله قيص حرير فعلاه بالدرة فقال المغيرة أوليس عبد الرحمن بن عوف يلبس الحرير قال وأنت مثل عبد الرحمن لا أم لك واحتاج أصحابنا إلى التسليم من عض البراغيث أيام كنا بدمشق ودخلنا انطاكية فاحتالوا أبراغيثها بالأسرة فلم يذنبوا بذلك لأن براغيثهم تمشي وبراغيثهم نوعان الابلج والبرد، إنما سموا ذلك الجنس على شبيهه بما حكى لي ثمامة عن يحيى بن خالد البرمكي فإن يحيى زعم أن البراغيث من الخلق الذي يمرض له الطيران فيستحيل بقا كما يمرض الطيران للنمل وكما يمرض الطيران للدعاميص فإن الدعاميص إذا انساخت صارت فراشا، فكان أصحابنا قد لقوا من تلك البراغيث جهداً، وكانت له بلية أخرى وذلك أن الذي تسهره البراغيث لا يستريح إلا أن يقتلها بالعرك والقتل وإلى أن يقبض عليها فيرمى بها من فوق السرير فيرى أنها إذا صرن عشرين كان أهون عليه من أن تكون أحداً وعشرين وكان الرجل إذا رام ذلك من واحد منها انتنت يده وكانوا ملوكاً ومثلاً هذا شديد على مثاهم فما زالوا في جهد منها حتى لبسوا قمص الحرير الصيني وجعلوها طويلة الأبدان والاردان فناموا مستريحين، والقمل يسرع إلى الدجاج والحمام إذا لم يفصل ويكون نظيف البيت ويمرض للقرح ويتولد من وسخ جلد الأسير وما في رأسه من الوسخ ولذلك كانوا يضجون ويقولون أكلني القمل والقمل وكانوا يلبدون شعورهم وذلك العمل هو التليد والحاج الملبد هو هذا وقال الشاعر

يارب رب الرافصات عشية * بالقوم بين مني وبين ثبير
وخف الرواح رافصت تمشي بهم * يحمان كل ملبد مأجور
وقال عبد الله بن الضجلان النهدي

اني وما مار بالفريق وما * قرقر بالجلهتين من شرب
من شجر كالليل ينبذ بالقمل * وما مار من دم سرب

رأسها قليل لسليمان في ذلك فقال يا مجانين لا والله ان ردعليها روحها الا اللسعة الثانية
ولولا هي لقد كانت ماتت

باب القول في القمل والصواب

وسنقول في القمل والصواب ما وجدنا تمكينا من القول ان شاء الله تعالى، ذكرواعن
اياس بن معاوية أنه زعم أن الصئبان ذكورة القمل والقمل اناتها وأن القمل من
الشكل الذي يكون اناته أعظم من ذكورته وذكروا عنه أنه قال وكذلك الزرارق
والبزة فجعل البزة في الاناث وليس فيما قال شيء من الصواب والتسديد وقد
خبرنا عن حكايته في السبوط حين جعله كالبعل وجعله مخلوقا من منى البني والقمل
يمتري من العرق والوسخ اذا علاهما ثوب أو ريش أو شعر حتي يكون لذلك
المكان عفن ونخوم، والقملة تكون في رأس الاسود الشعر سوداء فاذا كانت
في رأس الخضيب بالحمرة كانت حمراء وان كان الخاضب ناصب الخضاب كان لونها
شكلا الا أن يستولى على الشعر النصول فتكون بيضاء وهذا شيء يمتري القمل كما
تعتري الخضرة دود البقل وجراده وذبابه وكل شيء يعيش فيه وايست ذلك بأعجب
من حرة بني سليم فان من طباع تلك الحرة أن يسود كل شيء يكون فيها من
انسان أو فرس أو حمار أو شاة أو بعير أو طائر أو حية ولم نسمع ببلدة أقوى في
ذلك المعنى من بلاد الترك فانها تصور ابلهم وخيلهم وجميع ما يعيش فيها على صورة
الترك، والقمل يعرض لثياب كل انسان اذا عرض لها الوسخ والعرق والخنوم الاثياب
المجذمين فانهم لا يهتمون واذا قل انسان وأفرط عليه ذلك زأبق رأسه وان كان في
رأسه أو جسده وان كان في ثيابه فينتشر، وقال أبو قطيفة لأصحابه أتدرون ما يذرا
القمل قالوا لا قال ذاك والله من قلة عنايتكم بما يصالح أبدانكم يذرا القمل ألفا، فأما
تمامة فحدثني عن يحيى بن خالد البرمكي ان شيعين يورثان القمل أحدهما الاكثر
في الثياب والاخر بخار اللبان اذا التي على الحجر وربما كان الانسان قل الطباع وان
تنظف وتمطر وأبدل الثياب كما عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام حتي

فضر أو قطعوا عرقا فضر قالوا أنت مع هذا العلاج الصواب تجدد ما تجد فلولا ذلك
العلاج كنت الساعة في نار جهنم ، وقيل لي وقرأت في كتاب الحيوان أن ربح
السذاب يشتد على الحيات فألقيت على الافاعي نور السذاب فما كان عندها الا كسائر
البقل فلوقلت لهم في هذا شيئا لقالوا الحيات غير الافاعي وهذا باطل الافاعي نوع
من الحيات وكلهم قد عم ولم يخص ، وجميع الحشرات والاحنash والعقارب وهذه
الذبابات التي تعض وتلسع تكمن في الشتاء الا النمل والذر والنحل فانها قد ادخرت
ما يكفيها وليست كغيرها مما تثبت حياته مع ترك الطعم وللعقرب ثمانى أرجل وهي
حريصة على أكل الجراد وكذلك الحيات وما أكثر ما تلدغ وتنش صاحب الجراد
، ومن عجيب سم الافاعي ما أخبرني بعض من يخبر بشأن الافاعي قال كنت بالبادية
ورأيت ناقة وفصيلها يرتضع من أخلافها اذ نهشت الناقة على مشافرها أففى فبقيت
واقفة سادرة والفصيل يرتضع فيبناها يرتضع اذ خر ميتا فكان موته قبل موت أمه
من العجيب وكان مرور السم في تلك الساعة القصيرة أعجب وكان ما صار من فضول
سمها في لبن الضرع حتى قتل الفصيل قبل أمه عجب آخر والمرأة المرضع تشرب ،
النبيند ويسكر عن لبنها الرضيع وتشرب دواء يمشى فيعترى الرضيع الخلفة فلذلك تختار
الحكماء لا ولادهم الظئر البرية من الادواء في عقلمها وفي بدنها وتوهوا ان اللبن انما
يجمع في الفصيل لغرابة ما بين اللبن والدم فصار ذلك السم أسرع اليه منه الى أمه
ولعل ضعف الفصيل قد أعان أيضا على ذلك ، قال أبو عبيدة سمعت اعرابيا عقرب
بالبصرة خفيف عليه واشتد جزعه فقال لبعض الناس ليس شئ خير له من أن تفسل
له خصية زنجي عرق وكانت ليلة عميقة فلما سقوه قطب فقبل طعم ما ذا تجد قال طعم
قربة جديدة ، وخبرني محمد بن علي ابنا بشير ان ظئرا سليمان بن دباس سمعها عقرب
فلأت الدنيا صراخا فقال سليمان أطلبوا لها هذه العقرب فان دواءها ان تسمعها لسمعة
أخري في ذلك المكان فقالت المعجوز قد برئت وقد سكن وجعي لا حاجة لي في هذا
العلاج قال فأتوه بعقرب لا والله ما ندرى أهى تلك أم غيرها فأمر بها فأمسكت
فقال نشدتك بالله وبالأبن فأرسلها عليها فسمعها فغشي عليها ومرضت وتساقت شعر

بعضها عن لسع بعض ثم لا يموت عن لسعها شيء غير العقارب ونجدهد العقرب تلسع
انسانا فيموت الانسان وتلسع آخر فتموت هي فدل ذلك على أنها كما تعطى تأخذ
وان للناس أيضاً سموما غريبة، ولذلك صار بعضها اذا عض قتل، ومن أعاجيبها أنها
تضرب الطشت والقمم فتخرقه وربما ضربته فتثبت فيه ابرتها ثم تنصل حتى تبين
منها والعنبر يقذفه البحر الى عبريه فلا يأكل منه شيء ولا ينقره طائر بمنقار الانصل
فيه منقاره فاذا وضع عليه رجليه نصلت أظفاره فان كان قد أكل منه قتله ما أكل
وان لم يكن أكل فانه ميت لا محالة لانه اذا بقي بغير منقار ولم يكن للطائر شيء يأكل
به مات، والبحريون والعطارون يخبروننا أنهم ربما وجدوا فيه المنقار والظفر وان البال
لياً كل منه اليسير فيموت والبال سمكة طولها أكثر من خمسين ذراعا، ومن أعاجيب
العقارب انها تلسع الافعى ولا تموت وهي تلسع بعض الناس فتموت هي ولا ينال
المسوع منها من المكروه قليل ولا كثير ويزعم العوام ان ذلك يكون لمن لسعت أمه
العقرب وهو حمل في بطنها وقد لسعت عقرب رجلا مفلوجا فذهب عنه الفالج وقصة
هذا المفلوج معروفة وقد عرفها طبيبننا وغيره من الاطباء وتختلف سموم العقارب بأسباب
منها اختلاف أجناسها كالجرادة وغيرها ومنها اختلاف التربة كفرق ما بين جرارات
عقارب شهر زور وعسكر مكرم وتختلف مضرة سمومها على قدر مواضع اللسعة وعلى
قدر اختلاف ما بين النهار وعلى قدر ما صادف عليه المسوع من غذائه فهي تفتح منافسه
وعلى قدر ما يصادف عليه المسوع من الخبل وغير الخبل وعلى قدر لسعها في أول الليل
عند خروجها من جحرها، وأشد من ذلك أن تلسع أول ما تخرج من جحرها بعد أن
أقامت فيه يومها فان ماسرجويه قال فلذلك اختلف وجوه العلاج فصار ضرب من
العلاج يفيق عنه انسان ولا يصلح لآخر، وخبرني نمامة عن أمير المؤمنين أنه قال
لبختيشوع بن جبريل وسلمويه وابن ماسويه أن الذباب اذا دلك على موضع لسعة
الزبور سكن فلسعني زبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن الا
في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج فلم يبق في يدي منهم الا أن يقولوا ان
هذا الزبور كان حنقا غاضبا ولولا هذا العلاج لقتلك، وكذلك هم اذا سقوا دواء

العقارب أعجوبة أخرى لانه يقال انها مائة الطباع وانها من ذوات الدر والنسل كما
يعتري ذلك السمك والخزير والضب في كثرة الخنايص ، قال ومع ذلك ان حتمها
في أولادها اذا بلغت وحان وقت الولادة يأكلن جلد بطنها حتي اذا خرقة خرجن منه
وماتت الام وقد يطاء الانسان على العقرب وهي ميتة فتفترز ابرتها في رجله فيلقى الجهد
وربما أمرضت وربما قتلت قال وفي أشعار الفز قيل في أكل أولاد العقرب بطن الام
وحاملة لا تحمل الدهر حملها * تموت ويحيي حملها حين تعطب

والعقارب القتالة تكون في موضعين شهرزور وقرى الاهواز الا أن القوايل التي
بالاهواز ولم نذكر عقارب نصيبين لان أصلها فيما لا يشكون فيه من شهرزور حين
حوصر أهلها ورموا بالمجانيق وبكيزان محشوة من عقارب شهرزور حتي توالت
هناك فأعطى القوم بأيديهم ، قال والعقارب تستخرج من بيوتها بالجراد تشد الجرادة
في طرف عود ثم تدخل الجحر فاذا عابنتها تعلقت بها فاذا أخرج العود خرجت العقرب
وهي متعلقة بالجرادة ، فأما ابراهيم بن هاني فأخبرني انه كان يدخل في جحرها عود
كرات فلا تبقى فيه عقرب الا تبعته ، وألسنة الحيات كلها سود وألسنة الافاعي حمراء
الا انها مشقوقة وسند كرعقارب الشتاء وعقارب الحر وكل شيء من هذا الباب ولكننا
نبداً بذكر حيات الاهواز ، ذكرتم ان أقتلهم عقارب عسكر مكرم وانها متى ضربت
رجلاً فظن ان تلك العضة عضه نملة أو وخذ شوكة فنال من اللحم تضاعف مابه وربما
باتت مع الرجل في ازاره فلم تضربه وهي لا تدب على شيء له عفن ولا تدب على
المسوح وما أكثر ما تأوي في أصول الآجر الذي قد أخرج من الاساس وكان
أهل العسكر يرون ان من أصالح ما تعالج به اللسمة ان يحجم وكان الحجام لا يرضى
الا بدنانير لان ثناياه ربما نصت وجلدة وجهه ربما تنطف من السم الذي يرتفع الى
فيه بمصته وجذبه من أجانب المحاجم حتي عمدوا بعد ذلك الى شيء من فطن خشوابه
تلك الانبوبة فاذا جذب بمصه فارتفع اليه من بخار الدم أجزاء من ذلك السم تعلق
بالفطن ولم تنفذ الى فيه والقطن ليس يمنع من قوة المص ، ثم وقعوا بعد ذلك على حشيشة
فوجدوا فيها الشفاء ، ومن أعاجيب ما في العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول يموت

حينئذ تنفع منفعة بيئة ، والعقرب تجمل في جوف فخار مشدود الرأس مطين
الجوانب ثم يوضع الفخار في تنور فاذا صارت العقرب رماداً سقى من ذلك الرماد
من به الحصاة مقدار نصف دانق وقال حنين وقد يسقى منه الدانق وأكثر فيفتت
الحصاة من غير أن يضر بشيء من الاعضاء الصحيحة ، وقال يحيى وقد تلسع أصحاب
ضروب من الحيات العقارب فيفقدون وتلسع الافاعي فتموت ومما يلسع بعضها بعضاً
فيموت الممسوع وهي من هذا الوجه تكفي الناس مؤنة عظيمة وتلقى العقرب في
الدهن وتترك فيه حتي يأخذ الدهن منها ويمتص ويجذب قواها كلها بعد الموت
فيكون ذلك الدهن يفرق الاورام الفلاظ وقد عرف ذلك حنين وأنها لا تسبح ولا
تتحرك اذا ألقيت في الماء كان الماء ساكناً أو جارياً والعقرب تطلب الانسان وتقصده
نحوه فاذا قصده نحوها فرت وهربت وتقصده أيضاً نحو الانسان فاذا ضربته هربت
هرب من قد أساء وتعلم أنها مطلوبة والزنابير تطلب من يمرض لها ويقصده نحوها
بمينه ولا تكاد تعرض للكاف عنها وبين العقارب والخنافس مودة والمودة غير
المسالة والمسالة أن يكون كل واحد من الجنس لا يعرض الآخر بخير ولا شر بعد
أن يكون كل واحد منهما مقرباً لصاحبه والعداوة أن يمرض كل واحد منهما لصاحبه
بالشر والاذي والقتل ليس من جهة أن أحدهما طعام لصاحبه والاسد ليس يثب
على الانسان كالحمار والبقرة والشاة من جهة العداوة وإنما يثب عليه من طريق طلب
المطعم ولو مر به وهو غير جائع لم يعرض له والاسد والنمر على غير ذلك ولكن يقال
ان بين النمر والاسد مسالة والمودة تكون كما بين العقارب والخنافس فان بعضها
يتألف بعضها وليست تلك بمسالة وكما بين الحيات والوزغ فانها تتساقى السم وتتزاك كما
بين ضرب من العقارب وأسود سالح والأسود ربما جاع في جونة الحواء فيأكل الافعى
وربما عضته الافعى فقتلته ، وريح العقارب اذا شويت مثل ريح الجراد ومازلت أظن
أن الطعم أبداً يتبع الرائحة حتى يحقق ذلك عندي بمض من يأكلها مشوية ونية أنه
ليس بينها وبين الجراد الأعرابي السمين فرق ، وزعم بختيشوع بن جبريل أنه عاين
الخرق الذي في ابرة العقرب وان كان كما قال فما في الارض أحد أبصر منه وفي

حتى يستحيل كحجر النوشادر ولا يغادر منه شيئاً في عمل ولا بدن ويدبرون الرماذ
والبليا فتستحيل حجارة سوداء اذا عمل منها أرحاء كان لها في الربيع فضيلة ، قالوا
وللمرد اسنج في العالم أصل قائم والرصاص يدبر فيستحيل مرد اسنجا وللتوتيا أصل
قائم فيدبرون أفليما الماء فتستحيل توتيا وكذلك المسالة أصل قائم وقد عمله الناس
وكذلك الحجارة السوداء للطحين وغير ذلك فأما قولهم لا يجوز ان يكون شيء من
الحيوان يخلق من ذكر وأشي فيجبي من غير ذكر وأشي فقد قلنا في جميع ذلك في
صدر كتابنا هذا بما أمكننا ، وقال الحيات كلها تعموم الا الافاعي فانها لا يوم منها الا
الجليات قال والحية ان رأت حية ميتة لم تأكلها ولا تأكل الفار ولا الجرذان الميتة ولا
المصافير الميتة مع حرص الحية عليها ولا تأكل اللحم الشيء الحي الا ان يدخله الهواء
في حلوقها ادخالاً فأما هي من تلقاء نفسها فان وجدته وهي جائعة لم تأكله فينبني ان
يكون صاحب المنطق انما عني بقوله أخبت ما يكون ذات السموم اذا أكل بعضها
بعضاً الافاعي دون كل شيء وهم لا يعرفون ذلك في الحيات الا للأسود فانه اذا
كان مع الافاعي في جونة فيجوع فيبتلعها وذلك اذا أخذها من قبل رأسها ومتى رام
ذلك من غير جهة الرأس فعضته الافاعي قتلته ، وزعموا ان الحية لا تصاعد في الخائط
الاملس وغير الاحاس فانما يقول ذلك أصحاب المخارق والذين يستخرجون الحيات
بزعمهم ويشمون أربابها من أطراف القصب اذا مسحوها في ترابع البيوت
وقالوا وقد تصعد في الدرج وتحمي السقف

❦ القول في العقرب ❦

وسندكر تمام القول في العقرب اذ كنا قد ذكرنا من شأنها في باب الفار ولما قيل
ليحيي بن خالد النازل في مربعة الاحنف وزعموا أنهم لم يروا رجلاً لم يختلف الى
السياسات ولا رجلاً مسلماً أو نصرانياً ولا رجلاً لم ينصب نفسه للتكسب بالطب
كان أطب منه فلما قيل ان القس قال أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع قال ما أقل
عليه بالله عز وجل لعمرى انها لتنفع اذا شق بطنها ثم شد على موضع اللسعة فانها

وربما قبضت عليها بأسنانها فرمت بها اليه بغير شم الرائحة وذوق الطعم، والهرة تنقل أولادها في المواضع من الخوف عليها ولا سبيل لها في حملها الا بفيها وهي تعرف دقة أطراف أنيابها وذب أسنانها فلها بتلك الانياب الحداد ضرب من القبض عليها والعص لها بمقدار تبلغ به حاجتها ولا تؤثر فيها ولا تؤذيها، فأما كفها والمخالب المعقلة الحداد التي فيها فانها مصنوعة في اكمامها فتى وقعت كفها على وجه الارض صارت في صون ومتى أرادت استعمالها نشرتها وافرة غير مكشومة ولا ماثومة كما وصف أبو زيد كف الاسد

بحجن كالحاجن في فتوح * تقيها قصة الارض الدخيس
كذلك مخالبها ومخالب الاسد وأنياب الافاعي وقال الراجز وهو جاهلي
حتى دنا من رأس فضفاض أصم * نخاضه بين الشراك والقدم
مذرب أخرجه من جوف كم

وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الاسد وان الخنزير خلق من عطسة الفيل لان أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة نوح لما تأذوا من كثرة الفار وشكوا سأل ربه الفرج فأمره أن يأمر الاسد فيعطس فلما عطس خرج من منخره زوج سنابير من ذكر وأنثى خرج الذكر من المنخر الايمن والانثى من المنخر الايسر فكفاهم مؤنة الجرذان ولما تأذوا برائحة نجوهم شكوا ذلك الى نوح فشكى الى الله تبارك وتعالى فأمره أن يأمر الفيل فيسلح فسلح خنازير فكفاهم مؤنة رائحة ذلك النجو، وهذا الحديث نافق عند العوام وعند بعض القصاص وقد أنكرنا أن يكون الفار تخلق الا في أرحام انثاهن من أصلاب ذكورها ومن أرحام بعض الارضين كطينة القاطول فان أهلها يزعمون أنهم رأوا الفارة لم يتم خلقها بعد وان عينيها لتباصان ثم لا يربعون حتى يتم خلقها وتشتد حركتها، وقالوا لا يجوز لشيء خلق من الحيوان يخلق من غير الحيوان ولا يجوز أن يكون شيء له في العالم أصل أن يؤلف الناس أشياء تستحيل الى مثل هذا الاصل، فأنكروا في هذا الوجه تجويل الشب ذهباً والزئبق فضة، وقد علمنا ان للنوشادر في العالم أصلاً موجوداً وقد يصعدون الشب ويدبرونه

للرجل اذا عضه الكلب الكلب قد كلب الرجل ويقال ان الرجل الكلب يعض
انسانا آخر فيأتون رجلاً شريفاً فية طر لهم من دم اصبعه فيسقون ذلك الكلب فيبرأ
وقال الكهيت

أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تشفى من الكلب
قالوا فقد يقولون للسنور هر واللاتى هرة ويقال من ذلك هر الكلب هر هريرأ
وتسمى المرأة بهرة ويكنى الرجل أباهر وأباهريرة وقال الاعشى
ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
﴿ وقال امرؤ القيس ﴾

دار لهر والرباب وفرتى * وليس قبل تفرق الايام
﴿ وقال ابن أحرر ﴾

ان امرأ القيس على عهده * في إرث ما كان بناء حجر
بنت عليه الملك اطنابها * كأس رويناه وطرف طمر
يلهو بهند فوق انماطها * وفرتني تسمى اليه وهر

قال وللهرة ثمانية اطباء تقابل أربعة أو لهن بين الابط والصدر وآخرهن عند الرفع
وتحمل خمسين يوماً وتضع جراحها عمياً وليس بين تفتيحها وتفتيح الكلاب الا اليسير،
والهرة من الخلق الذى يؤثر على نفسه ولها فضيلة في ذلك على جميع الحيوان الا
الديك الا ان الديك لا يفعل ذلك الا ما دام شاباً ولا يفعل ذلك بأولاده ولا يعرفهم
وانما يفعل ذلك بالدجاج على غير الزواج وعلى غير القصد لو احدة يقصد اليها بالهوى،
والهرة تاتي اليها الشئ الطيب وهى جائعة فتدعو أولادها وقد استغنين عن اللبن
وأطقن الا كل والتقمم والتكسب، ثم حتى ربما فعلت ذلك بهن وهم في العين يشبهنها
في العظم فلا تزال ممسكة عن الشحمة مع جوعها ومع شره السنابير حتى يقبل ولدها
فيأكلها، ورجل من أصحابنا اثنوه على مال فشد عليه فأخذه فلما لامه بمض نصعائه
قال يطرحون اللحم قدام السنور فاذا أكله ضربوه بضرب بشرة السنور مثلاً لنفسه،
وربما رموا اليها بقطعة اللحم فتقصده نحوها حتى تقف عليها فاذا أقبل ولدها تجافت عنها

والوراشين والدباس ويدخلونه في دن ويسدون رأسه ثم يدحرجونه على الارض حتى يشغله الدوار ثم يدخلونه في قفص فيه الفراخ والحمام فاذا رآه المشتري رأى شيئاً عجيباً وظن أنه قد ظفر بحاجته فاذا مضى به الى البيت مضى بشيطان فيجتمع فيه بليتان احدهما أكل طيوره وطيور الجيران والثانية أنه اذا ضرى عليها لم يطلب سواها ومررت يوماً وأنا أريد منزل البكاء بالاساوره واذا امرأة قد تعلقت برجل وهي تقول بيني وبينك صاحب المسلحة فانك دللتني على السنور وأعطيتك على دلالتك دانقا فلما مضيت الى البيت مضيت بشيطان قد والله أهلك الجير ان بعد ان فرغ منا ونحن منذ خمسة أيام نحتال في أخذه وهامو قد جئتكم به فرد على داتقي وخذ ثمنه من الذي باعه ولا والله ان تبصر من السنانير قليلا ولا كثير آقال الدلال انظروا بأي شيء تستقيني ولا والله ان في ناحيتنا فتى هو أبصر بسنور مني وذلك من من سيدي ومولاي فقلت للدلال ولا والله ان في هذه الناحية فتى هو أشكر لله منك وناس يأكلون السنانير ويستطيبنها وليس يأكل الكلب واحد الا في الفرط، والعامة تزعم ان من أكل السنور الأسود لم يعمل فيه السحر والكلاب لا يؤكل والديك خبيث اللحم عضله الا أن يخصي وتلك حيلة لاهل حمص وليست عندنا فيه قالوا، وزعم بعض أهل الكتاب وبعض أهل التفسير ان السكينة التي كانت في تابوت موسى رأس هر قالوا وقاتم في الاشتقاق من اسم الكلب كليب وكلاب ومكابة ومكالب وأصاب القوم كلبة الزمان مثل هلبة وهي الشدة والكلاب واحدها كلب وكلاب وكليب كما يجمع النجب نجيب والكلاب بتثقيل اللام صاحب الكلاب والمكالب بتثقيل اللام وضم الميم الذي يعلم الكلاب الصيد وقال طفيل النعوى

تبارى مراحيها الزجاج كانه * ضراء أحست نبأة من مكاب

﴿ وقال آخر ﴾

خوص تراح الى الصداح اذا غدت * فعل الظباء تراح بالكلاب *

والكلاب داء يقع في الأبل فيقال كلبت الأبل تكلب كلباً وأكلب القوم اذا وقع في ابلهم الكلب ويقال كلب الكلب واستكلب اذا ضرى وتمودأ كل الناس ويقال

أسماء قائمة من ذلك القط والهر والضيون والسنور وليس للكلب اسم سوى الكلب
ولا للديك اسم الا الديك وليس للأسد اسم الا الاسد والليث والباقي ليست بأسماء
مقطوعة ولا تطلع في كل مكان وكذلك الخمر فاذا قالوا قهوة ومدامة وسلاف وأشباه
ذلك فانما تلك أسماء مشتركة وكذلك الضيف وليس هذه الاسماء عند العامة كذلك
، قال وعلى السنور من المحبة ولا سيما من محبة النساء ومعه من الالف والأنس والدنو
والمضاجعة والنوم في الاحاف الواحد ما ليس مع الكلب ولا مع الحمام ولا الدجاج
ولا مع شيء مما يعايش الناس ، هذا ومنها الوحشي والاهلي فلو لا قوة حبه للناس لما
كان في هذا المعنى أكثر من السكلاب والكلاب كلها أهلية ، قالوا وليس بعجيب
أن يكون الكلب طيب الفم لكثرة ريقه ولبعد قرابته ومشاكلته للأسد وانما العجب
في طيب فم السنور وكأنه في الشبه من اشبال الاسد ، ومن يقبل أفواه السنانير
واجرائها من الحرائر وربات الحجال والمخدرات والمطهومات أكثر من أن يحصى لهن
عدودا لكل يخبرن عن أفواههن بالطيب والسلامة مما عليه أفواه السباع وأفواه ذي
الجرة من الانعام وما رأينا وضيفة قط ولا ربيعة قبلت فم كلب أو ديك وما كان
ذلك من حارس قط ولا من راع ولا من كلاب ولا من مكاب ولا من مهارش
والسنور يخضب وتصاغ له الشنوف والاقرطة ويتحف ويدل ومن رأى السنور كيف
يختل المصفور مع حذر المصفور وسرعة طيرانه علم أن جهته في الصيد جهة الفهد
والاسد ومن رآه كيف يرتفع بوثبته الى الجردة في حال طيرانها علم أنه أسرع من
الجرادة وله اهاب فضفاض وقيص من جلده واسع يموج فيه بدنه وهو مما يضع
لسمة إبطيه ولو شاء أن يعقد صلبه ويثني أوله على آخره كما يثني الخراق أو يثني قضيب
الخيزران ويوصف الفرس بأنه رهل اللبان رحيب الاهداب واسع الآباط وعيب الحمار
للكرازة التي في منكببيه وانضمامها الى إبطيه وضيق جلده وانما يعدو بعنفه ، قالوا
والسنور تجار وباعة ودلالون وناس يعرفون بذلك ولها راضة وقال السندی بن
شاهك ما أعيانى أحد من أهل الاسواق ومن التجار والباعة والصناع كما أعيانى
أصحاب السنانير يأخذون السنور الذى يأكل الفراخ والحمام ويؤايب اقفاص الفواخيت

وقال يونس لم أر قرشياً قطاً أحمر عروق العينين الا كان سيداً شجاعاً ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشهل العينين ضليع الفم ، قال ونزل أبو الرعل الحربى على بعض قرى انطاكية فلقى من جردانها شراً فدعا عليهم بالسنانير فقال

يارب شعب يرى الاستار وجههم * ومنزل الحكم في طه وطسم
أتح لشيخ نوى بالشام مغتربا * نأى النصير بعيد الدار مهموم
تكنفته قريبات الخطى ذكر * وقض الرقاب لطيفات الخراطيم
حجون المخالب والانياب شابة * غلب الرقاب رحيات الحيازيم
نارواهن فما ينفك من قنص * لكل ذبالة مقاء علجوم *
حتى أبيت وزادي غير منعكم * على النزيل ولا كوري بمعكوم

وأنشدني ابن أبي كريمة يزيد بن ناجية السعدي سعد بن بكر وكان لقي من الفارجهداً فدعا عليهم بالسنانير فقال

أزهير مالك لا يهملك ما بي * أخزى اله محمد أصحابي *
كحل العيون صغيرة آذانها * خنس الحنادس يجتوون جرابي
شم الانوف كريح كل بغية * يلحظن لحظ مروع مراتب
وكز الجباه تدرعت أبدانها * صعل الرأس طويلة الاذنان
شخت المخالب والانياب والشوى * حل الحصون رحيية الاقرب
أسقى الاله بلادهم سحابها * غر البشام بعيدة الاطناب
ترى بعرس كالليوث تسربت * منها الجلود مدارع السنجاب
غلب الرقاب لطيفة أعجازها * فطح الجباه رهيفة الانياب
* متبات للطراد كأنها * آساد بيشة أدجت بخضاب

ونحن نظن ان هذه القصيدة من توليد ابن كريمة والسنور ثاقب البصر بالليل وكذلك الفارة سوداء العينين وهي مع ذلك ثاقبة البصر والسنور ضعيف الهامة وهامته من مقاتله ولا يستطيع ان يذوق الطعام الحار ولا الحامض ، قال وللسنور فضيلة أخرى انه كثير الاسماء القائمة بأنفسها غير المشتقات لانها تجمع الصفات والاعمال بل هي

بذلك العين وقع على لونين لان البازي ليس أزرق وكذلك العقاب والزارق وكل
شيء ذهبي العين فاذا قالوا سنور أزرق ذهبوا الى الوان الثياب والى الوان عيون البزاة
وقال صحر العبدى حين قال له معاوية يا أزرق قال البازي أزرق وأنشد

ولا عيب فيها غير شكلة عينها * كذاك عناق الطير شكل عيونها

والذهب قد يقال له أصفر ويقال له أحمر، وقال بعض بني مروان لبعض ولد متم بن
نويرة يا أحمر قال الذهب أحمر فلذلك زعم ان عناق الطير شكل عيونها وقال الاخطل
وما زالت القتلى تمار دماؤهم * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

فالشكلة عندهم تقع على الصفرة والحمرة اذا خالطها غيرها فن الزرق صحر العبدى
وعبد الرحمن ابنه وداد بن متم بن نويرة والعباس بن الوليد بن عبد الملك ومروان
ابن محمد بن مروان وسعيد بن قيس الهمداني وزرقاء اليمامة وهي عنز من بنات لقمان
ابن عاديا، ومن الزرق ممن كانوا يتشاءمون به قيس بن زهير وكان بكرا وابن بكرين
وكانت البسوس زرقاء بكرا بنت بكرين ولهما حديث لا أحقه وكانت الزرقاء بكرا
والزرق العيون من بني قيس بن ثعلبة منهم المرقشان وغيرها والجر الحاليق من بني
شيبان وكان النعمان أحمر العينين أحمر وفيه يقول أبو فردودة حين نهى ابن عمار عن
منادته

انى نهيت ابن عمار وقلت له * لا تأمن أحمر العينين والشعرة

ان الملوك متى تنزل بساحتهم * تطر ببارك من نيرانهم شرره

يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا * ومنطقا مثل وشي البجنة الحبره

وقال عبد الله بن همام السلولى

ولا يكونن مال الله مأكلة * لكل أزرق من همدان مكنتل

﴿وقال آخر﴾

لقد زرقت عيناك يا بن مكعب * كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وفى باب آخر يقول زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه * وضعن عصي الحاضر المتخيم

ابرويز وآبانه واحبابه وقرابته وكتابه وأطبائه وحكمائه واساورته فاني أقول في ذلك قولاً يعرف به اني ليس الى العصبية ذهبت، أعلم اني لم أعن بذلك القول الذين ولدوا بعد على هذه المقالة ونشؤوا على هذه الديانة وغذوا بهذه النحلة وربوا بهذه الملة فقد علمنا جميعاً أن عقول اليونانية فوق عقول الديانة بالدهرية والاستبصار في عبادة الكواكب وعقول الهند فوق العادة بطاعة البدن وعبادة البدة وعقول العرب فوق الديانة بعبادة الاضنام والخشب المنجورة والحجر المنصوب والصخرة المنحوتة فداء المنشأ والتقليد داء لا يحسن علاجه جالينوس وتعميم الكبراء وتقليد الاسلاف وإلف دين الآباء والانس بما لا يعرفون غيره يحتاج الى علاج شديد، والكلام في هذا يطول فان آثرت أن تتعجب حتى دعائك التعجب الى ذكر ابرويز فاذا ذكر سادات قريش فانهم فوق كسرى وآل كسرى قال المحتج للسنانير قد قالوا أبر من هرة وأعق من ضب وهذا قول الذين عاينوها تأكل أولادها وزعموا أن ذلك من شدة الحب لها وقال بعضهم انما يمتريها ذلك من جنون يمتريها عند الولادة وجوع يذهب معه علمها بفرق ما بين اجرائها واجراء غيرها من الاجناس ولانها لو أشبعت وأطعمت شطر شعبها لم تعرض لأولادها فالرد على الامم أمثالها عمل مسخوط، والعرب لا تعصب للسنور على الضب فيتوهم عليها في ذلك خلاف الحق وانما هذا منكم على جهة قولكم في السنور اذا بحث لنجوه ثم ستره ثم عاود ذلك المكان بالشم فان وجد رائحة زاد عليه بالتراب فقتلتم ليس الكرم وستر القبيح أراد وانما أراد تأنيس الفار فنحن لاندع ظاهر صنيعه الذي لاحكم له الا الجميل ونقضى بما يدعى مدع من تصارييف الضمير وعلى أن الذي قتلتموه ان كان حقاً فالذي أعطيتهموه من فضيلة التدبير أكثر مما سلبتموه من فضيلة الجميل، قال والعيون التي تسرج بالليل عيون الاسد والافاعي والسنانير والنمور والاسد سحر العيون وعيون منها زرق ومنها ذهبية كعيون أحرار الطير وعناقها وعيون الافاعي بين الزرق والذهبية وقال حسان بن ثابت

تريد كأن الشمس في حجراته * نجوم الثريا أو عيون الضياون

الضياون السنور واذا قال الناس ثوب أزرق فانهم يذهبون الى لون واحد واذا وصفوا

وبره أو ليس من أخلاقها اجتذاب فتائل المصاييح رغبة في تلك الادهان حتى ربما جذبتها جهلا وفي طرفها الآخر السراج يستوقد فتحترق بذلك القبائل الكثيرة بما فيها من الناس والاموال والحيوان ، وهي بعداً كل البيض وأصناف الفراخ من الحيات لها فكيف لم تكن من هذه الجهة من خلق الشيطان ، هذا وبين طباعها وطباع الانسان منافرة شديدة ووحشة مفرطة وهي لا تأنس بالناس وان طالت معاشرتها لهم والسنور آنس الخلق بهم وكيف تأنس بهم وهم لا يففلون عن قتلها ما لم تقلع عن مساقتهم فلو كانت مما يؤكل لكان في ذلك بعض المرافق فكيف وانها لتلقى في الطرق ميتة فما يعرض لها السكاب الجائع ، فالامم كلها على التأذي منها واتخاذ السنابير لها وزرادشت بهذا العقل دعي الناس الى زكاح الامهات والتوضي بالابوال الى التوكيل في نيك المغيبات والى اقامة سوارست وصاحب الحائض والنفساء ولو لا أنه صادف دهرآ في غاية الفساد وأمة في غاية البعد من الحرية ومن الغيرة والانفة ومن التقزز والتنظف لما تم له هذا الامر ، وقد زعم ناس أن ذلك انما كان وانما تم لانه بدأ بدعاء الملك على قدر ما عرف من طباعه وشهوته وخلقه فكان الملك هو الذي حمل على ذلك رعيته ، والذي قال هذا القول ليس يعرف من الامور ما تأتى به العامة لانه لا يجوز أن الملك حمل العامة على ذلك الا بعد أن يكون زرادشت ألقي على ذلك الفساد أجناد الملك ولم يكن يقوى على العامة بأجناده وبمشره أضعاف أجناده الا أن يكون في العامة عامة من الناس يكونون أعوانا للأجناد على سائر الرعية وعلى أن الملوك ليس لها في مثل هذه الامور علة تدعو الى المخاطرة بملكها وانما غاية الملوك كل شئ لا بد للملوك منه فأما ما فضل عن ذلك فانها لا تخاطر بأصول الملك تطلب الفضول الامن كان ملكه في نصاب امامة وامامته في نصاب نبوة فانه يتبع كل شئ توجبه الشريعة وان كان ذلك سبيل الرأي لان الذي يشرع الشريعة أعلم بغيب تلك المصاحبة وقد ينبغي أن يكون ذلك الزمان أفسد زمان وذلك الامل كانوا شر أهل ولذلك لم تر قط ذا دين تحول الى المجوسية عن دينه ولم يكن ذلك المذهب الا في ضعفة من أهل فارس والجبال وخراسان كلها فارسية فان عجيبت من استسقاطي لعقل كسري

التي اذا أكلت منها ماتت واستفروها السنابير واختاروا الصيادات واختاروا السنور على ابن عرس لان ابن عرس يعمل في الفار والطير عمل الذئب بالغنم فالأول أكثر ما يصنع بالفريسة أن يذبجها ثم لا يأكلها الا في الفرط والسنور يقتل ويأكل والفار أشد منه فزعا وهو الذي قبول به طباعها وطباعه ، وكما أن الذي يأكل الدجاج كثير والذي جعل بازائه ابن آوي وكما أن الذي يأكل الغنم كثير والذي جعل بازائه الذئب والاسد على النعجة والنعجة من الذئب أشد فرقا والحيات تطالب الفار والجردان وهي من السنور أشد فزعا وان كان في الجردان ما يساوي السنور فانها منه أشد فزعا فان كنتم انما جعلتموه من خلق الشيطان فالشيطان أكثر ، وزعم زرادشت أن السنور لو بال في البحر لقتل عشرة آلاف سمكة فان كان انما استنصر في ذمه في قتل السمك فالسمك أحق أن يكون من خلق الشيطان فكل ما قذفت به التعمه وان غرق انسان في الماء بحراً كان أو واديا أو بمض ذوات الاربع فالسمك أسرع الى أكله من الضباع والسنور الى الجيف ، وعلى أن اعتلاله على السنور وان بال في البحر لقتل عشرة آلاف سمكة فما يقول فيمن زعم أن الجرد لو بال في البحر لقتل مائة ألف سمكة وبأي شيء يتبين منه وهل يتبين لمن كسر هذا القول الظاهر الكسر المكشوف المرئي وهل تقر الجماعة والامم بأن في الفار شيئاً من المرافق وهل يمازج مضرتها شيء من الخير وان قل ، أو ليست الفار والجردان هي التي تأكل كتب الله تعالى وكتب العلم وكتب الحساب وتقرض الثياب الثمينة وتطلب كسر نوي القطن وتفسد بذلك اللحف والدوايح والقباب والاقبية والخفاف وتحسو الادهان فان عجزت أفواهاها أخرجتها بأذنانها أو ليست التي تشقب الاوكية وتشقب السلال وتأكل الجرب حتى يملق المتاع في الهواء اذا أمكن تعليقه وتجب الى البيوت الحيات للعداوة التي بينها وبين الحيات لحرص الحيات على أكلها فتكون سببا في اجتماعها في منازلهم واذا كثرت قتلت النفوس ، وقال ابن أبي العجوز لو لا مكان الفار لما أقامت الحيات في بيوت الناس الا ما لا بد له من الإقامة وتقتل النفس والنحل وتهلك العلف والزرع وربما أهلك الفراخ كله وحمّل شمير الكرس

وزعم من لا أرد خبره ان الحلاق قد يعرض للسنانير كما يعرض للخنازير والحمير، وزعم
بعض أهل النظر ان الزنج أشبهوا الحمير في كل شئ حتى في الحلاق فانه ليس على
ظهر الارض زنجي إلا حلق وقد غلظ ليس زنجي عليه مؤنة من اوتيا دنياءك وليس هذا
تأويل الحلاق وتأويل الحلاق أن يكون هو الطالب، والنبيذ يهتك ستر الحلق وينقض
عزم المحتمل وهم يشربون النبيذ أبداً وسوء الاحتمال له وسرعة السكر اليهم عام فيهم
وعندنا أئم فلو كان هذا المعنى حقاً لكان علمه ظاهراً وخبرني صاحبنا هذا أن في
منزل أبي يوسف بن اسحاق الكندي هرين ذكرين عظيمين يكوم أحدهما الآخر
وذلك كثيراً ما يكون وان المنكوح لا يمانع الناكح ولا يلتمس منه مثل الذي يبذله
له، قالوا والهرة تأكل أولادها وكفالك بهذه الخصلة لؤماً وشرها وعقوقا وغلظ قلب
وقال السيد الحميري وذكر مسير عائشة رضي الله تعالى عنها الى البصرة مع طلحة
والزبير حين شهدت ما لم يشهدا وأقامت علي ما نكصا عنه

جاءت مع الاشقين في هودج * تزجي الى البصرة أجنادها

* كأنها في فعلها هرة * تريد أن تأكل أولادها

وليس ما قال في أم المؤمنين وقد كان قادراً على ان يوفر على علي رضي الله عنه فضله من
غير ان يشتم الحواريين وأمّهات المؤمنين ولو أراد الحق لسار فيها وفي ذكرها سيرة على
بن أبي طالب فلا هو جعل عليها قدرة ولا هو رعى للنبي صلى الله عليه وسلم حرمة،
وذكورة سنانير الجيران تأكل أولاد الهرة مادمن صغاراً و فوق الصغار سناوتقتلها
وتطلبها أشد الطلب فالأم تحرسها وتقاتل دونها مع غجزها عن الذكورة، ثم رجعت الى
قول زرادشت في الفار زعم زرادشت أن الفارة من خلق الله وأن السنور من خلق
الشيطان فقيل للمجوسى على أصل قولكم أن يكون الشئ الذي خلق الله خيراً كله
ونفعا كله وموفقاً كله ويكون ما خلق الشيطان على خلاف ذلك ونحن نجد عياناً أن
لذي قاتم به خطأ رأينا الناس كلهم يرون أن الفار بلاء ابتلوا به فلم يجحدوا بدا من
لاحتيال لصرف مضرته كالداء النازل يلتمس له الشفاء ثم وجدناهم قد أقاموا السنانير
بنات عرس ثم نصبوا لها ألوان الصيادات وصنعوا لها ألوان السموم المعجونات

وفيهما الا بالدلائل والآثار أو ببعض المعاينة وإناث السنابير اذا هجن للسفاد آذين
بصياحن أهل القبائل ليلاً ونهاراً بشى هر ظاهره قاعال لا يمتريهن فترة ولا منامة
فرب رجل حر شديد الغيرة جالس مع نسائه وهن يترددن على مثل هذه الهيئة
ويصرخن في طلب السفاد فيكم من حرة قد خجبت وحر قد تنفصت طبيعته ، وليس
لشيء من خولة الاجناس مثل ما للجمل من الازباد وهجران الرعى وترك الماء حتى
تنضم أياطله ويتورم رأسه ويكون كذلك الايام الكثيرة وهو في ذلك الوقت لو حمل
على ظهره مع امتناعه شهراً من الطامام ثلاثة أضفاف حمله لملها ، ونظر المكي الى جمل
قد أزد وتلغم وطار على رأسه منه كشقق البرس وقد زم بأنفه وهو يهدر لا يعقل الا
ما هو فيه فقال لاسماعيل بن غزوان والله لوددت أن أهل البصرة رأوني يوماً واحداً
الى الليل على هذه الصفة وانى خرجت من قليل مالى وكثيره فقال له اسماعيل وأي
شيء لك في ذلك قال كنت والله لا أصبح حتى يوافي دارى جميع نساء أهل البصرة
فلا أبداً الا بهن ، قال اسماعيل انك والله ماسبة تني الا الى القول وأما النية والأمنية
فانا والله أتمنى هذا منذ أنا صبي ، وللحمار والفرس عند معاينة الحجر والانان تهيج
وصياح وقلق وطلب والجمل يقيم على تلك الصفة عابن أولم يعابن ثم يدنى من هذه
الذكورة اناتها ولا تسمع بامكانها الا بعد أن تساوى وتدارى ، قالوا والسنابير اذا
انتقل أربابها من دار الى دار كان وطنها أحب اليها منهم وان أثبتت أعيانهم فان هم
حولوها فانكرت الدار لم تقم على معرفتهم فربما هربت من دارهم الحادثة ولم تعرف
دارهم الاولى فتبقى مترددة اما وخشية واما مقتولة ، والكلاب بخلي الدار وبذهب مع
أهل الدار والحمام في ذلك كالسنور ، قال صاحب الكلب السنور يساوى في صفه درهما
فاذا كبر لم يساو شيئاً وقال الغنبي

كسنور عبد الله بيع بدرهم * صغيراً فلما شب بيع بقيراط

وصاحب هذا الشعر لو غير مع أمرئ القيس بن حجر والنايفة الذبياني وزهير بن
أبي سلمى ثم مع جرير والاخلط والفرزدق ثم مع بشار وابن هرمة وأبي يعقوب
الاعور ألف سنة لما قال بيتاً مرضياً أبداً وقد يضاف هذا البيت الى بشار وهو باطل

وهذا شبيه بالذي قال الراعي وليس به

تبيت بنات القفر عند لبانه * بأحقف من انقاء توضح هائل
 كأن القطا ان خرقت في مبيته * جدية مسك في معرس قائل
 قال الاصمعي قلت لابن مهدي كيف تقول لا طيب الا المسك فأبن انت عن
 العنبر قال فقلت

لا طيب الا المسك والعنبر * وألبان وأدهان بحجر

قال قال الاصمعي وفارة البيش دوية تغتذى السموم فلا تضرها والبش سم وحكمه
 حكم الطائر الذي يقال له سمندل فانه يسقط في النار فلا يحترق ريشه، وثبت عن
 المأمون انه قال لو أخذ الطحالب فجفف في الظل ثم سقط في النار لم يحترق ولولا ما
 عاينوا من شأن الطلق والعود الذي يجاء به من كرمان لاشتد انكارهم وزعم ابن أبي
 الحارث ان قساراهن على ان الصليب الذي في عنقه من خشب لا يحترق لأنه من
 العود الذي كان المسيح صلي الله تعالى على سيدنا محمد وعليه صلب عليه وانه كان يفتن
 بذلك ناساً من غير أهل النظر حتى فطن له بعض المتكلمين فأناهم بقطعة عود
 نكون بكرمان فكان أبقى على النار من صليبه، قال صاحب الكتاب والسنور لص
 نيم وشره خؤون فمن ذلك ان صاحب المنزل يرى اليه بعض الطعم فيجتمعه احتمال
 لمريب واللص المغير حتى يابج به خلف حب أوراقود أو عدل أو حطب ثم لا يأكله
 لا وهو يلتفت يميناً وشمالاً كالذي يخاف أن يسلب ما أعطيه أو يعثر على سرقة
 يعاقب، ثم ليس في الارض خبيثة الا وهو يأكلها مثل الخنافس والجملان وبنات
 ردان والاوزاغ والحيات والعقارب والفار وكل تن وكل حشة وكل مستقذر وهذه
 لانعام تدخل الفياض فتجذب مواضع السموم بطباثمها وتخطاها ولا تلفت اليها ولما
 شكل الشيء على اليقين بالشممة الواحدة فلا تغلط الابل في الدفلي وحده، والسنانير
 وت من أكل الاوزاغ والحيات والعقارب وما لا يحصي عدده من هذه الحشرات
 هذا يدل على جهل بمصلحة المعاش وعلى حس غليظ وشره شديد، قالوا وكل اشي من
 نيع الحيوان ما خلا المرأة فلا بد لها من هيج في زمان معلوم ثم لا يعرف ذلك منها

وسلم قد تطيب بالمسك لما تطيبت به ، وأما الزباب فليس مما يقرب منه في شيء قلت
له وكيف يرتضع الجدى من لبن خنزيرة فلا يحرم لحمه لأن ذلك اللبن استعمال لما
وخرج من تلك الطبيعة ومن تلك الصورة ومن ذلك الاسم وكذلك لحوم الجلالة
، فالمسك غير الدم والخل غير الخمر والجوهر ليس يحرم بعينه وإنما تحرم الأعراض
فلا تقدر منه على تذكر الدم الحقيقي فإنه ليس ^(١) وقد تحول النار هواء والهواء ماء
فيصير الشبه الذي بين الماء والنار بعيداً جداً ، والجردان لا تحفر بيوتها على قارعة
الطريق وتجنب الخفض لمكان المطر وتجنب الجواد لأن الحوافر تهدم عليها بيوتها
فاذا أخرجها وقع أحافر فرس مع هذا الصنع دل ذلك على شدة الجري والوقع وقال
أمرؤ القيس

فللسوط الهوب وللرجل درة * وللزجر منه وقع أهوج متعب
فادرك لم يعرق مناط عذاره * بدر كخزروف الوليد المنقب
ترى الفار في مستعكر الأرض لاجئاً * إلى الجد والصحراء من شد ملعب
خفاهن من انقافن كأنما * خفاهن ودق من سحاب مركب
خفاهن أظهرهن وفراً بعضهم أن الساعة آتية أكاد أخفيها بفتح أى أظهرها وقال ابن
الأعرابي إن بني عامر جعلوني على خنزيرة أعينها تريد أن تخني ذمتي ، وقال أبو عبيدة
أربعة أحرف همزها عقيل من بين جميع العرب تقول فأرة ومؤسى وجؤنة ^(٢) فأكثر
ما يقع عليها اسم الفأرة فأرة البيش وفارة المسك وفارة الابل وفي فارة المسك يقول
حميد الارقط

مطورة خالط منها النشر * ذا أرج شقق عنه الفار
وفي فارة الابل يقول الشاعر
كأن فأرة مسك في ميا منها * إذا بدا من ضياء الصبح ينتشر

(١) قوله فإنه ليس أى عدم ومثل هذا التعبير من اصطلاح المتكلمين لا من عبارات
البلغاء والمتأدين

(٢) سقط ذكر الحرف الرابع

له والفارة حية ثم دفنها في الشعير حتى يستحيل ذلك الدم المحتقن هناك الجامد بعد موتها مسكاً زكياً بعد أن كان ذلك الدم لا يرام نبتاً، قال وفي البيوت أيضاً قد يوجد فار مما يقال له فار المسك وهي جردان سود ليس عندها الا تلك الرائحة اللازمة له قال وفي الجرذان جنس لها عبت بالعقود والشنوف والدرهم وخشخشة الحلي وذلك أنها تخرجها من جحرها في بعض الزمان فتلب عليها وحواليها ثم تنقله واحداً واحداً حتى تعيدها عن آخرها الى موضعها، نزع الشري بن القطامي أن رجلاً من أهل الشام اطاع على جرد يخرج من جحر دينار فلما رآه قد أخرج مالا صالحاً استخفه الحرص فهم بأن يأخذها ثم أدركه الحزم وفتح له الرزق المقسوم باباً من الفطنة فقال أنا أمسك أن آخذها ما دام يخرج فإذا رأيته يدخل فعند أول دينار يفيبه ويعيده الى مكانه أنب عليه فاجترأ المال قال ففعلت وعدت الى موضعي الذي كنت أراه منه فأقبل يخرج ماشاء الله تعالى ثم أخذ ديناراً فأدخله فلما عاد ليأخذ ديناراً آخر فلم يجد الدينار أقبل يئب في الهواء ثم يضرب بنفسه الارض حتى مات وهذا الحديث من أحاديث النساء وأشباه النساء

باب آخر يدعونه للفار

وهو الذي ينظر فيه أصحاب الفراسة في قرض الفار كما ينظر بعضهم في اخيلان وفي الاكتاف وفي اسرار الكف ويزعمون ان أبا جعفر المنصور نزل في بعض القرى فقرض الفار مسجأه كان يجلس عليه فبعث به ليرفأ فقال لهم الرفا ان هنا أهل بيت يعرفون بقرض الفار ما ينال صاحب المتاع من خير أو شر فما عليكم ان ترضوه عليهم قبل ان تصلحوه فبعث المنصور الى شيخهم فلما وقعت عينه على موضع القرض وثب وقام قائماً ثم قال من صاحب هذا المسح فقال المنصور انا فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته والله لتأبين الخلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً، وسألت بعض المطارين من أصحاب المعتزلة عن فارة المسك فقال ليس بالفارة وهو بالخشف أشبه ثم قص على شأن المسك وكيف يصطنع وقال لولا ان رسول الله صلى الله عليه

فاذا ضفدع عليه اكاف * علوه بمد النفاد الرسم
 خطموا انفه بقطعة جبل * يالقوى لانفه المخطوم
 نصبوا منجنيقهم حول بيتي * يالقوى لبيتى المهـدم
 واذا في الغباء وصم برئص * قائم فوق بيتنا بقـدم
 قلت بيت العربن بجمع صدق * هو قدما بجمعكم معلوم
 قلت لولا سنورناه احتفـرنا * مسكناتحت ثمرة المـركوم
 ان تلاق سنورناه قضاء * تذرانا وجمنا كالهـزيم
 عشش العنكبوت في قعر بيتي * ان ذا من رزني اعـظيم
 ليتني قد عمرت دني حتى * ابصر العنكبوت فيه يقوم
 عرقا لا يمشه الدهر الا * زبد فوق رأسه مـركوم
 يخرج كفه ينادى ذبابا * ان اغنى فاتي مـظـلوم
 قال ذرني فلن اطيع دنوا * من يبيد يشمه المـزكوم
 ﴿ وقال في الفار والسنور ﴾

قد قال سنورنا واعـده * قد كان خصما مفوها لـسنا
 لو اصبحت عندنا جنازتها * لحنطت واشترى لها كـفنا
 ثم جمنا صحابي وغـدوا * فيهم كذئب يبكي وقام لنا
 كل عجوز حـلـو شمائلها * كانت لجرذان بيتنا شـجنا
 عن كل حـدباء ذات خشـشة * او جرذ ذي شوارب اـرنا
 سقيا اسنورة جـمت بها * كانت كـيت اخفيته سـكنا

قال والفار ضروب منها الجرذان والفار المعروفان وهما كالجواميس والبقر وكالبخت
 والعراب ومنها الزباب ومنها الخلد واليرابيع شكل من الفار واسم ولد اليربوع درص
 مثل ولد الفار ومن الفار قارة المسك وهي دويبة تكون في ناحية تبت تصاد لنواجها
 وسرتها فاذا اصطادها عصب سرتها بمصاـب شديد وسرتها مدلاة فيجتمع فيها الدم
 فاذا احكم ذلك ذبحها وما اكثر من يأكلها فاذا ماتت تور السرة التي كان عصبها

مذهب فرعت فيه الشمرء من جميع الامم وهو مذهب جامع لاصناف الخير ، قال
ويقال لموضع الغائط الخلاء والمذهب والمخرج والكنيف والمرحاض والمرفق وكل
ذلك كناية واشتقاق ، وهذا أيضا يدل على شدة هربهم من الدناءة والفسولة
والفحش والقدح ، وعن اليزيدي رجع الرجل من الرجيع وخبرني أبو العاصي عن
يونس قال ليس الرجيع الا رجع القول والشعر والخبر فلما نبجوا الانسان فانه رجع
قال الله تعالى والسما ذات الرجع وقال الهذلي هو المنخل

أبيض كالرجع رسوب اذا * ما ناخ في محتفل يختلي
وفي الحديث فلما قدمنا الشام وجدنا مرافقهم قد استقبل بها القبلة فيكنا نخرف
ونستغفر الله ، وقال ابن عبدل في الفار والسنور

يا أبا طلحة الجواد أغثنى * بسجال من سيدك المعتموم
احي نفسي فدتك نفسي فاني * مفلس قد علمت ذاك قديم
أوتطول لنا بسلف دقيق * أجره ان فعلت ذاك عظيم
قد علمتم فلا تقاعس عني * ما قضى الله في طعام اليتيم
ليس لي غير جرة وأحيص * وكتاب منمنم كالوشوم
وكساء أبيه برغيف * قد رقعنا خروقه بأديم
وإكاف أعاريه نشيط * ولحاف لكل ضيف كريم
ونبيذ مما يبيع صهيب * يذر الشيخ رحمه ما يقوم
رث حبل فقد ذكرت أصيصي * ولحاف حتى تغور النجوم
كل بيت عليه نصف رغيف * ذاك قسم عليهم معلوم
فر منه موليا فار بيتي * ولقد كان ساكنا ما برم
قلت هذا صوم النصاري خلوا * لا تبيحوا شيوكم في السموم
ضحك الفار ثم فلان جميعا * أهو حق في كل يوم تصوم
قلت ان النداء قد قام في الـ * ناس باذن وانت فينا ذم
حملوا زادهم على خنفسات * وقراد مخيس مدموم

لا يسمى بذلك وهو الاسر بالالف دون الياء ويصيب الصبي الحصر فيجتمل من خره
الفار فيطلق عنه ، وقد تهيأ من خره الفار دوآن لداءين قاتلين ولذلك قيل لأعرابي قد
اجتمعت فيه أوجاع شداد أي شيء تشتكي قال أما الذي يقيدني خصر وأسر ، يقال
خشي الثور يخشي خشيًا وواحد الاخشاء خشي كما ترى ويقال خري الطائر وذرق ومرق
وزرق ، قال ابن الاعرابي لا يكون النجو رجعا حتى يكون يابسا ويقال ونم الذباب
واسم نجوه الونيم وقال الشاعر

وقد ونم الذباب عليه حتي * كان ونيمه نقط المداد

فهو ونيم الذباب وخره الطائر وصوم النعام وروث الحمار وبعير البعير كالشاة والظبي
وخشاء البقر ، وقال ابن الزبير من أهدى لنا مكتلا من تمر^(١) قال العذرة اسم لجميع ما يكون
من جميع الحيوان ولذا قال ابن الزبير ما قال ، ويقال رمضت الدجاجة وذرفت وسلمحت
فاذا صاروا الى الانسان والفارة قالوا خره الانسان وخره الفارة ويقال خره الفارة
أدخلوا فيها الهاء كما قالوا ذكورة الذكر وقد يستعار ذلك لغير الانسان والفار قالت
دختنوس بنت لقيط بن زرارة في يوم شرب جبلة

فرت بنو أسد بحجر * الطير عن أربابها

فلذلك يقال لبني أسد خره الطير ويقال لهم عبيد العصا قاله صاحبهم بشر بن أبي خازم
قالها لاوس بن حارثة

عبيد العصا لم يتقوك بذمة * سوي سب شرقي ان سبك واسع

فيجب على العاقل بعد أن يعرف ميسم الشعر ومضرته أن يتقي لسان أخس الشعراء
وأجلهم شعرا بشطر ماله بل بما أمكن من ذلك ، وأما العربي والمولى الراوية فلو خرج
الى الشعراء من جميع ماله لما عنفته والذي لا يكثرث لوقع نبال الشعراء كما قال البخاري

مالي أري الناس يأخذون ويعطون * ن يستمتعون بالنشب

وأنت مثل الحمار انهم * شكوا جراحات السن العرب

ولأمر ما قال حذيفة لأخيه والرماح شوارع في صدره اياك والكلام المأثور ، وهذا

والعرب تتوسع في كلامها وبأى شئ تفاهم الناس فهو بيان الا أن بعضه أحسن من بعض والذي تهياً للشاة قولها ما وقال ذوا الرمة

لا يرفع الصوت الا ما تخوفه * داع يناديه باسم الماء مغموم
وقال أبو عباد النخعي خوينق العمري وكان يتعسف به ورآه قد اشترى أضحية فقال
* يا ذابح المسامات * فعلت فعل الجفأة
أما رحمت من المو * ت يا خوينق شاتى

والصبيان هم الذين يسمون الشاة ماما كأنهم سموها بالذي سمعوا منها حين جهلوا اسمها ، وقيل لصبي يلعب على باهم من أبوك يا غلام وكان اسم أبيه كلباً فقال ووز وزعم صاحب المنطق أن كل طائر عريض اللسان فالافصاح بحروف الكلام منه أوجه ولا بن آوى صياح يشبه صياح الصبيان وكذلك الخنزير وقد تهياً للكلاب مثل عف عف ووو وو وأشبه ذلك وتهياً للغراب القاف وتهياً للبيغاء من الحروف أكثر فاذا صبرت الى السنائير وجدتها قد تهياً لها من الحروف العدد الكثير ومتى أحيت ان تعرف ذلك فتسمع تجاوب السنائير وتوعد بعضها لبعض في جوف الليل ثم احص ما تسمعه وتنبه وتوقف عنده فأنك ترى من عدد الحروف ما ان كان بها من الحاجات والمقول والا استطاعات ثم ألقتها صارت لغة صالحة للموضع متوسطة الحال واللغات انما تشتد وتعسر على المتكلم بها على قدر جهله بأما كنها التي وضعت فيها وعلى قدر كثرة العدد وقوته وعلى قدر مخارجها وخفتها وسلسها وثقلها وتعقدها في نفسها كفرق ما بين الزنجي والخورزي ، ان الرجل يتخس في بيع الزنج وابتاعهم شهراً واحداً فيتكلم بعامة كلامهم ويبيع الخوز ويجاورهم زماناً فلا يتعلق منهم بطائل الجملة ان من أعون الاسباب على تعلم اللفظ فرط الحاجة الى ذلك ، والسفور يناسب لانسان باسباب منها أنه يعطس ومنها انه يتشاءب ومنها انه يتمطى ويفسل وجهه بعينه بلعابه وتلطع الهرة وتبرق جلد ولدها بعد الكبر والصغر حتى يصير كان الدهان يجري في جلده ، وتهياً لبعض الغربان من الحروف والحكاية مالا تفسره البيغاء ، وزعمت لا طباء ان خروء الفار يسقاه صاحب الاسر فيطلق بوله والاسر هو حصير البول ولكن

سقى حجا جنا نوء الثريا * على ما كان من مطل وبخل
 هم جمعوا البغال واحرزوها * وسدوا دونها بابا بقفل
 اذا اهديت فاكهة وشاة * وعشر دجاج بمثوا بنعل
 ومساوا كين طولهما ذراع * وعشر من ردى المقل حسل
 فان اهديت ذاك ايجملوني * على نعل أدق الله رجلي
 اناس تائمون لهسم رواء * تغيم سماؤهم من غير ويل
 اذا انتابوا ففرع من قريش * ولكن الفـعال فعال عكل
 والحي هو المقل على وجهه وقال أبو ذؤيب

لادر دري ان اطعمت نازلهم * عرف الحى وعندي البر مكنون

باب آخر للسنور فيه فضيلته على جميع اصناف

الحيوان ما خلا الانسان

واذا قال القائل فلان وضع كتابا في اصناف الحيوان فليس يدخل فيها الملائكة
 والجن وعلى هذا كلام الناس، وللحيوان موضع آخر وهو قول الله عز وجل في كتابه
 وإن الدار الآخرة لى الحيوان قد علمنا أن المعجم من السباع والبهائم كلها اقربت من
 مشاكلة الناس كان أشرف والانسان هو الفصيح وهو الناطق وقد يشتقون لسائر
 الحيوان التي تصوت وتصيح اسم الناطق اذا قرنوه في الذكر الى الصامت ولهذا
 الفرق أعطوه هذه المشاكلة وهذا الاشتقاق، فاذا نهيأ من لسان بعضها من الحروف
 مقدار ما تفضل به على مقادير الاصناف الباقية كان أولى بهذا الاسم عندهم فلما نهيأ
 للقطاة ثلاثة أحرف قاف وطاء وألف فكان ذلك هو صوتها سموها بصوتها ثم زعموا
 انها صادقة في تسميتها نفسها قطا قال الحكيم

كان الناطقات الصادقا * ت الواسقات من الذخائر

وقال الآخر في ذكر القطاة

وصادقة قد خبرت ما بعثها * طروقا وباقي الليل في الارض مسرف

بجامها مخبرة وخبرها صدقا حين زعمت أنها قطا وان كانت القطاة لم ترم ذلك

مدلات بردن النأي منه * وهن بعين مرتقب تبوع
ثم أخذ في صفة العقاب وصار الى صفة الارانب فقال
* كأن متونهن مولات * عصي جناح طالبة لموع
قليل ماتريث اذا استفادت * غريض اللحم عن ضرم جزوع
ثم قال

فما تنفك بين عوبرضات * تجر برأس عكرشة زموع
تطارد صيد صارات ويوما * على خران فارات خموع
تلوذ نمالب الشرفين منه * كما لاذ الغريم من التبيع
نماها الفر في فطن نماها * الى فرخين في وكر رفيع
تري قطعا من الاحناش فيها * جماجم كالحسل النزع
والزموع التي تمشى على زمعاتها بمؤخر رجلها قال أبو الفضل توثر يديها وتمشى على
زمعاتها برجلها فهي مواضع الانس من الدواب والزمع المعلق خلف الظلف من الشاة
والظبي قال وكل ذلك توتير وهو أن تطأ على مؤخر قوائمها كيلا يعرف أثرها انسان
ولا كلب، وذكر أنها تطارد ذئبا مرة وخززا مرة وهو الذكر من الارانب والعكرشة
الانثى والخرنق ولدها فاذا قلت أرنب أو عقاب فليس الا التأنيث وتقول هذه العقاب
وهذه الارنب الا أن تقول خرز، وقطن جبل معروف والاحناش الحيات وأحناش
الارض الضب والقنفذ والبربوع وهي أيضا حشرات الارض تجمل الحية حنشا على
قولهم قد آذنتي دواب رأسي يمينون القمل وعلى قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة
الارض تأكل منسأته، قال أبو الفضل ما أراد الا الحيات بأعيانها في هذا الموضع فان
العقبان أسرع الى أكل الحيات من الحيات الى أكل الفار وبدل على أنه إنما أراد
رؤس الحيات بأعيانها قوله

تري قطعا من الاحناش فيها * جماجم كالحسل النزع
ولان رؤس الحيات سخيفة قليلة اللحم والعظم فلذلك شبهها بالحسل النزع والحسل
المقل السخيف اليابس الخفيف قال خلف الاحمر

البحر وفي تقدمها بالحيلة والحراسة وفي تغليبها لمن أرادها والتورية بشئ عن شئ
وفي معرفتها بيان الخديعة وكيف توهم عدوها خلاف ما هي عليه ثم في وطنها على
زمعاتها ، في السهولة وفي الأرض اللينة لئلا يعرف أثرها الذي يقصه وفي استعمالها
بعض ما يقال له في الحيلة التوتير والتوتير الوطء على مؤخر أنفها العجب العجيب ، وزعم
أبو عقيل بن درست وشداد الحارثي وحسين الزهرري أن الزباء إنما عملت تلك
الانفاق التي ذكرها فقال

أقام به على الانفاق عمرو * ولم يشعر بأن لها كميناً
على تدبير اليرابيع في مخافيرها هذه ومخارجها التي أعدتها ومدخلها على قدر ما يفجأها
وان أهل بيت الفرس والروم إنما استخرجوا الاحتيال والمطامير والمخارق على تدبير
اليرابيع ، وإنما سمي الله عز وجل الكافر في باطنه المورى بالايمن والمستتر بخلاف
ما يسر بالمنافق على النافقاء والقاصعاء وعلى تدبير اليربوع في التورية بشئ عن شئ
قال الشاعر

إذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالجلل التؤام
وهذا الاسم لم يكن في الجاهلية بهذا العمل ولكن الله عز وجل اشتق
لهم هذا الاسم من هذا الأصل وقد علمنا ان قولهم لمن لم يحج ضرورة ولمن أدرك
الجاهلية والاسلام مخضرم وقولهم لكتاب الله قرآن وتسميتهم للمسح بالتراب التيمم
وتسميتهم للقاذف بفاسق ان ذلك لم يكن في الجاهلية واذا كان للنابغة ان يتسدي
الاسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله

* والنؤي كالخوض بالمظلومة الجلد *

وحتي اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع أثره وعلى أنها لغة عربية فאלله الذي له
أصل اللغة أحق بذلك ، وذكر شماخ بن ضرار اليربوع وكيف تظأ الارنب على زمعاتها
لتغالط الكلاب وجميع ما يطالبها فذكر بدءاً شأن العير والعانة فقال

إذا ما استاقن ضربن منه * مكان الريح في أنف القدوع
وقد جمعت ضفائهن تبدو * بما قد كان نال بلا شفيع

واذا وصفوا الناقة بأنها رواغة شديدة التفزع لفرط نشاطها ومرحها وصفوا بأن هراً قد ثبت في دفها وأكثر ما يذكرون في ذلك الهر لأنه يجمع العض بالناب والمحض بالمخالب وليس كل سبع كذلك وقال ضابي بن الحارث

بادماء حرجوج ترى تحت غرزها * تهاويل هر أو تهاويل اختلا
وقال أوس بن حجر

كان هراً خبيثاً تحت محجرتها * والتف ديك بسافيهها وخنزير

وقال عنتره

وكأنما ينأى بجانب دفها * وحشي من هرج العشي مؤرم
هر جنيب كلها عطف له * غضبي اتقاها باليدين وبالقم
والفيل يفزع من الهر فزعا شديداً، ومما يقع في الهجاء للسنور قول عمرو بن عبد الله
ابن الوليد في أم سعد بنت خالد

وما السنور في نفسي * لعوبا بالحنائل والبراق

فطلقها فاست لها بأهل * ولو أعطيت هراً في الصداق

قال صاحب الكلب قالوا ولما مات عمرو القصبي وكان من موالي ربيعة بن حنظلة ومات بالبصرة رجم بالسنانير الميتة وقالوا وقد صنعوا شبيهاً بذلك بخالد بن طليق حتى زعم أهله أن ذلك كان من تدبير محمد بن سليمان، وقالوا لم نر الناس رموا أحداً بالكلاب الميتة والكلاب أكثر من السنانير حية وميتة وليس ذلك إلا لأن السنانير أحقر عندهم وأنثى، قال ويقال للجرذان الفطلان ولأولاد الفار أدراص والواحد درص وكذلك أولاد اليرابيع يقال لها أدراص ودروص وقال أوس بن حجر

فما أم الدرين وقد أدات * بمالة بأخلاق الكرام

إذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبل التوام

فاذا طلب من هذه الحفائر نافق فيخرج من النافقاء وان طلب من النافقاء قصع ويقال أنفقته انفاقاً إذا صاح به حتى يخرج ونفق هو إذا خرج من النافقاء، وفي احتيال اليرابيع بالنافقاء والقاصصا موالداء والراطط وفي جمعها التراب على نفس باب

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يورثن النسيان أكل التفاح وسؤر الفار والحجامة في النقرة ونبد القملة والبول في الماء الراكد، ابن جرير قال اخبرني أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رقدت فأغلق بابك وخمر أنفك وأوك سقاءك وأطني مصباحك فان الشيطان لا يفتح غلقا ولا يكشف إناء ولا يحل وكاء وان الفارة الفويسقة تحرق على أهل البيت، قالوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم في السنائير إنهن من الطوافات عليكم وفي تفرقه بين سؤر السنور وسؤر الكلب دليل على حثه لا تحاذهن وليس لا تحاذهن وجه الا افناء الفار وقتل الجرذان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كما أحب استعياء السنائير فقد أحب قتل الفار، عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم عذبت امرأة في هرة سجنتها وربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم ترسلها تأكل من خشاش الارض وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة في من قبلكم النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تصيب من خشاش الارض حتى ماتت وأدخلت النار كلما أقيت نهشتها وكلما أدبرت نهشتها، قال وذكر النبي صلى الله عليه وسلم صاحب المحجن يجر قصبه في النار حتى قال وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تدعها تأكل من خشاش الارض، قال ابن يسير في صفة السنور فوصفه بصفة الاسد الا ما وصفه به من الشبه فان السنور يوصف بصفة الاسد اذا أرادوا به الصورة والاعضاء والوثوب والتخلم في المشي الا ان في السنائير السود والنمر والبق والخنزيرة وليس في ألوان الاسد من ذلك شيء الا كما ترون في النوادر من الفارة البيضاء والفاخنة البيضاء والورشان الأبيض والفرس الأبيض وقال ابن يسير في دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى الى ذكر السنور

وخيمته في مشيه متبهنس * خلف المؤخر كامل التصدير
مما أعير مفر أغضف ضيغم * من كل أعضل كالسنان هصور
متسريل نوب الدجا أو غبشة * سب على سهميه بالتشمير
يختص كل سليل سابق غاية * محض النجار مهذب مجبور

* وأقام السنور فيه بشر * يسأل الله ذا الملا والجلاله
 ان يري فارة فلم ير شيئاً * ناكسا رأسه لطول الملا
 قلت لما رأيته ناكس الرأس * س كئيبا يمشي على شز حاله
 ويك صبراً فأتت رأس السناء * نير وعلته بحسن مقاله
 قال لاصبر لي وكيف مقامي * في قفار كمثل بيد تباله
 قد أراني أنفض الرأس جوعاً * ثم أمشي في البيت مشى خباله
 قلت سر راشدا فخار لك الله ولا تعد مذبج البغاله
 * واذا ما سمعت أنا بخير * من نعيم في عيشة ومناله
 * فأتنا راشداً ولا تعدونا * ان من جاز رحلتنا في ملاه
 قال لي قولة عليك سلام * غير لعب منه ولا بطلاله
 ثم ولي كأنه شيخ سوء * أخرجوه من مجلس بكفاله
 ﴿وقال أيضاً﴾

نزل الفار بيتي * رفقة من بعد رفقه * خلفا بعد قطار *
 نزلوا بالبيت صفقه * ابن عرس رأس بيتي * صاعداً في رأس فتقه
 سيفه سيف حديد * شقه من ضلع سلقه * جاءنا يطرق بالليل
 فدق الباب دقه * دخل البيت جهاراً * لم يدع بالبيت فلقه
 وأتى يصفق مني * عين باب الدبر صفقه * صفقة أبصرت منها
 في سواد العين زرقه * زرقه مثل ابن عرس * أغبش يملوه بلقه
 ﴿وقال أيضاً﴾

أخذ الفار برجلي * جعلوا منها خفاف * وسراويلات سوء
 وتباين ضفاف * درجوا حولي بزفن * وبضرب بالدفاف
 قلت ما هذا فقالوا * إنما هذا الزفاف
 ساءة ثم فجازوا * عن هوائي في لحاف * امقوا أستي وقالوا
 ربح مسك بسلاف * صفقوا عين ذوبه * فاستهات بالراف

والعرب أُميب الانسان اذا كان ضيق الفم أو كان دقيق الخطم وقال غبدة بن الطيب
يادمع انك يوم الورد ذو لفظ * ضخم الجزارة بالسلمين جرار
تلقى الوليدة في النادي مؤزرأ * فاحلب فانك جلاب وصرار
ما كنت أول صب صاب تلعه * غيث فأمرع واستوحت به الدار
أنت الذي لا يرجى نيله أبداً * جلد الندى وغداة الروح فرار
تدعو بنيلك عباداً وحذية * يا فارة شجها في الحجر محفار
وقال أبو الشمقمق في الفار والسنور

ولقد قلت حين أقفر بيتي * من جراب الدقيق والفخاره
ولقد كان أهلاً غير قفر * مخصباً خيره كثير العماره
فأرى الفار قد تجنب بيتي * عائذات منه بدار الاماره
ودعا بالرحيل ذبان بيتي * بين مقصوصة الى طياره
وأقام السنور في البيت حولا * ما يرى في جوانب البيت فاره
ينفض الرأس منه من شدة الجو * ع وعيش فيه أذي ومراره
قلت لما رأيته ناكس الرأس * س كئيباً في الجوف منه حراره
وبك صبراً فأنت من خير سنه * ور رأته عيناي قط بحاره
قال لا صبر لي وكيف مقامى وسط بيت قفر كجوف الحماره
قلت سر راشدا الى بيت خان * مخصب رحله كثير التجاره
واذا العنكبوت يفز في دنى * وحتي في الكوز والقرقاره
وأصاب الحمام كلبى فأمسى * بين كلب وكلبة عياره
﴿ وقال أيضاً ﴾

ولقد قلت حين أحجرني البر * د كما تحجر الكلاب ثماله *
في مبيت من الغضارة قفر * ليس فيه الا النوى والنخاله
عطائه الجرذان من فلة الخير * وطار الذباب نحو زباله *
هاربات منه الى كل خصب * حين لم يرتجى من بلاله

* كأنما يرش بالحراب *

ويوصف عضو الحفار والماتح الذي يعمل في المعادن فيشبه بالجرذان إذا انفلق لحمه عن صلابة فصار ربما قال الراجز

اعددت للورد إذا الورد حفز * غرباً جروراً وجلالا خزخز

وما تحالا ينثني إذا احتجز * كان جوف جلده إذا احتجز

* في كل عضو جرذان أو خزز *

والخززد كـ اليرابيع والزباب والخلد واليرابيع أصم لا يزال كذلك وأنشد

وهم زباب حائر * لا تسمع الآذان رعداً

هكذا أنشدونا وأنشد الاصمعي لمزرد بن بدر ضرار في تشبيه الجرع في خلق الابل
بثمان الزباب وهو الشكل الذي وصفناه فقال في وصف وصيف له سقاء فوصف جرعه

فقلت له اشرب لو وجدت بهارزاً * طوال الذرى من مرهفات الخناجر

ولكنما صادفت دور منيحة * لمثلك يأتى للقري غير غادر

قاهوى لها الكفين وامتد حلقه * بجرع كائباج الرباب الدفائر

وقال اعرابي وهو يكثر يقوم وبذكر قرض الفار الصكاك عند فراره منه الزم الصك

لا يقرضه الفار تهزؤابه

أهون على يسير وصفوته * إذا جعلت ضرارا دون سيار

البائى ناشراً عندي صحيفته * في السوق بين قطين غير ابرار

جاؤا الى عطافا يلفظون بها * تشف آذانهم اذ غاب انصارى

لما أبوا جهرة الا ملازمتى * أجمعت مكرأ بهم في غير انكار

وقلت ان بحساس غدا حلبي * وان موردكم دار ابن هبار

وما أواعدهم الا لأنبهم * عني فيخرجني نقضى وابرارى

وما جلبت اليهم غير راحلة * تحذى برحل وسيف جفنه عاري

ان القضاء سيأتى دونه زمن * فاطوا الصحيفة واحفظها من الفار

يقولون أقوالا ولا يدعونها * وان قيل هاتوا حقا لم يحققوا
فلا تحقرن يا حار شيئا وليته * حفظك من أرض العرائين سرق

فلما بلغت حارثة بن بدر قال لا يخفى عليك الرشد ، قال ووقفت عجوز علي قيس بن
سعد فقالت أشكو اليك فلة الجرذان قال ما أطف ما سألت تذكر ان بيتها ففر من
الآدم والمأدوم فأكثر لها يا غلام من ذلك ، قال وسمعت قاصا مدنيا يقول في دعائه
اللهم أكثر جرذانا وأقل صبياننا ، وبين الفار وبين طباع كثير من الناس منافرة
حتى ان بعضهم لو وطئ على ثعبان أورى بثعبان لكان الذي يدخله من المكروه
والوحشة والفرع أيسر مما يدخله من الفارة لورى بها أو وطئ عليها ، وخبرني
رجال من آل زائدة بن مقيم أن سليمان الأزرق دعا بحية شنعاء قد صارت في دارهم
فدخلت في حجر وانه اغتصبها نفسها حتى قبض على مابقي منها ثم أدارها على رأسه
كما يصنع بالمجداف وأهوى بها الى الأرض ليضرب بها فابتدرت من حلقها فارة
كانت ازدردتها فلما رأى الفارة هرب وصرخ صرخة قالوا فأخذ مشايخنا الثمان
باخراج الفارة وتلك الحية الشنعاء الى مجلس القوم ليعجزوهم من انسان قتل هذه
وفر من هذه ، وسألت بعض الحوائث ممن يأكل الافاعي حية ونية بمدونها فقلت ما بال
الحيات منتنة الجلود والجذوم قال أما الافاعي فانها ليست منتنة لانها لاتأكل الفارة
فأما الحيات عامة فانها تطلب الفار طلبا شديدا وربما رأيت الحية وما يكون غلظها
الا مثل الابهام الكبير ثم أجدها قد ابتلت الجرذ أغاظ من الذراع وأنكر ثن
الحيات الا من هذا الوجه ولم أر الذي قال قولا مثل قول أعرابي ودخل بعض
الامصار فاقى من الجرذان جهدا فوجد بها ودعا عليها فقال

يعجل الرحمن بالمقاب * لعامرات البيت بالخراب

حتى يعرجن الى الثياب * كحل العيون قصر الرقاب

مستبغات خلفه الأذنان * مثل مداري الحسن السلاب

ثم دعا عليها بالسور فقال

أهوى لمن أنعم الأهاب * منهرت الشدق حديد الناب

لا ايقاع معه ومن فرار دائم لا ثبات معه ومن فرار لا يمنع من العودة ومن اقدام لا يوجب
 الا لتقاء ليس هو الا الصخب والتشبه فلم يعد كل واحد منهما حتى يدخل جحره
 وتقول العرب الضب أطول ثبي ذماء ولا أعلم في الارض شيئاً أقصر ذماء ولا أضعف
 ميتة ولا أحذر ان يقتل الصغير من الفار وبلغ من تحرزه واحتياطه ان يسكن السقف
 فربما فاجأه السنور وهو يريد ان يعبر الى بيته والسنور في الارض والفارة في السقف
 ولو شاءت ان تدخل مبيتها لم يكن للسنور عليها سبيل فتتحير فيقول السنور بيده
 كالمشير ليساره ارجع فاذا رجعت أشار بيمنه ان عد فعود وانما يطلب ان تعيا وتزاق
 أو يداريها ولا يفعل بها ذلك ثلاث مرات حتى تسقط الى الارض فيذب عليها فاذا
 وثب عليها لعب بها ساعة ثم أكلها ورجعاً خلى سبيلها وأظهر التغافل فتعمن في الحرب
 فاذا ظنت انها قد نجت وثب عليها وثبة فأخذها فلا يزال كذلك كالذي يجب أن
 يسخر بصاحبه وان يخدعه وأن يأخذه أقوى ما كان طمعا في السلامة وان يورثه
 الحسرة والاسف وان يلذ بتفغيصه وتعذيبه، وقد يفعل العقاب مثل ذلك بالأرنب ويفعل
 السنور مثل ذلك في العقرب، وقال أبو زيد دخلت على رؤبة فاذا هو يمل جردنا فاذا
 نضجت أخرجها من النار فأكلها فقلت له أتنا كل الجرذان قال هي خير من اليرابيع
 والضباب انها عندكم تأكل التمر والخبز والسويق وكان ناس من أهل سيف البحر
 من شق عمان يأكلون الفار والضفادع ممقورة ومملحة وكانوا يسمونها حية حية
 وآل وآل وقال أوس بن حجر

لحيته لمحي المصافط ردتهم * الى سنة جردانها لم تحلم
 يقال تحلم الصبي اذا بدأ في السمن فاذا زاد على ذلك قيل قد صب ويقال أسرق من رزاة
 والرزاة الفارة ويقال أسرق من جرد وقال أنس بن أبي إياس لحارثة بدر حين ولي
 أرض سرق

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكان جردا فيها تخون وتسرق
 وباه تيميا بالغنى ان لا غنى * لسانا به المرء الهيوبة ينطق
 فان جميع الناس اما مكذب * يقول بما تهوى واما مصدق

وحمد از الصباح إلى عبيد الشونيزي فاذا عند دبرية زجاج فيها عشرون عقربا وعشرون
 فارا فاذا هي تقتتل فخيّل لي أن تلك الفار قد اعترها ورم من شدة وقع اللسع
 ورأيت العقارب قد كلت عنها وناركتها ولم أر الا هذا المقدار الذي وصفت وحدثنا
 عنها عبيد باعاجيب ولو كان عبيد استاذ الخبرت عنه ولكن موضع البياض من هذا
 الكتاب خير من جميع ما كان لعبيد، وللجرد تدبير في الشيء يأكله أو يحسوه فانه
 ليأتي الفارورة الضيقة الرأس فيحتمل حتى يدخل طرف ذنبه في عنقه فكلما ابتل
 بالدهن أخرجه فلطمه ثم أعاده حتى لا يدع في الفارورة شيئا ورأيت من الجرذان
 أعجوبة وذلك أن الصيادة لما سقطت على جرد منها ضخم اجتمعت على اخراجه
 وسئل عنقه من الصيادة فلما أعجزهم ذلك قرضوا الموضع المنضم عليه من جميع
 الجوانب ليتسع الخرق فيجذبته فهجمت على محاله حيث يدخل طرف ذنبه فيه فلو
 اعتمدت بسكين على ذلك الموضع لظننت أنه لا يمكن الاسبيه بذلك، وزعم بعض
 لأطباء ان السنور انما يدفن خراؤه ثم يعود الى موضعه فيشمه فان كان يجد من ريحه
 بعد شيئا زاد عليه من التراب لان الفأرة لطيفة الحس جيدة الشم فان وجدت تلك
 الريح عرفتها فأمنعت في الهرب فلذلك يصنع السنور ما يصنع ولا يشاك الناس أن
 أرض بلد سبا وجنتيها انما خربت حين دخلها سليل العرم والعرم المسناة وان الذي
 فجر المسناة وسبب لدخول الماء الذي اذا دخل أخرب بقدر قوته وقوة الماء تكون
 من ثلاثة أوجه اما أن تدفعه ريح في مكان يفحش فيه الريح واما ان يكون وراءه
 وفوه ماء كثير واما ان يصيب حدودا عميقا، وأما حديث ثمامة فانه قال لم أر قط أعجب
 من قتال كنت في الحبس وحدي وكان في البيت الذي أنا فيه جحر فأر يقابله جحر
 آخر فكان الجرذ يخرج من أحد الجحرين فيرقص ويتوعد ويصوب بذنبه ويرفع
 صدره ويهز رأسه فلا يزال كذلك اذا عمد أحدهما دخل في جحره وصنع الآخر
 مثل ذلك فلا يزال كذلك في الوعيد وفي الفرار وفي التحاجز وفي ترك التلاقي الا
 اني في كل مرة أظن الذي يظهر لي من حدهما واجتهادهما وشدة توعدهما أنهما
 سيلتقيان شيئا أهونه المض والخش ولا والله ان التقيا قط فمجيبت من وعيد دائم

صورة المحبرة التي يقال لها اليهودية المنكوسة الانبوبة ثم ينزل في جوفها عصفور واحد فتتقض عليه العصافير ويدخل عليه وما دخل منها لم يجد سبيلا الى الخروج منها فيصيد الرجل منها في اليوم المائتين وهو وادع ، وهي أسرع الى ذلك العصفور من الطير الى البر اذا جعلوه في المصائد ومتى أخذ الرجل فراخ العصافير من أوكارها فوضعها في قفص حيث تراها الآباء والامهات فانها تأنيها بالطعم على الخطر الشديد والخوف من الداس والسنانير مع شدة حذرهما ورقة حسها ليس ذلك الا لبرها بأولادها وحبها

❦ القول في الفار والجردان والسنانير والعقارب ❦

قال وانما ذكرنا العقارب مع ذكرنا للفار للعداوة التي بين الفار والعقارب كما رأينا ان نذكر السنانير في باب الفار للعداوة التي بينهما فان قلت قد عرفنا عداوة الفار للعقرب فكيف تعادى الفارة السنور والفارة لا تقاومه قيل لعمرى ان جردان انطاكية لتساجل السنانير في الحرب التي بينهما وما تقوم لها وما تقدر عليها الا الواحد بعد الواحد وهي بخراسان قوية جداً وربما قطعت اذن النائم وفي الفار ما اذا عض قتل وخبرني أبو زيد يونس الشرطي أنه عاين ذلك وأنا رأيت سنوراً عندنا ساور جرداً في بيت الخطب فافلت الجرد منه وقد فقأ عين السنور والقتال يكون بين الديك والكباش والكلاب والسنانير وضروب مما يقبل التحريش ويواب عند الاغراء ويزعمون أنهم لم يروا قتالا قط بين بهيمتين أشد من قتال يكون بين جردين فاذا ربط أحدهما بطرف خيط وشد رجل الآخر بالطرف الآخر فلهما عند ذلك من الجلب والجش والعض والتشبث والفقاس ما لا يوجد بين شئيين من ذوات العقار والمراش الا أن ذلك مادام في الرباط فاذا انحلا وانقطع ولى كل واحد منهما عن صاحبه في الارض وهرب كل واحد خلاف جهة الآخر وان جملا في اناء من قوارير أعنى الجرد والعقرب وانما ذكرت القوارير لانها لا تستر عن أعين الناس صنيعها ولا يستطيعان الخروج للملاسة الحيطان فالفارة عند ذلك تحتل العقرب فان قبضت على ايرتها فرصتها وان ضربتها العقرب ضرباً كثيراً فاستنفدت منها كان من أسباب حتفها ، ودخلت انا مرة

يروعه السرار بكل أرض * مخافة أن يكون به السرار
وقال عبيد بن أيوب

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقلت عدو أو طليعة معشر
فان قيل خير قلت هذا خديعة * وان قيل شر قلت حقا فشمير
وخفت خليلي ذا الصفاء وراي * وقلت فلانا أو فلانة فاحذر

وقال ابان اللاحق

اخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل الكلام
ومن ملح أحاديث الاصمعي قال حدثني شيخ من أهل المدينة وكان على السن قال
قال العاصري كانت هذه الارض لقوم ابتدأوها وساقوها وكانت الثمرة اذا أدركت
قال قائلهم انهم الحائط ليصيب المار مما فيه والمعتني ثم يقول ارسل الى فلان بكذا وكذا
والى فلان بكذا وكذا فاذا يمت الثمرة فأرسل الى فلان بكذا وكذا من دينار والى فلان
بكذا وكذا فيضج الوكيل فيقول ما أنت وهذا لا أم لك فلما غمرت الارض وأغنت
اقتطعها قوم سواهم وان أحدهم ليسد حائطه ويصفر بابه ثم يدج فيقول ما هذه النملة
فأرسل يستظيف من وراء الحائط فهو أطول من معقل أبي كريز واذا دخل حائطه
دخل معه بقذافة فاذا رأى المصفر رماء على الفنا فيقع المصفر مشويا على قرص
والقرص من هذا المصفر ، ويخص المصافير الهبيرية وهي تطعم على رفر وتكون
اسمن من السمانى وأطيب من كل طيب وهي تهدي الى ملوكنا وهي قليلة هناك
وقال الراعي

ما زال يركب روقيه ويخاطه * حتى استناد سفاها دونها الناد
حتى اذا نطق المصفر وانكشفت * عمابة الليل عنه وهي تعتمد

وقال الراعي

وأصفر مجدول من العد مارق * ثلاث بعينها فيلوى ويهرق
لدي ساعدى مهربة سندية * تلى بليل والمصافير تنطق
قال وتصاد المصافير بأهون حيلة وذلك انهم يعملون لها مصيدة ويحملون لها بنية في

خروجه فقال

في زمان تبيض فيه الخفافيد * ش ونسق سلافة الجريال
ويقيم المصفور سلما مع الاي * م ونحى الذئاب لحم السخال
يقول اذا ظهر الامام فآية ذلك ان تبيض الخفافيش وهي اليوم تلد وتحمل لنا الخير
وتسلم الحيات المصافير والذئاب السخال، ورووا في طول سجود عيسى بن عتبة أنه
كان يطيل ذلك حتى يظن المصفور أنه كالشيء الذي لا يخاف جانبه وحتى يظن
المصفور أنه سارية فيسقط عليه، وذكر عمران بن أبي الفضل عن الاعمش عن يزيد
ابن حيان قال كان يزيد بن عتبة اذا سجد وقعت المصافير على ظهره من طول
سجوده، وفي المثل ان شيخا نصب للمصافير فخا فارتقى به وبالفخ فضر به البرد
فكلما مشى الى الفخ وقد انضم الى المصفور وقبض على جناحه فالتفاه في وعائه وقد
دمعت عينه مما كان يصد وجهه من برد الشمال قال فتوامرت المصافير بأمره وقلن
لابأس عليكم فانه شيخ صالح رحيم رقيق الدمة قال فقال مصفور منها لا تنظروا الى
دموع عينيه ولكن انظروا الى عمل يديه، وفي امثال العامة فيمن يتصرف بغير مؤنة
الحجر بحان والمصفور بحان، قال ويقال مصفور وعصفورة وأنشد قوله
ولو أنها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عتيكا وأرنا
وقال في هذا المني جرير وان لم يكن ذكر المصفور

مازات تحسب كل شيء بدمهم * خيلا تشد عليهم ورجالا
قال يونس أخذ والله هذا المني من قول الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
وقال الشاعر

كأن بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل
يؤدي اليه أن كل ثنية * تيمها ترمى اليه بقاتل *

وقال بشار في شبيه ذلك

كأن فؤاده كرة تنزى * حذار البين لو نفع الحذار
جفت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها فيها قطار

وأنشدوا

تجاوزت والمصفور في الجحر لاجئ * مع الضب والشقران يسمو صريرها
قال والشقران الحرباء قوله يسمو أى يرتفع على رأس العود والواجد من الشقران
شقران بتحريك القاف وفتح الشين وأكرم خـل كان للعرب من الابل كان يسمي
عصفوراً وتسمي أولاده عصافيره النعمان ، وكانوا يقولون صنع به الملك كذا وكذا
ووهب له مائة من عصافيره وعصفور وذاعر وعامر وذو الكيلين خولة ابل النعمان
وعصافير الطير واحدها عصفور والرحل يسمي عصفور القواس تضاف اليه القسي
المصفورية وقد ذكره ابن بشير حين دعى على حمام له بالشواهين والصقور والسناير
والبنادق فقال

من كل أكاف بات يدجن ليله * فقدا بفدوة ساغب ممتطور
ضرم يقلب كفه مستأنساً * مسا فذكر له من التقدير
يأتي له من ميامنا ومياسراً * صكا بكل مذلق مخطور
لا ينبج منه شريدهن فان نجا * شيء فصار بجانيات الدور
بمشمرين من السواعد حسر * عنها لكل رشيقة التوتير
ليس الذي تشوى يداه برميته * فيهم بمعتذر ولا معذور
يثبوعون مع الشروق غدية * في كل معطبة الحراب بتور
عطف الشبات موانع في بذلها * تعزى اذا نسبت الى عصفور
ينفين عن حرب الاكف سواسيا * متشابهات صفن بالندوير
تجرى لها مبهج النفوس وانها * لتواصل سلت من الخمير
ما انت بنى متباين متباعد * في الجوى بحسر طرف كل بصير
عن شبهن اذا لصدن لجمه * متقطراً متضمخا بمبير
فيؤب ناجين بين مخلص * دام ومجـلوب الى منسور
عارى الجناح من القوادم والعري * كأس عليه بطائر الناهور
وقال ابن السري وهو معدان الاعمي الدينوري وهو يذكر ظهور الامام واشراط

وقال أبو محرز فلما ان دنا الصبح * باصوات المصافير
ولها موضع آخر وذلك انهم يضربون المثل بأحلام المصافير لأحلام السخفاء وقال
دريد بن الصمة

يا آل سيفيان ما بالى وبالكىم * أنتم كبير وفي الأحلام عصفور
وقال حسان بن ثابت

لابأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال وأحلام المصافير
وفي معني هذا الباب من التصغير والتحقيق يقول لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر
والمسحر المحدث على قولهم * ونسحر بالطعام وبالشراب * وقال لبيد
* عصافير وذبان ودود * فكانه يخبر عن ضعف طباع الانسان وقال قوم المسحر يعني كل
ذي سحر يذهب الى الرثة لقوله * ونسحر بالطعام وبالشراب * ولذا كر السحر موضع
آخر يقول الرجل لصاحبه صرمت سحري منك أى لست منك وقال خفاف بن ندبة
ولولا ابنا تماضران تساوى * وانى فيك غير صريم سحر

فكانه قال لست كذلك وقال قيس بن الخطيم
تقول ظميتي لما اسنقات * أترك ما جمعت صريم سحر
أى قد تركته آيسا منه وأنشد الآخر

أبذهب ما جمعت صريم سحر * طليقا ان ذا لهو والعجيب
كذبتم والذي رفع المعالي * ولما يخضب الاسل الخضيب
ياذا وصفوا شدة الحر وصفوا كيف ترقى الحرباء على العود الجزل وكيف
لجأ المصافير الى جحر الضباب من شدة الحر وقال أبو زيد

أى ساع نسي ليقطع شربي * حين لاحت للصباح الجوزاء
واشتهى المصفور كرها مع الضرب وأوفى في عوده الحرباء
ونفي الجندب الحصى بكراعيه * وأذكت نيرانها المعزاء
من سموم كأنها نفخ نار * سحرتها الهجيرة العماء

من يقرب منه فيصيح به ويهوي بيديه للارض كأنه يريد ان يرميه بحجر فلا يراه
يحفل بذلك فان وقعت يده على حصاة طار من قبل يتمكن من أخذها ، وزعم صاحب
المنطق ان بين الحمار وعصفور الشوك عداوة وقال لان الحمار يدخل الشجر والشوك
فربما زاحم الموضع الذي فيه وكره فيدد عشه ووربما نهق الحمار فسقط فرخ العصفور أو
بيضه من جوف وكره قال ولذلك اذا رآه العصفور ذرق فوق رأسه وعلى عنقه وآذاه
بطيرانه وصياحه ووربما كان العصفور أبلق ويصاب فيه الاصبع والجرادى والاسود والقميع
فاذا أصابوه كذلك باعوه بالثمن الكثير ، وقال أبو زيد الاسدي قيل لعبد الاعلى القاص
لم سمي العصفور عصفوراً قال لانه عصى وفر قيل ولم سمي الطفشيل طفشيلاً قال لانه
طفأ وشال وقيل له لم سمي الكاب القاطى قاطياً قال لانه قاطى قال ولم سمي السلوق
سلوقياً قال لانه سلاوبقى وحدثني ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن صهيب مولى
ابن عامر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من انسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها الا سأله الله عنها فيل يارسول وما
حقها قال ان تذبجها فتأكلها ولا تقطع رأسها فترمى بها ويقال للعصفور قد صر
العصفور يصر صريراً قال ويقال في المسكاكى والفتابر والحرق والحمر قد صفر يصفر
صفيراً قال طرفة بن العبد

يالك من قنبرة بمعمر * خلالك الجو فيضى واصفرى

ويقال قد نطق العصفور وقال جرير

سوى ذكره منها ان الراكب عرسوا * وهبت عصافير الصريم النواطق
ولذكر العصفور موضع آخر وذلك ان العصافير تصيح وقت الصبح وقال كثنوم
ابن عمرو

ياليلة لى بجوارين ساهرة * حتى تكلم فى الصبح العصافير

وقال الوليد بن يزيد

فلما أصوات عصافيره * ولاحت تباشير أروافه

غدا يقتري آبقا عاريا * ويلبس ناضر أورافه

يديها ويشقل ذلك على الانسان ، والحمام يضرب بجناحه الحمام ويقايله به ويدفع عن نفسه به وقوائمه هي أصابمه وجناحاه يداه ورجله كالقدم وهي رجل وان سموها كفا حين وجدوها تكف به كما يصنع الانسان بكفه وكل مقطوع اليدين وكل من لم يخلق له يدان فهو يصنع برجله عامة ما يصنعه الوافر الخلق بيديه ، وكل سبع يكون شديد اليدين فإنه يكون ضعيف الرجلين وكل شيء من ذوات البرائن والحوافر فان يديها أكبر من رجلها والناس أرجلهم أكبر من أيديهم وأقدامهم أكبر من أيديهم وجعلوا ركب الدواب في أيديها ، وللعصافير طباهجات وغلات تدعي العصافيرية ولها حواش يطعمها المفلوج والموام تأكلها للقوة على الجماع وعظام سيقها وأنفاذاها أحد واذرب من البر وهي مخوفة على المعدة والامعاء وهي تخرب السقف تخريبا فاحشا وتجتلب الحيات الى منازل الناس لحرص الحيات على ابتلاع العصافير وفراخها وبيضها ، والذين زعموا أن ذكورتها لا تعيش الا سنة يحتاجون الى أن يعرفوا الناس ذلك وكيف يستطيعون تعريفهم ذلك وقد تكون القرى بقرب المزارع والمياذب مملوءة عصافير ومملوءة من بيضها وفراخها وهم مع ذلك لم يروا عصفورا قط ميتا والذين زعموا أن البغل انما طال عمره لقلة السفاد والعصفور انما قصر عمره لكثرة السفاد وغلمته لو قالوا بذلك على جهة الظن والتقريب لم يعلم أحد من العلماء والامور المقربة غير الأمور الموجبة فينبغي ان يعرفوا فضل ما بين الواجب والمقرب وفرق ما بين الدليل ومشبه الدليل ولعل طول عمر البغل يكون للذي قالوا ولشيء آخر ، وليس ينبغي لنا أن نجزم على هذه العلة فقط والعصفور لا يستقر ما كان خارجا من وكره حتي كانه في دوام الحركة صبي وله صوت حديد مؤذ وزعموا ان الببلل لا يستقر أبداً وهذا غلط لان الببلل انما يعلق لانه محصور في فقس والذين عاينوا الببلل والعصافير في غير أوكارها وغير محصورة في الانفاص يعلمون فضل العصفور على الببلل في الحركة ، فأما صدق الحس وشدة الحذر والازكان الذي ليس الحس الطواف ولا عند العراف فان عند العصفور منه ما ليس عند جميع ما ذكرنا لو اجتمعت قواهم وركبوا في نصاب واحد من ذلك انه يتم بحدة صوته بعض

وقال الشاعر

تمشين كما تمشي القطا * أو كما يمشي جلال البقرات
لأن البقرة تتبخر في مشيتها، وقلت لابي دبوقا أي شيء أول المشي قال التباهر
والقرمطة في المشي، وكل حيوان من ذوات الرجلين والاربع اذا انكسرت لها قائمة
تحامات بالصحيحة الا النعامة فانها تسقط البتة، قال فكثرة عدد السفاد والمبالغة في
الابطاء والدوام في كثرة العدد لضروب من الحيوان فالانسان يغلب هذه الاجناس
لان ذلك دائم فيه في جميع الازمنة فأما الابطاء في حال السفاد فللجمل والورل والدباب
والخنازير فهذه فضيلة لذة لهذه الاجناس والاصناف، فأما كثرة العدد فللمصافير وقد زعم
أبو عبد الله العتيبي الابرص وكان قاطع الشهادة عند أصحابنا البصريين ان الذي يقال
له المسراطي قرع في يوم واحد نيفا وثمانين قرعة الا أن ذلك منه ومن مثله يتمحق
حتى يعود حاقراً في الايام القليلة، وبنو حمان يزعمون ان تيس بن حمان قرع وألقح
بعد ان ذبح وفخروا بذلك فقال بعض من يهجوهم

والهي بني حمان عسب عتودهم * عن المجد حتى احرزته الا كارم
وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان فيما سلف من الدهر ان ثوراً سفد وألقح
من ساعته بعد ان خصي فاذا افراط المادح في المديح وخرج من المقدار وافرط
المتعجب في التعجب وخرج من المقدار احتاج صاحبه الى ان يثبت بالعيان أو بالخبر
الذي لم يكذب مثله والا فقد تعرض للتكذيب ولو جعلوا حركتهم خيراً وحكاية
وتبرؤا عن عينه ماضهم ذلك فكان ذلك أصون لأقدارهم وأتم لمروآت كتبهم، قالوا
وكل جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين كالزرزور والخطاف وجناحهما أجود من
جناح المصفور ورجل المصفور قوية والجناحان هما يد الطائر لانهم يجهلون كل طائر
وانسان ذا أربع جناح الطائر يدها ويدا الانسان جناحه ولذلك ان قطعت يد الانسان
لم يجد العدو وكذلك ان قطعت رجل الطائر لم يجد الطيران، والدابة قد تقوم على رجلها
دون يديها والانسان قد يمشي على قوائم أربع الا أن الآلة تكون في مكان ببعض
الاعمال أليق وهي عليها أسهل فتجذبها طبائعها الى ما فيها من ذلك كمشي الدابة على

كأنه رهيص وإذا مشى تحلق قال أبو زيد

إذا تبهنس يمشى خلته وعشا * وهت سواعده من بعد تكسير
وكذلك الفرس لا يسمع بالمشي وهو يوصف بشنج النساء ، ومن ذلك الغراب فإنه
يحجل كأنه مقيد قال الشاعر

كتارك يوم مشية من سجية * لا خري ففاته فأصبح يحجل

وقال الطرماح

شنج النساء إذا الجناح كأنه * في الدار بعد الظاعنين مقيد
والنسور والفهود وأشباهها في طريق الأسد ، والحية تمشي ومنها ما يشب ومنها
ما ينتصب ويقوم على ذنبه والافعى إذا انتهت وانباعت للنهش لم تستغل ببدنها كله
ولكنها تستطرد بدنها الذي يلي الرأس حركة وتسقط أسرع من اللمح ، والجرادة تطير
وتمشي وتطرد فإذا صرت إلى المصفور والبرغوث ذهب المشي فليس عند البرغوث
إلا الطمور والثوب وقال الحسن بن هانئ يصف رجلا يفلى القمل والبرغوث
أو طامري وائب * لم ينجه منه وثابه

لأن البرغوث وثاب ، قال وقول الناس طامر وابن طامر إذا يريدون البرغوث وكذلك
المصفور ليس يعرف إلا أن يجمع رجليه ويثب فيضهما معا ويرفعهما معا فليس عنده
إلا النقران فلذلك يسمى المصفور نقازاً وهو المصفور والجمع عصافير ونقاز والجمع
نقاز وهي الصغار أيضاً فلا يسمع بالمشي ، وليس لشيء مثل جسم المصفور مراراً كثيرة
من شدة الوطء وصلابة الوقع على الأرض إذا مشى أو على السطح مالم المصفور فأنك
إذا كنت تحت السطح الذي يمشى عليه حسبت وقعه عليه وقعة حجر والكاب منعوت
يشدة الوطء وكذلك الخصييان من كل شيء فالعصفور تأخذ بيضته من الأجزاء
بأكثر من قسط جسمه من تلك الأجسام بالأصناف الكثيرة والذباب من الطير
الذي يجيد المشي ويمشي مشياً سبطاً حينئذ مستويا والقطاة مليحة المشي مقارنة الخطو
وقد توصف مشية المرأة بمشي القطاة وقال الشاعر

يمشون مشى قطا البطاح تأوداً * فاب البطون رواجح الأكفال

وموضع نقر الكلبة من القضيبي لان للعصفور الذكر حلية سوداء وليس للحية الا للرجل والتميس والديك واشباه ذلك فـ هذه أيضاً فضيلة للعصفور ، فاذا أصيبت بأولادها أو خافت عليها العطب فليس بين شي من الأجناس من المساعدة مثل الذي مع العصافير لان العصفور يري الحية قد أقبلت نحو حجره وعشه ووكره لتأكل بيضه أو فراخه فيصبح ويوثق فلا يسمع صوته عصفور الا أقبل عليه وصنع مثل صنيعه بتحريك ولوعة وقلق واستغاثة وصراخ وربما أفلت الى الارض وسقط الى الارض وقد ذهبت الحية فيجتمعن عليه اذا كان قد نبت ريشه أدنى نبات فلا يزالن يهيجنه ويطرن حوله لعلها ان ذلك يحدث للفرخ قوة على النهوض فاذا نهض طرن حواليه ودونه حتي يحتملنه بذلك العمل وكان الجريبي ينشد

واجتث كل باذل دقوق * حتى رفعن شره اللحوق

وينشد

* واجتث مجتثاً بها الحذورا *

وتقول العاشية تهيج الآبية ولو ان انساناً أخذ فرخي عصفور من وكره ووضعها بحيث يراها أبواها في منزله لوجد العصفور يتقحم في ذلك المنزل حتى يدخل في ذلك القفص فلا يزال في تمهده بما يعيشه حتى يستغنى عنه ثم يحتملان في ذلك غاية التفرير والخطار وذلك من فرط الرقة على أولادهما ، وأجناس الحيوان التي لا تستطيع أن تسمح بالمشى ضروب منها الضبع لانها خلقت عرجانها أبداً تجمع قال الشاعر

وجاءت جبال وابنا أبيها * أحم الماقيين بها خماع

وقال مدرك بن الحصين

من العسر ما تدرى أرجل شماها * من الظلم لما هزلت أم يمينها
والذئب أقزل شنج النساء وان أحت الى المشى فكانه يتوحى ، وكذلك الظبي شنج النساء فهو لا يسمح بالمشى قال الشاعر

وقضرى شنج الانسا * نباح من الشعب

واذا أرادوا العدو فانما هو النقر والوثب ورفع القوائم معا ، وكذلك الاسد فانما يسعى

على طريق التلميح والتعمض فما يشارك فيه المصفور بهائم الطير انه ليس بذى
 غلب ولا منسر وهو مما اذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدائرة وسباع
 الطير تقدم أصبعين وتؤخر أصبعين ومما يشارك فيه السبع أن بهائم الطير تلقم فراخها
 والسباع تلقم جراحها ، والفراخ على ثلاثة أصناف ففرخ كالفرج لا يزق ولا يطعم وفرخ
 كفراخ العقاب والبازي والزررق والشاهين والصقر وأشباهاها من السباع فهو يلتم
 ولا يزق فأشبهها المصفور من هذا الوجه ، وفيه من السباع أنه يصيد الجرادة والنمل
 الطيار وياً كل اللحم ويلتم فراخه اللحم وليس في الارض رأس أشبه برأس الآدمي
 من رأس المصفور ، والاجناس التي تعايش الناس الكلب والسنور والفرس والبعير
 والحمار والبغل والحمال والخطاف والزنبور والخفاش والمصفور ، قالوا وليس في جميعها
 أطول عمراً من البغل ولا أقصر عمراً من المصفور قالوا وما نظن ذلك كان الا لقلة
 سفاد البغل وكثرة سفاد المصفور ، ويزعمون أن محمد بن سليمان أنزى البغل على
 البغلات كما أنزى العتاق على الحجور والبرازين على الرمك والحير على الآثن فوجد
 تلك الفجولة من البغال بأعيانها أقصر أعماراً من سائر الحافر حين سوى بينها في
 السفاد ووجد البغل يلقيج إلقاحاً فاسداً لا يتم ولا يعيش ، وذكروا ان قصر العمر لم
 يعرض لانها كما عرض لذكورتها وهذا شبه بما ذكر صاحب المنطق في المصافير
 فانه ذكر أن إناتها أطول أعماراً وأن ذكورها لا تعيش الا سنة واحدة ، والمرأة
 تنقطع عن الحمل قبل ان ينقطع الرجل عن الاحبال بدهر وتفرط في السمن فتصير
 عاقراً ويكون الرجل أسمن منها فلا يصير عاقراً ، وكذلك الحجرة والرمكة والآثان
 وكذلك النخلة المطعمة وتسقي اب الفحال فيكون أجود لالقاحه وهما يختلفان كما
 تري ، وللمصفور فضيلة أخرى وذلك ان من فضل الجنس أن تتميز ذكورته في العين
 من اناته كالرجل والمرأة والديك والدجاجة والفحال والمطعمة والئيس والظبية
 والطاوس والتدرج والدراج وانها وليس ذلك كالحجر والفرس والرمكة والبرذون
 والناقة والجل والمير والأسد واللوبة فان هذه الاجناس تقبل نحوك ولا تنفصل في
 العين الاثني من الذكر حتى تفقد مواضع القنب والأطباء وموضع الضرع والسلي

✽ اجناس الطير التي تألف دور الناس ✽

المصافير والخطاطيف والزرارير والخفافيش فبين هذه مناسبة ومشاكل وإلفة ومحبة والخطاطيف تقطع اليهم وتغرب عنهم والمصافير لا تغارهم وان وجدت داراً مبنية لم تسكنها حتى يسكنها انسان ومتى ان سكنتها لم تقم فيها اذا خرج منها ذلك الانسان بفراقه تغارق وبسكنه تسكن وهذه فضيلة لها على الخطاطيف ، والحمام لا تقيم معهم في دورهم الا بعد أن يثبتوه ويعلموه ويزينوا حاله ويدرجوه ، ومنها ماهو وحشي طواري وربما توحش بعد الانس ، والمصافير على خلاف ذلك فلها بذلك فضيلة على الحمام وعلى الخطاف وقد يدرب المصفور ويثبت فيستجيب من المكان البعيد ويثبت ويدجن فهو مما يثبت ويعايش الناس من تلقاء نفسه مرة وبالتبثيت مرة ، وليس كذلك شئ مما يأوي الى الناس من الطير ، وقد بلغني أن بعض ما يستجيب منها قد جرب فرجع من ميل ، فأما الهداية من تلقاء نفسه فن الفراسخ الكثيرة وحديثي حمويه الحربي وأبو جرادة الهواردي قالا اذا كان زمان البيادر لم يبق بالبصرة عصفور الا طار الى البساتين الا ما أقام على بيضه وفراخه وكذلك المصافير اذا خرج أهل الدار من الدار فانه لا يقيم في تلك الدار عصفور الا على بيض أو فراخ فاذا لم يكن لها أهل استوحشت فالتفت لأنفسها الاوكار في الدور المعمورة ولذلك قال اسحاق فتلك بغداد ما تبث من الوح * شة في دورها عصافرها

قالا فعلى قدر قرب القبائل منها الى البساتين فوجدت مصافيرها ما قرب اليها منها قد سبقت نقلها الى البساتين التي تليها وكذلك صنع ما بقي من المصافير القبائل الباقية حتى تصير الى آخر البصرة والى آخر البساتين وذلك شبيه بعشرين فرسخا فاذا انقضت حاجاتها وانقضى أمر البيادر أقبلت من هناك على أمارات معروفة وعلامات قائمة حتى تصير الى أوكارها ، والطير كله على ثلاثة أضرب فضرب من بهائم الطير وضرب كسباع الطير وضرب كالمشترك المركب منهما جميعا فالهيمه كالحمام واشباه الحمام مما يفتدي الحبوب والبرور والنبات ولا يفتدي بغير ذلك والسبع الذي لا يفتدي الا اللحم ، وقد يأكل الاسد الملح ليس على طريق التغذي ولكن

خاطراً وأحسن قريحة وأقل سامة وأتم عناية وأحسن عادة مع افراط الشهوة وفراغ البال وبمدد الامل وقوة الطمع في تمامه والانتفاع بثمرته ثم مد له في العمر ومكنته القدرة لكان قد ادعى معضلة وضمن أمراً معجزاً وقال قولاً مرغوباً عنه ولكان ممن يفضل قوله على فعله ووعدته على مقدار نجاحه لان الانسان وان أضيف الى الكمال وعرف بالابلاغة وفاتش العلماء فانه لا يكمل أن يحيط علمه بكل ما في جناح بموضوعة أيام الدنيا ولو استمد بكل نظار عظيم واستعان بعلم كل بحاث واع وكل نقاب في البلاد ودارسة للكتب ، وما أشك أن عند الوزراء في ذلك ما ليس عند الرعية من العلماء وعند الخلفاء ما ليس عند الوزراء وعند الانبياء ما ليس عند الخلفاء وعند الملائكة ما ليس عند الانبياء وما عند الله عز وجل أكثر والخلق في بلوغه أعجز ، وانما علم الله كل طبقة من خلقه بقدر احتمال فطرهم ومقدار مصالحتهم ، فان قلت فقد علم الله عز وجل آدم الاسماء كلها ولا يجوز تعريف الاسماء بغير المعاني ولو قلت ولولا حاجة الناس الى المعاني والى التعاون والترافد لما احتاجوا الى الاسماء على أن المعاني تفضل على الاسماء والحاجات تجوز مقادير السمات وتفوت ذرع العلامات فما لا إسم له خاص الخاص والخاصيات كلها ليست لها أسماء قائمة وكذلك ترايب الالوان والارابيح والطعوم ونتائجها ، وجوابي عن ذلك أن الله عز وجل لم يكن يخبرنا أنه قد كان علم آدم كل شيء يعلمه تعالى كما لا يجوز أن يقدره على كل شيء يقدر عليه واذا كان العبد المحدود الجسم المحدود القوي لا يبلغ صفة ربه الذي اخترعه وصفة خالقه الذي ابتدعه فمعلوم أنه انما عني بقوله وعلم آدم الاسماء كلها علم مصالحته في دنياه وآخرته وقال الله عز وجل وفوق كل ذي علم عليم وقال الله عز وجل ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وقال الله تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وقال تقدست اسماءه وما يعلم جنود ربك الا هو وقال عز وجل ويخلق ما لا تعلمون ، وهذا الباب من المعلوم غير باب شيء منه والمخاطبة وقعت على جميع المتقدمين واشتملت على جميع اصناف المتحنيين ولم تقع على أهل عصر دون عصر ولا أهل بلد دون بلد ولا على جنس دون جنس ولا على تابع دون متبوع ولا آخر دون اول

عبد الرحمن بن رستم فقال هشام ما في الارض نهر خيراً من الفرات وقال عبد الرحمن ما فيها نهر شراً من الفرات أوله للمشركون وآخره للمنافقين ، وقال أبو الحسن الفرات ودجلة وافدان لاهل العراق قال الاصمعي وهما الرائدان وهما الرافدان وقال الفرزدق

امير المؤمنين وانت عف * عفيفا لست بالوالي الحريص

بعثت الى العراق ورافديه * فزاريا اخـ يد القـهـيص

ولم يك قبلها راعي مخاض * لتأمنه على وركى قلوب

تفهيق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه اكل الخبيص

قال وبيننا غيلان بن خرشة يسير مع ابن عامر اذ ورد على نهر ام عبد الله فقال ابن عامر ما أنفع هذا النهر لاهل هذا المصر قال أجل أيها الامير والله انهم يستعملون ماءه وتفيض مياههم اليه ويتعلم صبيانهم فيه العوم وتأنيهم ميرتهم فيه فلما ان كان بعد ذلك سائر ذات يوم زياداً وكان زياد عدواً لابن عامر فقال زياد ما اضر هذا النهر بأهل هذا المصر فقال أجل أيها الامير تنز منه دورهم ويفرق فيه صبيانهم ويستريحون ، وسنقول باسم الله وعونه في العصفور بجملة من القول وعلى انا قد ذكرنا من شأنه اطرافا ومقطعات تفرقن في تضاعيف تلك الاصناف فاذا طال الكلام وكثرت فنونه صار الباب القصير من القول في غماره مستهلكا وفي حومته غرقا فلا بأس ان تكون تلك الفقر مجموعات وتلك المقطعات موصولات وتلك الاطراف مستقصيات مع الباقي من ذكرنا فيه ليكون الباقي مجتمعا في مكان واحد فبالاجتماع تجتمع القوة ومن الابعاض يلتئم الكل وبالانظام تظهر المحاسن ولست أدعي في شيء من هذه الاشكال الاحاطة به والجمع به لكل شيء فيه ومن عجز عن نظم الكثير وعن وضعه في مواضعه كان عن بلوغ آخره وعن استخراج كل شيء فيه أعجز وانه أهون من الاستنباط والحصد أهون من الحرث وهذا الباب لو ضمه على كتابه من هو أكثر مني رواية أضعافا وأجود مني حفظا بعيداً وكان أوسع علما وأتم عزماء والطف نظراً وأصدق حسا وأغوص على البعيد الفاض وأفهم للعويص الممتنع وأكثر

روى الاصمعي عن بعضهم أنه قال الاحتمام أطيب من الفسيان وتمنيك الشيء أوفر حظاً في اللذة من قدرتك عليه قال كأنه ذهب الى أنه اذا ملك وجبت عليه في ذلك الملك حقوق وخاف الزوال واحتاج الى الحفظ ، قال وفي الحديث المأثور ما عظمت نعمة على أحد الا عظمت عليه مؤنة الناس ، وقيل لمزيد أيسرك أن عندك قنينة شراب قال يابن أم من يسره دخول النار بالحجاز ، قال وقدموا الى أبي الحارث حمير جام خبيص وقالوا له أهذا أطيب أم الفالودج قال لا أفضى على غائب ، قال وقال مدني لرجل أيسرك أن هذه الدار لك قال نعم قال وليس الا هذا قال فما أقول قال تقول نعم واحبس سنة نعم وأنا أعور ، وقيل لمزيد أيسرك أن هذه الجبة لك قال نعم واضرب عشرين سوطاً قال ولم تقول هذا قال لانه لا يكون شيء إلا بشيء ، قال وقال عبد الرحمن بن أبي بكرة من تمنى طول العمر فليوطن نفسه على المصائب يقول انه لا يخلو من موت أخ أو عم أو ابن عم أو صديق أو حميم وقال المجنون

أيا حرجات الحى حيث تحملوا * لدي سلم لاجاد كن ربيع

وخيمائك اللاتي بمنعرج اللوي * بلين بلى لميلهن ربوع *

فقدتك من قلب شجاع فظالما * نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقرت لى غير القريب وأشرفت * هناك ثنايا مالهن طلوع *

قال وقال عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لولا أربع خصال ما أعطيت عربياً طاعة لو ماتت أم عمرو يعنى أمه ولو نسبت ولو قرأت القرآن ولو لم يكن رأسى صغيراً ، وقال قدم عبد الملك وكان يحب الشعراء فبعثت الى الرواة فما أتت على سنة حتى رويت الشاهد والمثل وفصولاً بعد ذلك وقدم المصعب وكان يحب النسب فدعوت النساءين فتعلمته في سنة وقدم الحجاج وكان يدين على القرآن لحفظته في سنة ، قال وقال يزيد ابن المهلب لا أخرج حتى أحج وأحفظ القرآن وتموت أمى فخرج قبل ذلك كله ، وقال عبد الله بن يحيى كان من أصحابنا هو وجماعة جلسنا ذات يوم تنمي فتمنيت أن اصير الى العراق من أيامى سالماً وان أتزوج سماع وألى كسكر قال فقدمت سالماً وتزوجت سماع ووليت كسكر ، قال ووقف هشام بن عبد الملك على الفرات ومعه

﴿ وقال البعيث ﴾

فان تك ليلى حملتي لبانة * فلا وأبى ليلى اذا آلا أخونها
حفظت لها السر الذي كان بيننا * ولا يحفظ الاسرار الا أمينها

وقال رجل من بني سعد

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * فأفشته الرجال فمن تلوم *
اذا عاينت من افشى حديثي * وسرى عنده فأنا الظلوم *
وانى حين اسأم حمل سرى * وقد ضمنت صدري سؤوم
ولست محمداً سرى خليلاً * ولا عرسى اذا خطرت هموم
واطوى السر دون الناس انى * لما استودعت من سر كتوم
قال وقيل لشيخ ويحك هاهنا ناس يسرق أحدهم خمسين سنة ويزنى خمسين سنة
ويصنع العظام خمسين سنة وهو فى ذلك كله مستور جيد الأمر وانت انما لظت
منذ خمسة أشهر وقد شهرت به فى الآفاق قال بأبى أنت ومن يكون سره عند
الصبيان أى شئ تكون حاله، أبو الحسن بن محمد بن القاسم الهاشمي قال قال أبو العباس
ابن عبد المطلب لعبد الله ابنه يا بني أنت أفقه مني وأنا أعلم منك ان هذا الرجل
يدريك يعنى عمر بن الخطاب فاحفظ عني ثلاثاً لا تفش له سرّاً ولا تفتابن عنده أحداً
ولا يطامن منك على كذبة

﴿ ما جاء فى ذم الاماني ﴾

قال سئل ابن أبى بكرة أى شئ أحرم متاعاً قال المني، وقال يزيد ثلاث يخلقن العقل
وفيهما دليل على الضعف سرعة الجواب وطول التمني والاستغراب فى الضحك، وقال
عبادة الجعفي ما سرني بنصبي قمر النعم، وقال الاصمعي قال ابن أبى الزناد المني والحلم
أخوان، وقال معمر بن عبادة الاماني للنفس مثل الترهات للسان وقال الشاعر
مني ان تكن حقاً تكن أحسن المني * والا فقد عشنا بها زمناً رغداً
وقال بشار

كرونا أحاديث الزمان الذي مضى * فـلـمـا لـنا محمودها وذميمها

يموت وما مات كرائم فمـله * ويبلى وما يبلى نـاه على الدهر
وقال سحيم الفقعي في افشائه ما يودع من الاسرار

ولا أكتـم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تغلي على قلبي

وان ضعيف العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنباً الى جنب

وقال العرار السلمي وهذا الشعر في طريق شعر سحيم وان لم يكن في معنى السر قوله

* وكتيبة لبسها بكتيبة * حتى اذا التبت نفضت بها يدي

ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت بين رجالهم لا تبعده

وقيل لأسلم بن زرعة انك ان انهزمت من أصحاب مرادس بن ادية غضب عليك

الامير عبيد الله بن زياد قال يغضب علي وأنا حي أحب الى من أن يرضى غي وأنا

ميت ، قال وولى تستر وخرج اليها في أصحابه فلما شارفها عرضت له الخوارج وكان

أكثر منهم عددا وعدة فقال والله لأصافنهم ولأعـين أصحابي فلعلمهم ان رأوا

كثرتهم انصرفوا ولا أزال كذلك قويا في عملي هذا فلما رأت الخوارج كثرة القوم

نزلوا عن خيولهم فمـر قبوها وقطعوا أجفان سيوفهم ونبذوا كل دقيق كان معهم وصبوا

أسقيتهم فلما رأى ذلك رأي الموت الاحمر فأقبل عليهم فقال عـرقتـم دوابكم وقطعتـم

أجفان سيوفكم ونبذتم دقيقكم خار الله لنا ولكم ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف

عنهم ، وكان أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظام أضيق الناس صدرا بحمل سره وكان

شرا ما يكون اذا يؤكـد عليه صاحب السر وكان اذا لم يؤكـد عليه ربما نسي القصة فيسلم

صاحب السر وقال له مرة قاسم التمار سبحان الله ما في الارض اعجب منك اودعتك

سراً فلم تصبر عن افشائه يوما واحداً والله لأشـكونك للناس فقال ياهؤلاء سلوه

نمت عليه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا فلمن الذنب فلم يرض بأن يشاركه

في الذنب حتى صير الذنب كله لصاحب السر وقال بعض الشعراء فيه

ختمت الفؤاد على سرها * نختم الصحيفة بالخاتم

هوى بي الى جنبها نظرة * هوى الفراشة للجاحم

وتقول العرب من ارتاد لسره فقد أشاعه، وأرى قد أذن في واحد وهو قوله
وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال الآخر فيما يوافق المثل

فلا تفش سرك إلا إليه * لك فان لكل نصيح نصيحا
فاني رأيت غواة الرجا * ل لا يتركون أديما صيحها

وقال مسكين الدارمي

إذا ما خليلي خائني وأتمنته * فذاك وداعيه وذاك وداعها
رددت عليه وده وتركته * مطلقة لا يستطاع رجاءها
واني امرؤ مني الحياء الذي ترى * أعيش بأخلاق لليل خداعها
أواخي رجلا لست أطلع بهضم * على سر بعض غير أنني جماعها
يظنون شتي في البلاد وسرهم * إلى صخرة أعيا الرجال انصداعها

وقال أبو محجن الثقفي

وقد أكون وما مالي بذى قنع * وأكتم السر فيه ضربة العنق
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كتم سره كان الخيار في يده، وقال بعض
الحكماء لا تطلع أخاك على سرك إلا بقدر ما لا تجد فيه بدا من معاونتك وقال آخر
ان سرك من دمك فانظر أين تربيته قال الشاعر

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت * مني الضلوع من الاسرار والخبر
لكنك أول من ينسى سرائره * اذ كنت من نشرها يوما على خطر

وقال قيس بن الخطيم

وان ضيع الاخوان سرا فاني * كتوم لأسرار العشير أميين
يكون له عندي إذا ما أتمنته * مكان بسوداء الفؤاد مكين
وميل لمزيد ما هذا الذي تحت حضنك فقال يا أحمق لم خبأته وقال أبو الشيص
ضع السر في صماء ليست بصخرة * صلود كما عاينت من سائر الصخر
ولكنها قلب امرئ ذي حفيظة * يرى ضيعة الاسرار من أكبر الشر

﴿ وأنشدني ﴾ ابن الحارثي لبعض الاعراب في التذليك

لا بارك الا له في الاحراح * فان فيها عدم اللقاح

لاخير في السفاح واللقاح * الا مناجاة بطون الراح

وأنشدني محمد بن عباد

تسألني ما عتدي وعتدي * فاني يابنت آل مرند

* راحلتي رجلاي وامراتي يدي *

وأنشدني بعض أصحابنا المدينين

أصني هوى النفس غير منتب * حليلة لا تسو منى نققه

تكون عوني على الزمان والكه * ب اذا ما أخفقت مرثقه

وشعر آفي ذلك سمعناه وهو

اذا نزلت بواد لا أنيس به * فاجلد عميرة لعار ولا حرج

وأنشدنا أبو عميرة النخيري

لوانها رخصت قضيت من وطرى * لكن جلدتها تربى على السفن

أشكو الى الله نعظاً قد منيت به * وما الاماني سوى الاملاق والحزن

وقال الذكواني يرد على الاول قوله

جلدي عميرة فيه العار والحب * والعجز مطرح والفحش مسبب

وبالعراق نساء كالمها نطف * بارخص السوم جذلات مناجيب

وما عميرة من ثدياء حالية * كالعاج صفرها الا كنان والطيب

قال مثل هذا الشعر كمثل رجل قيل له أبوك ذاك الذي مات من الجوع قال فوجد

شيئاً فلم يأكله ، وقال الخزامي

عيال عالة وكساد سوق * واير لا ينسام ولا ينيم

وقال ابن ميادة

أظهر ما في الصدر أم أنت كاتم * وكتمانك داء لمن هو كاتم

واضماره في الصدر داء وعلة * واظهاره شنع لمن هو عالم

وأتركوا حائف ذي المجاز وما * قدم فيه اليهود والكفلاء
 حذر الجور والتعدي وهل ين * قض ما في المهارق الا هواء
 واعلموا اننا واياكم في * ما اشترطنا يوم اختلفنا سواء
 ام علينا جناح كندة اذ * يغتم غازيهم ومنا الجزاء
 أم علينا جزا حنيفة أم ما * جمعت من محارب غبراء
 ام علينا جزا قضاة ام ليد * س علينا فيما جنوا انداء
 ام جنايا بني عتيق فمن ين * در فانا من جرهم برآء *
 * غتا باطلا وظلما كما به * تر عن حجرة الربيض الظباء
 ومن المديح الذي يقبح قول ابن الخلال في مرثية يزيد بن معاوية حيث يقول
 يا أيها الميت بحوارينا * انك خير الناس أجمعينا

﴿ وقال الآخر ﴾

ان الذي أمسي بسحي كوزا * اسمائهم لم يكن تنبزا *
 لما ابتدرنا القصب المر كوزا * وجدتي ذا وثبة أبوزا
 ودخل بعض أغبياء شعراء البصريين على رجل من أشرف الوجوه وكان يطعن في
 نسبه فقال اني مدحتك بشعر لم تمدح قط بشعر هو أنفع لك منه قال ما أحوجني
 الى المنفعة ولا سيما كل شعر منه يخلد على الايام فهات ما عندك فقال
 سألت عن أصلك فيما مضى * أبناء سبعين وقد نيفوا
 * فكلهم يخبرني أنه * مهذب جوهره يعرف
 فقال له قم في لعنة الله وسخطه لعنك الله ولعن من سألت ولعن من أجابك وسندك
 لك بابا من السخيف ربما يستخف عليك اذا كان الحق يثقل عليك ولا يخف الا ببعض
 الباطل ، أنشدنا أبو نواس في التديك
 ان تبخل بالركب المحلوق * فان عندي راحتي وريتي
 وهذا الشعر مما يقال ان أبا نواس ولده ومما يظن أنه ولده قوله
 لم أركلايلة في التوفيق * حرا على قارة الطريق * كان فيه لخب الحريق

ورجالها فغبرت تميم زمانا لا ترفع رأسها حتى أصابت هذين الشعرين من هذين
الشاعرين العظيمي القدر فزال عنها الذل وانتصفت فلو علم هذان الشاعران الكريمان
ماذا يصنعان بعشائرها لكان الخرس أحب إليهما ، قال أبو عبيدة ومن ذلك قول الحارث
ابن حلزة وأنشد لها الملك وكان به وضوح وأنشده من وراء ستر فبلغ من استحسانه
القصيدة الى أن أمر برفع الستر ولكرهتهم لدنو البرص منهم قال ليلى بن ربيعة
للنعمان بن المنذر في الربيع بن زياد

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه * ان استه من برص مدعه

وانه يدخل فيها أصبعه * يدخلها حتى يوارى أشجعه

قال ابن الاعرابي فلما أنشد الملك لبيد في الربيع بن زياد ما أنشده قال الربيع أبيت
اللعن والله لقد نكت أمه قال فقال لبيد قد كانت لعمري يتيمة في حجر ك وأنت
ربيتها فان كنت فعلت فما أولاك بذلك وان لم تكن فعلت فما أولاك بالكذب وان
كانت هي الفاعلة فانها من نسوة كذلك فعلهن ، يعني ان نساء عبس فواجرا لأن امه
كانت عبسية ، والعربي يعاف الشيء ويهجو به غيره فان ابتلى به فخر به ولكنه لا يفخر به
لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه فافهم هذه فان الناس يغلطون على العرب ويزعمون
انهم قد يمدحون الشيء الذي قد يهجون به وهذا باطل فانه ليس شيء الا وله وجهان
وطريقان فاذا مدحوا ذكروا احسن الوجهين واذا ذموا ذكروا اقبح الوجهين
والحارث بن حلزة فخر ب بكر بن وائل على تغلب ثم عاتبهم عتابا دلي على انهم لا ينتصفون
منهم فقال

وأنا عن الاراقم أثبا * وخطب نمني به ونساء

يخطون البريء منابذي الذئب * ولا ينفع الخلي الخلاء

زعموا ان كل من ضرب اليه * ير موال لنا وأنا الولاء

ان اغواننا الاراقم يعلو * ن علينا في قولهم احفاء

ثم قال

واتركوا الطبخ والتعاشي واما * تتعاشوا في التعاشي الداء

المهلب لجاز أن يعيبه الاحنف فأما مديح النبي صلى الله عليه وسلم فمن هذا الذي
يسوءه ذلك حيث قال

فاعتدب الشوق من فؤادي * والشعر الى من اليه اعتدب
الى السراج المنير أحمد لا * يمدلني رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع النا * س الى العيون وارتقبوا
اليك ياخير من تضمنت الار * ض ولو عاب قولي العيب *
لج بتفضيلك اللسان ولو * أ كثر فيك الضجاج والهج
انك المصطفي المذهب في النسب * ة ان نص قومك النسب *

ولو كان لم يقل فيه الامثل قوله

وبورك قبر أنت فيه وبوركت * به وله أهل بذلك يثرب
لقد غيبوا برا وحزما ونائلا * عشية وأراه الصفيح المنصب

فلو كان لم يمدحه صلى الله عليه وسلم الا بهذه الاشعار التي لا تصلح في عامة العرب لما
كان ذلك بالحمود فكيف مع الذي حكينا قبل ، ومن الاشعار الغائضة لقبيلة الشاعر
وهي الاشعار التي لو ظنت الشعراء أن مضرتها تعود بعشر ماعادت به لكان الخرس
أهون عليها من ذلك القول فمن ذلك قول ليبد بن ربيعة

أبني كلاب كيف بقي جمفر * وبنو ضبيعة حاضرو الاجباب
قتلوا ابن عروة ثم لطوا دونه * حتى تحاكمكم الى جواب
يرعون من حرق القديد كأنهم * في العد أسوة حاجز وشهاب
متظاهري حلق الحديد عليهم * كبني زرارة أو بني عتاب
قوم لهم عرفت معد فضلها * والحق يعرفه ذوو الالباب

ومن هذا الباب قول زبان بن منظور في يسار بن عمرو بن جابر الفزاري وهو أحد
سادة غطفان

فجاؤا بجمع محزنل كأنهم * بنو دارم ان كان في الناس دارم
وذلك أن نيمًا لما طال افتخار قيس عليها بأن شعراء تميم تضرب المثل بقبائل قيس

أن بلعاء بن قيس لما شاع في بلدة البرص قال له قائل ما هذا يا بلعاء فقال هذا سيف الله حلاني به وكفى به يقول سيف الله حلاه ، ثم رجع الحديث إلى ابن العطف وضحكة قال وأما اليرم الآخر فإن عمرا لما ذهب بصره ودخل عليه الناس يعزونه دخل عليه إبراهيم بن جامع وهو ابن عتاب من آل مصاد وكان كالجل المحجوم فقام بين يدي عمرو فقال يا أبا أسيد لا تجزعن من ذهاب بصرك وإن كانتا كرميتيك فأنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكون الله عز وجل قطع يديك ورجليك ودق ظهرك وأدمى ضلعتك قال فصاح به القوم وضحك بعضهم فقال عمرو معناه صحيح ونيته حسنة وإن كان قد أخطأ في اللفظ ، وقال لأبي عطف بلغني أن عبد العزيز الغزال قال وددت أن الله لم يكن خلقتي وأنى الساعة أعور قال أبو عتاب ليته ما قال وددت أن الله لم يكن خلقتي وأنا الساعة مقطوع اليدين والرجلين أعشى ، وأتى بعض الشعراء أبا الربيع وبنوه حوله فاستغفاه أبو الربيع من انشاد مديحه فلم يقبل حتى أذن له فلما انتهى إلى قوله

فكيف تبتقى وأنت اليوم رأسهم * وحولك النمر من أبنائك الصيد
قال أبو الربيع لبتك تركتهم رأسا برأس ، ومدح أبو عباد بن الممزق بشر بن أبي عمرو وليس هو بشر بن أبي عمرو بن العلاء فقال

من كان يزعم أن بشراً مصلق * فالله يحجزه وربك أعلم
تنبيك قامته وقلة لحمه * وتشاوق فيه ولون أسحم
إن الصريح المحض فيه دلالة * والعرق منكشف لمن يتوهم
أما لسانك واحتباؤك في الملا * فزراعة العدسى عندك أعجم
إنى لأرجو أن يكون مقالهم * زوراً وشائلك الحسود المرغم

ومن المديح الخطأ الذي لم أر قط أعجب منه قول الكميث بن زيد وهو يمدح النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان مديحه لبني أمية لجاز أن يعيهم بذلك بعض بني العباس ولو مدح به بعض بني هاشم لجاز أن يعترض عليه بعض بني أمية ولو مدح أبا بلال الخارجي لجاز أن تعييه العامة أو مدح عمرو بن عبيد لجاز أن يعييه المخالف ولو مدح

مفرشا كافتراش الليث كللكاه * لوقمة كائن فيها لكم جزر
فأردت أن تغري به بنى أمية فوهنت أمرهم وتركتهم ضعفاء ممنهين وأعطيت زفر
عليهم من القوة ما لم يكن في حسابه، قال ورجع أبو العطف من عند عمرو بن هذاب
في يومين كانا لعمرو وأبو العطف يضحك فسئل عن ذلك فقال أما أحد اليومين
فانه جلس للشعراء فكان أول من أنشده المديح فيه طريف بن سواده فإزال ينشده
أرجوزة له طويلة حتى انتهى الى قوله

أبرص فياض اليدين أكلف * والبرص أندى بالاهي وأعرف
قال عمرو مه البرص من مفاخر العرب أما سمعتم ابن حبناء يقول
انى امرؤ حنظلي حين تنسبني * لا من عتيك ولا أخوالى العوق
لا تحسبن بياضا فى منقصة * ان اللهايم فى أقرانها البلق
أو ما سمعتم قول الآخر

يا كائس لا تستكثرى تخويلي * ووضحا أوفى على خصيلى
فان نمت الفرس الرجيل * يكمل بالفره والتججيل
أو ما سمعتم قول الآخر

أيشتمني زيد بأن كنت أبرصا * فكل كريم لا أثباك أبرص
ثم أقبل على الراجز فقال ما تحفظ فى هذا قال أحفظ والله قوله
يا أخت سعد لا تغرى بالزرق * ليس يضر الطرف توليع البلق
* اذا جرى فى حلبة الخيل سبق *

ومحمد بن سلام يزعم أنه لم ير سابقا قط أبلق ولا بقاء وقد سبق للعامون اما أبلق
واما بقاء، وأنشدنى أبو نواس لبعض بنى نهشل

نفرت سودة عني أن رأت * صلع الرأس وفى الجلد وضح
قلت يا سودة هذا الذى * يفرج الكربة منا والطلح
هو زين لى فى الوجه كما * زين الطرف تحاسين القرح

وزعم يونس أنهم كانوا يشرفون به وان جذية الوضاح كان يفخر بذلك وزعم أصحابنا

لهم أخذ خلع خاله فقال

يا سوديا أكرم قين في مضر * لك المساعي كلها والمفتخر
على قيون الناس والوجه الاغر * كان أبوك رجلا لا يقتصر
ثبتا اذا ما هو بالكبير ازبار * حتى يطير حوله منه شرر
قد عطف الاكفاف حتي قد مهر * بالشغب ان شاء وان شاء سمر
ما زال مذ كان غلاما يستمر * له على العير إكاف وثمر
والكابتان والعلالة والوتر * فانظر ثوابي والثواب ينتظر
* من حكى وفي الاحاديث عبر *

باب من أراد أن يمدح فبهجا

قال سعيد بن مسلم لما قال الاخطل بالكوفة أخطأ الفرزدق حين قال
أبني غداة اني حررتكم * فوهبتكم لعطية بن جمال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم * من بين أسير أعين وسبال
كيف يكون قد وهبهم له وهو يهجوهم هذا الهجاء فانبري له فتى من بني تميم فقال
له أنت الذي قلت في بني سويد بن منجوق

وما جذع سوء رقى السوس جوفه * لما حملته وائل بمطيق *

أردت هجاءه فزعمت أن وائلا تعصب به الحاجات وقدر سويد لا يبلغ ذلك عندهم
فأعطيته الكثير ومنعته القليل وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلي وان تصغر
شأنه وتضع منه فقلت

وسود حاتما أن ليس فيها * اذا ما أوقد النيران نار

فأعطيته السؤدد من قيس ومنعته مالا يضره وأردت أن تمدح سمالك الحرني فبهجونه فقلت
نعم المجير سمالك من بني أسد * بالطف اذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قينا وأنباء * فاليوم طير عن أثوابها الشرر
وقلت في زفر بن الحارث

بني أمية اني ناصح لكم * فلا يدين فيكم آمنة زفر

ما وصفت فانتصني من نشاطك له على قدر ما تقصصتك مما ينشـطك اليه لقراءته وان
 أنت وجدتني اذا صح عقلك وانصافك قد وفيتك بما ضمننت لك فوجدت نشاطك
 بمد ذلك مدخولا وحـدك مفلولا فاعلم اننا لم نؤت الا من فسولتك وفساد طبعك
 ومن اشارك لما أضربك

باب مديح في النصاري واليهود والمجوس والانذال وصغار الناس
 من ذلك ما هو مديح ورغبة ومن ذلك ما هو احماد، أنشدنا أبو صالح مسعود بن قنديل
 الفزاري في ناس خالطهم من اليهود

وجدنا في اليهود رجال صدق * على ما كان من دين مريب
 لعمرك انني وابني عريض * لمثل الماء خالطه الحليب
 خيلان اكتسبتهما واني * خللة ماجد أبدا كسوب
 وقال أبو الطمجان الاسدي وكان نديما للناس من بني الحذاء وكانوا نصاري فأحمد
 ندامتهم فقال

كان لم يكن في القصر قصر مقاتل * وزورة ظل ناعم وصديق
 ولم أرد البطحاء أمزج ماء * بخمر من البروقتين عتيق
 ممي كل فضفاض الثياب كأنه * اذا ما جري فيه المدام فتيق
 بنو الصلب والحذاء كل سميذع * له في العروق الصالحات عروق
 واني وان كانوا نصاري أحبهم * ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق
 وقال ابن عبدل أو غيره في مجوسي ساق عنه صداقا فقال

شهدت عليك بطيب المشا * شوانك بحر جواد خضم
 وانك سيد أهل الجحيم * اذا ما تردت فيمن ظلم
 نظير لهـا مان في قعرها * وفرعون والمكتنى بالحكم
 كفتاني المجوسي مهر الربا * ب فدا للمجوسي خال وعم

فقال المجوسي جعلتني في النار فقال أما ترضى أن تكون مع من سميت قال فن تعنى
 بالحكم قال أبا جهل بن هشام، وأنشدني أبو الرديني العملي لبعض الحكماء وكان فينا

والعقرب والذي بينهما من العداوة مع سائر خصالهما ثم القول في العقرب والخنفساء
والصدقة بينهما مع سائر خصالهما ثم القول في السنور والقول في القنفذ ثم القول في
البعوض والبراغيث ثم القول في القمل والصبان ثم القول في الورل والضب ثم القول في
اليربوع والقنفذ ثم القول في النسور والرخم ثم القول في العقاب وفي الارنب ثم القول في
الفردان والضفادع ثم القول في الحباري وما أشبه ذلك , وسند ذكرنا لهذا الباب
أبوأبا من الشعر طريقة تصلح للمذاكرة وتبعث على النشاط وتستحق معه قراءة
ما طال من الكتب الطوال ولولا سوء ظني بمن يظهر التماس العلم في هذا الزمان ويظهر
اصطناع الكتب في هذا الدهر لما احتجت في مداراتهم واستمالتهم وتوفيق نفوسهم
وتشجيع قلوبهم مع كثرة فوائد هذا الكتاب الى هذه الرياضة الطويلة والى كثرة
هذا الاعتذار حتى كأن الذي أفيدته اياهم استفيدته منهم وحتى كان رغبتى في صلاحهم
رغبة من رغب في دنياهم , هذا ولم اذكر من الابواب الطوال شيئاً وقد صرت الى
ذكر فرق ما بين الجن والانس وما بين الملائكة والانباء وفرق ما بين الاثني
والذكر وفرق ما بينهما وبين ما ليس بأثنى ولا ذكر حتى يمتد بنا القول في فضيلة
الانسان على جميع اصناف الحيوان وفي ذكر الأئمة والاعصار وفي ذكر القسم
والانمار وفي ذكر مقادير العقول بالعلوم بالصناعات ثم القول في طباع الانسان منذ
كان نطفة الى أن تقنيه المموم , فان مللت الكتاب واستثقلت القراءة فأنت حينئذ
أعذر وما عندي لك من الحيلة الا أن أصوره لك في أحسن صورة وأقلبك منه في
الفنون المختلفة فأجعلك لا تخرج من الاحتجاج بالقرآن الحكيم الا الى الحديث المأثور
ولا تخرج من الحديث الا الى الشعر الصحيح ولا تخرج من الشعر الصحيح الظريف
الا الى المثل السائر الواقع ولا تخرج من المثل السائر الواقع الا الى القول في الفلسفة
والفرائب التي صححتها التجربة وأبرزها الامتحان وكشف قناعها البرهان والاعاجيب
التي للنفوس بها كلف كثير وللعقول الصحيحة اليها نزاع شديد ولذلك كتبته لك
وسمته اليك واحتسبت الاجر فيك فانظر فيه نظر المنصف من الاكفاء والعلماء
أو نظر المسترشد من المتعلمين والاتباع فان وجدت الكتاب الذي كتبته لك بخالف

الشجيرة المطربة وفي الاخلاق الكريمة أو في صنعة الكف اللطيفة والهداية القريبة والمرفق النافع أو الى المصرة التي تدعو الى شدة الاحتراس ودقة الاحتياال فيقدم في الذكر لذلك، وأى شئ أعجب من العمق وصدق حسه وشدة حذره وحسن معرفته، ثم ليس في الارض طائر تحوط بيضها أو فر اخها أشد الحياطة وبأنغمض معرفة مثله، قال عثمان بن عفان رضى الله عنه كل شئ يحب ولده حتى الحبارى يضرب بها المثل في الموق ثم العمق مع حذفه بالاسباب وبسرعة الخطف لا يستعمل ذلك فيما ينتفع به فكمن من عقد ثمين خطير ومن قرط شريف نفيس قد اختطف من أيدي قوم فلما رمى به بعد تحلقه في الهواء وأما أحرزه ولم يلتفت اليه أبداً، وزعم الاصمعي أن عمقا مرة استلب سخابا كريما لقوم فأخذ أهل السخاب اعرابية كانت عندهم فبينما هي تضرب وتسحب وتسب اذ مر العمق والسخاب في فمه فصاحوا به فرمى به فقالت الاعرابية تذكر السلامة بعد ان كانت قد ابتليت ببيلة أخرى فقالت

ويوم السخاب من تعاجيب ربنا * كئانه من بلدة السوء نجاني

تعنى الذين كانت نزلت بهم من أهل الحاضرة، ولا بأس بذكر ما يعرض مالم يكن من الابواب الطوال التي ليس فيها الا المقاييس المجردة والكلامية المحضة فان ذلك مما لا يخف سماعه ولا تهش النفوس لقراءته، وقد يحتمل ذلك صاحب الصناعة وملتص التواب والحسنة فتى وجدنا من ذلك بابا يحتمل أن يوشع بالاشعار الطريفة البليغة والاخبار الطريفة المعجبية تكلفنا ذلك وروينا أجمع لما ينتفع به القاري، ولذلك استجزنا أن نقول في باب النار ما قلنا وانا كاتب لك بعد هذا إذ كنت قد املتكت بالتطويل وحملتك على أصعب المراكب وأوعر الطرق إذ قد ذكرنا فيه جملة صالحة من كلام المتكلمين ولا أرى أن أزيد في سآمتك وأحملك استقراغ طاقتك بأن ابتدأ القول في الابل والبقر والغنم والاسد والذئب والحمير والظباء وأشياء ذلك مما أنا كاتبه لك ولكني أبدأ بصغار الأبواب وقصصاتها ومحتقراتها وملاحها لئلا تخرج من الباب الأول الاوانت تنشط للباب الثاني وكذلك الباب الثالث والرابع انى آخر ما أنا كاتبه لك ان شاء الله، ونبدأ بما في العصفور ثم نأخذ في ذكر الفار

الماء غيثا بعد ان قال وكان عرشه على الماء ومن الماء ماء زمزم وهو لما شرب له ومنه يكون دواء وشفاء بنفسه كالحي

قد ذكرنا جملة من القول في النار وان ذلك وان كان لا يدخل في باب القول في أصناف الحيوان فقد ترجع اليها من وجوه لقارئ هذا الكتاب من باب القول في الفيل والزنبيل والقرد والخنزير وفي الدب والذئب والضب والضبع والسمع والعسبار، وعلى ان الحكمة ربما كانت في الذبابة مع لطافة شخصها ونذالة قدرها وخساسة حالها أظهر منها على الفرس الرائع وان كان الفرس انفع في باب الجهاد وفي الجاموس مع عظم شخصه وفي دودة القز والعنكبوت أظهر منها في الليث المحصور والعقاب القاتل وربما كان ذكر العظيم الجنة أكثر فائدة وأظهر حكمة من الصغير الحقير ومن القليل القمى كالبعير والصوابة والتملب والقملة وشأن الأروسة أعجب من شأن البهر وشأن الكركي أعجب من شأن العنديل فان الكركي أعظم الطير والعنديل أصغر من ابن نمر ولذلك ذكر ابن يونس بعض لاطة الرواة فقال يضرب ما بين الكركي الى العنديل يقول لا بدع رجلا ولا صبيا الا عفجه ويشبهه ذلك هجاء خلف الأحمر أبا عبيدة فقال

ويضرب الكركي الى القنبر * لا عانساً يبقى ولا محتلم
والانسان من الرجال مثله من النساء فلسنا نطنب في ذكر العظيم الجنة لعظم جثته وانما نلتبس ما كان أكثر اعجوبة وأبلغ في الحكمة وأدل عند العامة على حكمة الرب وعلى انعام هذا السيد، ورب شيء الا اعجوبة فيه انما هي في صورته وصنعتة وتركيب أعضائه وتأليف ريشه كالطاووس في تعاريج ريشه وتهاويل ألوانه وكالزرافة في عجيب تركيبها ومواضع أعضائها والقول فيها شبيه بالقول في التدرج والنعامة، وقد يكون الحيوان عجيب صنعة البدن ثم لا يذكر بعد حسن الخلق بخلق كريم ولا معرفة عجيبة ولا صنعة ومنه ما يكون كالبعير والخنزير والحمامة والتملب والذرة ولا تكون الا اعجوبة في تصويره وتركيب أعضائه وتنضيد ألوان ريشه في وزن تلك الاشياء التي ذكرناها ويكون العجيب فيما أعطى في حنجرته من الاغاني العجيبة والاصوات

أغر أجلي مغرب مجرد * أصبح بالقلب جوى ما يبرده
 ماء غمام في الرصاف مقلده * ذل به عن رأس نيق صلده
 عن ظهر صفوان مزل مجسده * حتي اذا السيل تناهي مدده
 وشكك الماء الذي يشكده * بين حوام ودبور تلهده
 كل نسيم من صبا تستورده * كأنما يشهده أو يفقده *
 * فهو شفاء الصادي مما يعمده *

وقال آخر في الماء

ما كاس تعب رأس^(١) شظية * نزل امال عراصها شؤبوب
 ضحيان شاهقة يرق بشامه * نديان يقصر دونه اليمقوب
 بألد منك مضافة للحلا * عطشان داعس ثم عاد يلوب
 ﴿ وقال جرير ﴾

لو شئت قد نفع الفؤاد بشربة * تدع الحوائث لا يجدن غليلا
 بالمذب من رصف الفلاة مقيله * قصر الاباطح لا يزال ظليلا

قال وفي الماء ان أطيب شراب عمل وركب مثل السكنجبين والجلاب والبنفسج وغير
 ذلك مما يشرب من الاشربة فان لذ وطاب فان تمام لذته أن يجرع شاربه بعد شربه
 له جرعا من الماء يفضل بها فيه ويطيب بها نفسه وهو في هذا الموضع كالخلة والحمض
 جميعا وهو بتسوية الطعام في المرئ والمركب والمهبر والمتوصل به الى الاعضاء فالماء
 يشرب صرفا وممزوجا والاشربة لا تشرب صرفا ولا ينتفع بها الا بممازجة الماء وهو
 بعد طهور الابدان وغسل الادران وقالوا هو كالماء الذي يظهر كل شيء ولا ينخبسه
 شيء وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بئر رومة الماء لا ينخبسه شيء ومنه ما يكون منه الملح
 والبرد والتلج فيجتمع الحسن في العين والكرم في البياض والصفاء وحسن الموقع في
 النفس وبالماء يكون القسم كقول الشاعر

غضبي ولا والله يا أهلها * لا أشرب البارد أو ترضي
 ويقولون لو علم فلان أن شرب البارد يضع من مؤنة لماذاقه وسمى الله عز وجل أصل

وما سرنى دهر قط الا شغلني عنه تذكر ما يليق بالدهور من الغير قال الله عز وجل
 قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتة لجة وكشفت عن ساقها لان الزجاج أكثر
 ما يمدح به أن يقال كأنه الماء في الفيافي وقال الله عز وجل هذا عذب فرات سائغ
 شربه وقال القطامي

وهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادي
 وقال الله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء فيقال انه ليس شيء الا وفيه ماء أو قد
 أصابه ماء أو خلق من ماء والنطفة ماء والماء يسمى نطفة وقال ابن عباس موج مكفوف
 وقال عز وجل وأنزلنا من السماء ماء مباركا وحين اجتهدوا في تسمية امرأة بالجمال
 والبركة والحسن والصفاء والبياض قالوا ماء السماء وقالوا المنذر بن ماء السماء ويقال صبغ
 له ماء ولون له ماء وفلان ليس في وجهه ماء وردني فلان ووجهي بمائه قال الشاعر
 * ماء الحياء يحول في وجناته *

وقالت أم فروة في صفة الماء

وما ماء مزن أى ماء تقوله * تحدر من غر طوال الذوائب
 بمنعرج أو بطن واد تحدبت * عليه رياح المزن من كل جانب
 نفي نسيم الريح القذا عن متونه * فما أن به عيب تراه لشارب
 بأطيب ممن يقصر الطرف دونه * تقي الله واستحياء بعض العواقب
 فالابل لا تحب من الماء الا الغليظ والحوافر تحب العذوبة وتكره الماء الصافي حتى
 ربما ضرب الفرس بيده الشريعة ليثور الماء ثم يشربه والبقر تعاف الماء الكدر ولا
 تشرب الا الصافي والظباء تكرع في ماء البحر الاجاج وتخفضم الحنظل والايضان
 الماء والابن والاسودان الماء والتمر وسواد العراق ماؤه الكثير والماء ان كان له عمق
 اشتد سواده في العين وقال العكلى في صفة الماء

عاده من ذكر سلمى عوده * والليل داج مطنخم أسوده
 فبت ليلي ساهراً ما أرقده * حتى اذا الليل تولى كبده
 وانكب للفرور انكباً بارقده * وحشه حاد كميش يطرده

فأطرق القوم مفكرين فقال أبو العتاهية سبحانه الله وما هذا الاطراق ثم قال

برد الماء وطابا * حبذا الماء شرابا

وقال الله عز وجل وأنهار من ماء غير آسن ثم لم يذكره بأكثر من السلامة من التغير
اذ كان الماء متى كان خالصا سالما لم يحتاج الى أن يشرب بشئ غير ما في خلقته من
الصفاء والمذوبة والبرد والطيب والحسن والسلس في الخلق وقد قال علي بن زيد
لو بغير الماء خلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

قال أبو المطراد عبيد بن أبوب العنبري

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث النجل خبث الحلائل

وأوصي رجل من العرب ابنته ليلة زفافها بوصايا فكان مما قال لها احذري موافع
أنفه واغتسلي بالماء القراح حتي كأنك شن ممطوز وأوصت امرأة ابنتها بوصايا فكان
منها وليكن أطيب طيبك الماء وزعموا أنها القائلة لبنتها

بني ان نام فنامي قبله * وأكرمي تابعه وأهله

ولا تكوني في الخصام مثله * فتخصمي فتكوني بعله

ومن الامثال

فأصبحت ممّا كان بيني وبينها * سوى ذكرها كالفابض الماء باليد

وأخذ المسيح عليه السلام في يده اليمنى ماء وفي يده اليسرى خبزا فقال هذا
أبي وهذا أمي فجعل الماء أبالان الماء من الارض يقوم مقام النطفة من المرأة واذا طبخ
الماء ثم برد لم تلتصق عليه الاشجار وكذلك قضبان الشجرة والحبوب والبذور لو
طبخت طبخة ثم بذرت لم تعلق، وقالوا في النظر الى الماء الدائم الجريان ما قالوا وجاء
في الاثر من كان به برص قديم فليأخذ درهما حلالا فليشتر به عسلا ثم يشربه بماء
سما فانه يبرأ باذن الله والنزيف هو الماء عند العرب وما ظنكم بشراب اذا خبث وملح
فصار ملحازعا وبجرا أجاجا ولد العنبر الورد فانسل الدر النفيس فمل سيمت بنجل
أكرم من نجله ومن نتاج أشرف من نسله، ما أحسن ما قال أبو عباد كاتب ابن أبي
خالد حيث يقول ما جالس بين يدي رجل قط الا تمثّل لي أنني سأجلس بين يديه

وبوات بيتك في معلم * رفيع المباءة والمسرح *
 كفيت العفاة ضياء القدو * رويح الكلاب لمستنبح
 ترى دعس آثار تلك المط * في أخاديد كاللحم الافيح
 ولو كنت في نفق رائع * لكنت على الشرك الاوضح

وأنشد أبو الزبرقان

له نار تشب بكل ربيع * اذا الظلماء جللت القناعا
 وما ن كانا أكثرهم سواما * ولكن كان أرحبهم ذراعاً

وفي نار الفري يقول الآخر

على مثل همام ولم أر مثله * تبكي البواكي أو لبشر بن عامر
 غلامان كان استوردا كل مورد * من المجد ثم استوثقا بالمصادر
 كان سنا ناريهما كل شتوة * سنا الفجر يبدو للعيون النواظر

وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص

ومستنبح يخشى العداة ودونه * من الليل بابا ظلمة وستورها
 رفعت له ناراً فلما اهتدى بها * زجرت كلابي أن يهر عقورها
 فلا تسألني واسألني عن خبايتي * اذارد ما في القدر من يستعيرها
 تري أن قدري لا تزال كأنها * لذي الغرث المقرور أم بزورها
 مبررة لا يجمع الشر دونها * اذا خمد النيران لاح بشيرها
 اذا الشول راحت ثم لم يفد لحما * بالإنها ان السنان عقيرها

أما ان ذكرنا جملة من القول في النار من طريق الكلام وما يدخل في الطب
 فسنذكر من ذلك جملة في باب آخر قالوا مد الشعبي يده وهو على مائدة قتيبة بن مسلم
 يلمس الشراب فلم يدر صاحب الشراب اللبن أم العسل أم بعض الاشربة فقال له
 أي الاشربة أحب اليك قال أعزها مفقوداً وأهونها موجوداً قال قتيبة اسقه ماء
 وكان أبو العتاهية في جماعة من الشعراء عند بعض الملوك اذ شرب رجل منهم
 ماء ثم قال برد الماء وطاب فقال أبو العتاهية اجعله شعراً ثم قال من يحبز هذا البيت

أي مافيهما أحد ينفخ ناراً ويقال صليت الشاة فانا أصليها صلياً اذا شويتها فهي مصلية
 ويقال صلى الرجل النار فهو يصلاها وأصلاه الله حر النار إصلاء وتقول هو صال حر
 النار في قوم صال وصلاة، ويقال همدت النار تهمد همدواً وطفئت تطفأ طفواً اذا ماتت
 وخذت تخمد خرداً اذا سكن لهبها وبقي جمرها حاراً وشبت تشب شوبوا اذا هاجت
 والتهبت وشب الفرس بيديه فهو يشب شباباً وشب الصبي يشب شباباً، ويقال ليس
 لك غضاض ولا شباب ويقال عشي الى النار يعشوا اليها عشواً وعشواً وذلك يكون
 من أول الليل يرى ناراً فيعشوا اليها يستضي بها قال الخطيئة

متى تأنه تعشوا الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير مودة

ويقال عشي الرجل يعشى عشاوة وهو رجل أعشى وهو الذي يبصر بالليل وعشي
 لرجل عن صاحبه يعشى عشا شديداً (ويذ كرون ناراً أخرى) وهي على طريق المثل
 لا على طريق الحقيقة كقولهم في نار الحرب قال ابن ميادة

يداه يد تنهل بالغيث والندا * وأخري شديد بالاعادي صبرها

وناراه نار نار كل مدفع * وأخري يصيب الجرمين سعيها

وقال ابن كنانة

خافها عارض يمد على الآفا * ق سترين من حديد ونار

نار حرب يشبها الحر والجل * مد وتغشى نوافذ الأبصار

وقال الراعي

وغارتنا أودت ببهاء انها * تصيب الصريح مرة والموالي

وكانت لنا ناران نار بجاسم * ونار بمرخ يحرقان الاعاديا

جاسم بالشام ومرخ بالعالية (ونار أخرى) وهي مذكورة على الحقيقة لا على المثل وهي
 من أعظم مفاخر العرب وهي التي ترفع للسفر ولمن يلتمس القرى فكل ما كان موضعها
 ارفع كان أمخر قال أمية بن الصلت

لا القبايات متواك وليك * ن في ذري مشرف القصور ذراك

وقال الطائي

قد جرت المرأة شعرها اذا ضفرته ويقال له الجير وأنشد الأصمعي
 * مضمورها يطوى على جبرها * ويقال قد تجمر القوم اذا هم اجتمعوا حتى لهم بأس
 ويكونون كالنار على اعدائهم فكانهم جبروا حتى كأنهم جبر من شعر مضمور أو جبل
 موضع القوى وبه سميت تلك القبائل والبطون من تميم الجمار، والجمر مشدد الميم حيث
 يقع حصا الجمار وقال الهذلي

لا أدركهم شعث النواصي كأنهم * سوابق حجاج توافي الجمر
 ويقال خف مجمر اذا كان مجتمعا شديداً ويقال عمد الى ابله وخيله أو رجاله فاجر اذا
 كان ذلك جملة واحدة وقال الأعشي * واعني بذلك بكراً جماراً * قال ويقال في النار
 وما يسقط من الزند السقط والسقط ويقال هذا مسقط الرمل أي منقطع الرمل
 ويقال أتاني مسقط النجم اذا جاء حين غاب ويقال وقع الغائب سقطته وقال الشاعر
 حتى اذا ما أضاء الصبح وانبعثت * عنا نعامة ذي سقطين منمكر
 ويروي معسكر أراد ناحيتي الليل ويقال شبت النار والحرب تشب شبا واشتبها شبا
 وهو رجل مشبوب للحرب ويقال حسب ثاقب أي في معنى متوقد وكذلك يقال في
 العلم ويقال هب لي ثقباً وهو ما أثقبت به النار من حطبة أو من غيرها ويقال أثقب
 النار اذا فتح عنها لتشتعل وهو الثقب ويقال أيضاً ثقب الزند يثقب ثقباً اذا ظهرت
 ناره وكذلك النار والزند الثاقب الذي اذا قدح ظهرت النار منه ، ويقال ذكت النار
 نذكو ذكوا اذا اشتعلت ويقال ذكها اذا أريد اشتعالها وذكاه الشمس مضموم
 الذال المعجمة وابن ذكاه الصبح مضموم الذال ممدوداً قال العجاج * وابن ذكاه كامن
 في كفره * وقال ثعلبة بن صعير المازني وذكر ظليما ونعامة

فتذكرا ثقلاً ريثماً بعد ما * ألت ذكاه يمينها في كافر

واما الذكاه مفتوح الذال ممدود فخذة القواد وسرعة اللقن وقالوا أضرمت النار
 حتي اضطرمت وألهبتها حتي النهيتهما وهما واحد والضرام من الحطب ما ضعف منه
 ولان الجزل ما غاظ واشتد فالرمث وما فوقه جزل والعرفج وما دونه ضرام واللصب
 وكل شيء ليس له جمر فهو ضرام وكل ماله جمر فهو جزل، ويقال ما فيها نافخ ضرمة

السائلة قال أبو المطراد عبيد بن أيوب العنبري

فقه در النول أي رفيقة * لصاحب قفر خائف يتنشر

أرنت بلحن بمدح وأوقدت * حوالى نيرانا تلوح وتزهر

قال وجرات العرب عبس وضبة ونمير يقال لكل واحد منهم جرة وقد ذكر أبو حية
النميري قومه خاصة فقال

وهم جرة ما يصطلى الناس نارهم * نوقد لا تطنى بزيت الرواهب

ثم ذكر هذه القبائل فمعهم بذلك لأنها كلها مضرية فقال

لنا جرات ليس في الناس مثلها * ثلاث فقد جربن كل التجارب

نمير وعبس تنقى صفرائها * وضبة قوم بأسهم غير كاذب

الى كل قوم قد دلفنا بجمرة * لها عارض مزن قوى المناكب

وعلى ذلك المعنى قيل قد سقطت الجرة اذا كان في استقبال زمان من الدفء ويقولون

قد سقطت الجرة الاولى والثانية والجارى الحصاص قال الشاعر

ولم أركلتجمير منظر ناظر * ولا كليالى الحج افتراذاهوي

والتجمير أيضاً ان يرمى بالجنود في ثغر من ثغور المسلمين ثم لا يؤذن لهم في الرجوع

وقال حميد الارقط

فاليوم لا ظلم ولا تبير * ولا لغاز ان غزا تجمير

وقال بعض من جمر من الشعراء في بعض الاجناد

معاوى اما ان تجمر أهلنا * الينا وإما ان نؤوب معاويا

أجرتنا إجمار كسري جنوده * ومنيتنا حتى مللنا الامانيا

وقال الجعدي

بالخللايا اناك من أهل غرسا * ن بجمند مجمر بازال

ويقال أجمر الرجل اذا أسرع وأعجل مركبه وقال لبيد

واذا حركت غرزي أجرت * أو قرابي عدوجون قد أبل

وقال الراجز * أجرت إجمار الذى بهمهم * ويقال أجمر هو مأخوذ من الجمر ويقال

جنب فليس عندها في السباحة طائل ، والسباحة المنعوتة انما هي للأوزة والبقرة
والكباب فأما السمكة فهي الاصل في السباحة وهي المثل واليهما جميع النسبة ، والمضروب
العنق يكون في عمق الماء قائما والمقرب على خلاف ذلك (ثم رجع بنا القول الى ذكر
النار) قال وللنار من الخصال المحموده أن الطفل لا يباغي شيئا كما يباغي المصباح وتلك
المنفعة نافعة له في تحريك النفس وتهيج الهممة والبعث على الخواطر في فتح اللهاة
وتشديد اللسان والسرور الذي له في النفس أكرم أثر ، قال وكانت النار معظمة عند
بنى اسرائيل حيث جعلها الله تعالى تأكل القربان وتدل على اخلاص المتقرب وفساد
نية الدغل حيث قال الله عز وجل لا تطفؤا النار من يوتى ولذلك لا تجدد الكنائس
والبيع أبداً الا وفيها مصابيح تزهري لا ونهاراً حتى نسخ الاسلام ذلك وأمر
باطفاء الزيران الا بقدر الحاجة ، ذكر ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر
ابن عبد الله يقول أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رقدت فأغلق بابك
وخر اناءك وأوك سقاءك واطفي مصباحك فان الشيطان لا يفتح بابا ولا يكشف
اناء ولا يحل وكاء وقال فان الفويسقة تحرق على أهل البيت ، وذكر ابن خليفة عن
أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غلقوا
أبوابكم وأوكوا أسقيتكم وخرروا آيتكم وأطفؤا سراجكم فان الشيطان لا يفتح بابا
ولا يحل وكاء ولا يكشف غطاء وأن الفويسقة تضرم البيت على أهله وكفوا فراشكم
وأهليكم حتي تغرب الشمس حتي تذهب خمة العشاء ، قال ويدل على أنه صلى الله
عليه وسلم أمر بحفظها الا على قدر الحاجة ولم يأمر باطفائها الا عند الاستغناء
عنها ما حدث به حماد بن بكير قال حدثني الحسن بن ذكوان عن شهر بن
حوشب قال أمر صلى الله عليه وسلم أن تحبسوا صبيانكم عند خمة العشاء وأن
تطفؤا المصابيح وأن توكوا الأسقية وأن تخمروا الآنية وأن تغلقوا الابواب قال
فقام رجل فقال يا رسول الله انه لا بد لنا من المصابيح للمرأة النفساء والمریض وللحاجة
تكون قال فلا بأس اذا كان المصباح مطردة للشيطان مذبة للهوام مدلة على اللصوص ، قال
ونار أخرى وهي التي تذكر الاعراب أن الفول توقدها بالليل للبعث والتخييل واضلال

ولم يكن متصلا لما لا بس جرم الماء من الهواء ثم مصصته بأضعاف ذلك الجذب الى
 مالا يتناهى لما ارتفع اليك من المائى رأسا وكان يقول فى السبيكة التى تطيل عليها
 الأيقاد كيف لا تتلوى فما هو إلا أن ينفخ عليها بالكبير حتى تدخل النيران فى تلك
 المداخل وتعاونها الأجزاء التى فيها من الهواء وتبثل ذلك قام الماء فى جوف كوز
 المسقاة المنكس ولعلمهم بصنيع الهواء اذا احتصر واذا حصروا جعلوا سمك
 الصينية مثل طولها أعني المركب الصينى وكان يخبر عن صنيع الهواء بأعاجيب
 وكان يزعم أن الرجل اذا ضربت عنقه سقط على وجهه واذا انتفخ انتفخ غر موله
 وقام وعظم يقبله عند ذلك على القفا فاذا جاءت الضبع اثمأ كاه فراته على تلك الحال
 ورأت عز موله على تلك الهيئة استمد خاتمه وقضت وطرها من تلك الجهة ثم أكلت
 الرجل بعد ان يقوم ذلك عندها أكثر من سفاد الذئح والذئح ذكر الضبياع العرجاء
 وذكر بعض الاعراب انه عاينها عند ذلك وعند سفاد الضبع لها فوجد لها عند تلك الحال
 حركة وصياح لم يجده عندها فى وقت سفاد الذئح لها ولذلك قال ابو اسحق لاسماعيل
 ابن غزوان اشهد بالله انك لضبع لان اسماعيل شد جارية له على سلم وحاف ليضربها
 مائة سوط دون الازار ليلتزق جلد السوط بجلدها فيكون اوجع لها فلما كشف عنها
 رطوبة بضة جدلة وقع عليها فلما قضى حاجته منها وفرغ ضربها مائة سوط فعند ذلك قال
 ابو اسحق ما قال واذا غرقت المرأة رسبت فاذا انتفخت وصارت فى بطنها ريح وصارت
 فى معنى الزرق طفى بدنهما وارتفع الا أنها تكون منكبة ويكون الرجل مستلقيا واذا ضربت
 عنق الرجل والى فى الماء لم ير سب وقام فى جوف الماء وانتصب ولم يفرق ولم يلزم
 القمر ولم يظهر كذلك يكون اذا كان مضروب العنق كان الماء جاريا أو ساكنا حتى
 اذا خف وصار فيه الهواء وصار فيه كالزق المنفوخ انقلب وظهر بدنه كله وصار مستلقيا
 كان الماء جاريا أو كان قائما ففرقه وهو مضروب العنق شبيه بالذى عليه طباع العقرب
 التى فيها الحياة إذا القيها فى ماء غمر لم تطف ولم ترسب وبقيت فى وسط عمق الماء
 لا يخرق منها شئ والعقرب من الحيوان الذى لا يسبح فاما الحية فأنها تكون جيدة
 السباحة اذا كانت من اللواتى تنساب وتذهب فأما أجناس الافاعي التى تسير على

بطلانها في حبسها قد انقطعت الى عنصر الماء بالطفرة وبعد فما علمك لعل الخلق هيج على النفس أضداداً لها كثيرة غمرتها حتى غرقت فيها وصارت مغمورة بها وكان هذا الرئيس يقول لولا أن تحت كل شعرة وزغبة مجرى نفس لكان المخنوق يموت مع أول حالات الخلق ولكن النفس قد كان لها اتصال بالنسيم من تلك المجارى على قدر الأقدار فكان نقطها جوف الانسان فالريح والبخار لما طاب المنفذ فلم يجد له دار وكشف وقوى فامتد له الجلد فسد له المجاري فعند ذلك ينقطع النفس ولولا اعتصامها بهذا السبب لقد كانت انقطعت إلى أصلها من القرص مع أول حالات الخلق (وكان يقول ان لم تكن النفس غمرت بما هيج عليها من الافات ولم ينقطع الطفر الى أصلها جاز أن يكون الضياء الساقط على أرض البيت عند سد الكوة أن يكون لم ينقطع الى أصله ولكن السد هيج عليه من الظلام القائم في الهواء ما غمره وقطعه عن أصله ولا فرق بين هذين وكان يعظم شأن الهواء ويخبر عن إحاطته بالأمور ودخوله فيها وتفضل قوته عليها وكان يزعم أن الذي في الزق من الهواء لو لم يكن له مجار ومنافس ومنع من كل وجهة لأقل الجمل الضخم وكان يقول وما ظنك بالرحل من الحديد أو بالزيادة منه إنه متى أرسل في الماء خرقة كما يخرق الهواء قال والحديد يسرع الى الأرض اذا أرسلته في الهواء بطبعه وقوته واطلبه الأرض المشاكلة له ودفع الهواء له وتبريه منه ونفيه له بالمضادة ولحدادة له بالعداوة قال ثم تأخذ تلك الزيادة فتبسطها بالمطارق فتزل نزولاً دون ذلك لأنها كلما اجتمعت فكان الذي يلاقيها من الماء أصغر جرماً كانت أقوى عليه ومتى ما أشخص لهذه الزيادة المطبوخة المبسوطة المسطوحة بفتق الحيطان في مقدار غلط الأصبع حمل مثل زنة المزار الكثيرة وليس إلا لما حصرت تلك الاصبع من الهواء وكلما كان نثر الحيطان أرفع كان للأثقال أحمل وكان الهواء أشد انحصاراً قال ولولا أن ذلك الهواء المحصور متصل بالهواء المحصور في جرم الخشب والقار فرفع بذلك الاتصال السفينة علواً لما كان يبلغ من حصر ارتفاع إصبع للهواء ما يحمله البغل ويدل على ذلك شأن السكينة . فانك تضع رأس السكينة التي تلي الماء في الماء ثم تمصه من الطرف الآخر فلو كان الهواء المحصور في تلك الانبوبة إنما هو مجاور لوجه الماء

ذلك اضمافا وهي التي يسمونها راحة الموت وليس له بعد تلك الحال لبث (وكان رئيس المتكلمين) وأحد الجلة المتقدمين يقول في النفس قولاً بليغاً عجيباً لولا شئته لا ظهرت اسمه وكان يقول المول اسم لكل فتق وكذلك الحز والفتق لا يكون إلا بين الاجرام الغلاظ والا فانما هو الذي يسميه أصحاب الفلك اللج واذا هم سألوه عن خضرة الماء قالوا هذا لج الهواء وقالوا لولا أنك في ذلك المكان لرأيت في اللج الذي فوق ذلك مثل هذه النظرة الا وهو أرق من كفيته أو من الاجرام الحاضرة وهو اسم لكل محرق ومنقلب لكل شيء فيه الاجرام المركبة ويستقيم أن يكون من جنس النسيم ويكون محصوراً أما بمحصر كثيف كالسفينتين لما فيها من الهواء الذي به حمات مثل وزن جرمها الاضعاف الكثيرة وأما أن يكون محصوراً في شيء كهيئة البيضة المشتملة على ما فيها كالذي يقولون في الفلك الذي هو عندنا سماء قال والنسيم الذي فيه معنى آخر وهو الذي يجمله بعض الناس ترويحاً عن النفس يعطيها البرد والرقّة والطيب ويدفع النفس ويخرج اليه البخار والغلاظ والحرارات الفاضلة وكل ما لا تقوى النفس على نفيه وطرده قال وايس الأمر كذلك بل أزعج أن النفس من جنس النسيم وهذه النفس القائمة في الهواء المحصور عرض لهذه النفس المتفرقة في اجرام جميع الحيوان وهذه الأجرام التي في هذه الأبدان من بدء النسيم في موضع الشعاع والأكثاف والنروع التي تكون من الأصول قال وضياء النفس كضياء دخل من كوة فلما سدت الكوة انقطع بالطفرة إلى عنصره من قرص الشمس وشعاعها المشرق فيها ولم يبق في البيت مع خلاف شكله من الحرق ومتى عم السد لم تقم النفس في الجرم فوق لأحكام النفس عند السد إذ كنا لانجدها بعد ذلك حكم الضياء بعد السد إذ كنا لانجدها بعد ذلك فالنفس من جنس النسيم وبفساده تفسد الأبدان وبصلاحه تصالح وكان يعتمد على أن الهواء نفسه هو النفس والنسيم وأن الحر والدونة وغير ذلك من الخلاف إنما هو من الفساد العارض قيل له فقد يفسد الماء فتفسد الاجرام من الحيوان بفساده ويصالح فيصلح بصلاحه وتمنع الماء وهي تنازع اليه فلا تدخل بعد المنازعة اذا تم المنع وتوصل بجرم الماء فتقيم في مكانها فاعل النفس عند

ذلك قيل نار الزحفتين قال وقيل لبعض الاعراب ما بال نساءكم رشحا قال أرشحن
عرفج الهلبة وهذا شرط الراعي فيما بينه وبين من استرعاه ماشيته في النار والحال
وذلك أن شرطهم عليه أن يقول المسترعي للراعي إن عليك أن ترد ضالها وتنهأ جرباها
وتلوط حوضها ويذك ميسوطة في الرسل ما لم تنهك حلبا أو تضر بنسل قال فيقول عند
ذلك الراعي رب الماشية بعد هذا الشرط ليس لك أن تذكر ابي بخير ولا شر ولك حذفه
بالعصا عند غضبك أخطأت أو أصبت ولي مقعدى من النار وموضع يدى من الجار قال
ووصف بعض الاوائل شبه ما بين النار والانسان فجعل ذلك قرابة ومشاكلة قال وليس
بين الارض وبين الانسان ولا بين الانسان والماء ولا بين الهواء والانسان مثل قرابة
ما بينه وبين النار لان الارض انما هي أم للنبات لانه مركب وهو لا يغزو إلا ما يعتد له لطبخ
وليس للهواء فيه الا النسيم والمتقاب وهذه الامور وان كانت زائدة وكانت النفوس
تتلف مع فقد بعضها فطريق المشاكلة والقرابة غير طريق ادخال المرفق وجر المنفعة ودفع
المضرة قال وانما فضيت لها بالقرابة لاني وجدت الانسان يحى ويميش في حيث تحى
النار وتميش وتموت وتتلف حيث يموت الانسان ويتلف وقد تدخل نار في بعض المطامير
والحباب والمغارات والمعادن فتجدها متى ماتت هناك علمنا ان الانسان متى صار في ذلك
الموضع مات ولذلك لا يدخلها احد مادامت النار اذا صارت فيها ماتت ولذلك يعتمد اصحاب
المعادن والحفائر اذا هجموا على فتق في بطن الارض أو مغارة في أعماقها أو اضعافها قدموا
شمعة في طرفها أو في رأسها نار فان ثبتت النار وعاشت دخلوا في طاب الجواهر من
الذهب وغير ذلك والالم يتعرضوا له وانما يكون دخولهم بحياة النار وامتناعهم بموت النار
وكذلك اذا وقعوا على رأس الجب الذى فيه الطعام لم يجسروا على النزول فيه حتى يرسلوا
في ذلك الجب قنديلا فيه مصباح أو شيئا يقوم مقام القنديل فان مات لم يتعرضوا له وحر كوا
في جوفه أ كيسة وغيرها من أجزاء الهواء قال ومما يشبه النار فيه بالانسان انك ترى
للمصباح قبل انطفائه ونفاد دهنه اضطرابا وضياء ساطعا وشعا طائرا وحر كة سريعة
وتنفضا شديدا وصوتا متداركا فعندها يخمد المصباح وكذلك الانسان له قبل حال
الموت ودوين انقضاء مدته باقرب الحالات حال مطمعة تزيد في القوة على حاله قبل

بمستأسد القرى ان حو تلاءه • فنواره ميل الى الشمس زاهره

والخيرى ينضم ورقه بالليل وينفتح بالنهار لاسماعيل بن غزوان فى هذا نادرة وهو
 أن سائلا سألنا من غير أهل الكلام فقال مبال ورق الخيرى ينضم بالليل وينتشر
 بالنهار فانبرأ له اسماعيل بن غزوان لان برد الليل وثقله من طباعها الضم والقبض
 والتنويم وحر الشمس من طباعه الاذابة والنشر والبسط والخفة والايقاظ قال السائل
 فيما قلت دايلى ولكنه قال اسماعيل وما عليك أن يكون هذا فى يدك إلى أن تصيب
 شيئا هو خير منه وكان اسماعيل أحمر حلما وكذلك كان الحرابي وكنت أظن بالحر
 الالوان التسرع والحدة فوجدت الحلم فيهم أعم وكنت أظن بالسمان الجدال العظام
 ان الفالج اليهم أسرع فوجدته فى الذين يخالفون هذه الصفة أعم وقال إياس بن معاوية
 صحة الابدان مع الشمس ذهبت الى أهل العمى والوبر وقال مثنى بن بشير الحركة
 خير من الظل والسكون وقد رأينا من مدح خلاف ذلك وهو قليل وقيل لابنة إياس
 أيما أشد الشتاء أم الصيف قالت ومن يجعل الاذى كالزمانة وقال اعرابى لاتسب الشمال
 فانها تضع أنف الاقمن وترفع أنف الرفقة وقال خاقان بن صبيح وذكر نبل الشتاء وفضله
 على نبل الصيف فقال تغيب فيه الهوام وتنجرف فيه الحشرات وتظهر الفرش والبزة
 ويكثر فيه الدخن وتطيب فيه حمرة البيت ويموت فيه الذبان والبعوض ويبرد الماء
 ويسخن الجوف ويطيب فيه العناق واذا ذكرت العرب برد الماء وسخونة الجوف قالت
 حرة تحت قرة ويجود فيه الاستمراء لطول الليل ولتبطل الحر وقال بعضهم لاتسرن
 بكثرة الاخوان مالم يكونوا أخيارا فإن الاخوان غير الخيام بمنزلة النار قليلها متاع
 وكثيرها بوار قال (ومن النيران نار الزحفتين) وهى نار أبى سريع وأبوسريع هو العرفج
 وقال قتيبة بن مسلم لعمر بن عباد بن حصين والله للسودد أسرع اليك من النار فى يديس
 العرفج وانما قيل لنار العرفج نار الزحفتين لان العرفج اذا التهب فى النار أسرع
 وعظمت وشاعت واستفاضت فى أسرع من كل شئ فمن كان فى قربها يزحف عنها
 ثم لا تلبث أن تنطفيء من ساعتها فى مثل تلك السرعة فيحتاج الذى يزحف عنها أن
 يزحف اليها من ساعته فلا تزال للمصطفى كذلك ولا يزال المصطفى بها كذلك فمن أجل

فان شئت فقل وان شئت فكثير وكان كثيراً ما يتلو عند ذلك فما أصبرهم على النار
 (والعقاب عقابان) فعقاب آخرة وعقاب دنيا فجميع عقاب الدنيا بلية من وجه ونعمة
 من وجه اذ كان يؤذى الى النعمة وان كان مؤلماً فهو عن المعاصي زاجر وان كان
 داخلاً في باب الامتحان والتعبد مع دخوله في باب العقاب والنعمة اذ كان زجراً له
 وتنكيلاً لغيره وقد كلفنا الصبر عليه والرضى به والتسليم لأمر الله فيه وعقاب الآخرة
 بلاء صرف وخزى بحت لأنه ليس بمخروج منه ولا يحتمل وجهين وقال أبو اسحق
 الحر في الشمس أصهب وفي النور أشكل وفي ظل الأرض الذي هو الليل أحمر وأى
 صوت خالطته النار فهو أشد الأصوات كالصاعقة والاعصار الذي يخرج من شق
 البحر كصوت الخيزم والجذوة من العود إذا كان في طرفه نار ثم غمسه في إناء فيه ماء
 نوي منقعه ثم بالنار يعيش أهل الأرض من وجوده فن ذلك صنيع الشمس في برد الماء
 والأرض لأنها صلاء جميع الحيوان عند حاجتها الى دفع عادية البرد ثم سراجهم الذي
 يستصبحون به والذي يميزون بضياؤه بين الأمور وكل بخار يرتفع من البحار والمياه
 وأصول الجبال وكل ضباب يملو وندى يرتفع ثم يعود بركة ممدودة على جميع النبات
 والحيوان فالنار الذي يحله ويلطفه ويفتح له الأبواب يأخذ بضبعه من قعر البحر
 والأرض النار المخالطة لهما من تحت والشمس من فوق وفي الأرض عيون نار وعيون
 قطران وعيون نطق وكباريت وأصناف جميع الفلز من الذهب والفضة والرصاص
 والنحاس فلولا ما في بطونها من أجزاء النار لما ذاب في قعرها جامد ولما أنسبك في
 أضعافها شيء من الجواهر ولما كان لقواها جامع ٢ ولحبتها مفرق قال وتقول العرب
 الشمس أرحم بنا وقيل لبعض العرب أئمة يوم أنفع قال يوم شمال وشمس وقال
 بعضهم لامراته

تمنين الطلاق وأنت عندي * تعيشي مثل مشرقة الشمال

وقال عمر الشمس صلاء العرب وقال عمر العربي كالبعير حيث ما دارت الشمس

استقبلها بهامته ووصف الراجز إبلاً فقال * تستقبل الشمس بحماتها *

وقال قطران العبدى

جامعاً أحسن فيه التأدية حيث قال

لا تعدن أناويين قد نزلوا * وسط الفلات بآلات محلات

والمحلات هي الأشياء التي إذا كانت مع المسافرين حلوا حيث شاءوا وهي القداحة والقربة والمسحاة فقال إياك أن تعدل إذا أردت النزول من معه أصناف الماعون بأناويين يعني واحداً أتى من هاهنا وآخر أتى من هاهنا كأنهم جماعة التقوا من غير تعريف بنسب ولا بلد وإذا تجمعوا أفذاذاً لم يكمل كل واحد منهم خصال المحلات قال أبو النجم

يضعن بالقفر أناويات * معترضات غير عرضات

وقالت امرأة من الكفار وهي تحرض الأوس والخزرج حين نزل فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه

أطعنم أناوي من غيركم * فلا من مراد ولا مذحج

ولم ترد أنها أشرف من قريش ومن الحيين كعب وعامر ولكنها أرادت أن تؤلب وتذكر العصبية وقالوا لا تبتئ المدن إلا على الماء والكلأ والمحتطب فدخلت النار في المحتطب إذ كان كل عود يوري وأما الوجه الآخر من الامتنان بها فبك قوله تعالى (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) ثم قال على صلة الكلام (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس يريد أن يحرق الله عز وجل العبد بالنار من آلائه ونعمائه ولكنه رأى أن الوعيد الصادق إذا في غاية الزجر عما يطغيه ويؤذيه فهو من النعم السابغة والآلاء المظام وكذلك نقول في خلق جهنم إنها نعمة عظيمة ومنة جليلة إذا كان زجراً عن نفسه ناهياً وإلى الجنة داعياً فأما الوقوع فيها فما يشك أنه البلاء العظيم وكيف تكون النقم نعماً ولو كانت النعمة نعمة لكانت رحمة ولكن السخط رضى وايس يهلك على البينة إلا هالك وقال الله عز وجل (إلهك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وقال الحسن والله يابن آدم ماتوبقك إلا خطاياك قد أريد بك النجاة فأبيت إلا أن توقع نفسك وشهد الحسن بعض الأمراء وقد تعدى إقامة الحد وزاد في عدد الضرب فكلمه في ذلك فلما رآه لا يقبل النصيح قال أما إنك لا تضرب إلا نفسك

والجان من نار السموم وفي مفخر النار على الطين وفي احتجاج ابايس بذلك فإننا
سنذكر من ذلك جملة في موضعه ان شاء الله تعالى (ونحن راجعون في القول في النار)
الى مثل ما كنا ابتدأنا به القول في صدر هذا الكلام حتى نأتي من أصناف النيران
على ما يحضرنا ان شاء الله تعالى (قالوا) وليس في العالم جسم صرف غير ممزوج ومرسل
غير مركب ومطلق القوى غير محصور ولا مصور أحسن من النار قال والنار سماوية
علوية لان النار فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الهواء ويقولون شراب
كأنه النار وكأن لون وجهها النار واذا وصفوه بالذكاء قالوا ماهو الا نار واذا وصفوا
حمرة العرض وحمرة الذهب قالوا ماهو الا نار قال وقالت هند هذا والله وأنا أحسن
من النار الموقدة وأنا أقول لم يكن بها حاجة الى ذكر الموقدة وكان قولها أحسن من
النار يكفيها وكذلك اتهمت هذه الرواية وقال قدامة حكيم المشرق في وصف الذهن
شعاع مركوم ونسم موقود ونور بصاص وهو النار الجامدة والكبريت الاحمر وربما
قال العتابي وجمال كل مجلس بأن يكون مقفه أحمر وبساطه أحمر وقال بشار بن برد
هجان عليها حمرة في بياضها * تروق بها العينين والحسن أحمر

وقال أعرابي

هجان عليها حمرة في بياضها * ولا لون أدنى للهجان من الحمر
قال ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم في الآخرة من جميع أعدائه وليس يستوجبها
بشرى من بشرى ولا جنى من جنى بضغينة ولا ظلم ولا جناية ولا عدوان ولا
تستوجب النار الا بعداوة الله عز وجل وحده وبها يشفى صدور أوليائه من أعدائهم
في الآخرة وكل شيء أضافه الله الى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره وقد فعل ذلك
بالنار فقالوا بأجمعهم دعه في نار الله وفي سقره وفي غضب الله ولعنته وسخط الله
وغضبه هما ناره أو الوعيد بناره كما يقال بيت الله وزوار الله وسماؤه الله وعرش الله ثم
ذكرها فامتن بها على أهل الأرض من وجهين أحدهما قوله عز وجل (الذي جعل
لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) فجعلها من أعظم الماعون معونة
وأخفها مؤونة والماعون الأكبر الماء والنار ثم الكلاء والملح قال الشاعر في الماعون بيتاً

وأفرط عمقه رأيته أسود وكذلك يحكون عن الدردور ويزعمون أن عين حوارة ترى
بمثل الزنوج فتجد الماء جنساً واحداً ثم تجد ذلك الجنس أبيض إذ قل عمقه وأخضر
إذا كان وسطاً وأسود إذا بعد غوره ويختلف منظره على قدر اختلاف إنائه وأرضه
وما يقابله فدل ذلك على أنه ليس بذى لون وإنما يعتريه في التخييل لون ما يقابله
ويحيط به وأمل هذه الأمور إذا تقابلت أن تصنع في العين أموراً فيظن الإنسان مع
قرب المجاورة والاتباس أن هذه الألوان المختلفة إنما هي لهذا الماء الرائق الخالص
الذي لم ينقلب في نفسه ولا عرض له ما يقابله وكيف يعترض له ويقابله وعين كل واحد
منهما غير عين صاحبه وهو يرى الماء أسود كالبجر متى اخذ منه أحد غرفة رآه كهيئة
إذا رآه قليل العمق ويتشابه أيضاً سرعة قبولهما للحر والبرد والطيب والنتن والفساد
والصلاح قال أبو اسحق قال الله عز وجل ذكر انعامه على عباده وامتنانه على خلقه فذكر
ما أعانهم به من الماعون (أفرايت النار التي توردون أن أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)
وكيف قال شجرتها وليس في تلك الشجرة شيء وجوفها وجوف الطاق في ذلك سواء
• وقدرة الله على أن يخاق النار عند مس الطاق كقدرته على أن يخلقها عند حلك العود
وهو تعالى وعز لم يرد في هذا الموضع إلا التعجيز من اجتماع النار والماء وهل بين
قواكم في ذلك وبين من زعم أن البدن الجيد والردى والماء العذب والمالح والسبخة والحررة
الرخوة والزمان المخالف والموافق سواء وليس بينهما من الفرق إلا أن الله شاء أن
يخاق عند اجتماع هذه حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا دون تلك الاضداد ومن قال
بذلك وقاده في جميع ما يلزم من ذلك قال كقول الجهمية في جميع المقالات وصار إلى
الجهالات وقال بانكار الطبائع والحقائق وقال الله عز وجل (هو الذي جعل لكم من
الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) ولو كان الأمر في ذلك على أن يخلقها
ابتداء لم يكن بين خلقها عند اخضرار الشجر اليا بس الهشيم فرق ولم يكن لذكر
الخضرة الدالة على الرطوبة معنى وقد ذكرنا جملة من قولهم في النار وفي ذلك بلاغ
لمن أراد معرفة هذا الباب وهو مقدار قصد لا طويل ولا قصير (فاما القول في نار
جهنم وفي سوادها ودوامها وتسعرها وخبورها) والقول في خلق السماء من دخان

* وسيفي كالعقيقة وهو كمي * وقال الاخطل
وأرقى من بمد مانت نومة * وعضب إباضي كالعقيق يمانى

﴿ ونذكر بعون الله وتأيدته جملة من القول في الماء ﴾
 ﴿ ثم نصير الى ذكر ما ابتدأنا به من القول في النار ﴾
 ذكرنا ان الماء لا يغدو وانما هو مركب ومبر وموصل للغذاء واستدلوا لذلك
 ان كل رقيق سيال فانك متى طبخته انعقد الا الماء وقالوا في القياس انه لا ينعقد في
 الجوف عند طبخ الكبد له فاذا لم ينعقد لم يجيء منه لحم ولا عظم ولا ناعلم ان انسانا
 قط اغتذا وثبت عليه روحه وان السمك الذي يموت عند فقده لا يغدو سواء مما
 يكون فيه دونه قال خصمهم انما صار الماء لا ينعقد لانه ليس فيه قوى مستفادة
 مأخوذة من قوى الجواهر والماء هو الجوهر القابل لجميع القوى فبضرب من القوى
 والقبول يصير دهنا وبضرب آخر يصير مغلا وبضرب آخر يصير دما وبضرب آخر
 يصير لبنا وهذه الامور كلها انما اختلفت بالقوى العارضة فيها فالجوهر المنقلب في
 جميع الانسام السيالة انما هو الماء فيصير عند ضرب من القبول دهنا وعند ضرب من
 القبول لبنا وعصير كل شئ ماؤه والقابل لقوى ما فيه فاذا طبخت الماء صرفا سالما على
 وجهه ولا قوى فيه لم ينعقد وانحل بخاراً حتى يتفانى وانما ينعقد الكائن من الملامس
 له فاذا صار الماء في البدن وحده لم يكن فيه قوى لم ينعقد وانعقاده انما هو انعقاد ما
 فيه والماء لا ينجس من بعض القبول ولكن البعض لا ينعقد ما لم يكن اكثر وزعم اصحاب
 الاعراض ان الهواء سريع الاستحالة الى الماء وكذلك الماء الى الهواء للمناسبة التي
 بينهما من الرطوبة الرقة وانما هما غير سيارين ويدل على ذلك اجتذاب الهواء للماء
 وملاسته له عند مس الانسان اليه فم الشربة ولذلك سرى الماء وجرى في جوف
 قصب الخيزران اذا وضعت طرفه في الماء وكذلك الهواء فيه ظلام الليل وضياء النهار
 وما كان فيه من الاشباح والحذقة لا ترى من الضياء العارض في الهواء ما تباعد منها
 والماء يرق فيكون له وهن يكون عمقه مقدار اعدل فيكون له لون فان بعد غوره

بشرها ببعرة فرجعت الى ثم أعدتها فرجعت فرميت بحصاة فسمعت لها خريقا وحفيفا
شديدا وشبيها بالجولان الى أن بلغت قرار الماء وزعم أبو اسحق أنه رأى عين نار في
بعض الجبال يكون دخانها نهارا وليلا أو ليس الاصل الذي بني عليه أمرهم أن جميع
الابدان من الاخلاط الاربعة من النار والماء والارض والهواء فاذا رأينا موصعا من
الارض يخرج منه ماء قلنا هذا أحدث الاركان فما بالنا إذا رأينا موصعا من الارض
يخرج منه نار لم نقل مثل ذلك فيه ولم لا نقول في حجر النار إنه متى وجد أخف
من مقدار جسمه من الذهب والرصاص أو الزئبق انما هو لما خالطه من أجزاء الهواء
الرافعة له وإذا وجدناه أعلاك علوكة وأمتن متانة وأبعد من التهافت جعلنا ذلك لما
خالطه من أجزاء الماء وإذا وجدناه ينقض الشرر ويظهر النار جعلنا ذلك للذي خالطه
ولم جعلناه اذا خف من شيء لمقدار جسمه لما خالطه من أجزاء الهواء ولا نجمله
كذلك لما خالطه من أجزاء النار ولا سيما اذا كانت العين تجده يقدح بالشرر ولم
تجر أجزاء الهواء فيه عندنا عيانا فلم أنكرنا ذلك وهذه القصة توافق الاصل الذي
بنوا عليه أمرهم قال أويس من قوله إنه لولا النيران المتحركة في جوف الارض التي منها
يكون البخار الذي يعضها ارضي وبعضها مائي لم يرتفع ضباب ولم يكن صدا ولا مطر
ولا نداء ومتى كان البخار حارا يابساً قدح وقذف بالنار التي تسمي الصاعقة اذا
اجتمعت تلك القوى في موضع منه لأن كانت القوى ريمحا كان لها صوت وان كانت
نارا كانت لها صواقي حتى زعم كثير من الناس وذلك شائع على أفواه الاعراب
والشعراء قال أبو الهول الحميري

حاز صمصامة الزبيدي من بيـ * من جميع الانام موسي الامين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما طبقت عليه الجفون

أوقدت فوقه الصواقي نارا * ثم ساطت به الزعاف المنون

وقال منهم آخر

يكفيك من قلع السماء عقيقة * فوق الذراع ودون بوع الباع

قال الاصمعي الانعقاق تشقق البرق ومنه وصف السيف بالعقيقة وأنشد

حي لشدة حرها الموضع الذي يليها وتنتهي أيضاً مانعه وكذلك الذي في الطرف الآخر ولكن
الانسان اذا رأى النار قد اتصلت في العود كله وظهرت أولاً فاولاً طن أن الجزء الذي
كان في المكان الاول قد سرى الى المكان الثاني ثم الى المكان الثالث فيخبر عن ظاهر
ما يرى ولا يعرف حقيقة ما يطن من شأنها (وقال أبو اسحق) ولو كانت العيدان كلها
لأنا فيها لم يكن سرعة ظهورها من العراجين ومن المرخ والعنار أحق منها بعود
العناب والبردي وما أشبه ذلك لكنها كانت في بعض العيدان أكثر وكان مانعها
أضعف وكان ظهورها أسرع وأجزاؤها اذا ظهرت أعظم وكذلك ما كان منها في
الحجارة ولو كانت أجناس الحجارة مستوية في الاسرار فيها لما كان حجر المرو أحق
بالقدح اذا صك بالقداحة من غيره من الحجارة ولو طال مكثه في النار وتنفخ عليه
بالكبر ولم صار لبعض العيدان جمر باق ولبعضها جمر سريع الانحلال وبعضها لا يصير
جمراً ولم صار البري مع مشاشته وبسه ورخاوته لا تعمل فيه النيران ولذلك اذا وقع
الحريق في السوق سلم كل مكان يكون بين أضعاف البردي ولذلك ترى النار سريعة
الانطفاء في أضعاف البردي ومواضع جميع الليف (وقال أبو اسحق) فلم أختلف في ذلك
الا على قدر ما يكون فيها من النار وعلى قدر قوة الموانع وضعفها ولم صارت تقدر
على الاحتكاك حتى تلهب كالساج في السفر اذا اختلط ببعضه ببعض عند تحريك
الامواج لها ولذلك أعدوا لها الرجال لتصب من الماء صباداً ثم وتدوم الريح فتحك
عيدان الأغصان في الغياض فتلهب نار فتحدث نيران ولم صار العود يحترق اذا احتك
بغيره ولم صار الطاق لا يحترق فان قلت لطبيعة هناك فهل دلالة ونا إلا على اسم علقته وود على
غير معني وجدتموه أولسنا قد وجدنا عيون ريح وعيون ماء حارة وعيون ماء بارد بعضها
البيض وينطفئ الجلد وبعضها يجمد الدم ويورث الكزاز أولسنا وجدنا عيون نار فلم زعمتم
أن الريح والماء كانا مختلفين في بطون الارض لم تجوزوا لنا مثل ذلك في النار وهل بين
اختلاف الريح والماء فرق وهل الريح الهواء تحرك وهل بين المختنق والكامن فرق
(وزعم أبو اسحق) أنه رمي بردائه في بئر النبي صلى الله عليه وسلم التي من طريق مكة فردته
الريح عليه وحدثني رجل من بني هاشم قال كنت برامة من طريق مكة فبرميت في

سجود لدي الارطى كان رؤسها * علاها صداع أوقوار يصورها

وقال القطامي

فهن معترضات والخصى رمض * والريح ساكنة والظل معتدل

حتى وردن ركيات الغوير وقد * كاد الآء من الكتان يشتمل

وقال الشماخ بن ضرار

كان فتودى فوق جاب مطرد * من الحقب لاحته الجداد الفوارز

طوى ظمئها في بيضة القيظ بعد ما * جرت في عنان الشعريين الاماعز

وظلت يميؤود كأن عيونها * الى الشمس هل تدنوى نواكز

ولهذه الأبيات كان الخطيئة والفرزدق يقدمان الشماخ بغاية التقديم وقال الراعي

ونار وديقة في يوم هيج * من الشعري نصبت لها الجيدنا

اذا معزاءها جرة أرثت * جناد بها وكان العيس جونا

وقال مسكين الدارمي

وهاجرة صليت كأن ظباءها * اذا ما انتقتها بالقرون سجود

تلوذ لشؤبوب من الشمس فوقها * كما لاذ من حر السنان طريد

وقال جرير

وما جر مومة بمثت الى السرى * وللنوم أحلي عنده من جني النحل

يكون نزول الركب فيها كلاؤها * عشاشا ولا يدنون رحلا الى رحل

ليوم أتت دون الظلال سمومه * وظل المهبي صوراً جماجمها تغلى

وفيها يقول جرير

تمني رجال من تميم الى الردا * وما زاد عن أحسابهم ذائد مثلي

وقال أبو اسحق أخطأ من زعم ان النار تصعد في أول العود وتحد وتنفوس فيه وتظهر

عليه وتأخذ منه غرضاً وقال العود النار في جميعه كامن وفيه سائحة وهي أحد أخلاطها

والجزء الذي لا يرى منها في الطرف الاول غير الجزء الذي في الوسط وغير الجزء الذي

في الطرف الآخر فاذا احتك الطرف خمي زال منه وظهرت النار التي فيه واذا ظهرت

وفي السنة الجراد يكون غيثاً * اذا لم تعط درتها الغضوب
 وزوجت اللقاح مبهلات * ولم تعطف على الربيع السلوب
 وكان السرف للفتيان قوتا * يمش به وهيمت الرقوب
 وفي هذه القصيدة يقول في شدة الحر
 وخرق تعزف الجنان فيه * لأفئدة الكماة لها وجيب
 قطعت ظلام ليلته ويوما * يكاد حصي الاكام به يذوب
 وقال آخر لمعشوقته

وأنت التي كلفتنى البرد شاتيا * وأوردتني فأنظري أي مورد
 فما ظنك ببرد يؤدي هذا العاشق الى أن يحمل شدته عذراً له في تركه الالم بها وترك
 هذه القصيدة قوله

فياحسنها إذ لم أعج أن يقال لي * تروح فشيئنا الى ضحوة الغد
 فأصبحت مما كان بيني وبينها * سوى ذكرها كلقابض الماء باليد
 ومما يقع في الباب قبل هذا ولم نجد له بابا قول مسكين الدارمي

واني لا أقوم على فتاتي * أسب الناس كالكلب العقور
 وإني لا أحل بطن واد * ولا آوى إلى البيت القصير
 واني لا أخادص عقد ناد * ولا أدعو دعاءى بالصغير
 ولست بقائل للعبد أوقد * إذا أوقدت بالعود الصغير

ولو تأملت دخان أتون واحد من ابتدائه الى انقضائه لرأيت فيه الاسود الفاحم
 والابيض الناصع والسمود والبياض هما الغاية في المضادة وذلك على قدر البخار والرطوبات
 وفيما بينهما ضروب من الالوان وكذلك الرماد منه الاسود ومنه الابيض ومنه الاصهب
 ومنه الخفيف وذلك كله على قدر اختلاف حالات المحترق وجواهره فهذا بعض
 ما قالوا في البرد وسندكر بعض ما قالوا في صفة الحر قال مضر بن زرار بن لقيط

ويوم من الشمر كان ظباءه * كواكب مقصور عليها تورها
 تدلت عليه الشمس حتى كأنه * من الحر يرى بالسفينة نورها

مع ذلك قولهم معارضة وأن يمد في باب الموازنة ومما قالوا في البرد قول الكميت

إذا التفت دون الفتاة الضجيع * وزحزح ذو الفروة المزمّل

وراح الفنيق مع الرائحات * كإحدى أوائلها المرسل

وقال الكميت أيضاً في مثل ذلك

وجاءت الريح من تلقاء مغربها * وضن من قدره والقدر بالعقب

وكهكهم المدلج المقرور في يده * واستدفأ الكلب في المأسور ذي الذنب

وقال في مثله جران العود

ومشبوخ الاشاجع أريحي * بميد السمع كالقمر المنير

رفيع الناظرين الى المعالي * على العلات في الخلق اليسير

يكاد المجد ينضح من يديه * إذا دفع اليتيم عن الجزور

وأجأت الكلاب صبا بليل * وآل نباحهن الى الحرير

وقد جمعت فتاة الحى تدنو * مع الهلاك من عرق القدور

وقال في مثل ذلك ابن قتيبة

لبس طعمي طعم الانامل اذ قلص * در اللقاح في الصنبر

ورأيت الاماء كالجمهر البيا * لى عكوفها على قرارة بدر

ورأيت الدخان كالودع الاهجن يبتاع من وراء النستر

حاضر شرهم وخيركم ذو * حرسى من الارانب بكر

وقال في مثل ذلك

وإذا المذارى بالدخان تقنعت * واستعجبت نصب القدور فمات

درت بارزاق العباء معالق * بيدي من قمع العشار الجلات

وقال الهذلي

وايلة يصطلى بالفرث جازرها * يختص بالنقري المثرين داعيها

لا ينبع الكلب فيها غير واحدة * من العشاء ولا تسرى أفاعيها

وفي الجمد والبرد والازمان يقول الكميت

فيه الدود وتخوضه الحوافر والاضلاف والاختلاف والاقدام بالليل والنهار في الاسفار وفي أيام الصيد يهون على من شرب خمسة أرطال نبيذ أن يمدوا عليه خمسة أشواط وقد عارضني بعض المجوس وقال فاعل أيضاً صاحبكم إنما توعده أصحابه بالنار لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ولا دمن وإنما هي ناحية الحرور والوهج والسموم لأن ذلك المكروه أضر لهم فرأي هذا المجوسى أنه قد عارضنى فقلت له إن أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر في الصيف وشدة البرد في الشتاء لأنها بلاد صخور وجبال والصخر يقبل الحر والبرد ولذلك سميت الفرس بالفارسية العرب والاعراب كهيان والكه بالفارسية هو الجبل فتى أحببت أن تعرف مقدار برد بلادهم في الشتاء وحرها في الصيف فانظر في أشعارهم وكيف قسموا ذلك وكيف وضعوه لتعرف أن الحالتين سواء عندهم في الشدة والبلاد ليس يشتد بردها على كثرة الثلج وقلته فتعد تكون بلدة أبرد وثلجها أقل والماء ليس يجمد للبرد فقط فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر وقد تكون الليلة باردة جداً وتسكون متغيرة فلا يجمد الماء ويجمد فيما هو أقل منها برداً وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الريح على خلاف ما يتقدرون ويظنون وقد خبرنى من لا أرتاب بخبره أنهم كانوا في موضع من الجبل يستغنون به بلبس المبطنات ومتى صبوا ماء في إناء زجاج ووضعوه تحت السماء جمد من ساعته فليس جمود الماء بالبرد فقط ولا بد من شوط ومقادير واختلاف جواهر ومقابلات أحوال كسرعة البرد في بعض الأدهان وإبطائه عن بعض كاختلاف عمله في الماء المغلى وفي الماء المتروك على حاله وكاختلاف عمله في الماء والنيذ وكما يمتري البول من الخشورة والجمود على قدر طبائع الطعام والقلة والزيت خاصة يصيبه المقدار القليل من النار فيستحيل من الحرارة الى مقدار لا يستحيل اليه ما عو أحر وحجة أخرى على المجوس وذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو كان قال لم أبعث الا الى أهل مكة لكان له متعلق من جهة هذه المعارضة فأما وأصل نبوته والذي عليه مخرج أمره وابتداء مبعثه الى ساعة وفاته أنه المبعوث الى الأحمر والاسود والى الناس كافة وقد قال الله تعالى (قل أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) وقد قال تعالى (نذيراً للبشر) فلم يبق أن يكون

والحطب والدخان وعلى قدر كثرة ذلك وقلته وعلى قدر يسره درطوبته قول الراعي
حين أراد أن يصف لون ذئب فقال

وقع الربيع وقد تقارب خطاؤه * وأرى به قوته أزل سيولا
متوقع الأقران فيه شبهة * هس اليمين تخاله مشكولا
كدخان مرتجل بأعلا تلة * غرنان ضررم عرجا مبلولا

المرتجل الذي أصاب رجلا من جراد فهو يشويه وجعل غرنان لطول الغرث
لا يختار الحطب اليابس على رطبه فهو يشويه بما حضره وأداه هذا الكلام ليكون
لون الدخان بلون الذئب الأطحل متفقين وزرادشت هو الذي عظم النار وأمر باحيائها
ونهى عن إطفائها ونهى الحيض عن مسها والدو منها وزعم أن العقاب فى الآخرة
انما هو بالبرد والزمهرير والدمق وزعم أصحاب الكلام أن زرادشت وهو صاحب
الحجوس جاء من باخ وادعى أن الوحي نزل عليه على جبال سيلان وأنه حين دعا
لسكان تلك الناحية الباردة الذين لا يعرفون إلا الأذى بالبرد ولا يضربون المثل إلا
به حتى يقول الرجل لبعده لئن عدت الى هذا لانزعن ثيابك ولا قيمتك فى الريح
ولا وقتك فى الثلج فلما رأى موقع البرد منهم هذا الموقع جعل الوعيد بتضاعفه
وظن أن ذلك أزجر لهم عما يكره وزرادشت فى توعده تلك الأمة بالثلج دون النار
مقر بانه لم يمت إلا الى أهل الجبال وكأنه اذا قيل له أنت رسول الى من قال لاهل
البلاد الباردة الذين لا بد لهم من وعيد ولا وعيد لهم إلا بالثلج وهذا جهل منه ومن
استجاب له أجهل منه والثلج لا يكمل لمضادة النار فكيف يبلغ مبالغها والثلج يؤكل
ويشرب ويتضم قضما ويمزج بالاشربة ويدفن فيه الماء وكثير من الفواكه وربما أخذ
بعض المترفين القطعة منه كهامة الثور فيضعها على رأسه ساعة من نهار ويتبرد بذلك
ولو أقام إنسان على قطعة من الثلج مقدار صخرة فى خمندان ربح ساعة من نهار لما
خيف عليه إلا المرض فقط فلو كان المبالغة فى التفسير والزجر أرادوا اليه قصد الذكر
لما هو فى الحقيقة عند الأمم أشد والوعيد بما هو أشد وبما يعم بالخوف سكان البلاد
الباردة والحارة أشبه إذ كان المبالغة يريد والثلج قد يداوى به بعض المرضى ويتولد

الמידان والادھان فنجدھا شقراء ونجدھا حمراء ونجدھا خضراء اذا كان حطبھا مثل
الكبريت الاصفر ونجد فوق السحاب مختلفاً في الحمرة والبياض على قدر المقابلات
والاعراض ونجد السحابة بيضاء فاذا قابت الشمس بمض المقابلة فإن كانت السحابة
غربية أفقية والشمس منحطة رأيتها صفراء ثم حمراء ثم سوداء تعرض للمعين لبعض
ما يدخل علیھا وقال الصلتان الفهمی فی النار

وتوقدها شقراء فی رأس هضبة * ليمشوا إليها كل باغ وجازع

وقال مزرد بن ضرار

فابصر ناري وهي شقراء أوقدت * بعلماء نشر للميوت النواظر
وقال آخر

ونار كسحر العود يرفع ضوءها * مع الليل هبات الريح الصوارد
والغبار يناسب بعض الدخان ولذلك قال طفيل الغنوي

اذا هبطت سهلاً كان غباره * بجانبها الاقصى دواخن تنضب
لان دخانه يكون أبيض يشبه الغبار وناره شقراء والعرب تجمع الدخان دواخن وقال
الازرق الهمداني

ونوقدها شقراء من فرع تنضب * وللاكت أروى للنزال وأشبع
وذلك ان النار اذا ألتى علیھا اللحم فصار لها دخان أصابت بدخان ماء اللحم وسواد
القتار وهذا يدل أيضاً على ما قلنا وفي ذلك يقول الهيبان الفهمي

له فوق البحار جفان شيزى * ونار لا تضرم للصلاء

ولكن للطبخ وقد عراها * طليح اللحم مستلب الفراء

وما غذيت بغير لظى فنارى * كمرتكم الغمامة ذي العفاء

وقال سحر العود

له نار تشرب على يفاع * لكل مرعب الأهدام بالي

ونار فوقها جزر رحاب * مبيجلة تقاذف بالمحاب

ويدل أيضاً على ما قلنا أن النار يختلف لونها على قدر اختلاف جنس الدهن

من السواد والبياض وانما يختلفان على قدر المزاج وزعموا أن في الحقيقة انما هو البياض
والسواد وحكموا في المقالة الاولى بالقوة للسواد على البياض اذا كانت الالوان كلها
كلما اشتدت قربت من السواد وبعدت من البياض فلا تزال كذلك الى أن تصير
سواداً وقد ذكرنا قبل هذا قول من جعل الضياء والبياض جنسين مختلفين وزعم ان
كل ضياء بياض وليس كل بياض ضياء وما كان أحوجنا وأحوج جميع المرضى أن يكون
جميع الاطباء متكلمين والى أن يكون المتكلمون علماء فان الطب لو كان من نتيج حذاق
المتكلمين ومن تلقى عنهم لم نجد في الاصول التي ينون عليها من الخلل مانجد وزعموا
أن النار حمراء وذهبوا الى ما ترى العين والنار في الحقيقة بيضاء ثم قاسوا على خلاف
الحقيقة المردة الحمراء وشبهوها بالنار ثم زعموا أن المردة الحمراء مرة وأخلق بالدخان أن
يكون مرأاً وليس الدخان من النار في شيء وكل نور وضياء هو أبيض وانما يحمر في
العين بالمرض الذي يعرض للعين فاذا سلمت من ذلك وأفضت اليه العين رآته أبيض
وكذلك نار العود تنفصل من العود وكذلك انفصال النار من الدهن ومعها الدخان
ملا بساً لاجزائها فاذا وقعت الحاسة على سواد أو بياض في مكان واحد كان نتاجها في
العين منتظرة الحمرة ولو أن دخاناً عرض بينك وبينه قرص الشمس وبين القمر لرايته
أحمر وكذلك قرص الشمس في المشرق أحمر وأصفر للبخار والغبار المستعرض بينك
وبينه والبخار والدخان أخوان متى تحلق القرص في كبد السماء فصار على قبة رأسك
ولم يكن بين عينيك وبينه الا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع في الهواء صعداً
وذلك يسير قليل فلا تراه حينئذ الا في غاية البياض واذا انحط شرقاً أو غرباً صار كل
شيء بين عينيك وبين قرصها من الهواء ملابساً للغبار والدخان والبخار وضرب
الضباب والسواد فتراها اما صفراء واما حمراء ومن زعم ان النار حمراء فلم يكذب
ان ذهب الى ما ترى العين ومن ذهب الى الحقيقة والمعلوم في الجوهرية فزعم انها
حمراء ثم قاس على ذلك جهل وأخطأ وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النقط
الازرق والاسود والابيض وذلك كله يدور في العين مع كثرة الدخان وقلته ونجد
النار تتغير في ألوانها في العين على قدر جفاف الحطب ورطوبته وعلى قدر أجناس

وكذلك الاراييح وكذلك الاصوات وكذلك الملابس من الحرارة والبرودة واليبس والرطوبة والرخاوة والصلابة والخشونة وهذه جميع الملابس وزعموا ان التضاد انما يقع بين نصيب الحاسة الواحدة فقط فاذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسة الواحدة من المحسوسات خلاف نصيب تلك الحاسة ولم يضادها بالضد كاللون واللون لمكان التفسد والطعم والرائحة لمكان التفسد ولا يكون الطعم ضد اللون ولا اللون ضد الطعم بل يكون خلافا ولا يكون ضدا ولا وفقا لانه لا يكون وفقا لانه من غير جنسه ولا يكون ضدا لانه يفسده وزعم من لا علم له من أصحاب الاعراض ان السواد انما ضاد البياض لانهما لا يتماقبان ولا يتماوتان ولانهما يتنافيان قال القوم لو كان ذلك من العلة كان ينبغي لذهاب الجسم قدما ان يكون بعضه يضاد بعضا لان كونه في المكان الثاني لا يوجد مع كونه في المكان الثالث وكذلك التربيع كطينة لو ربت بعد تشليها ثم ربت بعد ذلك ففي قياسهم ان هذين التريعين ينبغي لهما ان يكونا متضادين اذا كانا متنافيين لان الجسم لا يحتمل في وقت واحد طولين وان الضد يكون على ضدين يكون احدهما يخالف الشيء من وجوده عدة والاخر يخالفه من وجهين فقط قالوا والبياض يخالف الحمرة وبضادها لانه يفسدها ولا يفسد الطعم وكذلك البياض للصفرة والحمرة والخضرة فاما السواد خاصة فان البياض يضاده بالتفسد وكذلك التفسد وكذلك السواد وبقي لهما خاصته من الفصول في أبواب المضادة إن البياض ينصبغ ولا يصبغ والسواد يصبغ ولا ينصبغ وليس كذلك سائر الالوان لانها كلها تصبغ وتنصبغ قالوا فهذا باب مايساق



باب آخر

ان الصفرة متى اشتدت صارت حمرة ومتى اشتدت الحمرة صارت سوادا وكذلك الخضرة متى اشتدت صارت سوادا والسواد للبياض مضادة تامة وصارت الالوان الأخر فيما بينها تتضاد عادة وصارت الطعوم والاراييح والملابس تخالفها ولا تضادها وقد جعل بعض من يقول بالا جسام هذا المذهب دليلا على أن الالوان كلها انما هي

ومتى وجدنا طينة مربعة صارت مدورة فليس ذلك بمحدث تدوير لم يكن فكان
عند تغيره في المين أولاً من غير الطينة في العين من البياض ان السواد سبيل الصلابة والرخاوة
والثقل والخفة سبيل الحلاوة والملوحة والحرارة والبرودة وليس يقيس القول في
الاعراض الا من قال بالاستحالة وليس في الاستحالة شيء أقبح من قولهم في استحالة
الجلل الصغير الى مقدار خردلة من غير ان يدخل أجزاءه شيء على حال فهو على
قول من زعم ان الخردلة تنصف أبداً أحسن فلما اذا قال بالجزء الذي لا يتجزأ وزعم ان
أقل الاجسام الذي تركيبه من ثمانية أجزاء لا يتجزأ أو ستة أجزاء لا يتجزأ يستحيل جسماً
على قدر طول العالم وعرضه وعمقه وانالو وجدناه كذلك لم نجد بداً من ان نقول انا
لو رفعناه من اوهامنا من ذلك شبراً من الجميع فان كان مقدار ذلك الشبر جزءاً واحداً
فقد وجدناه جسماً أقل من ثمانية أجزاء ومن ستة أجزاء وهذا نقض الاصل مع ان الشبر
الذي رفعناه من اوهامنا فلا بد ان كان جسماً ان يكون من ستة أجزاء او من ثمانية أجزاء
وهذا كله فاسد لان النار حر وضياء ولكل ضياء بياض ونور وليس لكل بياض نور
وضياء وقد غلط في هذا المقام عالم من المتكلمين والضياء ليس بلون لان الالوان
تتفاسد وذلك شائع في كلها وعام في جميعها فاللبن والحبر يتفاسدان ويتمايع التراب
اليابس والماء السائل كما يتمازج الحار والبارد والحلو والحامض فصنيع البياض في السواد
كصنيع السواد في البياض والتفاسد الذي يقع بين الخضرة والحمرة فبذلك الوزن يقع
بين البياض وجميع الالوان وقد رأينا ان البياض مياح مفسد كسائر الالوان فانت قد
ترى الضياء على خلاف ذلك لانه اذا سقط على الالوان المختلفة كان عمله فيها عملاً
واحداً وهو التقيبيل بين أجناسها وتميز بعضها من بعض فيبين من جميعها ابانة واحدة
ولا تراه يخص البياض الا بما يخص بمثله السواد ولا يعمل في الخضرة الا مثل عمله
في الحمرة فدل ذلك على ان جنسه خلاف أجناس الالوان وجوهه خلاف جواهرها
وانما يدل على اختلاف الجواهر اختلاف الاعمال فباختلاف الاعمال واتفاقها تعرف
اختلاف الاجسام واتفاقها

(وجملة القول في الضد والخلاف والوافق) قالوا الالوان كلها متضادة وكذلك الطعوم

من النار استخرجته فترى النار عند ذلك يكون لها لهب دون الضرام فتي أخرجت تلك النار الباقية ثم أوقدت عليها ألف عام لم تستوقد وتأويل لم تستوقد إنما هو ظهور النار التي كانت فيه فإذا لم يكن فيه شيء فكيف يستوقد وكان يكرر التعجب من ناس كانوا ينافسون في الرأسة إذ رآهم يجهلون جهل صغار العلماء وقد ارتفعوا في أنفسهم إلى مرتبة كبار العلماء وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فينقيه فيقول أين تلك النار الكامنة ما لي لأراها وقد ميزت العود فشراب بعد قشر فكان يقول في الأشياء الكامنة إن لكل نوع منها نوعاً من الاستخراج وضرباً من العلاج فالعبدان تخرج نيرانها بالاحتكاك والابن يخرج زبده بالخض وجبته يجمع بانفحة وبضروب هي علاجه ولو أن انساناً أراد أن يخرج القطران من الصنوبر والزفت من الأرض لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويذقه ويقشره بل يوقد له ناراً بقربه فإذا أصابه الحر عرق وصار في ضروب من العلاج ولو أن انساناً مزج بين الفضة والذهب وسبكها بسبكها واحدة ثم أراد أن يزل أحدهما من صاحبه لم يمكنه ذلك بالفرض والدق وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند الصاغة وأرباب الجمانات وزعم أبو اسحق إن ارسطاطا ليس كان يزعم أن الماء الممازج للأرض لم ينقلب أرضاً وإن النار الممازجة للماء لم تنقلب ماء وكذلك ما كان من الماء في الحجر ومن النار في الأرض والهواء وإن الأجرام إنما يخف وزنها وتستخف على قدر ما فيها من التحليل ومن أجراء الهواء وأنها توزن وتصاب وتمتن على قدر قلة ذلك فيها ومن قال هذا القول في الأرض والماء والنار والهواء وفيما تتركب منها من الأشجار وغير ذلك لم يصل إلى أن يزعم أن في الأرض عرضاً يحدث وبالحر أن يعجز عن تثبيت لون الماء والأرض والنار عرضاً وإذا قال في تلك الأشجار تلك المقالة قال في الطول والعرض والعمق وفي التربع والتثليث والتدوير بجواب أصحاب الأجسام لا يلزم أصحاب الأعراض أصحاب الأجسام بقولهم في تثبيت السكون والحركة أن القول في حراك الحجر كالحقول في سكونه وكذلك أصحاب الأجسام يلزمون كل من زعم أن شيئاً من الأعراض لا ينقض وإن الجسم يتغير في المذاقة والملمسة والمنطقة والمشمة من غير لون الماء وفي برودة نفس الأرض وتثبيتها كذلك

ويظهر من ذلك التفضُّن رطوبات بدنه كالبلغم من الفم والمخاط السائل من الانف والرمص والدمع من العين ظنوا أن ذلك لكثرة ما فيه من أجزاء الرطوبات وأرادوا أن يفسدوا الصبا والشباب والكهولة والشيوخة على أربعة أقسام كما يتبها لهم ذلك في غير باب وإذا ظهرت تلك الرطوبات فإنما هي انفي اليبس لها ولمصره قوي البدن ولو كان الذي ذكروا المكان دمع الصبا أكثر ومخاطه أغزر ورطوباته أظهر وفي البقول والرياحين والاعصان والأشجار ذلك إذا كانت في الحداثة أرطب وعلى مرور السنين والأيام أيبس قال الراجز

اسمع أنبئك بآيات الكبر * نوم العشي والسعال بالسحر

وسرعة الظاهر وضعف في النظر * وتركى الحسناء في قبل الطهر

وحذر ازداده الى حذر * والناس يبلون كما يبلو الشجر

وكان يتعجب من القول بالهوى وكان يقول قد عرفنا مقدار رزاة البلة وسنعتيكم ان للبرد وزنا أليس الذي لا تشكون فيه ان الحر خفيف ولا وزن له وانه اذا دخل في جرم له وزن صار أخف وانكم لا تستطيعون ان تثبتوا لليبس من الوزن مثل ما تثبتون للبلة وعلى ان كثيراً منكم يزعم ان البرد المجد للماء هو أيبس وزعم بعضهم ان البرد كثيراً ما يصاحب اليبس وان اليبس وحده لو حل بالماء لم يجمد وان البرد وحده لو حل بالماء لم يجمد وان الماء أيضاً يجمد لاجتماعهما عليه وفي هذا القول ان شيئين مجتمعين قد اجتمعا على الاجماد فاشكرون ان يجتمع شيان على الاذابة وان جاز للقبس ان يجمد جاز للبلة ان تذيب قال أبو اسحق فان كان بعض هذه الجواهر صماداً وبعضها نزلاً ونحن نجد الذهب أثقل من مثله من هذه الاشياء النزلة فيكيف يكون أثقل منها وفيه أشياء صمادة فان زعموا ان الخفة انما تكون من التحايل والسخف وكثرة أجزاء الهواء في الجرم فقد ينبغي ان يكون الهواء أخف من النار وان النار في الحجر كما ان فيه هواء والنار أقوى على رفع الحجر من الهواء الذي فيه وكان يقول من الدليل على أن النار كامنة في الحطب ان الحطب يحرق بمقدار من الاحراق ويتمنع الحطب أن يخرج جميع ما فيه من النيران فيجعل خفاً فتى أحببت أن تستخرج الباقي

يقول من الدليل على أن الضياء أخف من الحر أن النار تكون منها على قاب علوها فيأتيك ضوءها ولا يأتيك حرها ولو أن شمعة في بيت ذي سقف لا ترفع الضوء في الهواء حتى لا تجتمع منه على الأرض إلا الشيء الضعيف وكان الحر على شبيهه بحاله الأول وقال أبو اسحق زعمت الديصانية أن أصل العالم إنما هو من ضياء وظلام وإن الحر والبرد واللون والطعم والصوت والرائحة إنما هي نتائج على قدر امتزاجها فقل لهم وجدنا الخبز إذا اختلط باللبن صار جسيماً أغبر وإذا خلطت الصبر بالعسل صار جسيماً مر الطعم ومتى زدنا من أحدهما أعطانا من ذلك الطعم على حساب ما زدنا وكذلك نجد جميع المركبات فمثلاً إذا مزجنا بين شيئين من ذوات المناظر خرجنا إلى ذوات الملامس وإلى المذاقة والمشممة وهذا نفسه داخل على من زعم أن الأشياء كلها تولدت من تلك الأشياء الأربعة التي هي نصيب حاسة واحدة وقال أبو اسحق إن زعم قوم أن ههنا حساً هو روح وهو ركن خامس لم يخالفهم وإن زعموا أن الأشياء يحدث لها حس إذا امتزجت بضرب من المزاج فكيف صار المزاج يحدث لها حساً وكل واحد منه إذا انفرد لم يكن ذا حس وكان مفسداً للجسم وإن فضل عنها أفسد حسها وهمل حكم قليل ذلك إلا حكم كثيره ولم لا يجوز أن يجمع بين ضياء وضياء فيحدث لهما منع الإدراك فإن اعتل القوم بالمزاج والعقص والماء وقالوا قد نجد كل واحد من هذه الثلاثة ليس بأسود فإذا اختلطت صارت جسماً واحداً أسوداً من الليل ومن السيج ومن الغراب (قال أبو اسحق) بيني وبينكم في ذلك فرق أنا أزمع أن السواد قد يكون كامناً ويكون ممنوع النظر فإذا زال مانعه ظهر كما أقول في النار والحجر وغير ذلك من الأمور السكينة فإن قلتم بذلك فقد تركتم قواكم وإن أبيتم فلا بد من القول قال أبو اسحق وقد غلط أيضاً كثير منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلقم ولو كان طباعه البلقم والبلغم لين رطب أبيض لما ازداد عظمه نحولاً ولونه سواداً وجده تقبضاً وقال النمر بن توب

كان مخطاً في يدي حارثية * ضياع عات مني به الجلد من عل
وقال الراجز * وكثرت فواضل الأهاب * قال ولكنهم لما رأوا بدنه يتغنضن

بعضه ببعض ثم لا يوجد أبداً إلا إما عـلاً وإما أسفل (قال أبو اسحق) فيستدل
على ان الضياء أخف من الحر لزواله وقد ذهب ضوء الأتون وتبقى سخونته قال أبو
اسحق لأمر ما حصر الهواء في جوف هذا الثلك ولا بد لكل محصور من أن يكون
تقابه وضغطه على قدر شدة الحصار وكذلك الماء اذا اختنق قال والريح هواء ترك لا غير
فلم قضوا على طبع الهواء في جوهرية بل لدونة والهواء الذي يكون بقرب الشمس
والهواء الذي بينهما على خلاف ذلك ولولا ان قوى البرد غريزية فيه لما كان مروحا
عن النفوس ومنفسا عن جميع الحيوان اذا اختنق في أجوافها البخار والوهج المؤذى
حتى فزعت اليه واستغاثت به وصارت تجتاب من روحه وبرد نسيمه في وزن ما خرج
من البخار الغليظ والحرارة المستكنة قال وقد علموا ما في اليبس من الخصومة والاختلاف
وقد زعم قوم ان اليبس إنما هو عدم البلة قالوا وعلى قدر البلة قد تحول عليه الاسماء
حتى قال خصومه هم فقولوا أيضاً إنما نجد الجسم بارداً على قدر قلة الحر فيه وكذلك
قالوا في الكلام ان الهواء إنما يتبع عندنا أنه مظلم لفقْدان الضياء ولان الضياء قرص قائم
وشعاع ساطع فاسل وایس للظلام قرص ولو كان في هذا العالم شيء يقال له ظلام
لما قام لا في قرص فكيف تكون الأرض قرصة والأرض غبراء ولا ينبغي أن يكون
شعاع الشيء أسبغ منه قل والاول لا يشبه القول في اليبس والبقاء والقول في الحر والبرد
والقول في اليبس والرطوبة والقول في الخشونة واللين لان التراب لو كان كله يابسا
وكان اليبس في جميع أجزائه شائعا لم يكن بعضه أحق بالنتطيع والبرد والتهافت من الجزء
الذي نجده متمسكا قال خصمه ولو كان أيضاً التهافت الذي نجده فيه إنما هو لعدم
البلة وكله قد عدم البلة لكان ينبغي للكل ان يكون متهافتا ولا نجد منه جزءين
متلازمين فان زعمهم أنه إنما اختلف في التهافت على قدر اختلاف اليبس فينبغي لكم
ان تجمعوا اليبس طبقات كما يجعل ذاك للخضرة والصفرة وقال إبراهيم أرايت لو اشتعل
اليبس الذي هو غاية التراب كله كما عرض لنصفه أما كان واجبا ان يكون الافتراق
داخلا على الجميع وفي ذلك القول بالجزء الذي لا يتجزأ وأبو اسحق وان كان
اعترض على هؤلاء في باب القول في اليبس فان المسألة عليه وذلك أشد وكان أبو اسحاق

كل ذلك إما ضاراً وإما نافعاً وإما غاذياً وإما قاتلاً وإما مؤلماً وإما ملذاً وليس يكون
كون الارض مالحة وعذبة ومنقنة أو طيبة أحق بان تكون علة لكون اليبس والبرد
والحر والرطوبة من أن يكون كون الرطوبة واليبس والحر والبرد وعلة لكون اللون
والطعم والرائحة وقد هجم الناس على هذه الاعراض الملازمة والاجسام المشاركة
هجوماً واحداً على هذه الحلية والصورة ألقاها الاول والآخر قال فكيف وقع
القول منهم على نصيب هذه الحاسة وحدها ونحن لم نرمز من البلة أو من البيل نفعاً ولا
ضراً تفرد به دون هذه الأمور قال (والهواء يختلف على قدر العوامل) فيه من
تحت ومن فوق ومن الأجرام المشتملة عليه والمخالطة له وهو جسم رقيق وهو في ذلك
محصور وهو خوار سريع القبول وهو مع رقيقته يقبل ذلك الحصر مثل عمل الريح
والزق فانها تدفعه من جوانبه وذلك لعله الحصر ولقطعه عن شكله والهواء ليس
بالجسم الصمد والجسم النزال ولكنه جسم به تعرف المنازل والمصاعد والأمر ثلاثة
شئ يصعد في الهواء وشئ ينزل في الهواء وشئ مع الهواء فكما أن المصعد فيه والمنحدر
لا يكونان الا مخالفين فالواقف معه لا يكون الاموافقوا ولو ان انساناً أرسل من يده وهو
في قعر الماء زقا منفوخاً فارتفع الزق لدفع الريح التي فيه لم يكن لقائل أن يقول ذلك
الهواء شأنه الصعود بل إنما ينبغي أن يقول من شأنه ان يصير الى جوهره ولا يقيم في
غير جوهره الا أن يقول من شأنه ان يصعد في الماء كما ان من شأن الماء ان ينزل في
الهواء وكما ان الماء يطلب تلاد الماء والهواء يطلب تلاد الهواء قالوا والنار أجناس كثيرة
مختلفة وكذلك الصاعد ولا بد اذا كانت مختلفة أن يكون بعضها أسرع من بعض أو
يكون بعضها اذا خرج من عالم الهواء وصار الى نهاية الى حيث لا منفذ لا يزال فوق
الآخر الذي صعد معه وان وجد مذهباً لم يقيم عليه ويدل على ذلك اننا نجد الضياء
صعاداً والصوت صعاداً ونجد الظلام رائداً وكذلك البرد والرطوبة فاذا صح ان هذه
الاجناس مختلفة واذا حدث في جهة علمنا ان الجهة لا تخالف بين الاجناس ولا توافق
وان الذي يوفق منها اختلاف الاعمال ولا يكون القطعان متفقين الا بان يكون
سرورهما سواء واذا صار الى الغاية صار اتصال كل واحد منهما بصاحبه كاتصال

النيران الخاطلة يرفعان لطائف الماء بارتفاعهما وتبخيرهما فاذا رفعنا اللطائف فصار منهما
مطر وما يشبه المطر وكان ذلك دأبهما وعاد ذلك الماء ملجأً لأن الارض اذا كانت
تعطيه الملوحة والنيران تخرج منه العذوبة واللطافة كان واجباً أن يعود الى الملوحة
ولذلك يكون ماء البحر ابداً على كيل واحد ووزن واحد لان الحدود تطلب القرار
وتجري في اعماق الارض برفع اللطائف فيصير مطراً وبرداً وثلجاً وطلائاً ثم تعود
تلك الانواء سبيلاً تطلب الحدود وتطلب القرار وتجري في اعماق الارض حتى
تصير الى ذلك الهواء فليس يضيع من ذلك الماء شيء ولا يبطل منه شيء والاعيان قائمة
فيكانه مجنون غرق من بحر وصب في جدول يفيض الى ذلك النهر فهو عمل الحرارة
اذا كانت في أجواف الخشب او في أجواف الارضين او في أجواف الحيوان والحر
اذا صار في البدن فانما هو شيء مكره والمكره لا يالو يتخلص وهو لا يتخلص الا وقد
جعل معه كل ما قوى عليه مما لم يشبهه فتي خرج خرج معه ذلك الشيء قال فمن بهنا
غلط القوم قال ابو اسحق قالت الدهرية في علمنا هذا باقوايل فمنهم من زعم ان علمنا
هذا من اربعة اركان حر وبرد ويس وبلة وسائر الاشياء نتائج وتركيب وتوليد وجعلوا
هذه الاربعة اجساماً ومنهم من زعم ان هذا العالم من اربعة اركان من ارض وهواء
وماء ونار وجعلوا الحر والبرد واليبس والبلة أعراضاً في هذه الجواهر ثم قالوا في سائر
الاراييح والالوان والأصوات ثمار هذه الاربعة على قدر الاختلاط في القلة والكثرة
والرقة والكثافة فقدموا ذكر نصيب حاسة النفس فقط واضربوا عن انصباء الحواس
الاربعة قالوا ونحن نجد الطعوم غاذية وقاتلة وكذلك الاراييح ونجد الاصوات ملدة
ومؤلمة وهي مع ذلك قاتلة وناقضة للقوى متلفة ونجد الالوان في المضار والمنافع واللذات
والالم المواقع التي لا تجهل كما وجدنا مثل ذلك في الحر والبرد واليبس والبلة ونحن
لم نجد الارض باردة يابسة غير اننا نجد ما الحلة او ذات لون ومذاقة أي ذلك كان
وجدناها ذات رائحة وذات صوت متي قرع بمضها بمضاً فبرد هذه الاجرام وحرها
وبسها ورطوبتها لم تكن فيها لمة كون الطعوم والاراييح والالوان فيها وكذلك
طعومها وأرييحها والوانها لم تكن فيها المسكان كون البرد واليبس والحر والبلة فيها ووجدنا

السبك وطبقات الطبخ وتفاوت ما بين العطير والخير والمقصر والجاوز وموضع العقل عضو من تلك الاعضاء وجزء من تلك الاجزاء وكان تفاوت الذي بين الصقابة والزنج وكذلك القول في الصور ومواضع الاعضاء الا ترى ان اهل الصين والتبت وحذاق الصناعات لها فيها الرفق والحذق واطف المداخل والانساع في ذلك والغوص على غامضه وبعيده وليس عندهم الا ذلك فقد يفتح لقوم في باب الصناعات ولا يفتح لهم سوى ذلك قال وكان يخطئهم في قولهم ان الحرارة تورث اليبس لأن الحرارة انما ينبغي أن تورث السخونة وتولد ما يشاكلها ولا تولد ضربا آخر مما ليس منها في شيء ولو جاز أن تولد من الاجناس التي تختلفها شكلا واحداً لم يكن ذلك الخلاف باحق من كلام آخر إلا ان يذهبوا الى سبيل المجاز فقد يقول الرجل انما رأيتك لاني النفث وهو انما رآه لطبع في البصر الدارك عند ذلك الالتفات ولذلك يقول قد نجد النار تداخل ماء القمم بالايقاد من تحته فاذا صارت النار في الماء لا يسته واتصلت بما فيه من الحرارة والنار صاعدة ليحدث عند ذلك الماء غليان لحركة النار التي قد صارت في اضعافه وحركتها تصعد فاذا توقعت أجزاء النار وقعت معها لطائف من تلك الرطوبات التي قد لا يستهها فاذا دام ذلك الايقاد من النار الداخلة على الماء صعدت أجزاء الرطوبات الملبسة لاجزاء النار ولقوة حركة النار وطاها التلاد العلوى كان ذلك فتى وجد من لا علم له في أسفل القمم كالحس أو وجد الباقي من الماء مالما عند تصعد لطائفه على مثال ما يعتري ماء البحر ظن أن النار التي أعطته اليبس وإن زعموا أن النار هي الملبسة على معنى ما قد فسرنا فقد أصابوا فان ذهبوا الى غير المجاز فقد أخطوا وكذلك الحرارة اذا مكنت في الاجساد بعثت الرطوبات ولا يستهها فتى قويت على الخروج اخرجتها منها فعند خروج الرطوبات توجد الابدان يابسة ليس أن الحر يجوز أن يكون له عمل الا التسخين والصعود والتقاب الى الصعود من الصعود كما ان الاعتماد من شكل الزوال وكذلك الماء الذي يفيض الى البحر من جميع ظهور الارضين ويطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فالماء غسل مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة والذي يخرج اليه من الارض من أجزاء

لكنما غـزوى إذا * صح المطي من الدبر

وعلى المعنى الاول قول الشاعر

قالت الافاطم عميرا تمرأ * وكان تمرى كهرة وزبرا

وعلى المعنى الاول قال حاتم هذا فصدى أنه ولذلك قال الراجز * العامرات البيت بالخراب *
يقول هذا هو عمارتها وكان أبو اسحاق يتعجب من قولهم النار يابسة قال أما قولهم
الماء رطب فيصح لأننا نراه سيالا وإذا قال الارض يابسة فأنما يريد التراب المتهافت
فقط فان لم يرد الابدن الارض الملازم بمضه لبعض لما فيها من اللدونة فقط فقد أخطأ
لان أجزاء الارض مخالطة لأجزاء الماء فامتنت من التهافت على أقدار ذلك ومتى
حفرنا ودخلنا في عمق الارض وجدنا الارض طينا بل لا تزال تجدد الطين أرطب
حتى تصير الى الماء والارض اليوم كلها ارض وماء والماء ماء وارض وانما يلزمها من
الاسم على قدر الكثرة والقلة فاما النار فليست بيابسة البدن ولو كانت يابسة البدن
لتهافتت تهافت التراب واتسبرا بمضها من بعض كما أن الماء لما كان رطبا كان سيالا
ولكن القوم لما وجدوا النار تستخرج كل شئ في العود من النار فظهرت الرطوبات
لذلك السبب ووجدوا العود تتميز أخلاطه عند خروج نيرانه التي كانت إحدى
مراتعها من التميز فوجدوا العود قد صار رمادا يابسا متهافتا ظنوا أن يسه انما هو مما
اعطته النار وولدت فيه والنار لم تعطه شيئا ولكن نار العود لما فارقت رطوبات العود
ظهرت تلك الرطوبات الكامنة والممانعة فبقي من العود الجزء الذي هو الرماد وهو
جزء الارض وجوهرها لان العود فيه جزء ارضى وجزء مائي وجزء ناري وجزء
هوائي فلما خرجت النار واعتزلت الرطوبة بقي الجزء الارضى فقولهم النار يابسة غلط
وانما ذهبوا الى ما رآه الميرون ولم يفوصوا على مغيبات العلى وكان يقول ليس القوم
في طريق خالص المتكاملين ولا في طريق الجهاذة المتقدمين وكان يقول إن الامة
التي لم ننضجها الارحام ويخالفون في ألوان أبدانهم أو حقائق عيونهم وألوان شعورهم
سبيل الاعتدال لا تكون عقولهم وقرائحهم الا على حسب ذلك وعلى حسب ذلك
تكون أخلاقهم وآدابهم وشمالهم وتصرفهم في أؤمهم وكرمهم لاختلاف

وكاهتزاز رديني تذاوقه * أيدى التجار فزادوا منه ايناً

وقال بشار بن حربى

وعهد الغايات كهده قين * وفث عند الجمائل مستذاق

الجمائل من الجعل وتجاوزوا ذلك الى أن قال يزيد بن الصعق لبنى سليم حين صنعوا بسيدهم العباس ما صنعوا وقد كانوا توجوه وملكوه فلما خالفهم في بعض الامر وشبوا عليه وكان سبب ذلك قلة رهطه وقال يزيد بن الصعق

وإن الله ذاق حلوم قيس * فلما ذاق خفتها قلاها

رأما لا تطيع لها أميراً * نخلاها تردد فى خلاها

فزعم أن الله عز وجل يذوق عند ذلك قال هياش الرعلى يخبر عن قلته وكثرتهم فقال

وأممكم ترجوا التؤام لبعلا * وأم أخيكم كزرة الرحم عافر

وزعم يونس أن أسلم بن زرعة لما أنشد هذا البيت أغر ورقته عيناه وجعل

هياش أمه عافراً إذ كانت نزوراً وقد قال الغنوى

وتحدثوا ملأاً تنصبح أمنا * عذراء لا كهل ولا مولود

جعلها إذ قل ولدها كالعذراء التى لم تلد قط لما كانت كالعذراء جعلها عذراء

وللعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم عنهم وهذه أيضاً فضيلة أخرى وكما

جوزوا لقولهم أكل وإنما عض وأكل وإنما أفنى وأكل وإنما أجاله وأكل وإنما أبطل

عينه جوزوا أيضاً أن يقولوا ذقت ما ليس بطعم ثم قال طعمت لغير الطعام وقال العرجى

وان شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم أطعم تقاها ولا بردا

قال الله تعالى (إني مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى) يريد

لم يذق طعمه وقال عاقمة بن عبدة

وقد أصحاب فتينا طعمهم * حمر المزاد ولحم فيه تنشيم

يقول هذا طعمهم فى الغزو والسفر البعيد الغاية وفى الصيف الذى يفتقر الطعام

والشراب والغزو على هذه الصفة من المفاخر ولذلك قال الاول

لا لأعق ولا أحو * ب ولا أغير على مضر

f

(إنما يا كلون في بطونهم ناراً) وهذا أيضاً مجاز آخر وقال الشاعر في أجزاء السنين من
أجزاء الحمر

أكل الدهم ما تجبهم منها * وتبقى مصاصها المكنونا

وقال الشاعر

مررت بنا تحتال في أربع * يا كل منها بعضها بعضاً

وهل قوله هو قدأكلت أظفاره الصخر * إلا كقوله * كضب الكري أبرى برائنه الحفر *
وإذا قالوا أكله الأسد فأنما يذهبون إلى الالكل المعروف وإذا قالوا أكله
الأسود فأنما يمتنون النهش واللدغ والعض فقط وقد قال الله عز وجل (أحب أحدكم
أن يأكل كل لحم أخيه ميتاً) ويقال هم لحوم الناس وقال قائل لاسماء بن حماد أي اللحمان
أطيب قال لحوم الناس هي والله أطيب من الدجاج ومن الفراخ والعنوز والحمر ويقولون
في باب آخر فلان يأكل الناس أن لم يأكل من طعامهم شيئاً وأما قول أوس بن حجر
وذو شطبات قد ه ابن مجدع * له رونق رديته يتأكل

فهذا علي خلاف الأول وكذلك قول دهمان النهري

سألتني عن أناس أكلوا * شرب الدهر عليهم وأكل

فهذا كله مختلف وهو كله مجاز (باب آخر) وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده
ذق وكيف ذاقته وكيف وجدت طعمه وقال عز وجل (ذق إنك أنت العزيز الكريم)
وأما قولهم ماذا ذقت اليوم ذواقاً فانه يعني ما أكلت اليوم طعاماً ولا شربت شراباً وإنما
أراد القليل والكثير وانه لم يذقه فضلاً عن غير ذلك وقال بعض طبقات الفقهاء ممن
يشتهي أن يكون عند الناس متكلاً ماذا ذقت اليوم ذواقاً على وجهه من الوجوه ولا
على معنى من المعاني ولا على سبب من الأسباب ولا على جهة من الجهات ولا على
لون من الألوان وهذا من عجيب الكلام قال ويقول الرجل لو كينه إئت فلاناً فذق
ماعنده وقال شماخ بن ضرار

فذاق فأعطته من اللين جانباً * كفي ولها أن يفرق السهم حاجز

وقال ابن مقبل

الكامن الذي زال مانعه هكذا كان ينبغي أن يقول وهو قياسه وكان يزعم أنك ان
أبصرت مصباحاً قائماً الى الصبح أن الذي رأيته في أول وهلة قد بطل من هذا العالم
وظفر من الدهر بشيء من وزنه وقدره بالافضل ثم كذلك الثالث والرابع والتاسع
فانت إن ظننت أن هذا المصباح ذلك فليس به ولكن ذلك المكان لا يخلو من أقسام
مقاربة متشابهة لم يكن في الاول شبه ولا علامة وقع عندك أن المصباح الذي رأيته
مع طلوع الفجر هو الذي رأيته مع غروب الشفق وكان يزعم أن نار المصباح لم تأكل
شيئاً من الدهن ولم تشربه وأن النار لا تأكل ولا تشرب ولكن الدهن ينقص على قدر
ما يخرج منه من الدخان والنار الكامنين اللذين كانا فيه وإذا خرج كل شيء فهو بطلانه
وقد يقولون ذلك أيضاً على المثل وعلى الاشتقاق وعلى التشبيه فان قلتم فقد قال الله
عز وجل في الكتاب (الذين قالوا إن الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان
تأكله النار) فقد علمنا أن الله عز وجل إنما كلمهم بلغتهم وقد قال أوس بن حجر
فأشطر فيها نفسه وهو معصم * وألقي بأسباب له وتوكل
وقد أكلت أظفاره الصخر كما * تعايا عليه طول مرقى توصلا
فجعل النحت والشقص أكلا وقال خفاف بن ندبة

أبا خراشة إما أنت ذانقر * فان قومي لم تأكلهم الضبع
والضبع السنة فجعل شقص الجذب والازمة بابا آخر مما يسمونه أكلا وقال مرداس
ابن أدية

وأدَّت الارض مني مثل ما أكلت * وقربوا لحساب القسط أعمالى
وأكل الارض لمصاص في بطنها حالته الى جوهرها

❦ باب آخر ❦

وهو قول الله عز وجل (إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً) وقوله تعالى عز اسمه
(أأكلون للسحت) وقد يقال لهم ذلك وان شربوا بتلك الاموال الانبذة ولبسوا الخلل
وركبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهما واحداً في سبيل الاكل وقد قال الله عز وجل

اسحاق لم يجد خصمه بدامن أن يتديء مسألة في افساد القول بالطفرة والتحطيف ولولا
 ما اعترض به أبو اسحاق من الجواب بالطفرة في هذا الموضع لكان هذا مما يقع في باب
 الاستدلال على حدوث العالم وكان أبو اسحاق يزعم أن احتراق الثوب والخطب والقطن
 إنما هو خروج نيرانه منه وهذا هو تأويل الاحتراق ليس أن نار اجاءت من مسكان
 فعمات في الخطب ولكن النار الكامنة في الخطب لم تكن تقوى على نفى ضدها
 عنها فلما اتصلت بنار أخرى واشتدت منها قوتاً جميعاً على نفى ذلك المانع فلما زال المانع
 ظهرت فعند ظهورها تجزأ الخطب وتجفف وتهافت لمسكان عملها فيه فاحترقك لشيء
 إنما هو اخراجك نيرانه منه وكان يزعم ان حر الشمس إنما تحرق في هذا العالم باخراج
 نيرانها منه وهي لا تحرق ما عقد العرض وكشف تلك النداوة لان التي عقدت تلك الاجزاء
 من الحر أجناس لا تحترق كاللون والطعم والرائحة والصوت والاحتراق إنما هو ظهور النار
 عند زوال مانعها فقط وكان يزعم أن سم الانبي مقيماً في بدن الافعى ليس يقتل وأنه متى
 مازج بدنا لاسم فيه لم يقتل ولم يتلف وإنما يتلف الابدان التي فيها سموم ممنوعة مما
 يضادها فاذا دخل عليها سم الافعى عاون السم السكامن ذلك السم الممنوع على مانعه فاذا
 زال المانع تلف البدن المنهوش عند أبي اسحاق إنما كان أكثر ما أتلفه السم الذي معه
 وكذلك كان يقول في حر الحمام والحر السكامن في الانسان ان الغشى الذي يعتريه في
 الحمام من الحر القريب ولكن من الحر الغريب حرك الحر السكامن في الانسان وامده
 ببعض أجزائه فلما قوى عند ذلك على مانعه فزاله ذلك العمل الذي كان توقعه بالمانع
 واقعا به وإنما ذلك كما حار يحرق اليد صب عليه ماء بارد فلما دخل عليه الماء البارد صار
 شغله بالداخل وصار من وضع يده فيه وضع يده في شيء قد شغل فيه بغيره فلما دفع
 الله عز وجل عند ذلك الجسم الذي هو مشغول به صار ذلك الشغل مصروفا الى من
 وضع يده فيه اذ كان لا ينفك من عمله وكان مع ذلك يزعم أنك لو أطفأت نار الاتون
 لم تجد شيئاً من الضوء ووجدت الكثير من الحر لان الضياء لو لم يكن له في الارض
 أصل ينسب اليه وكان له في العلو أصل كان أولى به وفي الحقيقة انهما جميعاً قد اتصلا
 بجوهرهما من العالم العلوي وهذا الحر الذي تجده في لارض إنما هو من الحر

ودخاناً وبعض الهواء المتصل به استحال ماء وبعضه استحال ناراً على قدر العوامل وعلى المقابلات له وإذا قال صاحب العرض ذلك كان قد أجاب في هذه الساعة على حد ما نزلته لك وهذا باب من القول في النار وعلمنا أن نستقصى للفريقين والله المعين (وباب آخر) وهو أن بعض من ينكر كمن النار في الحطب قالوا إن هذا الحر الذي رأيناه قد ظهر من الحطب لو كان في الحطب لكان واجبا أن يجده من مسه كالجمر المتوقع إذا لم يكن دونه مانع منه ولو كان هناك مانع لم يكن ذلك المانع إلا البرد لأن اللون والطعم والرائحة لا يفسد الحر ولا يمانعه الذي يضاده دون الذي يخالفه ولا يضاده فإن زعم زاعم أنه قد كان هناك من أجزاء البرد ما يعادل ذلك الحر ويطاوله ويكافيه ويوازيه فلذلك صرنا إذا مسسنا الحطب لم نجده مؤذيا وإنما يظهر الحرق ويحرق لزوال البرد إذا قام في مكانه وظهر الحر وحده فظهر عمله ولو كان البرد المعادل لذلك الحر مقيما في العود على أصل كونه فيه لكان ينبغي لمن مس الرماد بيده أن يجده أبرد من الثلج فإذا كان مسه كس غيره فقد علمنا أنه ليس هناك من البرد ما يعادل هذا الحر الذي يحرق كل شيء أقيميه فإن زعم أنهم أخرجوا جميعاً من العود فلا يخلو البرد أن يكون أخذ في جهته فلم وجدنا الحر وحده وليس هو بأحق أن نجده من ضده وإن كان البرد أخذ شمالاً وأخذ الحر جنوباً فقد كان ينبغي أن يحمد ويهلك ملاقاه كما أهلك الحر وأحرق وأذاب كلما لاقاه قالوا فلما وجدنا جميع أقسام هذا الباب علمنا أن النار لم تكن كامنة في الحطب قال أبو اسحق والجواب عن ذلك أنا نزع أن الغالب على العالم السفلي الماء والارض وهما جميعا باردان وفي اعماقهما واضعافهما من الحر ما يكون معموراً ولا يكون عامراً ويكون مقموماً ولا يكون قامعاً لأن هناك قليل والقليل ذليل والذليل غريب والغريب محذور فلما كان العالم السفلي كذلك حدث ما فيه من قوة البرد وذلك البرد الذي كان في العود عند زوال مانعه لأن العود مقيم في هذا العالم ثم لم ينقطع ذلك البرد إلى برد الارض الذي هو كالعرض له إلا بالطفرة والتعطيف على الامور بالاماكن والمجاورة لها وقام برد الماء منه مقام قرص الشمس من الضياء الذي يدخل البيت للخرق الذي يكون فيه فإذا سد فمع السد ينقطع إلى قرصه وأصل جوهره فإذا أجاب بذلك أبو

من النارية فيه فالهواء سريع الاستحالة الى النار سريع الرجوع الى طبعه الاول وليس
 انها اذا عدمت فقد انقطع الى شكل لها علوي واتصل وصار الى تلاله ولان اجزاءها
 أيضاً تقرب في الهواء لانها كانت كامنة في الحطب متداخلة منقبضة فيه فلما ظهرت
 انبسطت وانتشرت وانما اللهب هو استحالة ناراً لان الهواء قريب القرابة من النار
 والماء هو حجاز بينهما لان النار يابسة حارة والماء رطب بارد والهواء حار رطب فهو
 يشبه الماء من جهة الرطوبة والصفاء ويشبه النار بالحرارة والخفة فهو يخالفهما ويوافقهما
 فلذلك جاز ان ينقلب اليهما انقلاباً سريعاً كما ينعصر الهواء اذا استحال رطباً وحدث له
 كثافة الى أن تعود اجزأؤه مطراً فالماء ضد النار والهواء خلاف لهما وليس بضد ولا
 يجوز ان ينقلب الجوهر الى ضده حتى ينقلب بدياً الى خلافه فقد يستقيم أن ينقلب الماء
 هواء ثم ينقلب الهواء ناراً وينقلب الهواء ماء ثم ينقلب الماء أرضاً فلا بد من الانقلاب في
 الترتيب والتدرج وكل جوهر فله مقدمات لان الماء قد يحيل الطين صخراً وكذلك
 في العكس قد يستحيل الصخر هواء والهواء صخراً الا على هذا التزليل ولا ترتيب
 (وقال أبو اسحق) لمن قال بذلك من حذاق أصحاب الاعراض قد زعمتم أن النار التي
 عايناها لم تخرج من الحطب ولكن الهواء المحيط بهما احتدم واستحال ناراً فاعمل الحطب
 الذي يسيل منه الماء الكثير ان يكون ذلك الماء لم يكن في الحطب ولكن ذلك المكان
 من الماء استحال ماء وليس ذلك المكان من الهواء أحق بأن يستحيل ماء من أن يكون
 سبيل الدخان في الاستحالة سبيل النار والماء فان قاس القوم ذلك فزعموا أن النار التي
 عايناها وذلك الماء والدخان في كثافة لدخان وسواده والذي يتراكم منه في أسافل القدر
 وسقف المطابخ انما ذلك هواء استحال فاعمل الرماد أيضاً هواء استحال رماداً فان قائم
 الرماد في أول نقله المتراكم على أسافل القدر وفي بطون سقف مواقف الحمامات الذي
 دبر بعض التدبير جاء منه الانفاس العجيبة أحق بأن استحال أرضياً فان قاس العرض
 وزعم أن الحطب انحل بأسره فاستحال بعضه رماداً كما قد كان بعضه ناراً مرة واستحال
 بعضه ماء كما كان بعضه ماء مرة وبعضه استحال أرضاً كما كان بعضه أرضاً مرة ولم
 يقل إن الهواء المحيط به استحال رماداً ولكن بعض أخلاط الحطب استحال رماداً

أن الرماد حادث كما قالوا في النار والدخان فقد وجب عليهم أن يقولوا في جميع الاجسام مثل ذلك كالدقيق المخالف للبر في لونه وفي صلابته وفي مساحته وفي أمور غير ذلك منه فقد ينبغي أن تزعم أن الدقيق حادث وإن البر قد بطل وإذا زعم ذلك زعم أن الزبد الحادث بعد الخض لم يكن في اللبن وأن جبن اللبن حادث وقاس ماء الجبن على الجبن وليس اللبن إلا الجبن والماء وإذا زعم أنهما حادثان وإن اللبن قد بطل لزمه أن يكون الفخار الذي لم نجده حتي عجننا التراب اليابس المتهافت على حدته بالماء الرطب السيل على حدته ثم سوبناه بالنار الحارة الصفارة على حدتها ووجدنا الفخار في العين واللمس والذوق والشم وعند النقر والصك على خلاف ما وجدنا عليه النار وحدها والماء وحده والتراب وحده فإن كان ذلك الفخار هو تلك الاشياء والحطب وتلك الاشياء إلا ان أحدها من تركيب العباد والآخر من تركيب الله والعبد لا يقاب المراكبات عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها والحجر متى صك بيضة كسرهما وكيف دار الامر وسواء كانت الريح تقلبه أو انسان فان زعموا أن الفخار ليس ذلك التراب وذلك الماء وتلك النار وقالوا مثل ذلك في جميع الاخبصة والانبذة كان آخر قياسهم أن يحييوا بجواب أبي الجهم فأن زعم أن القائم غير القاعدة والعجين غير الدقيق وزعموا أنه لو لم يقل ذلك ان الحبة ٢ متى فلتت فقد بطل الصحيح وحديث جسمان في هيئته نصفي الحبة كانت اذا فلتت بأربع فاق الى أن تصير سويقاً ثم تصير دقيقاً ثم تصير عجينة ثم تصير خبزاً ثم تعود رجيماً وزبلاً ثم تعود ريحاناً وبقلاً ثم يعود أيضاً لبناً وزبدًا لان الجلالة من البهائم تأكله فيعود لحماً ودماً (وقال أبو الجهم جاه) فليس القول الا ماقال أصحاب السكون أو قول هذا (قال أبو اسحق) فان اعترض علينا معترض من أصحاب الاعراض فزعم أن النار لم تكن كامنة وكيف تسكن فيه وهي أعظم منه ولكن العود اذا احتك بالعود حمى العودان وحمى من الهواء المحيط بهما الجزء الذي بينهما ثم الذي يلي ذلك منهما فاذا احتدم رق ثم جف والتهب فانما النار هواء استحال والهواء في اصل جوهره حار رقيق وهو جسم رقيق خوار جيد القبول سريع الانقلاب والنار التي تراها أكثر من الحطب انما هي ذلك الهواء المستحيل وانطفأؤها بطلان تلك الاعراض الحادثة

يقينا ان جوف الانسان لا يخلو من دم قال ومن زعم أن شيئاً من الحيوان يعيش بغير
الدم أو شيء يشبهه الدم فواجب عليه أن يقول بانكار الطبائع ويدفع الحقائق في قول
جهم في تسخين النار وتبريد الثلج وفي الادراك والحس والغذاء والشم وذلك باب
آخر في الجهالات ومن زعم أن التوحيد لا يصلح إلا بان يكون في الانسان دم وإلا
بأن تكون النار لا توجب الاحراق والبصر الصحيح لا يوجب الادراك فقد دل على
أنه في غاية النقص والغباوة أو في غاية التكذيب والمعادلة (وقال أبو اسحاق) وجدنا
الخطب عند انحلال أجزائه وتفرق أركانه التي بني عليها ومجموعاته التي ركب منها وهي
أربع نار ودخان وماء ورماد ووجدنا للنار حرّاً وضياءً ووجدنا للماء صوتاً ووجدنا
للدخان طعماً ولونا ورائحةً ووجدنا للرماد طعماً ولونا وبساً ووجدنا للماء السائل
من كل واحد من أصحابه ثم وجدناه ذا أجناس ركبت من المفردات
ووجدنا الخطب ركب على ما وصفنا زعمنا أنه ركب من المزدوجات ولم يركب
من المفردات (قال أبو اسحق) فإذا كان المتكلم لا يعرف القياس ويعطيه حقه
فرأى أن العود حين احتك بالعود فإنه يلزمه في الدخان مثل ذلك ويلزمه في الماء
السائل مثل ذلك وان قاس قال في الرماد مثل قوله في الدخان والماء والافهوا إماما جاهل
وإمام متحكم وان زعم أنه إنما أنكر أن تكون النار كانت في العود لأنه وجد النار
أعظم من العود ولا يجوز أن يكون الكبير في الصغير وكذلك الدخان فإنه زعم أن
الدخان لم يكن في الخطب وفي الزيت وفي النفط فان زعم أنهم سواء وأنه إنما قال
بذلك لان بدن ذلك الخطب لم يكن يسمع الذي عاين من بدن النار والدخان فليس
ينبغي لمن أنكر كونها من هذه الجهة أن يزعم أن شرر القداحة والحجر لم يكونا
كأثنين في الحجر والقداحة وليس ينبغي أن ينكر كون الدم في الانسان وكون
الدهن في السمسم وكون الزيت في الزيتون ولا ينبغي أن ينكر من ذلك إلا ما لا يكون
الجسم يسمه في العين فكيف وهم قد أجروا هذا الانكار في كل ما غاب عن حواسهم
من الاجسام المستترة بالاجسام حتى يعود بذلك الى أن طال في الاعراض كنجو
جموطة الخل وحلاوة العسل وعذوبة الماء ومرارة الصبر قال فان قاسوا قولهم وزعموا

الاتون وجدنا أرضه وهواه وحيطانه حارة ولم نجد لها مضيئة لأن في الأرض وفي
 المادى الذى قد لابس الأرض حداً كثيراً وتداخلاً متشابكاً وليس فيها ضياء وقد
 كان حر النار هيج تلك الحرارة فظهرها ولم يكن هناك ضياء من ملابس فيهما
 الضياء ويظهرها كما اتصل الحر بالحر فازاله من موضعه وأبرزه من مكانه فذلك
 وجدنا أرض الأتون وحيطانها وهواه حارة ولم نجد لها مضيئة (وزعم أبو اسحاق)
 أن الدليل على أن في الحجر والعود ناراً اختلاف الجهات لانه يلزم من أنكر ذلك
 أن يزعم أن ليس في السمسم دهن ولا في الزيتون زيت ومن قال ذلك لزمه أن
 يقول أن ليس في الانسان دم وأن الدم انما يخلق عند الشرط وكان ليس بين من أنكر
 أن يكون الصبر سرّ الجوهر والعسل حلو الجوهر قبل أن لا يذقا وبين السمسم
 والزيتون قبل أن يمصرافرق وان زعم الزاعم أن الحلاوة والمرارة عرضان والزيت
 والحل جوهر واذا لزم من قال ذلك في حلاوة العسل وحموضة الخل وهما طيمان
 لزمه مثل ذلك في ألوانهما فيزعم ان سواد السيج وبياض الثلج وحمرة العصفر وصفرة
 الذهب وخضرة البقل انما تحدث عند رؤية الانسان وان كانت المعاني والمقابلة غير
 عاملين في تلك الجواهر (قال) فاذا قاس ذلك المتكلم في لون الجسم بعد طممه وفي
 طوله وعرضه وصورته بعد رائحته وفي خفته وثقل وزنه كما قال في رخاوته وصلابته
 فقد دخل في باب الجهالات ولحق بلذين زعموا أن القربة ليس فيها ماء وان وجدوها
 باللمس ثقيلة مؤكدة وانما تخلق عند حل رباطها وكذلك فليقولوا في الشمس والقمر
 والكواكب والجبال اذا غابت عن أبصارهم قال فمن هرب عن الانقطاع الى
 الجهالات كان الذى هرب اليه أشد عليه وكان يضرب لها مثلاً ذكرته لظرافته
 (حكى) عن رجل أحذب سقط في بئر فاستوت حذبتة وحدثت له أدرة في
 خصيته فهناه رجل عن ذهاب حذبتة فقال الذى جاء شر من الذى ذهب وكان أبو
 اسحاق يزعم أن ضرار بن عمرو قد جمع في إنكاره القول بالكمون الكفر والمعاندة
 لانه كان يزعم أن التوحيد لا يصح مع انكار الكمون وأن القول بالكمون لا يصح
 الا بأن يكون في الانسان دم وانما هو شئ يخلق عند الرؤية قال وهو قد كان يعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نبدأ في هذا الجزء بتسام القول في نيران العرب والعجم ونيران الديانة ومبلغ أقدارها عند أهل كل ملة وما يكون منها . ففخراً وما يكون منها مذموماً وما يكون صاحبها بذلك مهجوراً ونبدأ بالاخبار عنها وبدنها وعن نفس جوهرها وكيف القول في كونها وظهورها إن كانت النار قد كانت موجودة العين قبل ظهورها وعن كونها على المجاورة كان ذلك أم على المداخلة وفي حدوث عينها ان كانت غير كامنة وفي استحالة الهوي لها والموود جراً إن كانت الاستحالة جائزة وكانت الحجة في ثبوت الاعراض صحيحة وكيف القول في الضرام الذي يظهر من الشجر وفي الشرر الذي يظهر من الحجر وما القول في لون النار في حقيقةها وهل يختلف الشرار في طبائعها أم لا اختلاف بين جميع جواهرها أم يكون اختلافها على قدر اختلاف مخرجها ومدخلها وعلى قدر اختلاف ما لاقاها وهيجهما ونبدأ باسم الله وتأنيده بقول أبي اسحاق (قال أبو إسحاق) النار اسم للحرق والضيء فاذا قالوا أحرقت أو سخنت فأنما الاحراق والتسخين لأحد هذين الجنسيتين المتداخلين وهو الحر دون الضياء وزعم أن الحر جوهر صداد وأنما اختلافها لم يكن اتفاقهما على الصمود . موافقاً بين جواهرهما لأنهما متى صارا من العالم العلوى الى مكان صار أحدهما قوق صاحبه وكان يحزم القول ويبرم الحكم فان الضياء هو الذي يملو اذا انفرد ولا يملى قال ونحن انما صرنا اذا أطفأنا نار

الجزء الخامس من كتاب

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصري المتوفى سنة ٢٥٥ هجرية

وهذا الكتاب هو

البارع في الأدب والجامع في حكم العرب

حقوق الطبع محفوظة المتزم طبعه

الحاج محمد أفندي ساسي المغربي لنوني

سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م

مطبعة المطبعات الإسلامية في مصر

- ١٢١ » في البق والخرجس والسرار والفراش والأدى
 ١٢٣ باب القول في الغنكبوت
 ١٢٦ » في النحل
 ١٣٠ » القول في القراد
 ١٣٣ » » الحبارى
 ١٣٥ القول في الضأن والمعز
 ١٤١ باب في الماعز
 ١٥٢ القول في الضفادع
 ١٥٥ ذكر ما جاء في الضفادع من الآثار
 ١٥٧ الفرق بين الانسان والبهيمة والسبع
 ١٦٦ القول في القطا
 ١٧٠ ذكر نوادر من أشعار وأحاديث

فهرس

* الجزء الخامس من كتاب الحيوان *

صحيفه

- ٢ الكلام على النار
 ٤ باب آخر وهو قول الله عز وجل (ان الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما)
 ٢١ باب آخران الصفرة متى اشتدت صارت حمرة
 ٣١ جملة من القول في الماء
 ٤١ رجع الى القول في النار
 ٤٢ في ذكر جرات العرب
 ٤٤ » » النار التي ترفع للسفر
 ٥٢ باب مدح في اليهود والنصارى والمجوس
 ٥٣ » من أراد أن يمدح فمدح
 ٦٠ كلام في حفظ السر
 ٦٢ ما جاء في ذم الاماني
 ٦٦ أجناس الطير التي تألف دور الناس
 ٦٦ الكلام على العصافير
 ٧٧ القول في الفار والجرذان والسنائير
 ٨٨ باب آخر للسور فيه فضيلته على جميع أصناف الحيوان ما خلا الانسان
 ٩٢ » » يدعو له الفار
 ١٠٧ القول في العقرب
 ١١٤ باب القول في الغمل والصواب



PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ
7745
J3H3
1905
v.5- v.7
c.1
ROBA

al-Jahiz, 'Amr ibn Bahr
Hadha Kitab al-hayawan

